

روائع تراث الزيدية

تفسير الإمام الهادي

(الجزء الأول)

تأليف

الإمام الهادي

يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم
بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن
بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

(٤٥-٢٩٨هـ)

تحقيق

عبد الكريم جدبان

مَوْلَانِي شَرَفُ الدِّينِ

تفسير الإمام الهاشمي

(الجزء الأول)

تأليف

الإمام الهاشمي

يعسى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم
بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن
بن علي بن أبي طالب عليهم السلام
(٢٤٥ - ٢٩٨ هـ)

تحقيق

عبد الكريم احمد جدبان

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

رقم الإيداع بدار الكتب - صنعاء

(م ٤٤٠ / ٤٤٠)

دار الإمام زيد بن علي
التنفيذ الطباعي
ت (٧٧١٢٢٣٥٧٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة التحقيق



مقدمة

المؤلف

هو أبو الحسين، يحيى بن الحسين، بن القاسم، بن إبراهيم، بن إساعيل، بن إبراهيم، بن الحسن، بن الحسن، بن علي، بن أبي طالب عليهم السلام.

أبوه:

يحيى، بن الحسين، بن القاسم، بن إبراهيم، بن إساعيل، بن إبراهيم، بن الحسن، بن الحسن، بن علي، بن أبي طالب عليهم السلام.

أمها:

أم الحسن - فاطمة - بنت الحسن، بن محمد، بن سليمان، بن داود، بن الحسن، بن الحسن، بن علي، بن أبي طالب، عليهم السلام.

ولادتها:

ولد بالمدينة ستة حسن وأربعين ومائتين (٢٤٥ هـ)، وكان بين مولده وبين موته جده القاسم سنة واحدة، وحمل حين ولد إليه، فوضعه في حجره المبارك، وعوذه ويرث عليه ودعاه، ثم قال لأبيه: بم سميتها؟ قال: يحيى. وقد كان للحسين أخ لأبيه وأمه يسمى: يحيى، توفي قبل ذلك، فبكى القاسم عليه السلام حين ذكره، وقال: هو والله يحيى صاحب اليمن. وإنما قال ذلك لأنباء رويت بذلك وظهوره باليمن، وقد ذكرها العباسي المصنف لسيرته عليه السلام^(١).

صفتها:

كان أسدية، أنجل العينين، واسع الساعددين غليظهما، بعيد ما بين المنكبين والصدر، خفيف الساقين والعجز كالأسد^(١).

وكان موصوفاً من أيام صباه بفضل القوة والشدة والباس والشجاعة. وما حكى من قوته وشدة أنه كان يأخذ الدينار بيده فيؤثر في سكته^(٢) بإصبعه ويمحوها.

ومن الحكاية المشهورة عنه أنه كان له على رجل حق قبل أن يلـي الأمر، فماطله وامتنع من توفيته، فخرر^(٣) عليه يوماً، فأهوى إلى عمود حديد فلوأه في عنقه، ثم سواه وأخرج عنقه منه.

وحدثني أبو العباس الحسني رحمـه اللهـ، عن محمد بن علي بن سليمان الرسيـ، عن ابن لـمـحمد بن القاسم عليه السلامـ، أن يحيـى عليه السلامـ كان غلامـاً حـزـورـاً^(٤) بالـمـدينةـ، وـكـان طـبـيب نـصـاريـ يـخـتـلـف إـلـيـ أـبـيـ الـحـسـينـ بـنـ الـقـاسـمـ، عـلـ حـارـ لـهـ يـعـالـجـهـ مـنـ مـرـضـ أـصـابـهـ، فـنـزـلـ عـنـ الـحـمـارـ يـوـمـاً وـتـرـكـهـ عـلـ الـبـابـ، فـأـخـذـ يـحـيـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ الـحـمـارـ وـأـصـدـهـ عـلـ السـطـحـ، فـلـمـ يـخـرـجـ الطـبـيبـ لـمـ يـجدـ الـحـمـارـ، فـقـلـلـ لـهـ: صـدـدـ بـهـ يـحـيـىـ السـطـحـ، فـسـأـلـهـ أـنـ يـنـزـلـهـ، فـمـنـ الـمـثـلـ السـائـرـ: إـنـيـ يـنـزـلـ الـحـمـارـ مـنـ صـدـدـ بـهـ، فـأـنـزـلـهـ وـقـدـ دـمـيـتـ بـنـانـهـ، فـبـلـغـ ذـلـكـ أـبـاهـ فـزـجـهـ وـخـافـ عـلـيـهـ أـنـ تـرـمـقـهـ الـعـيـونـ.

وـحـكـىـ أـبـوـ الـعـبـاسـ رـحـمـهـ اللهـ، عـنـ بـعـضـ مـنـ وـرـدـ تـلـكـ النـاحـيـةـ مـنـ الـعـربـ أـنـ يـحـيـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ كـانـ يـدـخـلـ السـوقـ بـالـمـدـيـنـةـ وـهـوـ حـدـثـ فـيـ أـوـانـ الـبـلـوغـ، وـقـدـ

(١) الإفادة / ١٣٠.

(٢) السكة: الكتابة المفروضة على الدنانير والدرامـ.

(٣) خـرـرـ: غـضـبـ.

(٤) الـحـزـورـ: الـغـلامـ الـقـوـيـ.

امتاروا^(١) من موضع، فيقول: ما طعامكم هذا؟ فيقال: الحنطة. فيدخل يده في الوعاء فيأخذ منها في كفه ويطحنه بيده، ثم يخرجه فيقول: هذا دقيق. يُري شدته وقوته^(٢). عاش في عهد الدولة العباسية، وعاصر جعفر التوكيل الذي قتل سنة ٢٥٢هـ، والمعتز بن جعفر التوكيل، المتوفى سنة ٢٥٥هـ، ومحمد المهدي، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، وأحد بن جعفر بن التوكيل، المتوفى سنة ٢٧٩هـ، وأحد المعتضد بن أبي أحد الواثق، وبويع الإمام المادى عليه السلام في عصره، والمعتضد هذا توفي سنة ٢٨٩هـ، ثم ولده علي المكتفي بن أحد المعتضد، المتوفى سنة ٢٩٥هـ، وجعفر بن أحد المقتدر، المتوفى سنة ٣٢٥هـ.

فقد عاصر كما ترى تسعة من ملوك بني العباس، لأنه توفي سنة ٢٩٨هـ.

أولاده:

١- محمد المرتفى، ٢- أحد الناصر، ٣- فاطمة، ٤- زينب، أمهم فاطمة، بنت الحسن، بن القاسم، بن إبراهيم، ٥- الحسن، أمها صبغانية.

مشائخه:

أبوه الحسين، بن القاسم، بن إبراهيم.

عمه محمد، بن القاسم، بن إبراهيم.

عمه الحسن، بن القاسم، بن إبراهيم.

أبو القاسم البلاخي، عبد الله، بن أحد بن محمود، الكعبي.

أبو حازم، القاضي.

(١) امتاروا: أشتروا الميرة.

(٢) الإقادة / ١٢٩ - ١٣٠

تلامذته:

١- عبد الله، بن الحسين، بن القاسم (أخوه).

٢- أبو جعفر محمد بن عيسى الله العباسي العلوى.

٣- علي، بن محمد، بن عيسى الله، العلوي.

٤- محمد، بن سليمان الكوفي.

٥- محمد، بن سعيد، بن يوسف البركي.

٦- علي، بن سليمان الكوفي.

٧- عبد الله، بن أحد التميمي.

٨- عبد الله، بن عمر المهدانى.

٩- أبو سلمة يحيى، بن عبد الله النقوى.

١٠- علي، بن العباس الحسنى.

١١- أبو الحسن علي، بن أحد، بن أبي حريصة.

١٢- الفضل، بن العباس الأنصارى.

١٣- محمد، بن يحيى، بن الحسين. (ابنه)

١٤- أحد، بن يحيى، بن الحسين. (ابنه)

١٥- إسحاق، بن إبراهيم.

الإمام الهاشمي في التنبؤات

عن علي عليه السلام قال: يا أهلا الناس سلوني قبل أن تفقدوني، يا أهلا الناس أنا أعلم الناس صغاراً، وأعلمهم كباراً، يا أهلا الناس إن الله تبارك وتعالى بنا فتح

وبنا ختم، أيها الناس إنها ما تعرف فتنة إلا وأنا أعرف سانقها وناعقها، ثم ذكر فتنة بين الشهرين والماطين، فيخرج رجل من عترتي اسمه اسم نبي يعلم الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يميز بين الحق والباطل، ويؤلف الله قلوب المؤمنين على يديه، كما يتألف قزح الخريف، انتظروه في الأربع والشهرين وماطين في أول سنة واردة وأخرى صادرة^(١).

قال محمد بن علي العلوى، عن محمد بن سليمان، عن عثمان، عن محمد الكوفي، عن عباد بن يعقوب، عن محمد بن فرات، قال: سمعت زيد بن علي رحمة الله تعالى يقول: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: دعوتكم إلى الحق فتوليتكم، وضررتكم بالدرة فأعيتمنوني، أما إنكم ستليكم ولادة لا يرضون منكم بهذا، يعنبونكم بالسوط والحديد، إن من عذب الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة، وآية ذلك أن يأتيكم صاحب اليمن حتى يدخل بين أظهركم فإذا خذ العمال وعمال العمال، رجل من أهل البيت فانصروه فإنه يدعوا إلى الحق^(٢).

وقال محمد بن علي العلوى، عن محمد بن سليمان، عن علي بن أحد القطان الكوفي، عن عمر بن الوليد، بإسناد رفعه إلى محمد بن علي باقر العلم قال: إذا قتل أهل مصر أميرهم وظهر البياني باليمن فإنه يعلم الأرض عدلاً، أو شبيهاً بهذا، وقد قتل أهل مصر أميرهم سنة ثمانين وماطين^(٣).

وقال محمد بن علي العلوى، عن محمد بن سليمان، عن عبد العزيز بن مروان،

(١) سيرة المأدي / ٣١.

(٢) سيرة المأدي / ٢٩.

(٣) كان خارويه بن أحد بن طرلون أميراً على مصر سنة ثمانين وماطين، وقد قتل غيلة في دمشق سنة اثنين وثمانين وماطين. انظر تاريخ الطبرى ٤٢/١٠ ط دار المعارف، كتاب الولاة، كتاب الفضة للكتندي / ٢٤١ ط بيروت ١٩٠٨.

عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: أول ما يأتكم الفرج من قبل اليمن وقد قال فيه ابن عقib الشاعر شعرًا:

عِدَا قَوْمٌ عَلَى مُلْكٍ
وَكَانَ اللَّهُ قَدْ شَدَّهُ
وَلَا بَدْ لِأَهْلِ الْبَيْتِ
أَنْ يَسْتَرْجِعُ عَاقِدَهُ
إِذَا مَضَتِ الْمَائِنَ
وَاسْتَوْفَتْ هَا الْمِدَّةُ
وَعِشْرَ بَعْدَ سَبْعِينَ
فَقَدْ انْقَضَتِ الْمِدَّةُ
وَجَاءَتْ أَمَارَاتُ
إِذَا مَا خَرَجَ الْمَادُ
فِي الْأَلَّهِ عِنْ أَمَانَ
بَغْيَانِ مَصَالِبِ
لِيَقْنِي أَمَةً حَادَتْ
عَنِ الْإِسْلَامِ مُرْتَدَةً

وقال أيضًا:

أَلَا يَالْقَوْمِي لِلْيَاضِ الْمَصَبُّ
وَلِلْحَرْبِ لَا تُسْرِي وَقَدْ طَالَ شَرُّهَا
أَلَا قَلْ لِإِدْرِيسِ وَيَحْيَى تُرِبَّصَا
فِي سَنَةِ الشَّتَّىنِ مَا أَنْتَ عَارِفٌ
كَمَا صَرَّحْتَ مِنْ جَنْدِ الْمَحْضِ دُعْوَةً
إِذَا مَضَتِ الْمَائِنَ مِنْ نَصْ أَهْدَ
فَإِنَّ لِيَحْيَى دُولَةً تُعْرَفُونَهَا
عَنِ الْحَقِّ لَا يَدْرُونَ كَيْفَ طَرِيقُهُ
وَذَلِكَ إِنْ عَشْتَ فَسْوَفَ تَرُونَهُ
فَيَحْسُنُ يَقِيمُ الْحَقَّ لَا شَيْءٌ غَيْرُهُ

وَقُتْلَ بْنِي بَنْتِ النَّبِيِّ يَكْلُدُ
عَلَى قَوْمٍ إِدْرِيسٍ بِجَنْدِهِ وَقَرْئَحُ
وَلَا تَعْجِلَا إِنَّ الْعَجُولَ مُنْزَحُ
وَفِي أَرْبَعِ مِنْ ذَاكَ أَمْرٍ مَصْرُحٌ
مَلْحَلَّةٌ مِنْ ضَرَعٍ حَرَاءَ صَدْحٌ
وَمِنْ عَقْدِ سَتِينِ فَسَتِ سَتَطْرَحٌ
إِذَا أَسْرَفْتَ فِيهِمْ سَلاطِينَ جُمْعٌ
ثَمَادِيَ بِهِمْ فِي الغَيِّ جَرْمٌ مَطْرَحٌ
وَلَمْ يَلْحُقوْ إِلَّا بِذَكِّرٍ مُطْرَحٌ
وَيُظْهِرُ عَدْلًا مِنْ شَرِيفٍ مُبْرَحٌ

يَذِبُّ بِسَدِينِ اللَّهِ حَذْنَبِي
يَقُومُ بِهِ حَزْبُ الْإِلَهِ وَشِيعَةٌ
وَسُوفَ لِعَمْرِي تَعْلَمُونَ مَقَالَيٍ
إِذَا مَا رَأَيْتُمْ فَارِسَ الْحَرْبِ يَذِبُّ^(١)

وقال ابن حجر العسقلاني شارح صحيح البخاري عند شرح حديث «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم ثنان»: (... ويختتم أن يكون بنقاء الأمر في قريش في بعض الأقطار دون بعض، فإن بالبلاد اليمنية وهي النجود، منها طائفة من ذرية الحسن بن علي لم تزل مملكة تلك البلاد معهم من أواخر المائة الثالثة... وكثير أولئك أي أهل اليمن يقال له: الإمام، ولا يترى الإمام فيه إلا من يكون عالماً متحرياً للعدل ... الذي في مصر لا شك في كونه قرشياً، لأنه من ذرية العباس، والذي في صعدة وغيرها من اليمن لا شك في كونه قرشياً).^(٢)

أقول: وفي هذا إشارة واضحة للإمام المادي عليه السلام، الذي ظهر في اليمن في أواخر المائة الثالثة سنة (٢٨٤هـ).

علمه:

في ذلك البيت الزاخر بالعلماء، كانت نشأة الإمام المادي، وعل يد والده المحدث العابد وأعمامه الفقهاء، كانت دراساته الأولى. ولا تقول لنا المصادر في أي يسن حفظ هذا الفتى القرآن الكريم، ولا في أي يسن ألم بعلوم القرآن والسنة. إلا أن المكانة العلمية التي وصل إليها فيما بعد، تجعلنا نقول إن ذلك الفتى ولا شك قد حفظ القرآن الكريم في وقت مبكر من صباه، ولا شك أن والده المحدث الفقيه قد

(١) سيرة المادي / ٣٢-٣١، والثلاثة الآيات الأول من قوله: ألا يا لقومي ... موجودة في مقاتل الطالبيين / ٤٥٩. منسوبة لما هاج به على مياه غطfanان، ليلة تسلل الحسين الفخي.

(٢) فتح الباري / ١٣ - ١٠١ - ١٠٠.

أدرك نبوغ ابنه واستعداداته الفذة، فاحتواه برعايته وتهذيبه وتعليمه. فلقد كان هو أستاذ الأول الذي تعلم منه علوم القرآن، وأغترف من فيض السنة، التي كانت تملأ نفسه وعقله، وأخذ منه الفقه الغزير الذي ورثه عن آبائه، ثم كان أستاذ الثاني عمه العالم التحرير^(١) محمد بن القاسم الذي لعله قد لمح نبوغ ابن أخيه وتفوقة، فشله بعنایته وأغدق عليه من علمه وفقهه، وكذلك بقية أهله الذين تعلم على أيديهم.

ثم يعم وجهه صوب مدينة الرسول صل الله عليه وأله وسلم التي كانت عامرة بالفقهاء والمحاتفين، وأخذ يقصد إلى العلماء سواء من آل البيت أو غيرهم، ويلتهم ما عندهم من علوم القرآن والسنة. ثم كانت رحلته إلى العراق التي سبق أن رحل إليها جده الإمام القاسم، ثم عمه محمد بن القاسم، والتي كان يرحل إليها كل راغب في تحصيل أصول الدين وعلوم العقائد، فقد كانت العراق موطن الفرق المختلفة، وكما ذهب الإمام زيد قبل ذلك إلى هناك، والتقي بواسط بن عطاء شيخ المعتزلة، وتذاكر معه تلك العلوم، كذلك صنع الإمام المادي عندما ذهب إلى العراق ليقف على مختلف الآراء في أصول الدين، وهناك التقى بأحد شيوخ المعتزلة وهو أبو القاسم البلاخي ودرس على يديه علم الكلام، وكما كانت المدينة المنورة موطنًا لفقه الكتاب والسنة، كانت العراق تعتبر موطنًا لفقه الرأي، ولعل الإمام المادي التقى هناك باتباع الإمام أبي حنيفة وأخذ عنهم وتذاكر معهم، ولقد جاءت بعد ذلك آراء الإمام المادي في علم الكلام مشابهة لأراء المعتزلة، كما جاءت كثير من آرائه الفقهية مشابهة لأقوال الأحناف.

بعد أن درس علوم القرآن والسنة في بيته، ثم في مدينة الرسول صل الله عليه وأله وسلم، رحل إلى العراق ليقف على ما فيه من فقه الرأي وعلوم العقائد.

والأأن نعود إلى القول بأنه بعد تلك الفترة التي قضها في العراق عاد إلى المدينة المنورة، وإلى سقط رأسه، عاد إلى أبيه وعمومته، وقد أصبح الآن ذلك الشاب الفقيه العابد الذي يشار إليه بالبنان، يقول المحل عن شأنه تلك: وكان قد نشأ على العلم والعبادة حتى صار بمنزلة الطبع، ونال من العلم متالا لم يعلم أن أحداً من المشهورين أدركه في وقت إداركه^(١). وقد سبق أن أشرنا إلى أنه بدأ التأليف وهو من العمر سبع عشرة سنة.

فاما تقدمه في العلم، فاشتهر به يعني عن تقصييه، ومن أحب أن يعرف تفصيله فلينظر في كتبه وأرجوته عن المسائل التي سئل عنها، ووردت عليه من البلدان، نحو كتاب (الأحكام)، و(المتشب)، وكتاب (الفنون)، وكتاب (المسائل)، و(مسائل محمد بن سعيد)، وكتاب (التوحيد)، وكتاب (القياس).

وحدثني أبو العباس الحسني رحمه الله عن الفضل بن العباس، أنه سمع محمد بن يحيى المرتضى رضي الله عنه أو غيره يقول: إن يحيى بن الحسين عليه السلام بلغ من العلم مبلغا يختار عنده وبُصْنَفَ له سبع عشرة سنة.

وحدثني رحمه الله عن أبي جعفر محمد بن العباس الحريري الفقيه، أنه سمع علي بن العباس الحسني رحمه الله تعالى يقول: إنه سمع أبا بكر بن يعقوب عالم أهل الرأي^(٢) وحافظهم، يقول - حين ورد عليه باليمين -: قد ضلل فكري في هذا الرجل - يعني: يحيى بن الحسين عليه السلام - فإني كنت لا أتعزف لأحد بمثل حفظي لأصول أصحابنا، وأنا الآن إلى جنبي جَذَع، بينما أجاري في الفقه وأحكمي عن أصحابنا قولًا، إذ يقول: ليس هذا يا أبا بكر قولكم، فأراؤه، فيخرج إلى المسألة من

(١) المحل: الخدائق الوردية ٢ / ١٤، ١٥، والماروني في الإفادة / ٦٣.

(٢) يعني بأهل الرأي: الحنفية، سموا بذلك لكثرتهم اعتمادهم على القياس.

كتبنا على ما حكى وادعا، فقد صرت إذا ادعا شيئاً عنا أو عن غيرنا لا أطلب منه أثراً.
وحدثني رحمه الله قال: دخلت الري سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة، وكنت
ارتحلت إلى شيخ العلوية وعالمها أبي زيد عيسى بن محمد العلوى رحمه الله - من ولد
زيد بن علي عليه السلام - وللغيره من ابن أبي حاتم وأخرين، وحضرت مجلس
النظر لأبي بكر الخطاب فقيه الكوفيين وحافظهم، فجريت مع من حضر في مسائل
النظر، فقال: ما قرابة ما بينكم وبين أصحاب اليمن من أولاد يحيى بن الحسين
وأولئك الأشراف؟ فقلت له: كان يحيى بن الحسين من أولاد إبراهيم بن الحسن بن
الحسن. ونحن من ولد داود بن الحسن بن الحسن، وداود وإبراهيم أخوان، فحن
وهم بنوا الأعمام، ولكن أم يحيى بن الحسين كانت عممة جدي. قال: علمت أن هذا
عن أصل، وكان يعجبه كلامي.

ثم أنشأ بحث، قال: كنا عند علي بن موسى القمي فذكر له خروج علوى
باليمن يدعى الإمامة، فقال: حسني أم حسني؟ فقيل: بل حسني، ويقال: إن له
دون أربعين سنة، فقال: هو ذلك الفتى، هو ذلك الفتى. مرتين، فقلنا: من هو؟ قال:
كنا في مجلس أبي خازم القاضي يوم الجمعة، فدخل شاب له رداء ومنظر فأخذته
العيون ومكتوه، فجلس في غبار الناس، فها جرت مسألة إلا خاص فيها وذكر ما
يختاره منها ويختج ويتناظر، فجعلوا يبتذرون إليه من التقصير، ثم أسرع النهوض،
فقيل لأبي خازم: هذا رجل من هل الشرف من ولد الحسن بن علي عليه السلام،
فقال الناس: قد علمنا أن ما خالط قلوبنا من هيته لمزلة له. فاجتهدنا أن نعرف
مكانه وسألنا عنه فلم نقدر عليه.

فلما كانت الجمعة الثانية، اجتمع الناس وكثروا شوقاً إلى كلامه ورجاءً أن
يعاودهم، فلم يحضر، فتعرفنا حاله فإذا ذلك تخوف داخله من السلطان، فكان أبو

خازم يقول: إن يكن من هؤلاء أحد يكون منه أمر فهذا. ثم عاود علي بن موسى
فقال: ألم أقل: إن العلوي هو ذاك الفتى، قد استعلمت فإذا هو ذاك بعينه.

وحدثني رحمه الله، عن علي بن سليمان أنه قال: حضرنا إملاه الناصر الحسن بن
علي عليه السلام في مصلى آمل فجرى ذكر يحيى بن الحسين عليه السلام، فقال:
بعض أهل الرأي - وأكثر ظني أنه أبو عبد الله محمد بن عمرو الفقيه - : كان والله
فقيقها. قال فضحك الناصر، وقال: كان ذاك من أئمة المهدى^(١) !!

وحدثني أبو العباس الحسني رحمه الله، عن أبي عبد الله اليماني رحمه الله قال:
كنت أسمع الماهدي عليه السلام كثيراً يقول: أين الراغب؟ أي من يطلب العلم؟
إنما يجيئنا مجاهد راغب في فضله متجر ما عند الله لأهله، ولعمري إنه لأكبر فروض
الله على عبده، وأحق ما كان من تقدمه يده، ولكن لو كان مع ذلك رغبة في العلم
وبحث عنه، لصادفوا من يحيى بن الحسين علمًا جامعًا.

وقال أحد بن يحيى: إنه سمع الماهدي عليه السلام يقول: قد عَفَنَ العلم في
صدرى، كما يعفن الخبر في الجرة إذا طرح بعضه على بعض في جرة ثم لم يقلب.
وكان عليه السلام ابتدأ بتأليف كتاب (الأحكام) بالمدينة، ولما انتهى إلى باب
البيع اتفق خروجه إلى اليمن، واحتغاله بالحروب، فكان يملي بعد البيع على
كاتب له كلما تفرغ من الحرب، وكان قد همَّ بآن يفرع ويكثر من التفريع، فحالات
المية بينه وبين ذلك عليه السلام^(٢).

(١) الإلقاء/ ١٣١-١٣٤.

(٢) الإلقاء/ ١٣٩ - ١٤٠.

مؤلفاته:

- الأحكام في الحلال والحرام. (في الفقه) طبع.
 - المنتخب. (في الفقه) طبع.
 - الفنون. (في الفقه) طبع.
 - جموع كتب ورسائل. (في العقيدة والشريعة والأخلاق والفقه). طبع.
- يتضمن الآتي:
١. كتاب المزللة بين المزلين.
 ٢. كتاب العدل والتوجيد.
 ٣. كتاب الجملة.
 ٤. كتاب أصول الدين.
 ٥. كتاب جواب لأهل صنعاء.
 ٦. كتاب البالغ المدرك.
 ٧. كتاب الديانة.
 ٨. كتاب المسترشد.
 ٩. كتاب الرد على أهل الزبع من المشبهين.
 ١٠. كتاب تفسير الكرسي.
 ١١. كتاب العرش والكرسي.
 ١٢. كتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية.
 ١٣. كتاب الرد على المجبرة القدورية.

١٤. كتاب الرد على سليمان بن جرير.
١٥. كتاب إثبات النبوة.
١٦. كتاب ذكر خطايا الأنبياء عليهم السلام.
١٧. كتاب ثبیت إمامۃ علی علیهم السلام.
١٨. كتاب الرد على من زعم أن القرآن ذهب ببعضه.
١٩. كتاب معانی السنة.
٢٠. كتاب القياس.
٢١. كتاب الخشیة.
٢٢. كتاب المترع من سياسة النفس.
٢٣. كتاب مسائل أبي القاسم الرازي، جزءان.
٢٤. كتاب مسائل الحسين بن عبد الله الطبری.
٢٥. كتاب مسائل المرتضی.
٢٦. كتاب مسائل علي بن محمد العلوی.
٢٧. كتاب مسائل محمد بن عبید الله العلوی، وسائل أخرى. وقد تضمنتها وسائل أخرى غيرها كتاب بعنوان: المجموعة الفاخرة، بتحقيق الاستاذ علي بن أحد الرازخي. وهو مجموع كتب ورسائل الامام المادی.
٢٨. كتاب تفسیر القرآن الکریم، ستة أجزاء.
٢٩. كتاب معانی القرآن تسعة أجزاء.
٣٠. كتاب الفوائد، جزءان.
٣١. كتاب أبناء الدنيا.

٣٢. كتاب الولاء.
٣٣. جواب القمي.
٣٤. مسائل ابن سعد (ولعله ابن سعيد).
٣٥. مسائل نصارى نجران.
٣٦. كتاب بوار القرامطة.
٣٧. مسائل أبي الحسين.
٣٨. كتاب الرد على الإمامية.
٣٩. كتاب الإرادة والمشينة.
٤٠. كتاب الرضاع.
٤١. كتاب المزارعة.
٤٢. كتاب أمهات الأولاد.
٤٣. كتاب المعهد.
٤٤. مسائل محمد بن سعيد.
٤٥. كتاب النهي.

وقد ذكر الإمام عبد الله بن حزوة^(١) خمسة وثلاثين كتاباً. وقال: وتركنا قدر ثلاثة عشر كتاباً لم نذكرها كراهة التطويل، وهي عندها معروفة موجودة.
وقد جمع العلامة ابن أبي النجم كتاباً سماه «درر الأحاديث النبوية» جمع فيه أحاديث الأحكام والمتخب مطبوع.

جهاده

بعد وفاة الإمام القاسم عليه السلام بأربع سنين تمكن أحد دعاته وهو الحسن بن زيد من تأسيس أول دولة زيدية في طبرستان سنة (٢٥٠هـ) وبعد وفاته سنة (٢٧٢هـ) خلفه عليها أخوه محمد بن زيد، ولم يقدم أي منها على إدعاء الإمامة لنفسه، وإنما اكتفى كل منها بأن لقب نفسه بالداعي، فلم يكن رجال أهل البيت وقتها قد عثروا على الرجل الذي يخلف الإمام القاسم عليه السلام، وبالرغم من أن الإمام القاسم عليه السلام عند وفاته خلف عدداً من الأبناء كان على رأسهم العالم الفقيه محمد بن القاسم عم الإمام المادي، والمحدث الحافظ الحسين بن القاسم والد الإمام المادي، إلا أن أيهما لم يجد في نفسه أنه أهل لهذه المكانة الخطيرة، ومن ثم لم يقدم على ادعائه.

وعندما جاء الإمام المادي ونشأ بينهم تلك النّشأة المميزة ادرکوا جميعاً أن هذا الفتى يتمتع بخصائص واستعدادات تؤهلة لشنّ يقوم بدور خطير. وعندما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره وجدهم يطلبون إليه أن يمدّ يده ليمايعلوه إماماً معترفاً به، خليفة لجده القاسم رحمة الله.

كان نابغاً منذ صغره، ويعزى بين أقرانه، وعندما شبّ وبلغ مبلغ الرجال، ازداد ذلك النبوغ بروزاً، وذلك التميز وضوحاً، حتى غداً بينهم وهو أرجحهم عقلاً، وأغزرهم علمًا، وأكثرهم فقهًا، وأشدّهم غيرة على دين الله، واستعداداً لبذل كل شيء في سبيله، وقد عاش بينهم فخبروه وعرفوا مدى ورعيه وتقواه، وخشيته الله، وكثرة تعبده^(١). وحالطوه فوجدوه متواضعاً بسيطاً، يسلم على كل من مرّ به صغيراً كان أو كبيراً، ويعدّ المريض حتى من خدم أصحابه، وناداه يوماً أحد أصحابه:

(١) الخدائق الوردية ٢ / ١٨

بالسيد، فقال له: «لا تعد تقول هذا مرة أخرى، فإنها السيد الله، وإنما أنا عبد ذليل»^(١)، وعاملوه فوجدوه كريماً بما معه، لا يمسك عنهم شيئاً، شهراً، إذا استجدوا به يقتديهم بكل شيء، وكان عطوفاً عليهم، شديد الرفق بهم.

وقد بعث بعد ذلك وهو في اليمن قصيدة عتاب لبني عمه في الحجاز، نختلف منها بعض الآيات التي تكشف عن قدر من تلك الخلال التي كانوا يعرفونها فيه وهو بينهم، إذ يقول فيها:

ألم تعلموا أنى أجرد دونكم وأدافع
وأنى لكم عند المكارم والعمل
ولست وبيت الله أذخر عن أحد
ألم تفهموني في بُعدِي أموركم
وأنى لأحس أن أحيت بخطة
فلا تسرعوا في الظن في باني
فلست إذا أعطيت أبقى بقية
ومالي جيماً دونكم وأدافعُ
وأحيى عمل أحبابكم وأرادعُ
إذا نلت ما فيه الفتن والمنافعُ
وفي صغر مني وإذا أنا يافعُ
بطينا وجارى مقتراً وهو جائعُ
ذخرت كنوزاً فالظلون تسارعُ
ولست إلى مالا يحمل أطالعُ

إلى أن يقول:

فقد عشت فيكم أعمراً بعد أعصر
أبعد مشيب الرأس والعقل والنهي
فلو أن أرض الله طراباسها
جئت بها والله قوله صادق
بذولاً لمالي إن حوى المال جائع
صبوت إلى الأموال إن لطاع
وأمثالها أضحت حرتها الأشاجع
لبعضكم صدري بذلك واسع^(٢)

وكان فصيحاً إذا تحدث إليهم، مؤثراً إذا وعظهم، يقول عنه مؤلف سيرته وهو

(١) سيرة المادي / ٥٣.

(٢) سيرة المادي / ٣٠٣ - ٣٠٤.

يتحدث عن دخوله اليمن، لتأسيس الدولة وبداية الجهاد: «ثم ابتدأ فخطب خطبة عظيمة بليغة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وصل على النبي صل الله عليه وآله وسلم، وذكرهم بالله ووعاظهم بعواطف كبيرة، فرأيت الناس وفهم رحة وهم يكرون من كلامه ومواعظه، ويضجون كما يضج الحجاج عند بيت الله الحرام»^(١).

وكان قوي الشخصية مهياً، وذا شجاعة نادرة، ولم يكن يورق مضمجه إلا تحفزه الدائم لتحقيق قول الله سبحانه: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمِنُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاوُتُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَؤْمِنُونَ بِإِلَهٍ» [آل عمران: ١١٠]^(٢).

وسمعت الإمام المادي يوماً يقول: «والله الذي لا إله إلا هو وحْنَ محمد ما طلبت هذا الأمر، وما خرجت اختياراً، ولا خرجت إلا اضطراراً لقيام الحجة على، ولو ددت أنه كان لي سعة في الجلوس ... لم يعني ترك الفكر في هذا الأمر حتى ناظرت نفسي فيه طويلاً، فما وجدت إلا الخروج أو الكفر بما أنزل الله على محمد صل الله عليه وآله وسلم»^(٣).

وكان يقض مضجمه الحال التي وصلت إليه بلاد الإسلام، وما أكل إليه أمر خلفاء المسلمين من انحراف عن هدى الكتاب والسنّة، وتضييعهم حقوق المسلمين، وتنكيلهم بكل من يرفع صوته بكلمة الحق، أمراً معروفاً أو ناهياً عن منكر، من العلماء الصادقين.

نجد ذلك في إحدى رسائل الإمام المادي عليه السلام التي بعثها إلى أحد بنى

(١) سيرة المادي / ٤١.

(٢) الإمام المادي / ١٢١ - ١٢٤.

(٣) سيرة المادي / ٥٢.

عمومته يدعوه فيها إلى مبaitته والخروج معه، يقول فيها: «هلموا إلى الأمر بالمعروف الأكابر، والنهي عن النظام والمنكر، هلموا إلى أخلاق المسلمين، والاقتداء بمن مضى من الآئمة المجاهدين، هلموا إلى نصر الله ونصر الحق والمحقين، هلموا إلى جهاد الفسقة الظاللين، من أهل قبلكم من جبارتهم؟ ألسنتم ترون عباد الله المخلصين إلى دينكم مقتولا؟ وإلى الحق الذي أنزل على نبيكم مخذولا؟ وحكم الكتاب مغطلا بينكم؟ وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معدوم فيكم؟! يرعن أعداء الله في جندي أموال المسلمين، قد أمنوا من تغيركم عليهم، ويشوّوا من تكاييكم فيهم، ويسطروا أيديهم عليهم، وحكموا بحكم الشيطان فيهم، يذبحون أبناءهم، ويستحiron نساءهم، وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم، حرمونهم فتيتهم، واصطفوا مع ذلك أموالهم، وأجاعوا بطونهم، وأعروا ظهرهم، وأضاعوا سيلهم، وأخافوهم على أنفسهم، يحبّون أموالهم، ويقتلون رجالهم، يمنعونهم الصدف، ويسوّونهم الخسف، هتكا للحرام، ومردا على الله العظيم! نهارهم دائبون في إدخال المدى والحق، وليلهم في التلذذ والطرب والفسق، فراغة جبارون، وأهل خيال، فاسقون، إن استرحوا لم يرحوها، وإن استتصروا لم ينصفوا! وإن حكموا لم يعدلوا، وإن قالوا لم يصدقوا! إن عاهدوا نقضوا، وإن أؤمنوا غدروا! وإن قالوا كذبوا، وإن أقسموا حثروا! قد قتلوا الكتاب والسنّة، وأظهروا المنكر والبدعة، وخالفوا ما بعث الله به الرسّل ... وحكموا بغير ما حكم الكتاب المتزل، أضداد الحق والمحقين، أولياء الباطل والمطلين ... وهم في ذلك يدعون أنهم آئمة المسلمين، وقادة المؤمنين، وخلفاء الواحد الكريم»^(١).

فلم يكن أمّا الإمام المادي عليه السلام من بد - أمّا تلك الحال - إلا أن

يقوم بواجهه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والا أن يلبي قول الله سبحانه: «وَلَئِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ يَدْعُونَ إِلَى الْكُفَّارِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمُتَّقِرِفِ وَنَهَايَةَ عَنِ الْمُنْكَرِ» (ال عمران: ١٠٤)، وقول رسوله صلى الله عليه وأله وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(١).

ولم يكن أمامه من سيل للقيام بواجهه ذلك – في مواجهة التكيل بكل من يصدع بكلمة الحق – إلا سيل الجهاد وشهر السيف في وجوه الطالبين، يقول الإمام المادي: «والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا ينال إلا بالإقدام والتصميم، والنية والاعتزام الكريم، على الجهاد في سبيل الله، وتوطين الانفس على ملاقاة أهل الظلم، فحيثما ينال ذلك، ويؤدي فرض الله من كان كذلك، وهو الجهاد في سبيله. وكيف لا يكون للجهاد في سبيل الله فضل على جميع أعمال المؤمنين؟ وبه يطاع اللطيف الخير، وتقوم الأحكام، ويعز الإسلام، ويأمن الأنام، وينصر المظلوم، ويتنفس المهموم، وتنجلي الفاحشات، ويعلو الحق والمحقون، وينحل الباطل والمبطلون، وتشبع الطعون الجائعة، وتكسا الظهور العارية، ويتقيد بالكتاب، وترتدى الأموال إلى أهلها، وتفرق في ما جعل الله من وجوهها، ويأمان الناس في الآفاق، وتفرق عليهم الأرزاق»^(٢).

وهكذا لم يكن له هدف في خروجه إلا إحياء الكتاب والستة، وإزالة الظلم والمنكر، ورفع راية العدل والإنصاف، وأنه لم يكن ليشهر سيفه إلا في وجه الرافضين لكلمة الحق، المازعين بالملوطة، المcriين على الانحراف والمعصية.

(١) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري ٢/ ٢١-٢٢.

(٢) بمجموع كتب ورسائل الإمام المادي ٣/ ٤٠٣-٤٠٤.

يقول رحمة الله في الرسالة نفسها التي اقتطفنا منها الفقرات السابقة:

«وبعد رحمة الله ووفقك وأعانتك، وسدد خطاك، فإني أدعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه صل الله عليه وأله وسلم، وإلى ما أمرني الله أن أدعوك إليه، وأخذ به على العهد والميثاق، من الأمر بالمعروف الأكبر، والنهي عن النظام والمنكر، وإلى أن نحل نحن وأنت ما أحل لنا الكتاب، ونحرم نحن وأنت ما حرم علينا، وإلى الاقتداء بالكتاب والسنّة، فما جاء به اتبعتاه، وما نهانا عنه رفضناه، وإلى أن تأمر نحن وأنت بالمعروف في كل أمرنا وتفعله، وتنهى عن المنكر جاهدين وترتكب، وإلى مجاهدة الظالمين من بعد الدعاء إلى الحق لهم، والإيضاح بالكتاب والسنّة بالحجج عليهم، فإن أجابوا فلهم ما لل المسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وإن خالفوا الحق، وتخلعوا بالفتق، حاكمناهم إلى الله سبحانه، وحكمنا فيهم بحكمه، فإنه يقول سبحانه: ﴿وَتَبَيَّنُهُمْ هُنَّ لَا يَكُونُونَ فِتْنَةً وَرَبُّكُنَّ الَّذِينَ يَلُوُونَ فَإِنْ آتَيْتَهُمْ مَا لَأَنْتَ بِهِ عَذَّبَوْنَ إِلَّا عَلَى أَنفُسِ الظَّالِمِينَ﴾ [الفرقان: ١٩٣].

وكان يشترط على نفسه في دعوته عدة شروط فكان يقول: «أيها الناس، وبعد: فإن أشرط لكم أربعاً على نفسي: الحكم بكتاب الله وسنة نبيه صل الله عليه وأله وسلم، والأثراء لكم على نفسي فيها جعله الله بيدي وبينكم، أوثركم فلا أتفصل عليكم، وأقدمكم عند العطاء قبل، وأنقدم أمامكم عند لقاء عدوكم وعدوكم بنفسي، وأشرط لنفسي عليكم الثتين: النصيحة لله سبحانه ولـي، في السر والعلانية، والطاعة لأمره على كل حالاتكم ما أطعتم الله، فإن خالفت طاعة الله فلا طاعة لي عليكم، وإن ملت أو عدلت عن كتاب الله وسنة رسوله، فلا حجة لي عليكم، ﴿فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَعْضِهِمْ أَنَا وَمَنْ أَتَيْتَنِي وَمَمْنَعَنَّ اللَّهَ وَمَا أَنَا بِأَنْ أَشْرِكَنَّ

ولقد قضى الإمام الهادي عمره كله، لتلك الغاية النبيلة التي أعلنها في مبدأ أمره، عاش حياته كلها جهاداً ونصباً، لم يدخل لنفسه فيها درهماً ولا ديناراً، ولم يسع لملك ولا سلطان، وما تناقضت أفعاله مع أقواله يوماً من الأيام، وإنما ظلت حياته كلها نسقاً واحداً، ونفياً صادقاً، منذ أن خرج لإعلاء كلمة الحق حتى لقي الله.

وروى عنه أن كان يقول: «واه لوددت أن الله أصلح الإسلام بي، وأن يدي معلقة بالثريا ثم أهوي إلى الأرض فلا أصل إلا قطعاً»^(١)، وكان إذا قتل قتيلاً بيده في معاركه قال: «اللهم لحربي لك حاربناهم، ولردهم لكتابك قاتلناهم، ومن بعد الدعوة إلى الحق ناذنناهم، اللهم فاحكم بيننا وبينهم بالحق وأنت خير الحاكمين»^(٢).

بعد أن برع الإمام الهادي عليه السلام بالإمامنة من قبل آل بيته، بدأ التفكير من فوره في ماذا يصنع؟ ومن أين يبدأ؟ وأي أرض الله هي التي يبدأ منها انطلاقته؟ لتطهير كل أرض الإسلام مما أصابها من فساد وظلم وإنحراف، وقد سبق أن ذكرنا أنه بعد وفاة جده الإمام القاسم عليه السلام بأربعين سنة قامت أول دولة زيدية في طبرستان على يد أحد الدعاة، وهو الحسن بن زيد الذي لقب نفسه بالداعي، ثم خلفه عليها آخره محمد بن زيد، الذي لقب بالداعي الصغير، كما سبق أن أشرنا إلى أن آياً منها لم يدع الإمامة لنفسه، لأن آل البيت لم يكونوا قد أجمعوا أمرهم على من يخلف الإمام القاسم عليه السلام بعد وفاته. لذلك فقد كان منطقياً أن تكون طبرستان هي المكان الأول الذي يتوجه إليه تفكير الإمام الهادي وأهل بيته، فقد كانوا يعتبرونها دولتهم، وأمراءها دعايتهم، لهم فيها كثير من الأنصار والمحبين، وهكذا حزم الإمام الهادي وأبوه وعمومته وبعض غلاميهم أمتعتهم، وتوجهوا

(١) سيرة الهادي / ٤٩.

(٢) سيرة الهادي / ٢٢٦.

صوب طبرستان في موكب مهيب، وهناك تجمهر الناس حوله وتعلقوا به، وكان مما زاد افتئتهم به تعظيم أبيه وعمومته له، حيث لم يكونوا يخاطبون إلا بالإمام، وامتلا الخان الذي نزل فيه بالناس حتى كاد السطح يسقط، وانتشر خبره وعلا صيته مما أدى إلى إنزعاج محمد بن زيد وخوفه أن يخرج الأمر من يده، فأُوعز إلى وزيره الحسن بن هشام أن يبعث إلى الإمام بكتاب يخبره فيه بأن ما يجري يوحش ابن عمك، وعندما وصل الكتابُ الإماميُّ كان رده عليه: «ما جتنا ننازعكم أمركم، ولكن ذكر لنا أن في هذه البلد شيعة وأهلاً، فقلنا عسى الله أن يفديهم منا»^(١). ثم رحلوا من فورهم عائدين. يقول المحل: «وخرجوا سرعين، وثيابهم عند القصار، وأخفافهم عند الأسكاف، ما استرجعواها»^(٢).

وهكذا لم تسفر تلك الرحلة عن تحقيق المدف الذي كانوا يؤملون من ورائها، يجعل طبرستان هي نقطة الانطلاق الأولى لتحقيق كل ما كانوا يصبون إليه، إلا أنها عملت ولا شك على تعميق الصلة بينهم وبين أنصارهم وعيبيهم هناك، الذين ظلوا على ولائهم للإمام الإمامي حتى بعد قيام دولته باليمن، حيث هاجر إليه كثير منهم، وكانتوا من أخلص المقاتلين بين يديه، وهم الذي عرفوا بالمهاجرين الطبريين.

وما إن عاد الإمام الإمامي وأبوه وعمومته إلى الحجاز من رحلتهم تلك، حتى كان البديل حاضراً في نفوسهم، ولم يكن هذا البديل سوى اليمن التي رأوا إليها الإمام الإمامي بيصره، وأدرك بصيرته أنها المكان المناسب الذي يبدأ منها دعوته، ويقيم على أرضها دولته.

وقد كان وراء اختياره لهذا ورثته تلك، أكثر من عامل، أجده بحاجة إلى

(١) المحل: المدائق الوردية/٢/١٧.

(٢) المحل: المدائق الوردية ج/٢/١٧.

وقفة ألقى فيها الضوء على أهم تلك العوامل التي كانت وراء حاسه لليمن وتوجهه تلقاءها.

ولعل أهم تلك العوامل في حسه، وهو المحدث الفقيه، تلك الآثار التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتي تتحدث عن فضل أهل اليمن وما اختصهم الله به.

- جاء في تفسير الطبراني، في تفسير قوله تعالى: «﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَاءَنُوا مَنْ يَرِدُّ يَنْكُمْ عَنْ وَبِيهِ، فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُعَذِّبُهُمْ وَيُجْزِيُهُمْ أَذْلَالَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَيْمَارًا عَلَى الْكُفَّارِ يُجْزِيُهُمُونَ فِي سَبِيلِ أَنْوَارٍ وَلَا يَمْكُفُونَ تَوْمَةً لَا يَمْهُرُ﴾ (الله: ٤٤) إن المراد بالقوم في الآية هم: أهل اليمن»^(١).

- عن ابن عباس قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة إذ قال: الله أكبر الله أكبر، إذا جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن، قوم نقية قلوبهم، حسنة طاعتهم، الإيمان بيان، والفقه بيان، والحكمة بيانة»^(٢).

- عن ثوريان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاى حتى يرفض عليهم»^(٣).

- عن عمرو بن عنبة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خيار الرجال رجال أهل اليمن، والإيمان بيان وأنا بيان»^(٤).

- وعن سلمة بن نفیل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يطلع

(١) جامع البيان /٦ .٨٤

(٢) مجمع الزوائد /١٠ .٥٥

(٣) صحيح سلم مع شرح الترمذ /١٥ .٦٢، ٦٣

(٤) جمع الجواب للسيوطى /١٧٤٠ (١٣٧٠٠)، مجمع الزوائد /١٠ .٤٣، ٤٤

عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خير أهل الأرض»^(١).

وثاني تلك العوامل هو وجود متشيعين لأآل البيت في اليمن منذ أيام الإمام علي رضي الله عنه حين أسلموا على يديه، وقاتلوا معه يوم صفين^(٢).

ثم كانت بعد ذلك نصيحة ابن عباس للإمام الحسين أن يتجه إلى اليمن بدلاً من العراق، فقد روى الحافظ ابن كثير أن الإمام الحسين عندما عزم على المسير إلى العراق، جاءه ابن عباس وقال له: «يا ابن عم إني أتصبّر ولا أصرّ، إني أخوف عليك في هذا الوجه الملائك، إن أهل العراق قوم غدر فلا تفترن بهم، أقم في هذا البلد حتى يغلي أهل العراق عدوهم، ثم اقدم عليهم، وإن فسر إلى اليمن فإن به حصوناً وشعاباً، ولأيك به شيعة. فقال الحسين: يا ابن عم والله إني لا أعلم أنك ناصح شقيق، ولكنني قد أزمعت المسير»^(٣).

يقول الإمام الحادى عليه السلام بعد ذلك في قصيدة بعثها إلى الدعام بن إبراهيم أحد زعماء قبائل همدان بعد أن بايعه وأعلن ولاده له:

أهض فقد امكتنا فرصة اليمن	وصل فضائل كانت أول الزمن
كانت مع الطاهر الحادى أبي حسن	وسابقات وإقداماً ومحكمة
تحوض في غمرات الموت في الجن	وبيوم صفين والفرسان معلمة
والروح حام وبيوم النهروان لكم	والروح حام وبيوم النهروان لكم
فاتبع من أشياخ الماضين ما سبقوا	فأنت لهم بأذن الله ما سبقوا
ونصرهم لأمير المؤمنين على	غضن المسودة والإحياء للسنن

(١) مجمع الرواية ٥٤ / ١٠ و قال: رواه أحد، وأبو يعلى، والزار، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) تاريخ الطبرى ١٨ / ٥

(٣) البداية والنهاية

وَقَمْ فَزْدُ شَرْفًا يَعْلُو عَلَى شَرْفٍ فِي حَيِّ هَمَانَ وَالْأَحْيَايَ مِنْ يَمْنَ^(١)
وَالإِمَامُ يَحْسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي خَرَجَ أَيَّامَ الرَّشِيدِ كَانَ قَدْ قَدَمَ صَنْعَاءَ وَمَكَثَ
فِيهَا شَهُورًا مُتَخْفِيًّا قَبْلَ خَرْوْجِهِ، وَقَدْ أَخْذَ عَنِ الْعِلْمِ بَعْضَ عِلْمَاهَا، مِثْلُ: يَحْسَنُ بْنُ
زَكْرِيَا الصَّنْعَانيِّ، وَيَحْسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ^(٢).

وَكَذَلِكَ كَانَ الْحَالُ مَعَ الْإِمَامِ الْقَاسِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - جَدُّ الْمَادِيِّ - الَّذِي خَرَجَ
إِلَى الْيَمَنِ أَيَّامَ شَبَابِهِ، فَارَّا مِنْ بَطْشَ هَارُونَ الرَّشِيدِ، وَكَانَتْ تَصْحِبُهُ فِي تِلْكَ الرَّحْلَةِ
زَوْجَهُ الَّتِي جَاءَهَا الْمَخَاضُ فِي الطَّرِيقِ وَهُمْ فِي مَفَازَةٍ لَا مَاءَ فِيهَا، فَوُلِدَتْ غَلَامًا ثَمَّ
مَاتَتْ مِنْ شَدَّةِ الْعَطْشِ، وَلَمْ يَلْبِسْ الْغَلَامُ أَنَّ مَاتَ عَلَى أَثْرِهِ، وَقَدْ ظَلَ الْإِمَامُ الْقَاسِمُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْيَمَنِ حَتَّى يَلْغُهُ وَفَاتُهُ الرَّشِيدُ، فَعَادَ إِلَى الْحِجَازِ^(٣).

وَعِنْدَمَا خَرَجَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ طَبَاطِبَا بِالْكُوفَةِ أَيَّامَ الْمُؤْمِنِ أَرْسَلَ
إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُوسَى بْنَ جَعْفَرِ الصَّادِقِ وَالْيَأْمَى مِنْ قَبْلِهِ عَلَى الْيَمَنِ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ
إِبْرَاهِيمَ الْيَمَنَ سَنَةَ (١٩٩ هـ) نَاصِرَتْهُ قَبْيلَةُ بَنِي سَعْدٍ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ بَنُو فَطِيمَةِ
إِحدَى قَبَائلِ صَدَعَةِ، فَقَاتَلُوهُمْ بَقِيَّةُ الْقَبَائلِ الَّتِي عَارَضَتَهُ، وَقَدْ عُرِفَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي
كِتَابِ التَّارِيخِ بِإِبْرَاهِيمِ الْجَزَارِ، لِكَثْرَةِ مَنْ قُتِلَ عَلَى يَدِهِ^(٤)، وَبِقَدْرِ مَا غَسِّمَ بَعْدَ ذَلِكَ
وَلَاءُ بَنِي فَطِيمَةِ الدَّائِمِ لِلْمُعْلَمِينَ، إِلَّا أَنَّهُ أَكْسَبَ آلَّيْتَهُ عَدَاءً كَثِيرًا مِنْ الْقَبَائلِ الَّتِي
قُتِلَّ رَجَاهَا. وَلَمْ يَلْبِسْ أَمْرَهُ أَنْ انتَهِيَ مِنِ الْيَمَنِ بَعْدَ أَنْ تَمَكَّنَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ إِخْرَاجِ ثُورَةِ
الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ طَبَاطِبَا وَالْقَضَاءِ عَلَى أَنْصَارِهِ.

(١) سيرة المادي / ٣٢١.

(٢) سيرة المادي / ٣٢١.

(٣) المدائق الوردية / ٢ / ٥.

(٤) الجامع الوجيز / ٢٢، الإكليل / ١ / ٤٢٥.

ثم خرج بعد ذلك سنة (٢٠٧هـ) ببلاد عك أحد أولاد عمر بن علي بن أبي طالب، يدعى إلى الرضى من آل البيت، وقد بايعه خلق كثير من أهل اليمن، فوجه المأمون لحربه دينار بن عبد الله - أحد قواده - وبعث يومئذ، فقبل أمان المؤمن وتوجه مع قاتله إليه^(١).

كما كان للزيدية على أرضاً ودعاتها في اليمن قبل عبيه الإمام المادي عليه السلام بستين كثيرة، يقول الجنداري عن أحداث سنة (١٩٧هـ). فيها توفي «الإمام الحافظ الزيدى وكعب بن الجراح في المحرم راجعاً من الحج، وهو إمام في الجرح والتعديل وهذه الحاكم وغيره من الزيدية»^(٢).

وعن أحداث سنة (٢٠٦هـ) يقول: «وفيها قتل العلامة الزيدى، عبد الملك بن عبد الرحمن الأبنواوى الدمشقى، صاحب المستند قاضى إبراهيم بن موسى بصناعة، وداعى الإمام محمد بن إبراهيم باليمن»^(٣).

وعن أحداث سنة (٢١١هـ) يقول الجنداري: «وفيها توفي العلامة المحدث عبد الرزاق بن همام الصنعاني، صاحب التصانيف الفايتة، والشيعى المشهور بزوايد الفضائل»^(٤).

ويقول عن أحداث سنة (٢١٣هـ): «فيها توفي الشيعى المحدث خالد بن خلد القطرانى، أحد الحفاظ وعلامة الزيدية»^(٥).

(١) ترجمة الزاهرة ٢ / ١٨٣، الإكليل للهمداني ١ / ٣٢٦.

(٢) أخنام الوجيز / ٢٢.

(٣) أخنام الوجيز / ٢٣.

(٤) أخنام الوجيز / ٢٤.

(٥) أخنام الوجيز / ٢١.

ولعلنا نستطيع أن نقول بعد هذا الاستعراض السريع: أنه ليس صحيحاً ما تردهه الكثير من المصادر من أن الإمام المادي عليه السلام هو أول من دخل المذهب الزيدية إلى اليمن، وإنما العكس هو الصحيح، فإن الزيدية التي دخلت اليمن قبل المادي بعشرات السنين، وكان لها فيها علماً بها وعبرها ودعاتها، هي التي دفعت الإمام المادي عليه السلام أن يتوجه صوب اليمن ويتخذها نقطة ارتكازه.

رجوعه من اليمن إلى الحجاز

أوضحنا سابقاً أسباب ودّوافع خروج الإمام المادي عليه السلام إلى اليمن، فما إن وصل إلى صعدة ثم توجه منها تلقاء صنعاء في قرية الشرفة بيني حشيش، حتى حدث من أتباعه ما أساءه، وأدرك أن القوم لم تخلص نياتهم بعد، فتركهم ورجع إلى الحجاز^(١)، وقد جاء في سبب رجوعه أن بعض أولاد الأمراء من عشائر أبي العتاهية شرب الخمر، فأمر بإحضاره ليقيم عليه الحد فامتنع عليه، وخذله الناس فلم يجد منهم من يعيشه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنفيذ حكم الله، فقال: «لا تكون كالفتيلة تفهي غيرها وتغرق نفسها» وعاد إلى أهله^(٢).

يقول الشيخ أبو زهرة: «ولكنه عاد إلى الحجاز بعد أن تعلقت به القلوب، ووجد الراشدون من أهل اليمن أنه الإمام الذي يستطيع أن يجمع شمل اليمنيين، وأن يحارب بهم البدع التي كانت منتشرة»^(٣).

لذلك فقد وردت كتبهم على أبيه الحسين بن القاسم وعمومه بالمدينة،

(١) زيارة: آلية اليمن القسم الأول / ١٠، والحادي عشرة الوردية / ٢٩، وغاية الأمان / ١٦٦.
٢) الإلقاء / ٦٧.

(٣) الإمام زيد حياته وعصره / ٥١٠.

يتولون بهم ويسألونهم الشفاعة إليه، في أن يعاودهم على أن لا يخالفونه في شيء»^(١).

وكان قد عيّنهم بعد رحيله «الباء»، وشملتهم الفتنة، وانقطع الفيث، ويس
الزرع^(٢)، حتى إذا كان ذو القعدة من سنة ٢٨٣هـ جاءه وقد منهم يحملون إليه
كتباً من مختلف قبائلهم يخبرونه فيها بتوبيتهم، ويسألونه الخروج إلى بلدهم ويعطونه
بيعتاتهم، وأئمّتهم قد ندموا على ما كان من تغريتهم وتقصيرهم في أمره، حين تركوه
ينخرج من عندهم^(٣)، فلم يجد بدأً من إيجابتهم والإستجابة لدعوتهم.

وكان قد بدا له أن يعدل عن الخروج إلى اليمن، يقول الإمام المادي عليه
السلام فيما يرويه عنه مؤلف سيرته: «كنت قد اشتئت عن الخروج إلى اليمن،
وعزّمت على أن أصرف رسل أهل اليمن للذى كان بدا لي من شرة أهل اليمن،
وقلة رغبتهم في الحق، فكنت عازماً على التخلف حتى إذا كان قبل خروجي بليلة،
رأيت رسول الله صل الله عليه وآله وسلم في المنام، وهو يقول لي: يا يحيى مالك
متافقاً عن الخروج، انقض فصرهم فلقيت ما على الأرض من هذه الأوساخ،
تعلمت أنه صل الله عليه وآله وسلم لم يرد بذلك غير العاصي التي على الأرض من
الباد، فضمنت له النهوض فنهضت»^(٤).

وكان في وداعه عند خروجه أبوه وعمومته، وكان ما قاله عمه محمد بن القاسم
وهو يودعه: «يا أبا الحسين لو حلّتني ركبتي على جاهدت معك يا بني، أشركنا الله في

(١) الإفادة: ١٦.

(٢) سيرة المادي: ٦٥، وخطبة الإمامي: ١١٦، والجامع الوجيز: ٣٠.

(٣) سيرة المادي: ٣٦، ١١، والإفادة: ١٦، والخطائق الوردية: ١٩/٣.

(٤) سيرة المادي: ٣٩.

كل ما أنت فيه، وفي كل مشهد تشهد، وفي كل موقف تقفه^(١). ثم مضوا في اتجاه اليمن حاملين رؤوسهم على أكفهم، طالبين إحدى الحسينين، النصر وإعلاه كلمة الله، أو الشهادة في سيل الله.

وسمعته يوماً يقول: «والله لو كان معي ثلاثة عشر مؤمناً، لا بل لو كان معي خمسة - لأن تلك كانت فضيلة لرسول الله صلى الله عليه وأله وسلم - لدُسْتُ بها اليمن، ثم قال: إصبروا معي، فوالله لأنقذمن برأيكم بين أيديكم، ولأنصرن دين الإسلام، ولأضربن ضرباً ما ضربه إلا علي بن أبي طالب رحمة الله عليه»^(٢).

وسمعته يقول: «مرضت مرضاً في أهل فاقرت، وعندى أبي وعمومي وجاءه من أهل بيتي، فقلت: أخلوا لي المجلس، فقاموا وأخذت في شيء من الدعاء، لم يسمه يحيى بن الحسين إلا أنه قال: كان في دعائي اللهم إن أعلم أنه لا بد من الموت، اللهم فأحيني حتى توصلني إلى ما يرضيك من الجهاد ثم افعل بي ما تريده»^(٣).

وسمعته يوماً وهو يقول: «والله لئن لم يستوثي في اليمن أمر لا رجعه إلى أهل، أو أضرب الشرق والغرب حتى أقيم لله حجته»^(٤).

جهاده للقرامطة،

بعد رحيل الإمام الهادي عليه السلام عن صنعاء بأقل من ثلاثة سنين، كانت

(١) سيرة الهادي / .٣٨

(٢) سيرة الهادي / .٥٠

(٣) سيرة الهادي / .٥٠

(٤) سيرة الهادي / .٥٠

جيوش القرامطة بزعامة علي بن الفضل في طريقها إلى مدينة المذخرة عاصمة خلاف جعفر. وتمكنوا من قتل جعفر المنخي والإستيلاء على دولته، وأخذت علي بن الفضل مدينة المذخرة مقرًا لملكه وأظهر فيها مذهبها، فادعا النبوة وأحل نكاح البنات والأخوات وشرب الخمور^(١)، وكان ذلك في صفر من سنة (٢٩٢هـ)، وكان ابن الفضل يبيع جنوده هب الأموال وسي النساء وفعل كل قبيح. لذلك فقد تبعه جاهير غفيرة من الراغبين في النهب والفحوج.

يقول محمد بن علي الأكوع، عن علي بن الفضل، في تعليقه على كتاب قرة العيون:
 «وقد سود صحيفته التاريخ وأخرج منه شيطاناً مريداً، وعاهرًا فاجراً،
 وعمليقاً غاشياً، وفاسقاً زنديقاً، ومتافقاً مارقاً، يكفر بالشريائع، ويتهك الحرمات،
 ويرتكب البدع والشائع، ورموه بكل حجر ومدر. وكانت تكون كلمة المؤرخين
 كلمة إجماع في تصوير ابن الفضل بهذه الصورة التي تشمّل النقوس الأبية والدنية
 معاً»^(٢).

وفي المحرم من سنة (٢٩٣هـ) توجه ابن الفضل نحو صنعاء، التي ملكها بعد خروج الإمام الهادي عليه السلام منها أسد بن أبي يعفر، وملك معها شباباً وغيرها من البلاد، ووصلت جيوش القرامطة بقيادة ابن الفضل إلى قرية ظبورة جنوب صنعاء، فخرج إليهم أسد بن أبي يعفر بن معه، وقاتلواهم قتالاً شديداً، وقتلوا منهم أربعينان رجل، فانحاز القرامطة إلى جبل نقم المشرف على صنعاء، وأقاموا فيه أيامًا، وفي ليلة عاشوراء سار ابن الفضل في خمسة آلاف مقاتل، فدخلوا مدينة صنعاء ليلاً على حين غفلة من أهلها، وكان دخولهم بتواطؤ مهلب الشهابي، الذي

(١) زيارة: آلة اليمن، القسم الأول / ٣٧.

(٢) قرة العيون لابن الدبيع / ١٨٨.

أدخلهم من سكة الشهابيين، فحاربهم أسعد بن أبي يعفر وأصحابه، حتى عصر ذلك اليوم، وعندما عجز عن صدهم خرج من صنعاء، وكان يوماً عصياً على أهل صنعاء ذاقوا فيه شتى صنوف الخوف والوجل، والرعب والفشل، وفر منهم من قدر بأهله وأولاده، واستباح القراءمة صنعاء قتلاً وأسراً ونبأ، واستباحوا المحارم، وارتکبوا العظام، وأقاموا على ذلك خمسة عشر يوماً^(١).

يقول صاحب غایة الأمان: «ولما تکن ابن الفضل من صنعاء لم يحسن فيها صنعاء، بل أظهر مذهب الخیث ودبی الشؤوم، وارتکب محظورات الشرع، وادعا النبوة، ورقى منبر جامع صنعاء، فخطب خطبة منكرة، صرح فيها بعقیدته الکفرية، وحد عليها من تابعه من تلك الفرق الغویة. وقد ذکر هذه الخطبة کثير من المؤرخین، وإنها تركناها ترتیباً لكتابنا هذا عن إيراد كلام هذا المارق اللعن، وإن كانت شاهدة عليه بالکفر الصريح، غير أن في أعماله ما يکفي عن التصریح، ضاعف الله له العذاب، في يوم الجزاء والحساب. فإنه هدم أركان الإسلام، وبالغ في دھض الشرائع الواردة عن سید الأنام، صلی الله علیه وعلی آلہ الكرام. وأباح تابیعه الحمور، واتیان الذکر، وارتکاب المحرمات، من نکاح البنات والأمهات، وأسقط حج بیت الله الحرام، وأتی بذین خالف في الشرائع والأحكام. ومن قبع فعله أنه اخند جامع صنعاء اصطیلاً للخیل، بعد تلاوة کتاب الله فيه في النهار واللیل»^(٢)، وكان مزدنه في أذانه: يشهد أن علي بن الفضل رسول الله^(٣).

(١) فرة العيون ١ / ١٨٨، کشف أسرار الباطنة ٢٨ - ٣٢، والسلوك ٦٤ - ٦٦، وتاريخ اليمن ٦٤، وتاريخ مدينة صنعاء ٢٢٣، والإکلیل ٤٨ / ٨.

(٢) غایة الأمان ١ / ١٩٧.

(٣) الإلقاء ٦١، وأنفة البن ٣٩.

قال الشيخ العامری عن الإمام المادی علیه السلام: «كان عبیثه إلی الیمن وقد
عم بها مذهب القرامطة والباطنية، فجاهدهم جهاداً شديداً، وجرى له معهم نيف
وثلاثون وقعة، لم ينهزم في شيء منها، وكان له علم واسع وشجاعة خارقة، وقد أقام
على الجهاد ثبات عشرة سنة»^(١).

حرصه على الأمة:

وسمعت ما لا أحصيه إذا اجتمع عنده الناس يقول: والله فقد قال يحيى بن
الحسين: والله لشن أطعمني لا فقدت من رسول الله صل الله عليه وأله وسلم إلا
شخصه إن شاء الله تعالى^(٢).

وسمعت يوماً يخلف بالله مجتهداً: لوددت أن الله أصلح بي أمر هذه الأمة، وأن
جئت يومين وشبعت يوماً^(٣).

وسمعت ليلة أيضاً وهو يقول: والله لوددت أن الله أصلح الإسلام بي، وأن
يدي ملصقة بالثريانم أهوي إلى الأرض فلا أصل إلا قطعاً^(٤).

وسمعت يوماً يقول: لو أمكنني أشتري صلاح هذه الأمة بيا أملك لفعلت، الله
يعلم ما أقول، وكيف لي بصلاحها؟!^(٥)

وسمعت يوماً يقول: والله الذي لا إله إلا هو، وحق محمد ما طلبت هذا الأمر،
وما خرجت اختياراً، ولا خرجت إلا اضطراراً لقيام الحجة علی، ولو ددت أنه كان

(١) أرباض المستطابة / ٢٩٧.

(٢) سيرة المادی / ٤٩.

(٣) سيرة المادی / ٤٩.

(٤) سيرة المادی / ٤٩.

(٥) سيرة المادی / ٥٢.

لي سعة في الجلوس، وكيف لي بأن ي يعني الجلوس عن هذا الأمر الذي أنا فيه ممزوم بزمام، أنا والله إذا جئني الليل أفكر فيها عملت وما كان مني في يومي، فأناظر نفسي في ذلك فأردد على نفسي، وأقول: فعلت كذا وكان كذا أصلح، ولو لم أكن في هذا الأمر لم يعنني ترك الفكر في هذا الأمر حتى ناظرت نفسي فيه طويلاً، فما وجدت إلا الخروج أو الكفر بها أنزل الله على محمد صل الله عليه وآله وسلم^(١).

دولته:

فكرة إقامة دولة الإسلام عريقة وثابتة لدى الزيدية، ذلك لما يترتب عليها من إقامة العدل وإحقاق الحق وتتويره، وإبطال الباطل وتدميره.

قال الإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية:

وقد بيَّنَ الإمام المادي عليه السلام شروط الحاكم وواجباته، فقال: «والذي افترض طاعته ذو الجلال والإكرام، من أهل بيت محمد صل الله عليه وآله وسلم، على جميع من خلق وذرأ من الأنام، وبينى على طاعته وموالاته دعائم الإسلام: الورع الفاضل، النقي الكامل، الباذل لنفسه، العالم الذي لا تأخذنه في الله لومة لائم، القهم بمعانى الكتاب، المتفرع فيها يحتاج إليه من الأسباب، المجرد في أمره، الداعي إلى سبيل ربه، المباين للظالمين، الناهض بحججة رب العالمين، الكاشف لرأسمه، المجرد ليس به، الرافع لربيات الحق، المظهر لعلامات الصدق، الزاهد في حطام الدنيا، الراغب في الآخرة التي لا تقنى، الحافظ للرعاية المواسى لهم، المتحزن عليهم، المقرب غير المبعد، المهون غير المجهد، القارن لهم بنفسه في جميع أمره، الشفيق عليهم، الأخذ لظلمائهم من ظالمهم، المستوفى لحق الله من أيديهم، والرآد له في مصالحهم،

والفرق لذنهم فيهم، المسلم لهم العادل في قسمته، المساوي بين رعيته في حكمه، الطارح الجبرية والتكبر، بعيد عن الخبلاء والتجر، والواسط لكتبه، المنصف لأهل طاعته، المتقد للجميع معايشهم، المعفي لأحكام الله فيهم، القاسم بقطط الله عليهم، الرؤوف الرحيم بهم، الشجاع السخي، الفاري الكمي، فإذا كان كذلك ثم دعاهم إلى نفسه، والقيام له بحقه، وجبت على الأمة طاعته، وحرمت عليهم معصيته، ووجبت عليهم المجرة إليه، والمجاهدة معه بأموالهم بين يديه^(١).

ويقول الإمام المادي عليه السلام: «إن الله افترض اتخاذ الإمام العادل إماماً ليؤتى به، وسيجي خليفة ليخلف النبي صل الله عليه وأله وسلم في أعماله، وأنه ما خالف حكم النبي صل الله عليه وأله وسلم وفارقه، فليس بإمام ولا خليفة، ولكنه متبر ظالم»^(٢).

تلك كانت صورة الإمامة عند الإمام المادي عليه السلام في عالم النظريات، أما في عالم الواقع فقد كانت صورة شديدة النصاعة وضامة البريق، فلقد كان الإمام المادي في ممارسته لسلطته كإمام وحاكم للمسلمين من تلك النهاذ الغنة في تاريخ المسلمين، وكان تميضاً كاملاً لكل ما نادى به هو ومن سبقه من الأئمة الأبرار، الذين قدموا حياتهم الواحد تلو الآخر شهداء في سبيل العودة بدولة الإسلام إلى ما كانت عليه أيام رسول الله صل الله عليه وأله وسلم.

قال شيخ الأزهر أبو زهرة: «إن رسائله وخطبه وعهوده تحمل القارئ بمحس بأنه يعود بالإسلام إلى عهده الأول، عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، الذين ينتهزون أحكام منفذ أحكام الله تعالى، بحيث يمس بها الصغير والكبير والأمير

(١) شیر الامام المادی ٥٦، مجموع کتب درسائل الامام المادی / ١٠٥، والاحکام / ٨٧.

(٢) مجموع کتب درسائل الامام المادی / ٥٢٥ - ٥٢٦.

والخلفير»^(١).

مظاهر حكم دولت الإمام الهادي

وقال أبو زهرة أيضاً: «وقد سار الهادي في حكم البلاد اليمنية على سنة العدل، مما جعل الأهلين يرون فيه مظهراً لحكم الإسلام، ومصدراً لمهد الخلفاء الراشدين الأولين»^(٢).

وجاء في إحدى الليالي رجل ضعيف عند السحر، وطرق عليه الباب فقال الهادي: من يدق الباب في هذا الوقت؟ فلما عرف أنه مظلوم يطلب النصفة، أمر بإدخاله، ووجه معه رجالاً لإحضار خصاته، ثم قال لمحمد بن سليمان الكوفي الذي كان عنده في ذلك الوقت: «الحمد لله الذي خصنا بعمته، وجعلنا رحمة على خلقه، هذا رجل يستعدى إلينا في هذا الوقت، لو كان واحداً من هؤلاء الظلمة ما دنا إلى بابه في هذا الوقت مستعد»^(٣).

يقول الدكتور: أحد صبحي: «عرف التشيع أئمة اقتصروا على العلم دون الجهاد، كما عرف أئمة غلروا الجهاد على العلم، أما أن يتحد العلم مع الجهاد على نحو فائق، وأن يكون الورع والزهد ومؤسسة المحتاجين من خصال رجل الدولة، فذاك ما لا يكون على مر العصور والدهور، إلا في الواحد بعد الواحد، ومنهم الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين»^(٤).

(١) الإمام زيد حياته وعصره / ٥١٣.

(٢) الإمام زيد حياته وعصره / ٥١٣.

(٣) الإمام زيد حياته وعصره / ٥١٣.

(٤) الزيدية "صبحي" / ١٠٢.

عدله:

«وحدثني أيضاً قال: خبرني عبيد الله بن حذيف قال: طلبت تبأّ للدوااب من غير تبن العشر، فلم أجد غيره، فأمرت بعض الغلمان الذي يقوم على الخيل يأخذ منه كيلاً معروفاً حتى نشتري ونرد مثل ما أخذنا، فعلم يحيى بن الحسين بذلك، فوجه إلى عبيد الله بن حذيف، فكلمه بكلام غليظ، فقال له عبيد الله: أنا أخذ منه شيئاً معروفاً حتى نرد مكانه، فقال: لست أريد منه شيئاً، ما لنا وللعشر، خذوا هذا التبن فاعزلوه حتى يعلنه من يكل له ولم يعلف منه خيله تلك الليلة شيئاً، وأمر أن يطرح للخيل قصب بلا تبن ليتين، ثم قال: اللهم إنيأشهدك إني قد أخرجت هذا من عنقي، وجعلته في أنفاسهم.

ورأيته يوماً وقد أتاه حسن بن علي بن فطيمة، وعبيد الله بن حذيف، فقال له: جعلنا فداك، إن كنت إنما تأخذ من ثلاثة وثلاثين فرقاً وثلاثة من الطعام عشراء ونصف عشر، فليس يجتمع من هذا شيء أبداً، فقال لهم يحيى بن الحسين: لا اجتمع من هذا شيء أبداً، والله لو التفت هذه وهذه يعني - السماء والأرض على حتى تختلف أخلاقي، ما أخذت غير الحق أبداً.

قال علي بن محمد، عن محمد بن سليمان: كنت أبغض ليعيى بن الحسين زكاة الأموال، فلما كان ليلة من الليالي جئت بكيس فيه دنانير ودراما من الزكاة، قلت له: جعلت فداك ضبع هذا الكيس تحت فراشك، فقال لي: وما هذا؟ قلت: الذي قبضت من التجار. فقال لي مسرعاً: أبدعه عنك، ثم قال لي: والله لو أني اضطررت إلى ما تُحب من صدقاتكم وأعشاركم، ثم وجدت الميتة لأكلت من الميتة ولم أكل من ذلك شيئاً.

ورأيته يأمر بشراء العلف لخيله وإبله، والعلف الذي من الأعشار مجموع

موضوع، ما يعلف منه قليلاً ولا كثيراً، وهو يفرق بين أصحابه.

ورأيته يوماً وقد صاح بغلام له فسألة عن خرقه، فقال له الغلام: قد رفعتها، فقال له: أخرجها إلىي، فأخرجها من بين ثياب يحيى بن الحسين، فلما أخرجها قال للغلام: ويلك أنت قليل الدين، ليس لك دين تضع خرقة من الأعشار بين ثيابي! ودخل يوماً وقد تطهر للصلة فأخذ خرقة فمسح بها وجهه، ثم قال: إنا الله وإنما إليه راجعون، هذه الخرقة من العشر، فذكرت له ذلك فقال: ما يجعل لنا أن نمسح به وجوهنا ولا نستظل به من الشمس.

قال علي بن محمد، عن محمد بن سليمان: كنت أقبض ليعيى بن الحسين زكاة أموال التجار، فيكون في البلد تجارة غرباء، يتجررون ويقيمون الأشهر، فقلت له: جعلت فداك تأخذ منهم زكاة أموالهم؟ فقال: إن أخذنا منهم زكاة أموالهم، وجب علينا أن نحوطهم حيث كانوا في بلادنا وغيرها، فلم يأخذ منهم شيئاً.

ورأيته يوماً وقد جاء يهودي استعدى على رجل، فقال لي يحيى بن الحسين: أنصفه وانظر فيها بينهم، ثم قال لليهود والنصارى: إن آذاكم أحد فارجموا إلى حتي أنصفكم منه.

ورأيته ليلة وقد جاءه رجل ضعيف في السحر يستعدى على قوم، فدق الباب، فقال: من هذا يدق الباب في هذا الوقت؟! فقال له رجل كان على الباب: هذا رجل يستعدى، فقال: أدخله، فاستعدى، فوجه معه في ذلك الوقت ثلاثة رجال يحضرون معه خصمه، ثم قال لي: يا أبا جعفر الحمد لله الذي خصنا بنعمته، وجعلنا رحمة على خلقه، هذا رجل يستعدى إلينا في هذا الوقت، لو كان واحداً من هؤلاء الظلمة ما دنا إلى بابه في هذا الوقت مستعدى، ثم قال: ليس الإمام منا من

احتجب عن الضعيف في وقت حاجة ملحة»^(١).

«وحدثني محمد بن أبي هشام عن يحيى بن الحسين أنها أخذت إمراة قد شربت الخمر وشهد عليها بذلك شهود، فأمر بها تحمل الحد، فقالت: اعفْ عني بحق علي بن أبي طالب، فقال لها يحيى بن الحسين: وحق علي بن أبي طالب لو كان الأمر لي ما ضررتك، ولكن الله تعالى، ثم قال: والله لو وجّب الحد على أبي لأخذته منه.

ورأيته يوماً وقد أتي برجل قد شرب الخمر وشهد عليه بذلك، فأمر به فضرب، وكان ضعيفاً فأمر بسوطين يجمعان له فجمعاً وضرب بهما معاً، حتى أوفى الحد ثمانين. وسمعت يوماً وقد ذكر أخذ الحق فقال: والله، وعنده جماعة من الناس، لو أنه جدي القاسم بن إبراهيم ثم وجّب عليه ضرب العنق ما صليت الظهر أو أضرب عُنقه»^(٢).

قال: وسمعت علي بن العباس يقول: كنا عندنا يوماً وقد هي النهار وتعال وهو يخنق برأسه، قمنا، وقال: أدخل وأغفي غفوة. وخرجت حاجتي وانصرفت سريعاً، وكان اجتيازى على الموضع الذي يجلس فيه للناس، فإذا أنا به في ذلك الموضع، فقلت له في ذلك. فقال: لم أجسر على أن أنم، وقلت: عسى أن يتاب الباب مظلوم فيأخذنى الله بحقه، ووليت راجعاً كما دخلت!!

ورعه وزهده:

لقد كان الإمام المادي عليه السلام يجد الإمام علياً عليه السلام في ورعه وزهده، حتى كان يقول: والله إنّه لا سيرة على أو النار.

(١) سير الإمامي / ٦٠ - ٦٣.

(٢) سير الإمامي / ١٢٠.

قال أبو طالب الماروقي: حدثني أبو العباس رحمه الله، عن أبي عبد الله اليماني رحمه الله أنه فقده يومين ^{لهم} كانت به، قال: فيينا أنا واضح رأسي إذ فُرع الباب، فقمت إذ لم يكن في المنزل غيري، فإذا أنا بالهادى عليه السلام وبيده تُور^(١) مغطى، فيه بعض ما يصلح للمحموم. قال: كذلك كانت عادته يمرّض أصحابه ويداوي جراحاتهم بيده، وكان أسر الأشياء إليه الضيافة، ويتعهد من يطعم عنده بنفسه.

وحدثني أبو العباس الحسني رحمه الله، عن أبي القاسم عبد الله بن أحد الطيب، عن أبي العباس الغفل بن العباس الأنصارى، وكان من خيار المهاجرين إلى بحري بن الحسين عليه السلام. قال: كان يحيى بن الحسين يقول كثيراً: إنها آخذ لنفسي مثل ما أعطي أحدكم.

وإنه قسم يوماً شيئاً من التمر فحبس منه ضعفي ما أعطا الواحد منا، فدخلني من ذلك شيء لقوله الذي كان يقوله، ورباني ذلك، إلى أن قدم بعض العَيْب من أصحابه من وجه بعثه هو فيه، فأخرج عليه نصيحة مما كان حبه، فخنتني العبرة وجعلت أقبل أطراف الهادى عليه السلام وأعتذر إليه وأخبره بالأمر. فقال: أنت في حل يا أبو العباس وسعة من جهتنا، ولكن حسناً ظنونكم بإخوانك فإن المؤمن يكون عند حسن الظن بأخيه^(٢).

وقال علي بن محمد: حدثني أبي محمد بن عبيد الله قال: كان من ورع يحيى بن الحسين أنه كان يترك بعض ما يحمل له تورعاً عنه، وتتنزها منه، وذلك أن جزية النصارى واليهود له ولأهل بيته دون غيرهم من الناس، قوله أن ينفقها فيها أحب، ويصرفها فيها ي يريد، فكان لا يأكل منها ولا يشرب منها، تورعاً عنها، وتزهدأ فيها،

(١) التور: إناء يشرب فيه.

(٢) الإفادة / ١٤٠ - ١٤١.

وإنما قلت ذلك لأنني سمعته يقول: والله الذي لا إله إلا هو ما أكلت مما جبب من اليمن شيئاً ولا شربت منه الماء. وسمعته أيضاً يقول: ما أفق إلا من شيء جشت به من الحجاز، وهذه صفة المترورعن التي جاء بها الآخر، لأنه بلغنا عن الحسن أنه قال: ما يبال التقوى المتقوون حتى يتركوا كثيراً من الحلال خافة أن يوافعوا الحرام^(١).

وقال علي بن محمد العباسى: كنت جالساً عنده، فأتاه رجل بعد فسمعته يخلف بالله مجتهداً ما ارتكبت فرج حرام ذكراً ولا أثني، ولا أكلت درهم حرام أعرف أنه حرام، ولا شربت مُسکراً قط، ولا سمعت غناه قط، ولا لعبت بشطرنج قط ولا بعله، ولا تعمدت ظلماً لمسلم قط، ثم قال: ما أمدح نفسي بهذه، ولكنى أثني على ربى بما أنعم على به، كما قال: **«وَأَمَّا بِنَسْمَةِ رَبِّكَ تَعَالَى ثُمَّ** (٢) [الصي: ١١].

وقال علي بن محمد: حدثني محمد بن سليمان، عن عبد الملك بن عبد الملك اليَّزَّسْعِي قال: خرجت يوماً مع يحيى بن الحسين فمررتنا بزرع لم يقصد، فضررت بيدي إلى سبلة فقطعتها وأهويت بها إليه، فمد يده إليّ ثم قال لي: الزرع لك؟ فقلت له: لا، فحبس يدهعني ولم يمسها، فرميت بها من يدي^(٣).

وقال علي بن محمد عن محمد بن سليمان: قال لي علي بن عتبة: قال لي المادى إلى الحق: اشتري أنا قرطاساً على حدة فلما يحمل لي أكتب فيه أنا، فاشترت له^(٤).

وكان يُشترى ليحيى بن الحسين كل يوم بدرهمين لحباً، والدرهمان صغيران ثلث درهم قليلة، ورأيته وقد قطع قبة ملحمة، فقال: والله لو كنت بين مؤمنين ما

(١) سيرة المادى / ٥٨.

(٢) سيرة المادى / ٥٩.

(٣) سيرة المادى / ٦٥.

لبست مثل هذا ولا هذا من لباسي، وما أشتتهي أن ألبس إلا الغليظ من الشاب، ولو لبته لاستخف الناس موضعني، فقد ميزت أمرورهم فرأيتهم لا يطمعون إلا من كان عليه مثل هذا الثوب، ولكن على جلدي من لباسه الشوك^(١).

وقال محمد بن سليمان: رأيت يحيى بن الحسين وقد أمر غلاماً يقدم إليه، وكان في الليل، فأتى الغلام ببادنة عليها ثلاثة أقراس وشريح (دهن السمسم) فأأكلت أنا وهو، فقال لي: الحمد لله يا أبي جعفر، هذا مع الأمر بالمعروف والنهي المنكر كثير^(٢).

عبادته:

وحدثني أبو العباس رحمه الله قال: حدثني أبو العباس الفضل بن العباس رحمه الله، أنه قال: حدثني سليم مولى فلان وسماه لي وكان يلي خدمة المادي عليه السلام في داره، قال: كنت أتبعه - حين يأخذ الناس فراشهم - في أكثر لياليه بالصبح إلى بيت صغير في الدار كان يأوي إليه، فإذا دخله صرفي فأنصرف، فهجم ليلة بقلبي أن أحتبس، وأتيت على باب المسجد أنظر ما يصنع. قال: فسهر عليه السلام الليل أجمع ركوعاً وسجوداً، وكنت أسمع وقع دموعه صلى الله عليه ونشيجاً في حلقة، فلما كان الصبح قمت فسمعت حسي، فقال: من هذا؟ قلت: أنا. قال: سليم ما عجل بك في غير حينك؟! قلت: ما بربحت البارحة جعلت فداك. قال: فرأيته اشتد ذلك عليه وخرج عليَّ أن لا أحدث به في حياته أبداً. قال: فما حدثنا به سليم إلا بعد وفاة المادي إلى الحق عليه السلام أيام المرتضى^(٣).

(١) سيرة المادي / ٥٦.

(٢) سيرة المادي / ٥٧.

(٣) الإفادة / ١٣٨ - ١٣٩.

خلقه:

حدثني أبو العباس الحسني رحمه الله، عن عمه محمد بن الحسن رحمه الله، قال: سمعت علي بن العباس رحمه الله يقول: ركب يحيى بن الحسين عليه السلام إلى موضع هو يجمع يعظ الناس ويذكرهم، فبلغ أبي القاسم ابنه ركوبه فأسرج وركب وأسرع نحوه، فعرض له في الطريق بعض الطبرية وحال بينه وبين المادي، فأهواه إليه بسيوطه ينحيه، وكانت من المادي التفاتة إليه فلم يزل يقطع مسيره في تكريمه وعذله. ويقول: يا أبي القاسم، مؤمنٌ ولِّه تعالى تكلمه بالسوط!^(١)

قال: وسمعت علي بن العباس رحمه الله يذكر أن المادي عليه السلام نزل يوماً في بعض الموضع، وجاء إليه ابنه أبو القاسم المرتضى، فأخذ بعض الطبرية كأساً له كان عليه ولقه ووضعه ليجلس عليه أبو القاسم فجلس، ثم جاء غلام أبي القاسم بكأساً في متديل على عاتقه، فأمر المادي بإخراجه، ثم قال للرجل: اجلس عليه كما جلس هو على مالك.^(٢)

وحدثني يوسف بن أحد بن كعج قال: حدثني القاضي أبو حاد المروزي، قال: حدثني أبو الحسن المداني المعروف بالحروري، وكان رجلاً فقيها على مذهب الشافعي، تاجر جمع بين الفقه والتجارة. قال: قصيدة اليمن في بعض الأوقات، وحلت ما أتغر فيه إلى هناك ابتغاء لرؤبة يحيى بن الحسين، لِمَا كان يتصل بي عن آثاره، فلما حصلت بتصعدة حرسها الله، قلت لمن لقيته من أهلها: كيف أصل إليه، ومن أصل، وiben أتوسل في هذا الباب؟ فقيل لي: الأمر أهون مما تقدر، تراه الساعة إذا دخل الجامع للصلوة بالناس، فإنه يصل بالناس الصلوات كلها.

فانتظرته حتى خرج للصلوة فصل بالناس وصلبت خلفه، فلما فرغ من صلاته تأملته فإذا هو قد مشي في المسجد إلى قوم أعلاه في ناحية منه، فعادهم وتفقد أحواهم بنفسه، ثم مشي في السوق وأنا أتبعه، فغير شيئاً أنكره، ووعظ قوماً وزجرهم عن بعض المناكير، ثم عاد إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه من داره للناس، فنفت إلهي وسلمت فرحب بي وأجلسني وسألني عن حالي ومقدمي، فعرف أنه تاجر وأنه وردت ذلك المكان تبركاً بالنظر إليه، وعرف أنه من أهل العلم فأنس بي، وكان يكرمني إذا دخلت إليه، إلى أن قيل لي يوم من الأيام: إن غداً يوم المظالم وإن يقعد فيه للنظر بين الناس، فحضرت غداً هذا اليوم، فشاهدت هيبة عظيمته، ورأيت النساء والقواد والرجالات وقوفاً بين يديه على مراتبهم، وهو ينظر في القصص ويسمع الظلامات ويفصل الأمور، فكأني شاهدت رجالاً غير من كتب شاهدته وبهرتني هيئته.

فأذاعاً رجل على رجل حقاً فأنكره المدعى عليه وسألة البينة، فأتي بها فحلف الشهود فتعجبت من ذلك، فلما تفرق الناس دونت منه فقلت: أيها الإمام رأيتك حلفت الشهود!! فقال: هذارأي، أنا أرى تحريف الشهود احتياطاً عند بعض التهمة، ما تذكر من هذا؟ هو قول طاووس من التابعين، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ عَزَّ عَلَيْهَا أَسْتَحْفَأَ إِنَّمَا فَعَلَّمَنَا يَوْمًا مَقَامَهَا مِنَ الَّذِينَ أَسْتَحْفَأَ عَلَيْهِمُ الْأَوْزَيْنِ فَيَقُولُنَا يَأْتُونَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَنَا﴾ (النasseh: ١٠٧)، قال: فاستفدت في تلك الحال منه مذهبة قوله، وقول من قال به من التابعين، والدلالة عليه، ولم أكن عرف شيئاً منه قبل ذلك.

وانفذ إلى يوماً من الأيام يقول: إن كان في مالك الله حق زكاة فآخر جه إلينا، فقلت: سمعاً وطاعةً من لي بأن أخرج زكاني إليها وحستب حسابي، فإذا على من

الزكاة عشرة دنانير، فنفذهما إليه، فلما كان بعد يومين بعث إلى واستدعاني، فإذا هو يوم العطاء، وقد جلس لذلك المال يوزن ويخرج لك الناس، فقال لي: أحضرتك لتشهد إخراج زكاتك إلى المستحقين. قمت وقلت: الله الله أيها الإمام كأني أرتات بشيء من فعلمك؟! فتبسم وقال: ما ذهبت إلى حيث ظنت، ولكن أردت أن تشهد إخراج زكاتك.

وقلت له يوما من الأيام: رأيتك أيها الإمام أول ما رأيتك وأنت تطوف على المرضى في المسجد، تعودهم وتحشى في السوق، فقال لي: هكذا كان أبيائي، كانوا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، وأنت إنما عهدت الجبارة والظلمة^(١).

قال علي بن محمد: حدثني أبي محمد بن عبيد الله قال: كان من تواضع مجىء بن الحسين ترك الكبر والتجبر في مجلسه وغير مجلسه، وفي مطعمه ومشره وجيئه أحواله، فرأيت من ذلك أنه إذا خرج من منزله لصلة أو لغيرها سلم على جميع من يمربُّه من شريف أو ذي أو فقير أو غني أو عبد أو صبي، وبذلك جاء الآخر عن جده علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كان يسلم على كل من مرّ به حتى العبد المخلخل، ورأيته يعود المريض حتى رأيته قد عاد بعض خدم أصحابه.

وسمعت رجلا يقول له: جعلت فداء للسيد، فقال له الهادي إلى الحق عليه السلام: لا تعدد تقول هذا مرة أخرى، فإنما السيد الله، وإنما أنا عبد ذليل. فقال له رجل من حضر المجلس: جعلت فداك، قال الله: ﴿وَسَيِّدًا وَّحَمْوَرًا﴾ (إك مuran: ٣٩)، فقال: نعم، ولكن لا أحب أن يقال لي هكذا.

ورأيته وقد صل العصر في المسجد فلما انصرف استقبلته امرأة فصاحت به:

بابن رسول الله فوقف، ودنت إليه فإذا هي عجوز، وأمسكت بشوبيه، فزجرها بعض خدمه وانتهرا، فقال له يحيى بن الحسين: دعها، فجعلت العجوز تكلمه وتشكره إليه أنها مظلومة، وهو واقف معها حتى فرغت من كلامها، ثم صاح بأبي جعفر محمد بن سليمان الكوفي، فأمره أن يعطيها، ويستقضي في الحق لها، فتنفذ معها حتى أحضر خصمها، وقطع ما بينه وبينها.

ورأيته يوما وقد خرج إلى الصحراء فأصاب رجلا من أصحابه مرار، وهو محمد بن عباس الصناعي سقط في الأرض، فنزل يحيى بن الحسين عن فرسه إلى الرجل حتى مسح وجهه بيده وقرأ عليه ثم أمر بعض خدمه فأتى له بمحار فركبه على صعدة، فلما صار يحيى بن الحسين في منزله جاءه الرجل فجلس بين يديه، فسأله عن خبره، ثم صاح ببعض غلمانه فأمره أن يأتي برمان، فأتى به الغلام، فجعل يحيى بن الحسين يقشر الرمان بيده ويخرج حبه، ويدفعه إلى الرجل وهو يأكل، ثم قال: إن لا راكم تثرون على الأرض فيشق ذلك علي، ولكن أبشروا فإنكم في خير كبير، وقام الرجل وقد أفاق من علته.

وأتى يحيى بن الحسين يوما بصibi صغير يتيم، فلم يزل يدننه حتى أجلس بين يديه، ومسح رأسه، وتكلم فيه بكلام وبكي، ثم أمر للصibi بقميص وسرابيل^(١). «وقال علي بن محمد: ورأيته وقد انصرف من المسجد فقام إليه صبيان صغار ان قالا: يا بن رسول الله نحن يتأمن، فوقف معهما طريرا يمسح رؤوسهما ويدعوهما، ثم أمر لها بكسوة ونفقة»^(٢).

(١) سيرة المادى / ٥٣ - ٥٧.

(٢) سيرة المادى / ٥٨.

ورأيته في مجلسه يدير بصره بين جلساته يمنة ويسرة حتى يفهم كل من حضر المجلس ما يقول، لا يخصل أحداً بجميع كلامه، صاتنا لنفسه في مجلسه، قليل الحركة، لا يتكن بين جلساته، ولا يستخف بهم، حسن الصمت إذا صمت، يُنَزَّل الكلام إذا نطق، لا مهذاراً في الكلام، ولا عيماً في الجواب، ولا سكوتاً على يحتاج إليه، إن تكلم بيان، وإن سكت فبحفظ لسان، لا يقوم عن جلساته حتى يقموها، وإن عرضت له حاجة صبر معهم حتى ينصرفوا، فعلمت بذلك أنه كان إذا لم يبق في مجلسه أحد قام لقضاء حاجته، فكنت أعلم أنه كان يحتاج للقيام قبل ذلك، فيمنعه من ذلك الكرم والأدب.

ورأيته في مجلسه يستمع ويقبل على من كَلَمَه حتى ينقضى كلامه، لا يقطع عليه ما يقول، ثم يرد عليه بلا فظاظة ولا غلظة ولا ضجر^(١).

شعره

كان الإمام المادي عليه السلام شاعراً مطربعاً، وعربياً قمحاً، وفصيحاً سليقياً، وكان الجهاد والفروسيّة والتقوى عتزان شعره، وهدف قصائده، جاهد بشعره كما جاهد بسيفه ورمحه.

قال الشعر في كل مناسبة هامة كانت تعرض له، وقد حفظت لنا سيرته قصائد عدة من شعره، فمنها: قال في ولده المترافق وهو أسير:

ألا أبلغا إبني وإن كان نائباً	أخاه الدين والتقوى وذا الفضل والبشر
ومن ذكره عالي على كل ما ذكر	وذا العرف والإحسان في كل حالة
ومن طاب مولوداً ومن طاب ناشتنا	ومن لا ترى منه لعمرك زلة
ومن لم ينزل طهراً على غاية الظهر	

(١) سيرة المادي / ١٢٣ - ١٢٤.

ومن هو أصل للهيبة والفاخر
ومن هو مفضل على العسر واليسر
وينهى عن الفحشاء والفسق والشر
ومن هو للأرحام أوصل واصل
ومن لم تضعفه الشدائـد في العصر
ومن هو جاف للفسق والكفر
وسم قتول للأعادـي ذوي الخـر
إذا التقـت الأبطـال في معرـكـة وعرـر
وأوجـلتـ المـرانـ في ثـغـرـ النـحرـ
لهـ الفـخـرـ مـقدـاماـ بهاـ وـاسـعـ الـصـدرـ
قـريـباـ منـ العـافـيـةـ^(١) لـيـسـ بـذـيـ كـفـرـ
وـسـراـهاـ غـوـثـ منـ الـحـربـ وـالـفـقـرـ
أـبـوـكـ سـلاـماـ دـائـماـ عـدـدـ القـطـرـ
لـهـ حـرـقةـ تـأـويـ إـلـىـ الـقـلـبـ وـالـسـحرـ
وـجـلـ بـهـ أـسـرـيـ وـشـدـبـهـ أـزـرـيـ
عـمـداـ المـفـضـالـ باـحـ لـهـ سـرـيـ
وـلـمـ بـيـنـ لـيـ عـيـشـ وـلـمـ يـخـلـ لـيـ فـكـرـيـ
صـبـورـ عـلـىـ مـاـ جـاءـ مـنـ نـوـبـ الدـهـرـ
إـذـ أـقـبـلـ نـحـوـيـ عـرـىـ مـنـ نـحـرـيـ
عـلـ ثـقـةـ مـنـيـ إـلـىـ خـالـقـ الصـخـرـ

ومن لم ينزل بعلو إلى المجد شاعـراـ
ومن هـوـ أـمـارـ بـكـلـ فـصـيـلـةـ
ومن هـوـ بـالـعـرـوفـ يـأـمـرـ جـهـدـهـ
ومن هـوـ لـلـأـرـحـامـ أـوـصـلـ وـاصـلـ
ومن هـوـ لـاـ يـجـفـوـ أـخـاـ طـولـ عمرـهـ
ومن هـوـ لـلـإـسـلـامـ رـكـنـ مـعـاضـدـهـ
ومن هـوـ حـتـفـ لـلـعـدـوـ لـدـيـ الـوـغـيـ
وـدـارـتـ كـرـوسـ الـمـوـتـ بـيـنـ حـاتـهاـ
فـجـيـتـ تـلـقـيـ أـبـاـ القـاسـمـ الـذـيـ
شـرـيفـاـ كـرـبـاـ هـاشـمـيـاـ مـهـذـبـاـ
يـمـينـ يـدـيـهـ لـلـمـنـايـاـ ذـرـعـةـ
فـقـوـلـاـ لـهـ يـقـرـأـ عـلـيـكـ مـكـرـرـاـ
وـيـشـكـرـ إـلـيـكـ اللهـ يـعـلـمـ وـحـشـةـ
فـيـارـبـ عـجـلـ يـاـ عـزـيزـ خـلاـصـهـ
إـذـ اـجـتـمـعـ الـإـخـرـانـ حـوـلـ وـلـمـ أـرـ
قـلـيلـ سـرـورـيـ لـأـسـرـ بـحـيـلـةـ
عـلـ أـنـسـيـ حـزـمـ جـلـيدـ مـجـرـبـ
وـلـيـسـ بـضـحـاجـ جـزـعـ مـفـنـدـ
وـلـكـتـبـيـ الـقـبـيـ بـأـمـرـيـ كـلـهـ

(١) مكتاب في السيرة، ولعلها مصحفة من: العالين، أو نحوها.

يضم ويجلو فادح الحس والمسير
ومن كل ما منسوه ومن كل ما شر
يختلف إلى يوم القيمة والبشر
وكان بأمر الله أطول من عمرني
لدافعت عنك الناكرين ذوي الفدر
أو سد في لحدى وأدفن في قبرى
لعمرك أو آتي على غاية العُتُر
لذلك يابن الطاهرين ذوي الفدر
ذوي البر والتقوى السَّيَّادُونَ الفُرُ
ونسالم أمر يجمل عن الأسر
وطعن بأطراف المتفقة التُّر
وقاموا رب الناس بالفرض والضر
ولكنه ذخر لهم أيها ذخر
أراد بها إكمال ما شاء من أجر
لأخذهم يوم القيمة بالوزر
سيصلبهم ناراً تلهب بالجمر
لما شرّ عالي يشبه بالقصر
حيثْ غساق لا يسرغ من الحر
وما لهم عنهم العمرك من ستر
لأخذ منهم ماله كان من وتر

وأعلم أن الله يكشف كلها
أبا قاسم تهديك نفسك من الردى
وقدم شخصي دون شخصك للذي
وطال فدتك النفس عمرك في البقا
أبا قاسم تا الله لو كنت قربكم
وما بلغوا منك الذي كان دون أن
وجاهتهم بالسيف والرمي معينا
 وإن كان في آبائك الشم أسرة
وهذا شعار الصالحين ذوي النهى
فقد ناهم بالطف قتل وشدة^(١)
وضرب له شأن من الشأن فادح
على أن أقاموا الحق لاشيء غيره
وما ذاك من صغر بهم عند ربهم
فآخر عنهم نصره لكرامة
وأمل لأهل الفسق في ثار أحد
فويل بنى الدنيا من الله إنه
جحيم لها حر شديد وكربة
طعامهم الزقوم فيها وشربهم
ونطل من القطران فيها وجورهم
محمد المرضي فيها خصيمهم

(١) مكتنافي السيرة، وفي البيت خلل.

قتلت بنى الزهراء سيدة الزهر
على الله رب البيت والركن والحجر
وأطلب ثاري منكم ساعة النشر
ورووعتم مني الحرير على الصغر
فترعوا حقوق الله في واجب الأمر
وتبعوا بهم مني الوسيلة في الحشر
يهودي وأبديت لئا غاية الغدر
وحل بكم لا شك قاصمة الظهر
ولإشار أمر الله في السر والجهر
ولا تخضن للدهر والزم على الصبر
بصبرك إن أخلصت الله في الشكر
وماغردت ورقاه في سُد الفجر
وفي نعم تغدو وفي نعم تسرى
وله أيضا إلى بنى عمه من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول لهم يوم المعاد محمد
وسوقتهم في الأسارى تَعْفَرُ تأ
ولم توقروا أنني أخاهم عنهم
قتلت بنى الطاهرين ذوي التقى
ألم يك حقى واجباقكم
وترعوا حقرقى في بنى وحرمتى
قتلت بنى الدنيا بنى وخست
فذوقوا عذاب الله زال نعيمكم
فأوصيك بالقوى وبالدين والهدى
وأن لا ترى للدهر يوم مطاطنا
فيوشك أن ينفك عنك علائق
عليك سلام الله ما ذر شارق
ولا زلت في عيش رخي وغبطه

ونخطب جليل فهو للنسم مانع
يشاركتي فيما تجتن^(١) الأصالع
كما طال فكري والعيون هوا جمع
فكل لها إلف عجب مطاعع
ويدخل للوراث ما هو جامع
ويحيز عن تقديم خير لنفسه

نفى النوم عن عيني هم مضاجع
وارقني أن لا صديق ولا أخ
أنكر في الدنيا وتأفه شأنها
سبّهم بحسن الذوق من شهواتها
يوفر ما قد نال من فضلاتها
ويخل عن تقديم خير لنفسه

(١) في السيرة: تجتن، ولعل الصواب ما أثبت.

ويمنعه التسويف عن باب رشده
ويدخله حتى يكون كأنه
اليس عظيمًا أن تسلم مبطلًا
قتيل قليل أهله ومضيع
وطعنه أنصاره ومحاربه
وأكّل رسول الله قد شغلتهم
وحقد إحياء الفسقان بينهم
أرى الطالبين الأسود تحاذلوا
ولم يطلبوا إرث النبوة بالقنا
أرى حقهم مستودعا عند غيرهم
هلموا إلى ما يورث الفخر والتنا
فلو عضدتني عصبة طالية
وصبر على البلوى إذا نزلت بهم
إذا ملكوا الدنيا وذل عدوهم
ولكنهم أفسحوا وأمسوا كآبي
فذريه المختار في عقوباتهم
تفرقت الأهواء منهم وطامنوا
شديد عظيم أن تصيروا أذلة
وأعداؤكم في غبطة وغضارة

(١) في السيرة:

اليس عظيمًا أن تسلم مبطلًا ظلم لأهل الحق فالحق خاضع
والصواب ما ثبت. إلا إذا كان اليم هكذا: ... يُسام.

فشدوا وصونوا دينكم وتحاشدوا
 كما أجمعوا في قبضة وتوارزوا
 كذلك أنت يا آل أحد فانهضوا
 فما العز إلا الصبر في حومة الوعي
 هل الملك إلا العز والأمر والغنا
 ومن لم ينزل يحمي وينقم ثأره
 بقلب يظن الرأي فيه تظهر^(١)
 ونحن بقايا المرهفات وسوّرها
 يموت الفتى منا بكل مهند
 فتلك منيابانا وإن المعاشر
 أبونا أمير المؤمنين وجدنا
 نهضت ولم أعجز وقلت مواعظنا
 فكم قائل في نفسه وضميره
 فكيف غناء الكف عند اجتهادها
 بنيت لكم بيتا من المجد سُمِّكه
 فأضحي لكم عَزْبه ومخاشر
 بعثت كتاب الله بعد هلاكه
 وحرمت ما قد حرمته نواطق
 ولا ينمّت أحكام الكتاب بأسرها
 فطال بفعالي كل آل محمد

وقوموا فأنتم مرهفات قوامع
 وحاموا معافيه وراح التخادع
 بجيشه كسيل حُدُرته الجراشع
 إذا برقت فيه السيف اللوامع
 وأنفلتم من مذبته الطبانع
 ومن هو في الحالات يقطان هابع
 ويمضي إذا ما أملكه المقاطع
 إذا كان يوم ثائر النقع ساطع
 وأسرم مسنون الشبا وهو دارع
 من الناس في الدنيا النجوم الطوالع
 رسول الذي منه تتم الصنائع
 ذخائير علم إن وعاهن سامع
 أيا واعظاً في ذاك لامك ضائع
 إذا لم تعنها بالفعال الأصياع
 دوين الثريا فخره متتابع
 وذكر وعده شامخ الفضل يافع
 فليس بغیر الحق يزمع زامع
 من اي كتاب الله عز جوامع
 كما لا يتم الذود المشب الشابع
 وكل عزيز عندهم متواضع

(١) في السيرة: تطهرة، لها مصحفة.

وأمرهم في آل أحد جامع
 إذا فخرروا طالوا عل من ينماز
 به شهدت عند الفخار الصوامع
 فلا يكفرُها عازبُ الرشد قاطع
 لما ينتري من ظنه لمطابع
 فيما القول إلا ما وعنته المساجع
 وسالي جيما دونكم وأدافع
 وأهي على أحبابكم وأرادع
 إذا نلت ما فيه الغنى والمنافع
 وفي صغير مني وإذا أنا ينافع
 بطنيناً وجاري مقتروه ورجانع
 ذخرت كنوزاً فالظoron تُشارع
 ولست إلى ما لا يحمل أطالع
 فلاني بحمد الله والحق صادع
 سواي وهذا عند ذي اللب واقع
 ولا واضح في الحق ما أنا رافع
 وأني به عنكم ضئين مانع
 فما أنا بعد الجهد والحرزم صانع؟
 وليس عن الأموال مثل يدافع
 وإن امرؤ لا تعرني المطامع
 وإن له عبدٌ مطبع متاع
 وذو البخل بالأموال بالله جائع
 وشيعتهم عالون في كل حجّة
 وجوههم تزهو بنور فعالهم
 لأنهم أحيا كتاباً وسنة
 فإن أنتم لم تشکروا لي صنيعي
 يُشعّ قبيح الظن في زارته
 نعمت علينا في العطية فاسمعوا
 لم تعلموا أنّي أجود بمجهسي
 وأنّي لكم عند المكارم والعمل
 ولست وبيت الله أذخر عن أخ
 لم تفهموني في بُعدِي أموركم
 وإن لاهى أن أبیت ببغطة
 فلاتسرعوا بالظن فيَ بأنني
 فلست إذا أعطيت أبقى بقية
 فيأقوم قوماً ليبعث عزكم
 فما أحد يسعى لينعش عزكم
 فلا راتق ما قد فنتت على العدى
 تظنون أن المال عندي مُرَاكِمْ
 إذا خذلتني إخوتى وعشيرتى
 ولست بني عمى أخا تلك فاعلموا
 ألس الله لي هذا الفعال وهى
 وإن قصدت الله في الأمر كلّه
 ومن تابع الرحمن لم يبغ غيره

بَذَلَ لِلَّهِي إِنْ حَوَى الْمَالُ جَامِعٌ
 صَبَرَتْ إِلَى الْأَمْوَالِ إِنْ لَطَامِعٌ
 وَامْتَلَأَتْ أَصْحَتْ حَوْتَهَا الْأَشَاجِعُ
 لِعَضْكُمْ صَدَرِي بِذَلِكَ وَاسِعٌ
 قَلِيلٌ وَادْهَا شَرِهَا مُتَابِعٌ
 وَسَاكِنَهَا عَرِيَانٌ غَرِيَانٌ جَائِعٌ
 مِنْ أَخْبَارِهَا خَيْرُ الرِّجَالِ الْمَطَالِعُ
 وَذَلِكَ مَفْهُومٌ لِدِي الْخَلْقِ شَانِعٌ
 فَلَا يَأْتِي مِنْكُمْ هَدِيَتِمْ قَطَانِعُ
 لِكُلِّ فَعَالٍ مُوْنِلٌ وَمَوَاضِعُ
 وَإِيَامِهَا عَوْجٌ هَدِيَتِمْ رَوَاجِعُ
 سِعْفَهَا دَهْرٌ مُوَاتٍ مُتَابِعٌ
 أَمْرُوا إِلَيْهَا كَانَ قَبْلَ يَنْازِعَ
 فَتَخَفَّضُ مَتَوْعِا وَيرْفَعُ^(١) تَابِعٌ
 عَوَاقِبَهَا لَا أَعْوَجُ الرَّأْيِ جَازِعٌ
 فَلَلْشَّيْءِ أَسْبَابٌ إِلَيْهِ تَسَارِعٌ
 وَمَا سَجَعْتُ فَوْقَ الْغَصُونِ السَّوَاجِعُ

فَقَدْ عَشْتُ فِيْكُمْ أَعْصَرَأَبْعَدَأَعْصَرَ
 أَبْعَدَ مُشَيْبَ الرَّأْسِ وَالْفَضْلِ وَالنَّهِيِّ
 فَلَوْ أَنْ أَرَضَ اللَّهَ طَرَا بَأْسَرَهَا
 جَدَّثُ بِهَا وَاللهُ قَوْلَةُ صَادِقٍ
 بَنْيُ الْعَمِ ابْنِي فِي بِلَادِ دِينِيِّ
 وَلَيْسَ بِهَا مَالٌ يَقْوِمُ بِعِصْبَاهَا
 سَلَوَ النَّاسُ عَنْهَا تَعْرِفُوا مَا جَهَلْتُمْ
 نَسِيْتُمْ حُمَّامَاتِي عَلَيْكُمْ وَدُونَكُمْ
 فَلَيْلَانِ لمْ تَكَافُونِي بِفَعْلِي فَتَحْسَنُوا
 فَلَتَ هَامَنَكُمْ بِأَهْلِ إِنْسَانِيَا
 بَنِي عَمَّنَا الدِّينِيَا تَدُورُ بِأَهْلِهَا
 فَلَتَأْسِوَ مَا الْعَلِيُّ أَمْرُنَا
 فَلَيْلَقِيَ الْذِي قَدْ كَانَ بِالظُّلْمِ عَانِيَا
 فَلَلَّدُهُرُ حَالَاتٌ تُقْلِبُ أَهْلَهَا
 وَلَيْسَ أَخْرُوَ الْأَيَّامِ إِلَّا مَنَاظِرَا
 ثُمَّنِ كَانَ فِي شَيْءٍ تَتَظَرَّرُ ضَدِّهَا
 عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللهُ مَا ذُرَ شَارِقٌ

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهَا تَضَمِنْ مِنَ الْجَهَادِ لِأَهْلِ الْعَرَاقِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ وَلَةِ الْجَوْرِ:
 مَقَالَةُ صَادِقٍ فِيهَا يَقُولُ
 وَتَسِينِيَ مَنِيَّتِي الْمَجْوُلُ

أَلَا أَبْلُغُ وَلَةَ الْجَوْرِ عَنِي
 بِأَنِّي إِنْ سَلَمْتُ لَكُمْ قَلْبِيَّا

(١) في السيرة: وترفع. ولعل الصواب ما أثبت.

أنسوكم إذا حضر الصيف
 من الرحمن جاء به الرسول
 يرون الكفر منهم أن يزول
 خلال القُسطلَين بهم تحول
 بما من ضرب هامكم فلول
 لافي ذهابكم تحول
 وخل عن حلباته الخليل
 وغودر كل ناحية قيل
 وكلت من مطاردة خيول
 وسالت من دمائكم سبول
 سوى أن الشعار لهم دليل
 ولكنني خلال لكم مثل
 له فيها إذا استولى صبل
 شديد الأسر هذه الصهل
 يانيون عزّهم أصل
 وحولكم الأراذل والجهول
 فتقوا في الأسار لكم عوبل
 على عزّ ولم يحفظ خبل
 إلى أجدادكم حقاً أقول
 على الحق المبين ولا أبيل
 وعاد الحق دهراً ما يحول
 فقد حارت عن الآي العقول
 تروفي في كتاب مرغبات
 من اليمن الذي فيه مقال
 عليهم كل سابقة دلامي
 على حُصن مسومة كرام
 بآيديهم بواتر قاطعات
 وسمّ قد ظمن معاودات
 إذا استعر الفرام بصحن قاع
 وجاء الموت واضطربت لظاهما
 وثار النفع واختلطوا جيما
 وخُوّضت الجواشن في نجيع
 ولم يعرف أخ فيها أخاه
 فحيثذا تروني غير ناه
 أضرب في جماجكم بماض
 أكبر على عتائكم كينا
 تحف به قبائل أهل بامي
 وحولي المؤمنون أولو المالي
 فينصر ديتا ذو العرش ربي
 وولى اللحدون ولم يحاماوا
 فلست إلى النبي إذا انتيم
 إذا ما كان ذاك فلم أقمكم
 وأعدل منكم عوجاً و Migla
 وأحكم بالكتاب كتاب ربي

وَمَا قَدْ قَالَهُ الرَّبُّ الْوَصُولُ
عَلَى خَيْرٍ إِذَا حَجَلَ الْمَحْجُولُ
وَيَعْقِبُ عَزَّزَهُ ذَلِّ طَوِيلُ
وَيَعْدُ السُّخْطَ قَدْ رَضِيَ الْجَلِيلُ
وَأَشْبَعَتِ الْأَرَامِلُ وَالْكَهُولُ
وَيَكْسِي فِيهِ عَرِيَانٌ ذَلِيلُ
وَيَسْأَمُ وَيَحْمِمُ هَمُ الْبَيْلُ
كَثِيرُ الْمَالِ مِنْهُمْ وَالْقَلِيلُ
وَيَرْضِي اللَّهُ لَيْسَ لَهُ عَدِيلٌ

وَأَفْضُوا سَنَةَ الْمُخْتَارِ جَدِي
وَتَبَثَتْ سَنَةُ الْبَطْلِ النَّادِي
فَيَلْقَى الْجَهُورُ قَدْ هَتَّكَتْ عَرَاهُ
وَيَضْحِي الْحَقُّ أَبْلَجَ مُسْتَبِّنًا
وَعَادَ النَّاسُ فِي عَدْلٍ جَيْمًا
وَمُسْكِنٌ وَأَيْتَامٌ ضَعَافُ
وَيَقْضِي عَنْهُمْ غَرْمٌ وَدِينٌ
وَيَقْسِمُ فِيهِمْ فِيهِمْ جَيْمًا
وَيَصْبِحُ رَاغِمًا إِلَيْهِنْ حَقًا

وَلَهُ أَيْضًا عَلَيْهِ السَّلامُ:

وَلَهُ الْوَفَاءُ بِعَهْدِهِ وَالدِّينِ
فَبِذَاكَ فَازَ وَغَيْرِهِ الْمَغْبُونُ
مَثُلُّ لِذِي الْلَّبِ الْخَلِيمِ مَصْوَنُ
أَبْدًا وَمَا هُوَ كَانَ سَيْكُونُ

يَا صَاحِبَ الْعُقْلِ الرَّصِينَ أَخَا الْمُدِي
وَلَهُ الْمَحْبَةُ فِي النَّبِيِّ وَآلِهِ
قَدْ قَالَ ذُو الْأَدْبِ الْأَدِيبُ وَقُولُهُ
مَا لَا يَكُونُ فَلَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ

وَلَهُ أَيْضًا عَلَيْهِ السَّلامُ:

وَأَشْبَاهُ الْكَلَابِ لَدِيِ الْقَتَالِ
مَظْفَرَةٌ تَرِيفٌ إِلَى النَّزَالِ
تَزَاحُّ بَهْنَ أَقْحَافِ الْقَلَالِ
أَطَاعَ لَحْكَمَهَا غُلْبُ الرِّجَالِ
فَحَلَّ الْمَوْتُ فِي رُوسِ الْمَعْوَالِ
عَلَى أَكْبَادِهَا زَرْقُ النَّصَالِ

إِلَهُ عِنَامِينَ رَأَى
وَقَدْ سَرَّنَا إِلَيْهِمْ فِي جِيُوشِ
بَايْدِيْهِمْ بِوَاتِرْ قَاطِعَاتِ
إِذَا مَا حَكَمَتْ فِي الْقَوْمِ يَوْمًا
وَسُمْرُكَبَتْ فِيهَا النَّابِا
وَزُورَ عَكْفَتْ لِلْحَرْبِ صَفَرَ

إِنَّمَا قَابَلَتْ جِيشًا أَحْلَتْ
 تَرْنِمَ فِي الصُّفُوفِ إِذَا تَدَانَتْ
 فَصَبَحَنَاهُمْ بِالْخَيْلِ قَبَا
 عَجْفَةً بِشَأْرِ الْحَقِّ قَامَتْ
 عَلَيْهَا كُلُّ أَرْوَعِ مُصَرَّئِنِي
 فَأَعْذَرْنَا وَلَمْ نَعْجَلْ عَلَيْهِمْ
 وَقَلَّتْ أَلَا احْتَنَوا عَنِي دِمَكْمَ
 وَلَسْتَ بِعَسْرٍ فِي ذَاكَ حَتَّى
 وَحَلَّتْ لِي دِمَاؤُكُمْ بِحَقِّ
 وَقَطَعَ الزَّرْعَ وَاسْتَرْجَبْتُوهُ
 فَقَمَتْ عَلَيْكُمْ حَقا وَقُولِي
 وَقَدْ كَنْتُمْ زَمَانًا فِي فَسَادٍ
 وَقَلْتُمْ إِنَّهُ يَخْفَى عَلَيْنَا
 وَإِنْ صَرْتُمْ لِي مُحَمَّدٌ حَكْمِي
 سَلَّمْتُمْ مِنْ صُرُوفٍ سِجَالَ حَرَبِي
 وَلَا فَسَابَتُوا لِلْحَرَبِ إِنِّي
 فَقَدْ أَعْطَيْتُ الرِّزْحَنَ نَصْرًا
 وَجَبَشَ لِي لَا يُسْرَامُ إِذَا التَّقَبَّنَا
 أَضْرَرْتُ عَلَيْكُمْ وَأَشَدَّتُ بَاسًا
 فَحَزَبَ اللَّهُ مُنْصُورٌ قُوَّى
 وَأَمْرَ اللَّهِ يَقْدِمُ كُلُّ أَنْتَرٍ
 أَنَابِنْ عَمَدَ وَأَبِي غَلَيلٍ

كما يُحذى المثال على المثال
على من رام خدعني واغتيالي
أنساني يتغى مني نسولي
وأصبر عند معركة النزال

بحذوهم لعمركم احتذاني
أنا الموت الذي لا بد منه
وغيث للسولي إذا ولسي
أخوض إلى عدوه كل هول

وله أيضا عليه السلام:

غراء لا تبل على الدهر
حرواحتي الله لدبي بدر
احكمها صاف من الفكر
تربيده قدراعلى قدر
فإنما أفضل ما ذخر
فأمراه جار على الأمر
قبل مجال النفس في الصدر
تقبك حر النار والجمر
أمنت هول البعث والخسر

هل لك في الأكرومة البكر
هل لك في مثل مقام الآل
هل لك في عزمه ذي نية
هل لك في هضبة ذي صولة
هل لك في الجنة من حاجة
هل لك في الرهن من رغبة
هل لك يا مشغول في توبه
هل لك في رجمة ذي توبه
هل لك في أمر إذا رمت

وله أيضا عليه السلام:

وقل لهم قول فتنى مُسدِّد
ثم بنى قرة منهم فاعمد
في منصب عالي الذرى مسود
ثم اقصد القوم الذي لم تُقصد
ملتهب مرتعش مُطمرد
مقرء إذا نبا في الكبد

أبلغبني كعب جيما واقتدى
وأخصص قشيرا بالمقال الجيد
بسأني ذو شرف مشيد
إذا انتسب للنبي أهد
بعلق الحدين ماض مرعد
طلق الذباب قاضب مهند

فالنصر له العلي الصمد
 وأبن أمير المؤمنين المهدي
 عن أشبل من كل باع معتد
 وأورد الأدهم ضنك المورد
 وقلعت فخداه صافي الزيد
 إهاب نار في الهوى مصعد
 جم القروم في اللقا ملبد
 أنيل باغي الخير مني المجتدي
 أنيله جم الذي تحوي يدي
 والضيف إن حل بليل بلدي
 ولا بطيء بالقرى المسرهدى
 وبات ضيفي لاصقاً بالجند
 موسداً كمثل ماتوسدى
 أكرم ضيفي وأهين ولدى
 عربان صديان قليل السبد
 يصبح جاري بي شديد الأعشد
 إن ابن عمي رابني لم أجهد
 أعرض عن عوراه حتى يحمد
 ولم يطرق عنانه تجلدي
 أحذو على حذائهم وأقتدي
 والحمد لله العلي الأسد

فادن إذا شئت ولا تستبعد
 أنا الغلام الفاطمي الأحمدي
 أذبُ عن صحيبي كذبَ الأسد
 أثني إلى الموت عنان الأجرد
 كانه إذا جرى في الفَدْفَد
 وقد علاه كالركام البرد
 أكره في عسکر ذي عدد
 أوقدنار الحرب إن لم تقد
 بغشه إذا أتى مسترفاً
 ولا أخيه عليه لفدي
 فلت بالملائحة المسترفة
 ولم أبُت بمنزل عهد
 أوثره من فُرشي بالجند
 مكرماً مقرراً لم يبعد
 مابات لي جار قديم الأبد
 فبت شبعان كثير اللبد
 أمنعه الأدنسى وشر الأبعد
 وإن يرذ جاري فناء العدد
 ولا أرى لذاك بالمرد
 بفضل آباني أروح مرتدى
 مجدار فيما ساميًّا في العدد

وله أيضاً عليه السلام:

حتى تفاصن جلاج كل رتاج
 حتى تصال معالم الأفلاج
 حتى تقسيم ثابيل المهاج
 نسل الوصي ضياء كل سراج
 كم تألفون مضاجع الأزواج
 فعل الكرام وصلة الأحراج
 نحو العدو بعسكر عجاج
 ألف الدلوف مظفر مدلاج
 بعساكر كتراكم الأمواج
 والموت شيمتهم على المهاج
 برق تلوجه في ظلام داج
 في القسطلبن تجول تحت عجاج
 بالمرهفات وبالقنا الولادج
 ذيل المقام بالسجع الدراج
 أهل السفاهة من بنى الأعلاج

تضو السيف وتسمى لمحمد
 بالجرد تقدمها الحروف شوارعاً
 ونجكم البيض البوادر فيهم
 نحن الثقة بنو النبي محمد
 آل النبي متى يكون قيامكم
 رهط النبي تشرموا وتأبهوا
 آل النبي متى تروح خيولنا
 جم الصواهل في السلاح مدجج
 فيه الغطارة الكرام أولوا النهى
 والدارعون أمام رهط محمد
 تزهو السوانح فوقهم فكانها
 تردي بهم غرّ الجياد لدى الروغى
 يهونون نحو عدوهم لجهادهم
 آل النبي فأدرجوا القتالهم
 كم يركبون ظهوركم ورقابكم

وله أيضاً عليه السلام:

وقد كنت فيها قد مضى غير ظالم
 إلى اليعملات الناجيات الرؤاسم
 صبوراً على برد الموى والسمائم
 وفيه مقال عاف قول ضائم
 لآل رسول الله أعلم هاشم

أثانا كتابْ منك فيه تحامل
 تشير بما ضمته من تحية
 تقدب به حاله البيد ناجياً
 فأشهدى سلاماً منك فيه فسرنا
 وقد قلت لولانعمة وصنائع

وكنت هم في الحق غير ملائم
من الناس إلا كلّ ولهان نائم
أخي غفلات عازب القلب أائم
وصدق ما يأتي به كل قادم
وليس على ما قلت دين بسالم
هتفت به عنا فأضفاث حالم
متين القوى جلد على كل هاجم
إذا نزلت بالناس إحدى العظام
تدلىت في بحر الردى المتلاطم
ولم يصف منك العيش ماعشت فاعلمون
ذوو الباقيات الصالحات الخرائم
من انجاب يحيى بن الحسين بن قاسم
وكنت عليه ثابتًا غير رائم
وجدد بما أعمل العمل والفنان
له خطرات ألحقت بالمكان
سيدرك ما قد فاته كل حازم
وصدقت فيه قول أهل النائم
وتفسد إن حلتها نفس نائم
فكن في صيم الحق أول قائم
ترى نك وارفض زائلاً غير دائم
ولو كنت مشدوداً لها بالشكان
به تنبع واستمسك بهدي الدعائم
لبدلت نهاهم جحوداً وبغضه
وهذا مقال لا يقول بمثله
بعيد من التقوى قريب من الهوى
إذا كنت إن سمعت بغياً قبلته
سمعت الذي لا تنتهي فوعيته
وتذكر عنفاً بالرياضة والذي
وما الحر إلا صائب متجميل
حول لما حلت من عظيمة
إذا كنت للأقوام كهفاً ومنولاً
ولم يصف منك العيش ماعشت فاعلمون
فلليس كما أهل الديانة والتقوى
فأنت على ما قد عهدت فتق به
إذا أنت عاودت الطريق ولم تخز
 وإن قلت إني قد سبقت فلا تهن
في سارب مسبوق جرى فتقدمت
تعوض بعزم منك مافات إيه
ودع عنك أمراً إن لزمت بحيلة
حملت عليك الهم والغم والعناء
ولن يدرك الدنيا ولا الدين بعدها
فلا تفصح في الناس واربع إلى التي
ويقاد لما يرضي إلهك واخشه
وبتب وأتّب واستغفر الله واستعن

وُلْذِيَّالهُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ وَاصِمٍ
دُعَاَتِ إِسْلَامٌ لِكُلِّ مَسَالمِ
ثَقَاتٍ وَآسَاسِ الثَّقَاتِ الْخَضَارِمِ
قَهَّاقَةً^(١) أَبْنَاءَ تِلْكَ الْقَهَّاقِمِ
ذُوو الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ عَنْدِ التَّفَاقِمِ
إِمامٌ هَدَى مَাযِّحَ لِظُلْمِ التَّظَالِمِ
فَاضْحَى كِتَابُ اللهِ عَالِيُ الدِّعَائِمِ
عَلَى رَغْمِ نِكَسِ كَافِرِ الْقَلْبِ غَاشِمِ
وَرَدَتْ بِهِمْ لَهُ زُورُ الْمَظَالِمِ
إِمامٌ هَدَى بِالسِّيفِ ماضِيِّ الْعَزَّازِمِ
لِيَوْثُ لَدِيِّ الْمَهِاجَاعِنْدِ التَّصَادِمِ
كَصُولَاتٌ أَسْدُ مَطْلَقَاتٍ ضَرَاغِمِ
جَمِيعُ الَّذِي تَهْوِي وَفِوزُ الْمَقَاسِمِ
يُبُورُثُ مِنْكَ الْقَلْبُ حَسْرَةَ نَادِمِ

وَعَادُ مَمَادِيْمَ وَوَالَّذِيْمَ
فَلَانِئِمْ حَسْنَ حَسْنِ وَعُدَّةَ
بِهِالْيَلِ بَشَامُونَ آلَ مُحَمَّدَ
ذُوو الدِّينِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْفَضْلِ وَالْمَهْدِيَ
ذُوو النَّهْيِ عَلَيْهِ يَسْخُطُ اللَّهُ رَبِّهِمْ
بْنُ الْقَاسِمِ الْمَهَامِ ذِي الْفَضْلِ وَالْتَّقِيِّ
بِهِمْ يُؤْمِنُ الْإِسْلَامُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ
وَأَضْحَتْ حَدُودُ اللَّهِ تَوْجِدُ كَلْهَا
وَأَضْحَى طَرِيقُ الْحَقِّ أَبْلِجَ وَاضْحَا
وَأَظْهَرَ دِينَ اللَّهِ بَعْدَ خُولَهُ
نَجْوَمُ سَمَاءِ يَقْنَدِي بِفَعَالِمِ
يَصُولُونَ بِالْيَيْضِ الْبَوَاتِرِ وَالْقَنَا
فِي مِثْلِهِمْ فَارِغُ هَدِيَتِ تَلِّ بِهِمْ
وَإِلَيْكَ وَالرَّأْيِ الْفَسِيفِ فَإِنَّهُ

وَلَهُ أَيْضًا عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وَرَحَّتْ عَنِ الْغَوَايَةِ وَالْتَّصَابِ
هَجَرَتْ دِيَارَ زَيْنَبَ وَالرِّيَابِ
فَصَارَتْ مُثْلِ تَعْرِيَجِ الْكِتَابِ
وَلَمْ أَجْزَعْ لَأَطْلَالَ تَمَقَّتِ
أَحْنُّ حَنِينَ ذِي دَنْفِ مَصَابِ
وَلَسْتُ إِلَى مَوَاصِلَةِ الْغَوَانِيِّ
أَمِيلٌ إِلَى الْمَرْوَةِ وَالصَّوَابِ
نَهَانِي الْعِلْمُ مِنْ هَذَا الْأَنِي

(١) في السيرة: قيامة، مصحفة. ولعل الصواب ما أثبت. لأنَّ القيامة هو السيد الكبير الخير، كما في لسان العرب. مادة: قمم.

وما فيها يصيّر إلى ذهاب
 حدبُ أعوجي كالعقاب
 يقدَّم الهم بعد طلِّ الرقاب
 كنجم الصبح يلمع كالشهاب
 وطعنني بالمقنة الصلاب
 وتذليلي هامات صعب
 إخاء منك ليس بذمي ارتياه
 لنا من دون بابك من حجاب
 نقول لقد أتى وجه الجواب
 عليك وحق جد أبي تراب
 إلى العشرين حين القرن كاير
 فهذا أعجبُ العجب العجائب
 يخوض إلى المايا كالذئاب
 لصياد شاك ما بين الشعاب
 وقيل فيه لم يبك بالمحاي
 بسداركم عززنا بالضراب
 وما كان قلقنا بالذهب
 وقد كان ظنك غير ناري
 كذبي جذع مقالة ذي اهتياه
 قتال عدونا من كل باب
 نهضنا للطuman وللضراب
 وفرت عن لقا آساد غاب
 وأعلم أن ديناناجيما
 فهمي هيكل نهد طمر
 ودرعي كالأشاه ونصل سيفي
 ورعسي ذابل فيه سنان
 وكري في المحافل كل يوم
 وضربي في الوغى والموت دان
 تصدنا نحو يتيك واعتقدنا
 وما كان نظن إذا قصتنا
 فقلت لنزلي شفل وكنا
 فكتا عاذرين ولم تقبل
 وقد كان طلبنا منك قوما
 فلم تتعلّق وقلت لنا عصونى
 وتزعم أن عندي كل ليث
 وإن كلب رأى صيداً أطاعوا
 فهذا طاعة حدثت لظني
 وشمّ زعمت لو كان أقمنا
 فما كان عجلنا في خروج
 بعشان حوكم سحر الكفر
 فلجلجت الحديث وقلت قولًا
 وغالت خيلكم لما طلبنا
 وكنا نبتغي حرباً فلما
 مضت للصيد تبغي كل ظبي

وقال أيضاً عليه السلام:

ألا قد أرى والله أني ميت
 وأني موقوفٌ على كل زلة
 وأني ليوم يشوط الطفل هوله
 وأني في الدنيا غريبٌ مسافر
 فما نس عن دار الفناء فأعرضي
 متى ترباني ياخلي قاتلها
 على أزرني يزداد عفواً كانه
 تحف به خيلٍ يهانة لها
 قروم أجبوا الله حين دعاهُمْ
 فباعوه دنياً أيقروا بفناها
 فما زالت الأخبار تطرق أنه
 فيما حسنها خيلاً وفي بيان غارة
 يسرون نحو الملحدين وكلهم
 بهاليل في المياجا أسودٌ هواصر
 كرام المساعي لم تشئهم فعائل
 إذا لقحت حرب وحكمت القنا
 وطار فراث المهام تحت ظلها
 وناديت همداناً وخولان كلهم
 فخاضوا غير الموت في مرجحنة
 تذكرني نياتهم خير عصبة
 من أصحاب بدري والنمير وخيبر

وأني معموت وأني عاصب
 وأني إن لم يغفر الله عاطب
 وتشهد فيه أرجل الخلق راهب
 وكل غريب لا حاله آيب
 فإذاً في دار الإقامة راغب
 بنصر إله الحق في الكف قاخص
 إذا ما جرى أحوى الجناحين ساغب
 على المول إقدام ليوث طوالب
 بأيامهم بيض حداد قواصب
 بجنة خلد حفتها المشارب
 سينصرنا منهم جيوش كاتب
 وكلهم في النصر الله دائم
 بشار كتاب الله والحق طالب
 إلى الموت نهاضون والموت رائب
 حماة الدين الله غرّ أطايسب
 وقضب بالبيض العناق المناكب
 وشاب من النكس الجبان الذوابب
 ومدحّج والأحلاف والله غالب
 إلى وقد ضاقت هناك المذاهب
 من الناس قد دفعت عليها الجنائب
 وأخذ لهم في الحق قدماً مناقب

فَتُعْلَمُ فِي الْفَجَارِ كُلُّ مَهْنَدٍ
وَنَظَهُرُ حُكْمُهُ اللَّهِ بَيْنَ عِبَادٍ
وَتَذَهَّبُ جَوَاعَةُ وَغُرْبَى وَعُصْرَةُ
وَيُحْيَا كِتَابُ الله بَعْدَ مَاتَهُ

وَقَالَ أَيْضًا عَلَيْهِ السَّلَامُ :

غَطَّتْ عَلَيْهِ وَلَاهُ الْجَسُورُ بِالْجُنُبِ
أَلَّا الرَّسُولُ فَكَلَّ غَيْرُ مَكْتَبٍ
وَاللهُ يَعْطِيَ جَزِيلًا كُلَّ مُخْتَبٍ
وَلَا تَكُوفُ الدِّينَ اللهُ ذَا غَضْبٍ
سَنَّ الرَّسُولُ كَصْفَحَ الصَّارِمَ الْحَدْبَ
مِنْ لَهْ حَسْبٌ قَدْ صَبَنَ بِالْأَدَبِ
نَحْوُ الْحَجَارِ عَلَى الْمَهْرِيَّةِ التُّجَبِ
مَاضِيَ الْعَزِيمَةِ بِالْتَّقْرِيبِ وَالْجُنُبِ
عَنْ نَاصِحٍ هُمْ ذُو مَنْطَقَةِ فَرِبٍ
يُوْمَ الْمُلْكِ يُرْمَ بِالْتَّقْصِيرِ فِي الْعَرَبِ
قَدْ غَابَ جِهَـا وَمِنَ الْقَلْبِ لَمْ يَغْبَ
وَكَيْفَ حَفْتُمْ عَلَى مُثْلِي بِلَا سَبَبٍ
حَذَوَ النَّبِيُّ وَقَدْ أَعْنَتُ فِي الْطَّلَبِ
عَنِي سَبِيْفُكُمْ فِي سَاعَةِ التَّعَبِ
قَبْلَ الْبَرَاهِينِ هَذَا أَعْجَبُ الْعَجَبِ

نَامَ الْحَطَلُّ وَعَيْنُ الدَّهْرِ فِي تَعْبِ
وَالنَّاسُ فِي غَفَلَةٍ مَا أَصَبَّ بِهِ
حَتَّى نَهَضَتْ لِدِينَ اللهِ مُخْتَبَةً
إِذْ لَا أَرِي ثَائِرًا شَاهِدَ يَنْصُرَهُ
كَيْفَ الْقَرَارُ وَقَدْ أَضَحَتْ مَعَالَمَ مَا
أَمَّ كَيْفَ يَرْضَى بِسُومِ الْخَفْفَ ذُوكَرِمْ
بِلَ أَيْهَا السَّفَرِ يَطْوِي الْأَرْضَ مُشَعِّرًا
مِنْ سَهْلِ رَيْدَةٍ مِبْدَا سَيْرِهِ عَجَلاً
أَبْلَغَ بَنِي حَسَنَ الْأَخْيَارَ مَلَكَةً
عَنْ الْخَلِيلِ الَّذِي لَمْ تَعْشُ نُوبَتَهُ
لَكِنْ بِسُودَهُمْ يَوْمًا وَحْفَظَهُمْ
أَهْلَ النَّبَوةِ مَا بَالِي وَبِالْكَمِ
حَتَّى إِذَا قَمْتَ دَاعِ بِالْكِتَابِ عَلَى
حَالَتِمْ الْحَفْضِ وَاللَّذَّاتِ وَانْقَمَدَتْ
ثُمَّ ادْعَيْتَ أَمْوَالًا غَيْرَ وَاضْحَةٍ

(١) فِي الشِّيرَةِ: وَنَمْلَا. وَلَعْلَ الصَّوَابُ مَا ثَبَثَ.

ضعف ولا خان من والاه بالكذب
 لكن فعال فعال الوالد الحدب
 إلف الخمور إلى الطنبور والطرب
 ولم يكن صادقا في سالف المخسب
 ومن أحق بقول الزور والكذب
 منه الجسواح بالبهتان والريبة
 سترتها برقات غير معتلبة
 إذ أنتم عندنا في موضع القطب
 ومالكم من قربات ومن نسب
 من الصديق فعال السادة النجب
 والفضل فعل ذوي الأخطار والحسب
 آئي الكتاب التي تنجي من العطب
 فقمت بالخلق راع غير ذي لعب
 وإن سخطتم في إسخاطكم غضبي
 أو كان شرآ فأتأنم عنه بالجنب
 وأبذل النفس للهندية القطب
 أهل الديانة والإفضال والأدب
 ولا تجيئوا فالليس الجد كاللعب
 قد قام بالسرف في الآفاق والشهب
 ثُرِّيَا ويدعى لهم بالرشد في الخطب
 وأنتم الأسد يوم الروع والشعب
 «السيف أصدق إنباء من الكتب»

على امرئ لم يشب يوماً بهمه
 وليس مثل يداني خلة قبحت
 قبلتُ قول ملعون أخي دنس
 شيئاً لا سلم الرحمن مهجته
 الله يعلم ما قد قال من كذب
 من ذلك الفسل وابن الفسل إن نطق
 بل لو رأيت لكم عوراء فاضحة
 تحشأ وحافظاً ثابتاً أبداً
 من الرجال حقوقاً حق واجبة
 الستر شيمتنا إن زلة ظهرت
 وإن تعجب يوماً كانت معتبه
 يقول هذا كتاب الله فاتبعوا
 حقاً وقوموا بحق الله واجههوا
 أرضي إذا ما رضيتم لا عدتمكم
 إن نلت خيراً فذاك الخير يبلغكم
 أفيكم كل مكرورو ونازلة
 من دونكم أن تصابوا يا بني حسن
 بنبي عليٍ فلا تبدوا لفقارة
 ولا تقيموا على هون وحقكم
 وكيف ترضون أن تُضحى ولأنكم
 فاجعوا فلكم عز ومكانة
 فقد سمعتم حبيباً في مقالته

ومن مقال الذي الأموال في الطلب
والذكر في الله ريب غير مُرتب
أرجو من الله أهل ذرورة الرتب
خولان أهل النهى في جحفل لجب
والصيد صيد ثقيف ساعة الغضب
بحط يوماً ... لكتب
وحاطهم من شقا الأغلال واللهم
حسن الثناء كحسن الدر في الذهب
ويصبح الناس في مستعبد خصب
شمس وما سجعت ورقاء في الغرب

هذا أحق من التعنيف لي عشا
إن وإن نام عنى من يعتفني
نصبُّ نفسي لأمر الله محسبة
وسرتُ في حي همدان وتشفعها
وحاشد وذرى الأخلاف قاطبة
حزب النبي وحزبي بعده فلهم
جزاهم الله عنى كل صالحة
هذا ثانى عليكم يا بني حسن
بهم تعود ذرا الإسلام عامرة
سلام ربي عليكم كلما طلعت

وقال أيضا سلام الله عليه :

وأنى منه أتى	وخط الشيب لذاته
ودنا مني العُشرى	ومفى بعض شبابي
غير شيء يساخرني	ومضت أيامنا في
الواحد الفرد العليل	ليس يرضى بالتوانى
يَدُ أمْرِ شَمَرِي	أعلن الدعوة جهرا
نوهـا الـبرـ التـقـيـ	ارفعـ الـراـيـةـ يـهـويـ
طلـاـ مـاغـرـ الغـوـيـ	أذـقـ السـيفـ الأـعـادـيـ
نـاصـرـ دـانـ يـهـيـ	انـصـرـ الرـحـنـ نـصـراـ
أـمـرـهـ أـمـرـ دـنـيـ	إـنـ أـعـدـاءـ إـلـهـيـ
فـهـوـ مـرـضـيـ رـضـيـ	مـنـ أـتـىـ لـلـحـقـ طـوعـاـ
الـحـقـ إـلـاـ مـاشـقـيـ	لـيـسـ يـشـقـ حـينـ يـدـوـ

يتراهمى الأعوجى
جنة فيها القسى
والسلاح التبعى
خشوعها الحرب الزكى
ليث حرب يمنى
الى الدعام الأربعى
كلها مردى ردي
الطاهر الطهر النبى
فيه للوقوع دوى
عنه ينحاز الكمى
مازها حائف وخى
كمي ضرب على وي
وطمان حسنى
ومقام فاطمي
إنه داء دوى
ذو الجلال الأزلى
يشتى عنها الخمى
يرعب النكس البفى
حكمها ثامن القسى
والستان الزاعمى
إنه مصدر جوى

لি�تى قدرحت يوما
بسلاحي بين خيل
وسيف المند تعلو
والزعاف الشهب فيها
يقدم الحرب أمامي
ذو الحفاظ الثابت البر
ثم يلقاهما جوش
لم يلدني ذو المعالى
إن تلاقيني باقى
وتعاطيني ضرابا
وتلاقينا بكتاس
إن ألام يدمى من
وحاصلة وضرب
حين لا يطعن خلق
ليس يبراداه قلبى
دون أن يرضى إلهى
وتلاقى الخيل حتى
وتدور الحرب حتى
وتثال البيرض فيهم
والرماح السمر حقا
ثم يبراداه صدري

وقال أيضا عليه السلام:

وصل فضائل كانت أول الزمن
كانت مع الطاهر الهادي أبي حسن
خوض في غمرات الموت في الجنن
والنبع مرتفع بالبيض والمحصن
إلى تناوله بالذهب الحسن
عصف المودة والإحياء للسنن
في حي همدان والأحياء من يمن
إذ أنت ليث الوعي في السلم والفتنه
ما دام روح حياة النفس في البدن
إذا قمعت عداة الدين لم تهن
على المعادي له من شاء فليكن
لاموالاته في السر والعلن
لابني علي ولو أرغبت في الشن
باشه معتصم من كل ذي ضغف
تحظى به عند ذي الإحسان والمن
أوهم فأنت بصيرٌ من ذوي القطن
تحظى به عند ذي الإحسان والمن^(١)

انهض فقد أمتتنا فرصةً اليمن
وسابقات واقداماً ومكرمة
وبيوم صفين والفرسان معلمة
والروح حام وبيوم النهر وان لكم
فاتبع من اشياخك الماضين ما سبقوا
ونصرهم لأمير المؤمنين على^(٢)
وقم فزد شرفاً يعلو على شرف
فقيبك ذاك بحمد الله تعرفه
 واستغتم الأمر بهضاً يا دعام له
تحظى بذلك عند الله خالقنا
وقدمت تنصر دين الله مجتهدا
فلبس مصلح دين الله ينصره
ولا المواراة لابن الأعمسي ولا
إلا باخلاص قلب خائف وجمل
واحرص على نصرك الإسلام مجتهدا
لابد أن تؤثر الجبار خالقنا
فارفض مواطئهم واترك مودتهم
وقال أيضاً عليه السلام:
لعاك أن تشفى من الأشجان
داوي الفؤاد فؤاد ذي الإحسان

(١) في السيرة: علي، ولعلها مصححة.

(٢) سيرة الهادي / ٢٩٨ - ٣٢٢.

واعلم بأنك لن تروم شهادة
وتفسرَّم النيران بعد خودها
وتشد سرجك فوق أدهم قارح
عبد الشواشيخ النسا ذو ميعة
فك الجياد إذا أراد لخوقها
يعجب الراؤون منه إذا امشى
بحوافر ثقف ترفع خلفها
لا يشتكى شطا ولا يخشى الوجا
وترى الجياد إذا أراد لخوقها
جزل الرفائد مستهل شامخ
قصرت ثلاثة منه ثم تطاولت
رحب المناخر والقروج مقلص
يعدو بمتوبر إلى وُتّاره
درس الكتاب وجال في أرجانه
حتى تيقن ما عليه وما له
نقطت بإنعراب لها عن ربها
نادي بأوكد ما يظن فيئت
يا أمّة الكفر الذين تعمّلوا
رفضاً المهدى والحق ثم تعلقوا
وعصوا بكفرهم الإلة فأصبحوا
حتى تيّقظ من ونى الوستان
وتنّيّط عنك تخيز الحيران
طاو الأباطل ناهض ذي شأن
نهذ المّزارة سابق الميدان
صبراً ليهاته^(١) فل كل عنان
وتحار من إحضاره العينان
ملس كمثل رواسي الصفوان
يعدو بسهل الأرض والحزآن
عار النواهـ شامخ الأفغان
ضخم البوادر موثق الأركان
سبع فـعاـلـ بـذاـكـ كلـ حـصـانـ
غم الأحادي حيرة الإخوان
ذـيـ نـصـرـةـ وبـصـيرـةـ يـقـظـانـ
يـغـيـ المـهـدىـ منهـ وكـلـ بـيـانـ
وـفـانـصـاـلـ لـلـواـحـدـ المـنـانـ
آـيـ الـكـتـابـ وـعـكـمـ الـفـرقـانـ
فـرـصـ المـهـدىـ وـجـهـادـ ذـيـ الطـغـيانـ
بـالـصـغـرـ مـنـهـ طـاعـةـ الشـيـطـانـ
وـتـسـكـرـاـ بـالـفـلـلـ وـالـمـدـوـانـ
مـتـقـلـدـيـنـ سـلـاسـلـ النـيـرانـ

أغروا ظهور المسلمين بجورهم
 قتلوا الأئم وأيتموا أطفالهم
 وأنواع كل عظيمة عبهرة
 فالفسق منهم ظاهر مُبيّن
 قتلوا الضعيف فقادوه ساقطاً
 والملعون بشر حالي بينهم
 يكون من حزن وضر شامل
 عندوا وجردوا أكتين وجاهروا
 حازوا عباد الله عن أموالهم
 يالهف نفسى فالله زادني
 والله يعلم ما تركت جهادهم
 ولقد حرصت بأن لا يرى جعهم
 ولقد دعوت الناس نحو إلهمهم
 وقسمت أموال الرعية بينها
 ورددت ظالمها فعاد مسلماً

واستأثروا بمنافع العقبان
 وبعواكرائهم من النسوان
 تقضيأ لآي منزل القرآن
 والجحور فيهم أفضل الأديان
 كالشاة يفرسها بنو السرحان
 من مسلم عارٍ ومن جياعان
 متظاهرون في دولة العبدان
 رب العباد بـأنكر البهتان
 وغيـرـوـهـمـ بالظلم والعدوان
 غـيـرـاـ عـلـىـ غـمـ بـكـلـ أـوـانـ
 زـهـداـ وـلـكـنـ قـلـةـ الـأـعـوـانـ
 فـأـبـتـ عـلـىـ عـجـارـفـ الـأـزـمـانـ
 وـنـصـحتـ فـيـ قـولـيـ بـصـدـقـ لـسـانيـ
 وـنـعـشـتـهاـ مـنـ غـشـيـةـ الغـرـاثـانـ
 وـنـوـيـتـ مـنـ مـظـلـومـهاـ الحـيرـانـ

وقال أيضا عليه السلام:

المَنْيَانُ هُدِيتَ شَيْءٌ وَاحِدٌ
 لَا شَيْءٌ يَعْدِلُ وَجْهَ حَقٍ فَابْتَغُ
 اقْصَدَ رُشْدَتَ لِمَا تَرِيدُ بَعْنِيهِ
 إِنْ تَبْتَغِ مِنْ أَغْيَانَةَ عَرَبِيَّةِ
 أَنْتَ الَّوَلِيُّ أَخُو الْوَلِيِّ وَذُو النَّدِيِّ
 إِنَّ الْأَسْوَرَ إِذَا يُرَامُ صَعَابَهَا

فاطلب رُشدَتَ معانِي الأفلاج
 وارفع سلمَتَ إِرادة الفجاج
 ادرج مرادك غايَةَ الادراج
 تُقضى إِذَا حلَتْ عَلَى المنهاج
 فاترك طريق الفاسد المنهاج
 عَجمَتْ وَكَانَتْ كَالظلام الداجي

فأزيع عنها قفل كل رتاج
فينا يفرج هم قلب الراجي
وبننا نجاح حوانج المحتاج
وبننا نخاض عطامط الأمواج

وإذا ثرّام من الطريقة أسفَرَت
إن الفضائل فُرِّعت من فضلنا
وبنَا عظيم الأمر يُدرك كله
سهَلٌ علينا ما يعُزُّ عن الورى

وقال أيضاً عليه السلام:

يا أيها الغادي على عربانة
يهوي بها قصد الجراف وناشر
بلْغ سَرَّة بنسي ربيعة كلها
والذاندين عدو آل محمد

الناصرين لربهم ونبيهم
والقائمين بنصر آل محمد
والمانعين حرر لهم بديانة
إن أتاني نصحكم وفعالكم

وئامكم لإمامكم ووليكم
إن الصنائع لا تضيع لأهلها
في نصرتي حظان قد عُرفنا معاً
حظاً لدى الدنيا يعيش به الورى

ولدى القيامة في جبار محمد
يا حسي وادعة الكرام تأهباً
وبكم أططل على العذر لأنكم

صُنُوْ الرَّسُولِ الطَّاهِرِ الْمُفْسَدِ
 وَالْمَفْنَى لِكُفَّارِ باسْتِهْسَالِ
 مَعْ خَنَّةٍ دَامَتْ عَلَيَّ لِيَالِ
 بِالْخَيْلِ عَابِسَةً وَبِالْأَبْطَالِ
 نَازَرْ تُضَرِّمُ سَاطِعَ الْأَشْعَالِ
 إِنْ لَمْ أَثْرِزْ نَقْعَادَ بِصَحْنِ أَزَالِ
 كَفْعَالَ عَادِيَ فِي الزَّمَانِ الْخَالِيِّ
 وَالْحَقْ قَدْ رَفَضُوهُ بِاسْتِبَالِ
 جَحْوَافَسَوْفَ أَيْدِيهِمْ بِنَكَالِ
 مَتَّسْلَلِي شِعْرَهُ بِمَقْتَالِ
 تَقْنَادَ اَهْلَمْنَكَ لِلْأَنْقَالِ
 فِيْهِ أَطْلُوْلَ مِنْيَفَ كُلَّ طَوَالِ
 حَذَرَ الْمَشَالَ مَقَابِلًا بِعَشَالِ
 لِرَعِيَّةَ هَجَتْ بِكُلِّ مُعَالِ
 فَسَلُوْهُ يَنْطَقُ عَنْدَ كُلِّ سُؤَالِ
 يَا قَوْمَ أَمْ عُبْدَانَ أَلْ حُواَلَ
 فَضَعُوا الْجَوابَ لَهُ عَلَيْهِ اسْتِهَالَ
 بِلَ رَغْبَتِي فِي الْخَالِقِ الْمُتَعَالِ
 عِزَّ الْإِلَهِ مَعْظِمًا بِجَلَالِ^(٣)

وَكَذَلِكَ كَانَ جَدُودُكُمْ مَعَ الَّذِي
 أَعْنَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَخَا النَّهْيِ
 غَرَّ الْعَيْدِ بَنِي طَرِيفِ عَلَيِّ
 وَأَنَا الَّذِي عَرَفُوا وَسَوْفَ أَزُورُهُمْ
 وَيَكْلُ قَارِعَةً كَانَ حَبِّهَا
 لَسْتَ اِبْنَ أَحَدَ ذُو^(١) الْمَكَارِ وَالْعَلَىِ
 وَتَوَازَرُوا طَرَأً عَلَيَّ بِحَرَبِهِمْ
 فَعَنْتُوا وَمَالُوا لِلضَّلَالَةِ وَالْمُرْوِيِّ
 إِنْ يَقْبَلُوا^(٢) فَبِحَظْهُمْ أَخْذَوْا وَانْ
 كَانَ كَمَا قَدْ قَالَ شَاعِرُ قَوْمَهُ
 يَا حَامِلَ الْأَنْقَالِ إِنْكَ مِنْ غَدِ
 وَأَبِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْسِ دُعَوْتِي
 وَهَذَا هُوَ أَوْرَثَنِي الْهَدِيَّ فَحَذَّرُتُهُ
 وَنَصَبَتْ نَفْسِي فِي مَقَامِ نَاصِحَا
 هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَشَهِدُ بِيَتَا
 أَنَا أَحَقُّ بِأَمْرِكُمْ وَبِنَهِيكُمْ
 إِنَّ النَّبِيَّ غَدَأً يَقْسُومُ بِحِجَّتِي
 مَارَغَبَتِي فِيْهَا حَوْتَهُ أَكْفَكُمْ
 وَبِهِ نَعْزَّ كَفْسِي بِهِ عَزَّ أَنَا

(١) كَذَلِكَ فِي السِّيرَةِ، وَلِعِلْمِهَا ذَي.

(٢) فِي السِّيرَةِ: تَبَلُّوا، وَلِعِلْمِ الصَّوَابِ مَا أَنْتَ.

(٣) سِيرَةُ الْمَادِيِّ / ٢٢٣ - ٢٢٨.

وقال عليه السلام في مدح همدان ونصرتهم له:

طالت هواجس قلبك المكروب إذ صار دين محمد كغريب
 وشووا فأصبح ليس بالمطلوب نام الذين بهم يعز عموده
 بمشاغل ومكاسب وعنوب وتخاذلوا عن نصره وتشاغلوا
 كانت غياث الصارخ المكروب ولقد عجبت لأمر همدان التي
 وانكمشل الفساتر المغلوب والحق مُطْرَح ضعيف ركنته
 عنه تغافل مُذهل مرعوب والحق مصطخر [هم] فتغافلوا
 للحق تهض المغضب المهيب حتى متى لا تهضون بأسركم
 نصروا الرصي بكل ذات كعوب همدان أنصار النبي وبعد
 بالنصر في المكروه والمحبوب وبهم يعز الدين بعد خوله
 ويرأيه المستضعف المعیوب ليسوا كمن نقض العهود بفعله
 فهم لعمري نصري ونصي حسيبي بنصرتهم لدين محمد
 وبهم يعز الدين بعد خوله من دون كل مناصر ومعاضل
 لقياهم بلوائه النصوب وبهم يعز الدين آخر مرة
 وأخصهم بالبشر والتقريب ما زلت آملهم وأعرف فضلهم
 والله للأنصار خير مثيب لصحيح معرفي بما قد قدّموا
 بصحيح نيات ونصح قلوب نصرروا أمير المؤمنين وجاحدوا
 فازوا بحسن ثناء النسوب ونظفروا في الحق حتى أصبحوا
 بالمرد من فيانها والشيب سارت قبائل كلها للتلامم
 وبكل لبى كيبة مرهوب وذوي الجهالة من كهول رجالهم
 فيها بكل منهيد غضوب ضربوا رؤوس الناكثين وأوجلوا
 وغافل للحق غير مُصَبِّب بدماء كل مُتابِد ومعانِد

كالمجر وسط خيالها المشوب
وعشيرة المطلوب والمقصوب
أبناء كل نجيبة ونجيب
من دون كل مناسب ونبيب
وجاهم ذو المرش بالتقريب
وأعادهم من فادح التعذيب

فهُمْ أسود الحرب عند ضرائمها
والطلابون بشار آل محمد
ظني بهم خير الظنون لأنهم
شركاء آل محمد في عزهم
فعليهم مني السلام مضاعفاً
وأعوانهم يوم الحساب وهو له

وقال أيضاً عليه السلام:

فحبس بحرب لا محالة أحزمُ
بحرب العدا والله أعلى وأكرم
بسمِ فترك الحرب في ذاك اليومُ
لعمري فقلَّ الأسر يوم عرمرم
على مثنا إن كنت لا شئْ تفهمُ
فظنهم ظنُّ امرئ ليس يعلمُ
وأهل التقى في الحبس والحقُّ الزمُّ
فتحن على الهيجا أمعنى وأعزِّمُ
وفيما القنا والسايرِ المُنظمُ
لها سطوة أو تارها تترئُّمُ
تحت مثاني السايري وتفضمُ
أخسي ذعراتِ والقنا يتحطمُ
شديدُ على أعدائه ليس يظلمُ
فناهم في الحرب نازٌ تضرُّمُ
أسودٌ إلى الحرب العوان تُقْبَمُ

إذا لم يكن بدًّ من الحبس والبلا
إذا كان منافي الحبس جماعة
إذا لم يكن إطلاق من في حبوكم
إذا السلم لم يفكك أخاً من وثاقه
وفي ترك حرب القوم خزيٌّ وذلةٌ
لتن كان ظنَّ القوم في غير حربهم
الترك حرب القوم من غير هدنية
إذا القوم لم يغوا السلامة يتبا
أيترك مثل الحرب والخيل جمة
وزرق على أكبادها الموتُ شارعُ
ويبيض تللاً في الأكف صوارمُ
وكل طويل الباع ليث سميدعُ
ينهوض غيار الموت في مدحبيه
من الغرَّ مهان الكرام ذوي النهى
وخولان أهل البأس والجحود والحمى

وَمَدْحُجُ أَبْنَاءِ الْحَرُوبِ ذُوي الْوَفَا
هُمُ الْفَرَعُ مِنْهَا الثَّابِتُ الْمُتَقْدِمُ
فَإِنْ تَبْتَغُوا حَرِبي فَلَأَنِي عَارِبٌ
وَإِنْ تَبْتَغُوا سُلْطَنِي فَذَلِكَ أَسْلَمُ^(١)

ويبعث بهذه القصيدة مع كتاب إلى أبي محمد الحسين بن أحمد بن محمد العلوي
إلى نجران. وكتب إليه مع كتابه بهذا الشعر:

الْأَيْمَ إِنَّمَا هَمْسِي جَسْوَادِي	وَرْحَمِي وَالْمُفَاصِ من الدِّلَاصِ
وَنَعْشِ الدِّينِ بَعْدُ ثُوى دَفِنَـا	وَقَسِمي فِي الْبَرِّيَةِ بِالْمُحَصَّاصِ
وَضَرِبِي كُلَّ جَبَّارِ عَنِيدِ	بِأَيْضِ مُرْهَفِ فَوْقِ الْقَعْصَاصِ ^(٢)
وَلَا أَبْكِي عَلَى رِبِيعِ تَحْمِيلِ	وَلَمْ أَرْعِ المَهْوَارِبِ بِاقْتِصَاصِ
وَلَكِنَ النَّزَاعَ إِلَى شَقِيقِي	وَدَرِعِي ذِي الْخَفَاطِيَّةِ فِي الْعَرَاصِ
فَقُلْ لِأَبِي عَمْدَ ذِي الْأَيَادِي	ثَأَنَّ فَسْوَفِ يُسْعَدُكِ ارْتِبَاصِ
سَأْشِجِي ظَالِمِكِ بِحَدْرِ رَحْمِي	فَلَا يَجِدونَ عَمْرُوكَ مِنْ مَنَاصِ
بِنَفْسِي مَا اعْتَمَتْ لَهُ وَمَالِي	أَقِبَكِ بِمَهْجَتِي عَنْدَ الْحِيَاصِ
إِذَا رَعَبَ الشَّجَاعَ مِنَ الْمَوَالِي	وَهُمَّ مِنَ الْمَخَافَةِ بَاتِكَاصِ
حَلَّتْ وَفِي يَمِينِي تَشْرِقِي	أَقْدَبَهُ الطَّلِيلُ قَدَّ الْفِرَاسِ ^(٣)
أَحْلَلَ مُنْسَى سَحَابَةَ فَاطِمِي	يَوَاصِلُ رَعْدَهَا لِمَعِ النَّشَاصِ ^(٤)
إِذَا هَبَطَتْ عَزِيزَهَا ^(٥) بِسَوَادِ	تَضَائِقَ مَارِمَاهُ بِانْقَصَاصِ
فَيَسْعُشُ خَيْرَهَا قَوْمًا وَفَوَالِي	وَبِيُّلُكُ شَرَهَا مِنْ كَانَ عَاصِي

(١) سيرة المدادي / ٤١٥ - ٤١٧.

(٢) القصاص: قصاص الشعر.

(٣) الفراس: الشديد والغلظ.

(٤) النشاص: السحاب المرتفع.

(٥) العزال: جم عزلاء، والعزلاء: صب الماء من القربة والراوية.

أسوة يأنفون من المعاصي
 أجابوا مُغتصبين من الصيادي
 أولو ضرب كائشاق القلاص
 سيفي المدركات لدى القلاص
 لدى الهيجا غير ذوي تناص
 وكانوا في الفجور من الجنراص
 خصال المكرمات لدى الخلاص
 وأني المرجبي لذوي الخصاص
 وأدمغ من تطاول لانتكاصي
 مُذاع في الأداني والأقصاصي
 على أهل الدَّعَارة والمحاصي
 إذا ما رُزرت أرضك بالحاصي
 وتعلم كيف صَبْري وامتعاصي
 عصوك وصارمي يُقْنِي التواصي
 سموا نحو الظنوں على احترامي
 وهتكا للحرمٍ على افتراص
 فَزُرْتُهم بـأرقع قاسمي^(١)

أنت الخيل معلمةً عليها
 وفيان إذا سمعوا صراخي
 أولشك حاشد وبنو بيكيل
 وخولان الحمامة ذوو المساعي
 وفي الأحلاف كل ثُمَى وعيز
 أطئن الناكثون بتنقض عهدي
 بـأني لم أشابه من على
 وأني لا يُرمِّم القسم مني
 ساحكم بالقرآن على الأعدادي
 أنا الحَسْنِي سيف الله حقاً
 غضبتُ خالقي فشهرتُ سيفي
 ستعلم يابن خير الخلق طرا
 الأرضي ما أصابتك باغترام
 سأعمل صَدْقي في كل حسي
 من اللعناء أهل الغدر لما
 رَجَعوا أغدر أبداً بدين الله جهلاً

فأجابه أبو محمد هذا بقصيدة بنفس القافية، وبعث بها مع كتاب إلى الإمام المادي، فأجابه الإمام بكتاب وكتب إليه بهذا القصيدة:
 أنساني كتاب منك تذكر سلوكه
 عن المال والأهلين يا بن الأطاب

ومن منهج الأجداد يا بن الذواب
بأنى ورب الراقصات الزعالب
ولست لها فدبك نفسى بناه
لعمرك ما أسلاك عن كل غائب
أمام رضاه خاب من كل جانب
ولم ينبع من مُستفطعات التواب
سوى فرض منشي الراحات السواكب
فقمت به فعل امرئ غير خائب
ودانوا بدين للكتاب بجانب
وخلف وقادم فعال المطالب
ومعرفة مني بحرب المحارب
يريقون بالبيض الرهاف القواصب
ضرروب بنصل السيف في الحق راغب
مقدسة يبغون خير المطالب
مقائب حرب عبيت لمقائب
وقد كان مسخوطاً بتلك الجوانب
قليل التقى في العهد أكذب كاذب
 بشأر كتاب الله أروع غاっぷب
 وببيض تزيل الهام فوق المناكب
 ومن شرقب صاف ونبع وتالب

بنا وبها أصبحت فيه من المدى
فإن كنت في سلو عن الأهل فاعلم
بقربك سالٍ عن أمور جليلة
وفي قرب ما يُرضي المهيمن ربنا
إذا الماء لم يجعل رضى الله ربه
واب حيراً قد تهتك ستة
لعمرك ما إن عاقني عنك عائق
فقد عاقني الأمر المؤكد فرضه
جهاد أناسٍ بذلوا الدين عنوة
فأضحوا حروباً عن يمين ويسرة
ومازلت أغزوهم بحسن بصيرة
وأغشיהם الأنصار في حومة الوغى
وكل جريء القلب ليث مهاجر
أغاروا من آفاق البلاد هجرة
فجاسوا ديار الناكرين بنية
فأضحى كتاب الله يُرضي بحكمه
 وأوطئت من قد كان ضدأً معانداً
 وسرت إلى نجران في كل طالب
 جيوشاً ليوثاً حشوها الخيل والقنا
 وزور من الشريان^(١) صفر متونها

(١) الزور: القوس. والشريان: شجر تخلد منه القسي وكل ذلك بقية الأسماء.

سمعت عوياً من بكاء الكواكب
ومن عجم حمر الجمال المصاعب
ومن غيرهم مثل الأسود الغوارب
إلى الموت إرقال الجمال المصاعب
ويغبون ثار المصطفى خير راكب
على الفرج الكمت الجياد الشوارب
كبرق تللاً أو مصايح راهب
مكانكما إن كنتا في الكتاب
أراذل كهلان وجرى الكواكب
لحبيها حقاً وبيت العقارب
وما إن له حق على يواجب
كفور لآلاتي رديء المناصب
مهين ضعيف فكره في العاقب
ولم يك أهلاً للعمل والراتب
عدوله في الغش غير مُراقب
له الويل من فعل ذليل مقارب
كذلك من لم يتضع بالتجارب
فأنشب فيه كفه بالمخالب
ولا سهل سُفيان ولا أرض مارب
إذا التقت الأقران حرب المواجب
وضاقت على الأبطال كل المذاهب
وخل بأطراف القنا في التراب

إذا هي في الجيدين حنت وأخذت
من العرب الأسد المداعيس بالقنا
ومن حي همدان وخولان جحفل
مراقب نحو الضرب في حومة الوعي
يريدون وجه الله لا شيء غيره
عليهم من الماذي كل حصينة
بأيديهم الخطي تلمع رأسه
فقل لابن بسطام وأعور حارت
رؤوساً وقواداً وإلافتاتنا
لقد دَبَّ بسطام وأكسح مَدْحَج
وأفسده صفحى وإيجاب حقه
لأنه ملعون لعين منافق
جرى إذا عُوفى ذليل إذا ابتلى
وقد كان أعطى نعمه وفضيلة
تعمل في الودغ ابن بسطام أعور
فأمكنته من نفسه بحاجة
فدلالة في بشر بعيد قرارها
وقد كان يغى قتلها وهلاكه
فلا الجوف يُنجيه ولا أرض شارك
سيعلم دجال وأحق مَدْحَج
ودارت كؤوس الموت بين حماتها
وطارت رؤوس ثم أيدي وأرجل

عليهم لعمري مُقطعات المصائب
ذووا الصبر إذ لا صبر وقت التقارب
نفع نجيع الصدر عند المضارب
ونعنعه من كل باغ ونامضب
خلاء لأذيال الصبا والخائب
وتُنصر إله الناس رب المغارب
بفتح قريب قد دنا مُقارب
 بكل كمي قاهر للمغارب^(٤)

وقل اصطبار القوم حين تراكت
بأئمَّة الدِّين آل محمد
وأثنا نكُبُّ القرن في حومة الوعي
ندود عُدَاة الحق عن دين أحد
سأترك إن دارت رحى الحرب دارهم
بحزول إلهي لا بحولي وقوتي
فأبشر هداك الله يا بن محمد
أنهض في يومين نحوك مُسرعا

وقال المادي إلى الحق لما تجهز وأمر الناس بالأهبة بالخروج إلى نجران، وبعث
إلى أبي محمد العلوى بكتاب إلى نجران، وقال في ذلك:

رآوني في الواقعف لا أحيدُ
يشبيها التأجج والوقيد
علاماً في مفارقها الحديـد
ولست سوى تاجها تُريد
يُضرـم نارها هبـ جـديـد
لكم يا أيـها القرم الشـديـد
وأكثرـهم عن التـقوى يـجيـد
ويتـبع ذـلك الكـفر العـنيـد
وخلـوه فـقالـوا لا نـريـد
شـرـائـمه وـمـن هـذا يـجيـد

الـآخـرـ العـادـلـونـ عـلـيـ لـاـ
ونـارـ الـحـربـ مـسـعـرـةـ تـلـظـيـ
وـقـدـ طـاحـتـ رـؤـوسـ الـقـومـ لـاـ
وـقـالـواـ قـدـ تـقـضـيـ ذـمـامـ حـربـ
وـقـدـ أـضـحـتـ حـروـبـكـ كـلـ نـهـيـجـ
وـلـمـ يـذـرـ الـهـدـىـ وـالـحـقـ وـدـأـ
دـعـوتـ النـاسـ كـلـهـمـ لـحـقـ
لـاـهـمـ عـلـ فـسـقـ تـوـالـواـ
فـقـلـتـ هـمـ ذـرـواـ كـفـرـأـ وـفـسـقـاـ
كـتـابـ اللهـ لـاـ أـنـ أـتـاـ

ويصبح كلنا لك يستقيد
كما فعلت بجذب اليهود
ومتبغوك ليس لهم عَدِيد
فقد أعطاني الله الحميد
ورضوانا وفضلا لا يَبْد
يُطاع الواحد الفرد الودود
ويرجع عن تعديه العين
وإن خشعت لهيتها الأسود
كما قد قال في الحرب الرَّقُود
تدخل قلبه الرعب الشديد
عليه وهو له الأمر العتيـد
فها يدرى خداش ما يصـد
ضعيفاً خانه الرأي السـديد
لكل محارب عندي مزيد
على خدثـان ما يأتي جـيلـيد
لأهل الدين والتقوى مـريـد
فـها مـثـلي يـضـرـعـ بالـنـايـاـ (١)

فـإن تـاخـذـ بـغيرـ الحـقـ ثـبـعـ
وـالـفـاعـلـمـ أـنـ أـحـرـوبـ
وـاضـحـ النـاسـ كـلـهـ حـرـوبـاـ
فـقـلـتـ هـمـ أـمـهـلـاـ هـدـيـتـمـ
عـلـىـ مـاـقـدـرـتـونـ جـنـانـ خـلـدـ
فـلـسـتـ بـتـارـكـ للـحـربـ حـتـىـ
وـيـحـكـمـ بـالـكـتـابـ بـكـلـ فـيـخـ
وـلـسـتـ بـخـاـشـعـ يـوـمـ لـحـربـ
وـلـسـتـ بـقـائـلـ مـاـدـمـتـ جـبـاـ
أـخـوـ الفـسـقـ الدـوـانـيـ لـاـ
مـنـ الـحـربـ الـعـوـانـ وـقـدـ تـلـظـتـ
«ـتـفـرـقـتـ الـظـبـاءـ عـلـىـ خـدـاـشـ
خـاهـ اللهـ لـأـقـالـ قـسـوـلاـ
وـلـكـنـيـ أـقـولـ مـقـالـ صـدـقـ
فـمـنـ يـبـغـيـ مـعـارـبـيـ فـإـنـيـ
وـمـنـ يـبـغـيـ مـسـالـتـيـ فـإـنـيـ
فـهـاـ مـثـليـ يـضـرـعـ بالـنـايـاـ (١)

ولما التحمت المعركة حيس الوطيس، وقاتل الإمام المادي قتالا شديدا، حتى
امتلا قاتم سيفه علقها، ولصقت أنامله على قاتم سيفه بالدم، قال في ذلك:
طرقت لمعرك زاهر مولاها وال Herb مُسيرة يُشب لظامها

إن الخريدة ههـا وهاها
 عند التعانق جلة وردهـا
 درع أمعانـجـيـهـاـعـرـاهـاـ
 ومـدـامـاـ حـرـبـنـدـيرـرـاحـهـاـ
 إذ سـارـيـطـلـبـ مـهـجـنـيـأـعـدـهـاـ
 شـهـاءـ تـدـفـقـ خـيلـهـاـوـقـاهـاـ
 الـقـيـنـ أحـكـمـ سـنـهـاـوـجـلـاهـاـ
 غـكـيـ الـبـوارـقـ لـمـهـاـوـسـنـهـاـ
 فـوـقـ الـفـوارـسـ فيـ الـوـغـىـ أـجـرـاهـاـ
 صـفـرـ التـرـاسـ رـمـاتـهـاـتـرـاهـاـ
 عند اـقـتـحـامـهـاـ عـلـىـ مـاسـهـاـ
 عند اـصـطـكـاكـ الـقـدـحـ منـ أـورـاهـاـ
 الـلـبـثـ أـعـرـضـ دـوـنـهـاـوـحـاهـاـ
 مـشـلـ الشـرـارةـ زـزـهـ فيـ أـعـلـاهـاـ
 فيـ الـحـرـبـ يـصـدـقـ وـقـهـاـ وـوـعـاهـاـ
 للـدـرـعـ خـشـخـشـةـ تـحـتـ صـدـاهـاـ
 والـسـرـئـقـ فـوـدـهـاـوـكـلـاهـاـ
 قـتـلـ سـنـابـكـ خـيلـهـاـأـدـرـاهـاـ
 لـهـ درـخـبـعـشـنـ أـغـرـاهـاـ
 أولـ كـائـبـهـمـ عـلـ أـخـراـهـاـ
 فيهاـ جـنـائزـ تـجـحـتـ أحـشـاهـاـ

طـرـقـتـ بـخـتـرـ فيـ الـخـلـيـ وـفـيـ الـكـاـ
 تـكـسوـ مـنـاكـبـ زـانـهاـ أـعـجازـهاـ
 أـقـنـيـ حـيـالـ فـحـلـتـيـ يـوـمـ الـوـغاـ
 نـحـنـ الـفـواـطـمـ طـوـنـاـ طـعـنـ الـقـنـاـ
 هـلـ سـأـلـتـ فـتـخـبـرـيـ إـنـ لـمـ تـرـيـ
 لـاـ الصـبـاحـ وـأـبـرـقـواـبـكـيـةـ
 وـالـجـيـشـ فـيـ أـيـدـيـهـ كـلـ عـقـيـقـةـ
 وـالـمـسـرـفـةـ فـيـ أـكـفـ حـاتـنـاـ
 وـالـخـيلـ تـنـحـطـ بـالـفـوارـسـ وـالـقـنـاـ
 جـاشـ الـخـمـيسـ وـخـنـ فـيـ رـحـاحـةـ
 نـادـواـ بـنـدـبـةـ خـيلـهـمـ فـتـقـاهـتـ
 ظـنـوـاـ غـانـثـنـاـ لـقـأـ مـادـهـاـ
 جـاشـرـاـ بـأـجـعـهـمـ لـفـضـةـ بـيـضـةـ
 حـيـ الـوـطـيـسـ وـفـيـ قـنـاتـيـ هـذـمـ
 يـاـ حـنـ - كـرـةـ - فـارـسـ مـتـدـجـجـ
 لـوـ تـشـهـدـيـنـ سـمـعـتـ فـوـرـ ثـيـابـهـ
 أوـ مـاـ يـسـرـكـ أـنـ تـرـىـنـ عـدـاتـنـاـ
 وـالـبـيـضـ تـفـلـقـ هـامـهـاـ وـحـامـهـمـ
 بـقـرـيـتـ أـنـامـلـ رـاحـتـيـ بـصـفـيـحـتـيـ
 مـاـكـانـ إـلـاـ نـطـحـةـ فـتـرـاـكـتـ
 وـانـفـسـ جـعـ خـبـسـهـمـ عـنـ وـقـةـ

أرجو جناناً دائماً مأهواها^(١)

وقال الإمام المادي إلى الحق أيضاً بعد تلك المعركة الفاصلة:

لاني في اللقاء في الحرب مهلاً	لا تلمعني فلست للروم أملاً
إنساً معاشر الفواطم قوم	لانمل اللقاء إذا ينكش تلا
فكان الضرب في اللقاء مع الطعن	وسفك الدماء نهلاً وعلا
لست عند الرُّوى وركض المطابا	إذ رأيت النجوم أفلأتدلا
داعياً بالصبر هاتي وعنى	با خليل لا تسرى وأخلا
سلوب في الطراد فوق ذرى الخيل	إذا النكس بالصبر تسل
وإذا غمرة المنايا اقْمَطَرَتْ	خُفتها بالقناة حتى تجعل
لو تراني في شكتي وسلامي	فوق طرف لقلت ليتأغل
وقد انتخبت عند ذاك عدائي	فهم في الهوان أسرى وقتل
ويكى حامي الحقيقة ليث	في مكرى أو جرت نحره نصلاً ^(٢)
وشفالي الغليل صدر قناتي	ليس وقع القنا يغادر غلا
أنسا يجيئ إذا الوطيس تلظى	واستعاظلت شمُّ الماطس خلا
ونحنا القرن للجلاد إلى القرن	زهاماً الأبطال باليض ثعل
يا بني الحارث بن كعب هلموا	قبل رقص النساء ورب المصل
قد سمعتم قول المهلل في الشعر	ينادي هناك بكرأ وذهلاً
ذهب الصلح أو تردوا كلبيا	أوغلوا على الحكومة خلا
لست من هاشم ذؤابة عجید	إن لم أرؤ السيف حتى تلا

(١) سيرة المادي / ١٧٠ - ١٧١.

(٢) في هذا البيت خلل.

وأوطني أكبادكم زمر الخيل
أحبتم قراعنا بطبّا البيض
لست بالفاطمي إن حلّت الحرب
ولم أشُف الغليل من حار كعب
بخمس عرم مطهوان
وقراع به عُرفنا وطعن
عندما أشتفي وأشفي غليلي
وأن تركت النساء يرقصن نكل^(١)

وقال المادي إلى الحق فيها كان من قتلها لبني الحارث القتلة الأخيرة شعرًا:
 إلا إن في هذا من الأمر معتبر
 وفيه وفي تصريفه تُعمل الفكر
 بأيضاً مطرور الظبا صارِم ذكر
 نحرور الذي لا هم بغضهم ستر
 وقامت به حتى تأثَّلَ واتشر
 فأفسدهم عفوبي فبعداً لمن كفر
 إلى كل تزيل من الحق في السور
 ولم ينظروا في بما به ربهم أمر
 وذلك أمر ليس يدركه البشر
 وأصبح أمر الله بالحق قد ظهر
 وما العز والتوكين إلا لمن صبر
 وإن لأهل الحق في حقهم أثر
 نهضت بحق الله أضرب دونه
 وأطعن بالرمح الرديني مقدماً
 وأظهر عدلي في المدان كلها
 غفرت لمن أخطا وبيَّن عنده
 وما نعموا مني سوى أن دعوتهم
 وأوليتهم نصحي فلم يقبلوا له
 وقاموا ليطفوا نورَه من سمك العُلْى
 وأصبح نور الله في الأرض ساطعاً
 وقد كان أقوام يظنون غير ذا
 وأيقن أن الله ينصر دينه

(١) الدعل: الخيل، والناعل: الحارث، والمداعلة: المخاتلة.

(٢) سيرة المادي / ١٧٦ - ١٧٧.

جاجهم بالييفن في قرية المجر
وخيزي وهذاك الجزايم من غدر
إليه وأمر بين ماله خطير
إليه وأشياء كباراً فما شكر
فجا غير ما يرجو وقد طال ما انتظر
بحشده واستبشار قلبك بالخبر
فما زعَّت ريح الصبا ورق الشجر^(١)

فنهن فريق في جهنم تلقت
وآخر منهم هاربٌ بمذلة
ولم يك ذا شكر لا يد تقدمت
جيبل وإحسان وشيء فعلته
ومُنتظِر بالحق صُففاً وأهلها
فإن كنت لم تحضر فأجرك واجب
فأبشر بنصر الله ما ذر شارق

وعند عودته إلى صعدة بعد تلك المعركة قال:

صعب الزمانٌ على فاستصعبت إذ
إن الكريمة مُصممٌ لا يجزع
لا تستبدلها ولا تتضاعف
ذاك المرام وخارق يتوضع
حتى بدت فيه الملالة سطع
ما إن خشت وما المثل يخشى
والله يحفظني وعندي يدفع
والرمي فيه ثياب نار تلمع
في رأسه سُم الجراش منقع
يفري الجاجم في اللقاء ويقطع
ليست ضريته لعمُرُك ترجع
داود قدرها الحكيم وبئس

للدهر لو خضع الأنام بأسرهم
إن هذا الدهر قرنٌ قاهرٌ
رام الزمان تضعي فمعنى
صبر الزمان على إذ صابرته
والصبر مني ثابتٌ مجدة
والله ربِّي والنبيُّ فوالنبي
حسي الإله ونبيِّي وصبرت
لدن الكعب عطفاً متقوّم
ومجرد ذلكُ الباب مهندٌ
ماضي الفرية في الفؤاد مقرٌّ
ومفاضة مثل الغدير حصينة

فأنت بلططف الله حصناً نفع
عند الطرداً مقلصٌ يتجمع
بحوارٍ تدع الحصى تقطع
مثل الصفةِ عكُن لا يفرز
ماضي العزيمة ثابتٌ لا يهلهل
ولدى الوقوف فلن يرى يتزعزع
إن المنيّة قد تغول وتصرخ
مدر العِراق ومن بها يترفع
وأدُل فيها كُل من يتجمع
تحمي الذمارُ مُهاتها لا تُردعُ
معكفات بالثبات تشجع
كعُ القرون فلن يُرى يتكمّع
ولدى الحروب فلن يرى يتوضّع
فيهم فجور ثابتٌ لا يُفلع
فمنى أرى البيض البروات ترتع
فيها رؤوسهم تُحرز وتقطعُ
مثلاً بمثلِي والأنوف تُجذعُ^(١)

قد ضاعفَ الخلق المدار عيده
وعجبَ عيل الشوى شنج النسا^(٢)
نهد الجرارة والأياطل لاحقٌ
ومركبٌ في الصدر مني ثابتٌ
لا يُستطار إذا القلوب تصدّعْتْ
حين المكريكرُ غير مكتَبٌ
إماتٌ خرنى المنيّة فينة
فلعلني أوطني السبايك عنوة
بعونة الرحن أملك أرضهم
حتى أفضُّ جموعهم بمقابرٍ
فيها الصواهل والبواثر والقنا
من كل ذي حزقي يسانِي إذا
من مؤمنٍ وموحِّدٍ في دينه
وأنضَ حصن ذوي السفاعة إبْهم
خانوا الإله وعطّلوا أحكامه
فيهم بتدمر وقعة في وقها
حتى يُجازوا بالذى قد قدموا

ثم أقام الهادي بصعدة حتى صلحت البلد، ولبس الناس العافية فقال في ذلك:
نام خدن الحرب من بعد الأرق واستلذ العيش من بعد شرق

(١) يقال: فرس شنج النسا. مدح، لأنَّ إذا شنج لم تسترح رجلاء.

(٢) سيرة الهادي / ١٩١ - ١٩٢.

خالف الحق عليهن العلق
 ئَذْعُسُ الْأَبْدَانَ فَالْهَمَامُ فَلَقَ
 ذاهل العقل ومرعوب صعق
 وعيالات لهم عند الفرق
 وسلاماً واثاناً وسترة
 وثياباً ومتاعاً وورق
 ورماحاً وسيوفاً ودرق
 وتعيناً فقتلنا من الحق
 يبت فيهم من جديد وخلق
 حين زال العز عنهم فامتحق
 غاص في الغرة في بحر غمغ
 من أكيل ورعا عقد غرق
 فتمدى وتألو وفسق
 فاستhana الدرب واندق الغلق
 وتمشى الذل فيهم فاتسق
 ودع المرء شباباً وانطلق
 يعجز النسر ولا المحرف الأمق
 صارت الأرصاد في كل الطرق
 جرع البحر ولو خاض الأفق
 وفق الله له العز اتفق
 ليس أمر الفسق يوماً يتفق
 وطعناتهم فيها فيهم رمت

حين ماز البيض في همات مَنْ
 ورأى الفرسان في ناديم
 وهم ما بين كليب هارب
 عاينوا الموت فخلوا دورهم
 وزروعَا وعاباً جمة
 وعيذاً ودرعوا أغنىمت
 وهم قد طرحو أسلفهم
 ثم طاروا في جبال صعبة
 وغضينا عسكر الفسق فلم
 فشفي غيظي ووْجدي ذُلْم
 شامهم ذاك الأكيل الذي
 مُرْقِي عرفت أشياعه
 عاندوا الحق ومن قام به
 أحکموا درب علاف زعموا
 أدبرت دنياهم من بعده
 ليس للشيبة تمجيد إذا
 فهو لا ينجيه مني جبل
 قد بذل البعض أيعنت وقد
 ليس بالقللت من سيفي ولو
 ذاك بالرعن نلناه ومن
 سوف أجيئ قريباً أصله
 قد غضيناهم فولوا هرباً

وفجور كان منهم قد سبق
وخطاه كل ذي رأي شفق
فتق الملعون منهم ما ارتقا
وهم أتباع أيضا من نعّق
وقد الكل جيما في وهن
مجهوده كاللبيث الخنق
أكلهم خبز النصارى بالمرق
فلواه الحق فيما قد خفق
بهم مادمت في الحرب أثق
مورد الحرب إذا أحقر الحدق
نحن جند الله في الأرض فقد
رعد العز علينا وبرق^(١)

وكتب إلى بني الحارث كتاباً غليظاً، وكتب إليهم في أسفل كتابه:
 أنا ابن عمدا وأبي عليٌّ
 وعمي خير متعمل وخاليٌّ
 كها مجذن المثال على المثال
 على من رام خدعني واغتباليٌّ
 وأصبر عند معرتك النزال
 أتاني يتنفس مني نوالٍ
 وما أنا للفسوق بذي احتفالٍ
 وإدغالي وخدع واغتباليٌّ
 فقد ذقت به شر الوبال

غضباً الله في عصيانه
 تابع الكذاب في زلته
 تبعوه فتخطوا راً شدهم
 هرج نوك رَعاع كلهم
 قد سعى في ذلكم فاستسقوا
 فاستقيموا نصب حرب إنتي
 جهلوا حرب إنتي فظنوا أنه
 قمت بالحق ومن قام معك
 ب الرجال أسد حرب سادة
 يقدمون الناس في الحرب إلى
 نحن جند الله في الأرض فقد

فَإِنْ أَوْفَيْتُمْ بِعَهْدِكُمْ أَشْتَغَلَي
 سَلَمْتُ مِنْ صِرْوَفِ سَجَالِ حَرَبِي
 وَلَا فَائِتُوا لِلْحَرْبِ إِلَيْ
 فَقَدْ أَعْطَانَيَ الرَّحْمَنُ نَصْرًا
 وَجِيشِي لَا يُرَا مَا إِذَا تَقْبَلَاهَا
 أَخْرَى عَلَيْكُمْ وَأَشَدُّ بَأْسًا
 فَحَزْبُ اللَّهِ مَنْصُورٌ قَوِيٌّ
 وَأَمْرُ اللَّهِ يَفْدَحُ كُلَّ أَمْرٍ
 إِذَا مَا قُلْتَ قَوْلًا كَانَ حَقًا

وَقَوْلِي قَدْ يُصَدِّقُهُ فَعَالِيٌّ^(١)

وَقَالَ أَيْضًا عَلَيْهِ السَّلَامُ :

يَا لَهْفَ نَفْسِي وَجْوَى ضَمَائِري
 وَكُلَّ مَطْرُويِّ الْخَاجِنُوبِ
 صَافِيُّ الْأَدِيمِ حَالَكَ الْقَذَالِ
 كَأَنَّهُ فِي الْبَلَدِ الْسَّبَاحِ
 يَغْدِوا بِكُلِّ بَاسِلِ قَمَّاقِ
 أَنَا لِعْمَرِي شَبَخَهَا الْمَفْهُومِ
 إِنْ نَلَتْ مَا أَمْلَتَ فِي حَيَاتِي
 فَلَسْتُ مِنْ أَحَدٍ إِنْ لَمْ تَصْدُرْ
 أَنَا الْإِمَامُ الْأَجَدُ ابْنُ الْأَجَدِ
 يَارَبُّ فَارِزَقْنِي جَهَادُ الْكُفَّارِ

عَلِ الرَّمَاحِ السَّمَرِ وَالْبَرَاطِ
 شَبَعَ النَّسَاءَ مَشْمَرٌ بِعَوْبِ
 عَبْبَ التَّحْجِيلِ فِي اعْتِدَالِ
 إِذَا جَرَّا الْحَذْرُوفِ فِي الْرَّيَاحِ
 يَنْبِرِ فِي حَنَادِسِ الظَّلَامِ
 أَبُو الْحَسِينِ الدَّرْبِ الْمَعْلُومِ
 مِنْ نَصْرِ رَبِّي قَبْلَ مَا وَفَانِي
 عَنِي أَفَاعِيلُ الْمَهْدِيِّ وَتَذَكِّرُ
 وَابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُهَدِّيِّ
 النَّاكِثُينَ الْفَاسِقِينَ الْفَجَارِ

في أمة سامعة مطيبة
وارزقبني وبنـي الأعـام
إقامة الحق مع الإمام^(١)
وقال أيضا عليه السلام:

سمـي جـامـع الـقـلـب	كـرـيم هـاشـمي فـاطـة
يـهـاب الـمـوـت فـي الـحـرب	رـؤـوف أـهـمـي لـا
أـرـخـف فـي الـكـرـبـا	تـرـى أـعـدـاءـه مـنـهـ حـذـ
فـي الـهـيجـاء بـالـضـرـبـ	شـجـاع يـتـلـفـ الـأـروـاحـ
شـدـيد بـاخـ الـذـبـ	رـحـيم بـاخـ التـقـوىـ
وـفـصـلـ الـحـكـمـ وـالـخـطـبـ	حـكـيمـ أـوـتـيـ التـقـوىـ
غـوثـ الشـرـقـ وـالـغـربـ ^(٢)	بـعـدـلـ الـفـانـيـ الـمـهـدـيـ

* * *

(١) درر الأحاديث النبوية / ١١٢ - ١١٣.

(٢) درر الأحاديث النبوية / ١٩٠.

الكتاب:

إثبات نسبة الكتاب:

كتاب تفسير الإمام المادي عليه السلام أشهر من نار على علم في أواسط الربيدية، فهو ليس بحاجة إلى توثيق، لأن كل من ترجم للإمام المادي وذكر كتبه، فلا يكاد يذكرها إلا وينظر تفسيره.

أولاً: الأسانيد

الأول: عن السيد العلامة مفتى الجمهورية أحد بن محمد زيارة، عن العلامة علي بن أحد السدمي (١٢٧١ - ١٣٦٤ هـ)، عن العلامة عبد الكريم عبد الله أبو طالب (١٢٢٤ - ١٣٠٩ هـ)، عن العلامة إسماعيل بن أحد الكبيسي (١١٥٠ - ١٢٣٣ هـ)، عن القاضي محمد بن أحد مشحوم المتوفى سنة (١١٨١ هـ)، عن السيد صارم الدين إبراهيم بن القاسم بن محمد المتوفى سنة (١١٥١ هـ)، عن القاضي أحد بن سعد الدين السوري (١٠٧٩ - ١٠٠٧ هـ)، عن الإمام القاسم بن محمد.

ويروي الإمام القاسم بن محمد، عن أمير الدين بن عبد الله بن نهشل، عن أحد بن عبد الله الوزير، عن الإمام التوكل على الله يحيى شرف الدين، عن الإمام محمد بن علي السراجي، عن الإمام عز الدين بن الحسن، عن الإمام المظفر بن محمد الحوزي، عن الإمام أحد بن يحيى المرتضى، عن أخيه السيد المادي بن يحيى، عن القاسم بن أحد بن حيد الشهيد، عن أبيه، عن جده الشهيد حيد بن أحد المحلي، عن الإمام عبد الله بن حزة، عن العلامة الحسن بن محمد الرصاص، عن القاضي جعفر بن أحد بن عبد السلام، عن أحد بن الحسن الكتبني.

ويروي الإمام التوكيل على الله شرف الدين عن السيد العلامة صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير، عن العلامة عبد الله بن يحيى أبي العطايا، عن أبيه يحيى بن المهدى، عن العلامة المطهر بن محمد بن المطهر بن يحيى، عن أبيه يحيى، عن جده، عن محمد بن أحد بن أبي الرجال، عن الإمام أحد بن الحسين، عن الشيخ العالم أحد بن محمد الأكوع المعروف بشعلة، عن الشيخ عيى الدين بن محمد بن أحد القرشي، عن القاضى جعفر بن أحد، عن الإمام أحد بن سليمان، عن الشيخ إسحاق بن أحد، عن عبد الرزاق بن أحد، عن الشريف علي بن الحارث، وأبي المضم يوسف بن أبي العشيرة، عن الحسن بن أحد الپھرى إمام مسجد المادى، عن محمد بن أبي الفترج، عن الإمام المرتضى محمد بن يحيى، عن أبي الإمام المادى يحيى بن الحسين.

ويروى أيضاً القاضى جعفر بن أحد، عن القاضى أحد بن أبي الحسن الكنى، عن أبي الفوارس توران شاه، عن أبي علي بن آموج، عن القاضى زيد محمد، عن علي خليل، عن القاضى يوسف الخطيب، عن الإمام المؤيد بالله، والإمام أبي طالب، عن السيد أبي العباس الحسنى، عن السيد الإمام علي بن العباس الحسين، عن الإمام المادى.

ويروى الإمام المؤيد بالله، وأبو طالب، وأبو العباس الحسين، عن السيد الإمام يحيى المادى بن المرتضى محمد بن يحيى، عن عم الإمام الناصر أحد بن يحيى، عن الإمام المادى.

الثانية: عن السيد العلامة مفتى اليمن أحد بن محمد بن زيارة، عن حسين بن علي العمري، عن محمد بن محمد الصفري، عن محمد بن علي الشوكاني، عن عبد القادر بن أحد بن عبد القادر، عن أحد بن عبد الرحمن الشامي، عن حسين بن أحد زيارة، عن أحد بن صالح بن أبي الرجال، عن المؤيد بالله محمد بن القاسم، عن الإمام القاسم بن محمد به.

الثالثة: عن السيد العلامة مجذ الدين بن محمد المؤيد عَلَمُ الزيدية الأكبر، عن أبيه محمد بن منصور المؤيد، عن الإمام محمد بن القاسم الحوثي، عن الإمام محمد بن عبد الله الوزير، عن أحد بن يوسف زيارة، عن الحسين بن يوسف زيارة، عن يوسف بن الحسين زيارة، عن الحسين بن أحد بن صالح بن أبي الرجال، عن المتكفل على الله إسماعيل بن القاسم، عن الإمام القاسم بن محمد به.

الرابعة: عن السيد العلامة حود بن عباس المؤيد، عن الشيخ عبد الواسع الواسعي، عن القاضي محمد بن عبد الله الغاليبي، عن أبيه عبد الله بن علي الغاليبي، عن محمد بن عبد الرب بن محمد، عن عمه إسماعيل بن محمد بن زيد، عن أبيه محمد بن زيد المتكفل، عن أبيه زيد المتكفل، عن أبيه المتكفل على الله إسماعيل بن القاسم، عن الإمام القاسم بن محمد به.

الخامسة: عن السيد حود بن عباس المؤيد، عن محمد بن علي الشرفي، عن الإمام محمد ابن القاسم الحوثي، عن الإمام محمد بن عبد الله الوزير، عن أحد بن يوسف زيارة، عن الحسين بن يوسف زيارة، عن يوسف بن الحسين زيارة، عن الحسين بن أحد زيارة، عن أحد بن صالح بن أبي الرجال، عن المتكفل على الله إسماعيل بن القاسم، عن الإمام القاسم بن محمد.

ال السادسة: عن السيد العلامة محمد بن الحسن العجري، عن السيد العلامة علي بن محمد العجري، عن السيد العلامة عبد الله بن يحيى العجري، عن الإمام المهدى محمد بن القاسم الحوثي، به.

السابعة: عن السيد العلامة محمد بن الحسن العجري، عن الوالد العلامة علي بن محمد العجري، والوالد العلامة الحسن بن عبد الله القاسمي، عن العلامة يحيى بن صلاح سطين، والعلامة عبد الله بن الحسن القاسمي، عن القاضي محمد بن علي الغاليبي، عن أبيه، به.

الثامنة: عن السيد العلامة بدر الدين بن أمير الدين الحوثي، عن العلامة أحد بن محمد القاسمي عن الإمام الحسن بن يحيى القاسمي، عن العلامة عبد الله بن أحد المؤيد بالله بن علي الغاليبي، بإسناده المتقدم إلى الإمام القاسم بن محمد، به.

النinthة: عن السيد العلامة محمد بن محمد المنصور، عن القاضي عبد الله بن عبد الكري姆 الجرافي، عن حسين العمري، عن أحد بن محمد الكبسي، عن القاضي عبد الله بن علي الغاليبي به.

العاشرة: عن السيد العلامة محمد بن يحيى بن المطهر، عن الشيخ عبد الواسع الواسعي، عن القاضي العلامة حسين بن محمد المغربي، عن السيد العلامة عبد الكريمة بن عبد الله أبي طالب، عن العلامة أحد بن عبد الله بن الإمام المعروف بصاحب دار سنان، عن شيخه العلامة أحد بن يوسف زبارة، عن أخيه العلامة حسين بن يوسف زبارة، عن أخيه يوسف بن الحسين، عن أخيه الحسين بن أحد زبارة، عن شيخه العلامة أحد بن صالح بن أبي الرجال، عن شيخه الإمام التوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد، وأخيه الإمام المؤيد بالله عبد بن القاسم بن محمد، به.

أهمية مكتب الإمام الهادي

تأتي أهمية الكتب والرسائل من نواح عدّة:

الأولى: نقاط الفكر!

وأعني بهذا أنه لم يتأثر بالفلسفة اليونانية، ولا بالفكرة الاعتزالية المعتمدة على العقل التجريدي، ولم يعرج على تلك الأفكار والمصطلحات المعقّدة التي تشوّش

ذهب المسلم وتبليه، ولم يدنس أفكاره بالنظرة الوثنية إلى الإله، التي تشبهه بخلقه وعمايل بيته وبينه في الصفات، كالوجه والعين واليد والرجل... إلخ المفاهيم الوثنية، وتزره عن خرافات الجبرية القذرية، ومقالات المرجنة، وطلاسم وهرطقات الباطنية، وترهات ومقالات الرافضة، وإسفاف الصوفية، وسذاجة وغفرصات الخوارج، بل اتخاذ الوسطية من بين كل هذا الركام الهائل من الإفراط والتغريب والتناقض والسطحية في التفكير، وعمد في الاحتجاج إلى العقل ثم القرآن ثم السنة.

قال الإمام المادي مبيناً عقيدته ووجهه وتميزها عن مقالة الفرق عامة، والتي تُمثل عقيدة ووجهة جده: لست بزنديق ولا دهري، ولا من يقول بالطبع ولا ثوري، ولا مجرر قدري، ولا حشوبي، ولا خارجي، ولائي الله أبداً من كل رافقني غوي، ومن كل حروري ناصبي، ومن كل معترضي غالٍ، ومن جميع الفرق الشاذة، وننعواذ بالله من كل مقالة غالٍة، ولا بد من فرقة ناجية عالية، وهذه الفرق كلها عندي حجتهم داحضة. والحمد لله.

وأنا متمسك بأهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومبهج الروح، ومعدن العلم، وأهل الذكر، الذين بهم وُحد الرحمن، وفي بيتهم نزل القرآن، ولديهم التأويل والبيان، وبمفاسيخ منطقهم نطق كل لسان. وبذلك حثّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين، لن يفترقا حتى يردا على أرض: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، مثلهم فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى».

فقد أصبحوا عندي بحمد الله مفاتيح المدى، ومصابيح الدجا، لو طلبنا شرق الأرض وغربها لم نجد في الشرق مثلهم، فأننا أقربوا آثارهم، وأمثال مثالم، وأقول بقوفهم، وأدين بديئهم، وأحتذى بفعلهم^(١).

(١) الجواب لأهل صنعا، مجمع كتب ورسائل الإمام المادي / ١٤٤ - ١٤٥

الثانية: تناول مواضيع ساخنة:

كما أسلفنا لم يكن التأليف عند الإمام حالة ترف فكري، وتأليف من أجل التأليف، أو أنه كان يتناول مواضيع مألوفة وأفكاراً مكرورة، بل إن المواضيع التي طرحتها والأفكار التي نفذها وفتحها، كانت مواضيع ساخنة وتساؤلات مشروعة، ورؤى معروضة بشكل مستفز، وكانت أكثر المواضيع حساسية في ذلك العصر، ولا زالت إلى عصمنا هذا.

الثالثة: أصلحة الحجج:

لم يعتمد الإمام المادي في استدلالاته على حجج غير ناهضة بالمقصود، ولا على حجج دخلت على الفكر الإسلامي، وإنما اعتمد الحجج الأصلية من صريح المقول وصحيح المقول.

نظريته للقرآن

القرآن عند الإمام هو ما بقي من وحي في هذه الدنيا، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه، فهو محفوظ بحفظ الله، وهو العزاء الوحيد عن ضياع مواريث النبوات الأولى، ففيه الهدى والنور.

نظريته للسنة

السنة عند الإمام المادي عليه السلام هي ما وافق القرآن، فما خالفه فهو مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال الإمام المادي: وما رُوِيَّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – من الفروع التي جاءته عن الله عز وجل وببارك تعالى، حتى يقال إنها من السنة – فَلَمْ يَشَهُدْ لِهِ الْكِتَابُ، وَلَمْ يَوْجُدْ فِيهِ ذِكْرًا مُفْصَلاً، أَوْ مُعْجَمًا مُؤْصَلاً ثَابِتًا، فَلَيْسْ هُوَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ مِنَ اللَّهِ فَلَمْ

يقله رسول الله، وما لم يقله رسول الله صل الله عليه وأله وسلم وبمحكيه عن الله، فهو ضد السنة لا منها، وما لم يكن منها لم يجز في دين الله أن ينسب إليها.

فآيات الكتاب هي الأمهات، لشائع ستة المرئات، والأمهات فهن المحكمات، وإليهن ترد المفصلات.

ومن الشواهد لما جاء من الروايات، مما حكى من السنن المبينات، وفي ذلك ما يقول رسول الله صل الله عليه وأله وسلم: «سيكذب عليٌّ كما كذب على الأنبياء من قبلي، فما أتاكم عنني فأعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فهو مني وأنا قلت، وما خالف كتاب الله فليس مني ولم أقله»، يريد صل الله عليه وأله وسلم: أن ما وافق الكتاب مما روی عنه من الأحكام، ومن شرائع الإسلام، فإنه منه أخذ، وإن جاء به عن الله، وما خالف الكتاب فليس من السنة التي جاء بها عن الله، لأن جميع الولي الذي جاء عن الله سبحانه من السنة والقرآن، فهيا شيتان متشابهان متفقان، لا يتضادان أبداً ولا يفترقان^(١).

والسنة عند الإمام المادي عليه السلام نزلت من عند الله وحيًا كما نزل القرآن، وهي شارحة ومفصلة بحمل الكتاب العزيز، قال الإمام المادي: فزعمت هذه الأمة، أو من قال بذلك منها: أن ما كان في الكتاب ناطقاً موصولاً، فهو من الله فرض مفترض، وما كان من تفريع الأصول، وتمييز ما ميز صل الله عليه وأله وسلم من الفصول، فإنه منه لا من الله، وأنه فعله لا فعل الله، ثم سموا ذلك الفرع ستة، وأخرجوا معنى السنة من الفريضة، وتوهوا أن ذلك كما قالوا، ولم يعلموا ما عليهم في ذلك، حتى حكموا به وسموه كذلك.

(١) بجمع كتب ورسائل الإمام المادي / ٥٦٧ - ٥٦٨.

فليا عظم الأمر، وجل الخطط، ورأينا الملكة واقعة بهم، والضلال شاملة لهم، رأينا أن نفسر قول القائل: (سنة)، ونشرح ما السنة؟ وكيف كان تفريع رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم ما فرع من الأصول المتزلة، التي جاءت في كتاب الله سبحانه مجملة.

فقلنا: إن رسول الله عليه السلام لم يكن ليختنع أمراً دون الله سبحانه، وأنه كما قال صلى الله عليه وأله وسلم حين يقول: «إِنَّ أَثْيَرَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ» [الاحقاف: ٩]، وكما قال عليه السلام: «وَتَنَاهُ أَنِّي مِنَ الشَّكَلَفِينَ» [رس: ٨٦].

من ذلك ما قلنا به من قول الله: «وَأَقْبَلُوا الْمَلَائِكَةُ وَأَتَوْ أَلْذِكْرُ» [البر: ٤٣، وغيرها]، فنزلت هاتان اللفظتان في القرآن موصليتين، وجاءتا فيه بمعنىين، فاحتفلت الصلاة أن يصل كثيراً أو قليلاً، إذ جاء عملاً، ثم فسر الله ذلك على لسان جبريل، كما نزل على لسان القرآن الجليل، فجعل الله الظاهر أربعاء، والعصر أربعاء، والمغرب ثلاثة، والعتمة أربعاء، والصبح اثنين، فيبين لنبيه صلى الله عليه وأله وسلم تفسير ما جاء في كتابه عملاً، من أمره بالصلاحة جزماً، ولم يكله إلى أن يتكمه في ذلك تكمها، ولا أن يتبخبط فيه صلى الله عليه وأله وسلم تخبطاً^(١).

وقال الإمام المادي: والكتاب فهو جزء من وحي الله وأحكامه، وسته جزء آخر من وحي الله وتبيانه. فسمى الوحي الذي فيه أصول المحكمات من الأمهات المتزلات قرآن، لأنه جعل الأصول إماماً وقواماً، وللفرع المفرعات أصولاً وتبياناً. وسمى الجزء الثاني من وحي الله عز وجل وفرائضه سنة وبياناً.

والسنة فهيه: سنة الله عز وجل، وإنها نسبت إلى رسول الله صلى الله عليه وأله

(١) جمجمة كتب ورسائل الإمام المادي / ٥٥٥ - ٥٥٧

وسلم على مجاز الكلام، إذ هو المبلغ لها، والأكثري عن الله سبحانه بها، كما يقال للقرآن: كتاب محمد، وكما يقال للإنجيل: كتاب عيسى، وكما يقال للتوراة: كتاب موسى، قال الله سبحانه في ذلك، وما كان من الأمر كذلك: ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُّوسَى إِنَّا هَدَيْنَاكُمْ بِمُصَنَّدِقٍ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [موسى: ١٧]، فـسـاءـ كـاتـبـ مـوسـىـ وـنـسـبـ إـلـيـهـ، وإنـاـ هوـ كـاتـبـ اللهـ عـزـ وـجـلـ الـذـيـ نـزـلـ عـلـيـ مـوسـىـ . وكـذـلـكـ جـمـرىـ السـنـةـ فـيـ قولـ القـائـلـ: سـنـةـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ، يـرـيدـ سـنـةـ اللـهـ، وـعـنـىـ سـنـةـ اللـهـ، فـهـوـ فـرـضـ اللـهـ وـحـكـمـهـ، وـتـبـيـانـهـ لـدـيـنـهـ وـعـزـمـهـ، قـالـ اللـهـ جـلـ جـلـالـهـ: ﴿ شَئْ اللَّهُ أَنْ يَفْعَلْ فَلَمَّا خَلَقَ فِي عِبَادِهِ وَغَيْرَهُ فَهَنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٥]، يـرـيدـ سـبـاحـانـهـ بـقـولـ: ﴿ شَئْ اللَّهُ أَيْ ذَكْرُ اللَّهِ وَفَعْلُهُ، وَصَنْعُهُ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرُهُ ﴾^(١).

وهـنـاكـ مـفـهـومـ لـسـنـةـ عـنـدـ الإـمامـ المـاـدـيـ، وـهـوـ مـاـ كـانـ يـرـاهـ النـبـيـ صـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ رـأـيـاـ، لـاـ يـسـنـدـ إـلـيـ اللـهـ، قـالـ: وـلـيـسـ مـاـ كـانـ مـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ مـنـ فـعـلـ أـوـ اـخـتـيـارـ جـاءـ بـهـ عـنـ نـفـسـهـ مـنـسـوـبـاـ إـلـيـ اللـهـ وـلـاـ عـنـهـ، وـلـاـ مـشـابـهـاـ لـشـيـءـ مـنـ أـحـكـامـ السـنـنـ. بلـ قـدـ كـانـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ إـذـ رـأـيـ رـأـيـاـ، وـفـعـلـ فـعـلـاـ مـاـ لـيـسـ هـوـ فـيـ بـمـخـالـفـ لـسـنـةـ وـلـاـ لـكـاتـبـ، بـيـنـ ذـلـكـ عـنـ نـفـسـهـ، وـأـخـبـرـ أـنـهـ لـيـسـ مـنـ رـبـهـ.

مـثـلـ مـاـ كـانـ مـنـهـ صـلـ اللـهـ عـلـيـهـ فـيـ الـجـدـ الـذـيـ لـقـيـهـ بـالـجـحـفـةـ رـاجـعاـ مـنـ حـجـةـ الـوـدـاعـ، قـالـ: يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ، إـنـ اـبـنـ اـبـنـيـ مـاتـ، فـهـاـيـ (ـمـيرـاثـ) مـنـ مـالـهـ؟ فـقـالـ عـلـيـهـ السـلـامـ: لـكـ السـدـسـ، فـلـمـاـ أـبـتـدـ الشـيـخـ رـقـقـ عـلـيـهـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـرـحـمـهـ، لـمـ بـاـنـ لـهـ مـنـ ضـعـفـهـ وـقـلـةـ حـيـلـهـ وـكـبـرـ سـنـهـ، فـرـدـهـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ

(١) مـعـجمـ كـبـ وـرـسـائلـ الـإـمـامـ المـاـدـيـ / ٥٦٧ - ٥٦٦.

وسلم، فقال: لك السدس الآخر، فلما أن مرضى الشيخ وأبعد رده رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم ثانية، فقال له: إن السدس الثاني مني طعمتك لك، فيبين صلى الله عليه وأله ما كان منه، وبين ما كان من الله، فلما أن قال: السدس الثاني طعمتك مني، علمنا أن السدس الأول حكم من الله.

ومثل هذا مما كان من رأيه وفعله، ولم يأته في كتاب الله ولا سنته، مما كان يستحبه وي فعله من نوافل صلواته، وتبعده من بعد الفرائض المفروضات لما كان يتبعه من التراويف المعروفات، اللواتي كن منه اختياراً وعبادة، يطلب بذلك من الله الفضيلة والزيادة، كان ذلك منه صلى الله عليه استحساناً ل نفسه، ولم يكن فرضاً من الله لا يسع تركه، ولا يجب على من تركه الكفر بربه^(١).

فكل ما ذكرنا من ذلك من الحلال والحرام، وشرائع الدين والأحكام، فهي من الله حقاً حقاً. وليس حالها كحال غيرها مما جعله رسول الله عليه السلام من نفسه و اختياره ورأيه، مما لم يجعل الله ولا رسوله على تاركه عقاباً مثل ما سُنَّ من الوتر، وتقليم الأظفار، وحلق الشعر، والسواك، وتعقية اللحية، وأخذ الشارب، وغير ذلك مما سُنَّ و فعل، و اختيار لنفسه من زيادات العبادة والصلوة^(٢).

نظريته لأهل البيت

إن الإمام المادي عليه السلام يعتبر انتسابه إلى أهل البيت عليهم السلام نعمة إلهية تستوجب الشكر، فهو محمد الله عز وجل وعلى «على ما منَّ به فينا وتفضل به سبحانه علينا، من ولادة النبيين ووراثة علم المرسلين»، وهم أهل الحق واتباعهم

(١) عمروع كتب ورسائل الإمام المادي ٥٦٩ - ٥٦٨.

(٢) عمروع كتب ورسائل الإمام المادي / ٥٦٣.

سبب النجاة والإللة وعากفتهم سبب الملاك والفرقة، فقد وقع الاختلاف في هذه الأمة «لفساد هذه الأمة وافتراقها، وقلة نظرها لأنفسها في أمورها، وتركها لمن أمرها الله باتباعه والاقتباس من علمه، ورفضها لأنعمتها وقادتها، الذين أمرت بالتعلم منهم والسؤال لهم، وجعلوا شفاء لداء الأمة، ودليلًا على كل مكرمة، ونهاية لكل فاضلة، وأصلًا لكل خير، وفرعاً لكل بُر، وفصلاً لكل خطاب، ودليلًا على كل الأسباب».

وهم ورثة الكتاب المصطفين وأهل الذكر الذين أمرت الأمة بسؤالهم في الحلال والحرام، «لأنهم أهل ذلك وموضعه ومكانه ومركبـه الذي ركبـه الله عليه وجعلـه معدناـه له وفيـه، اختارـه لعلـمه وفضـله عـلـى جـمـيع خـلـقه، نورـاً عـلـى نورـ، وهـدـى عـلـى هـدـى، وحـاجـزاً مـن كـل ضـلـال ورـدـى، آئـة هـادـين، ونـجـبة مـصـطـفـين، لا يـخـافـ من اتـبعـهـم غـيـاً، وـلـا يـمـشـي عـمـاً وـلـا ضـلـالـاً، مـحـجـة الإـيـان، وـخـلـفـاء الرـحـنـ، وـالـسـبـيلـ إـلـى الجـنـانـ، وـالـحـاجـزـ عنـ التـيـرانـ، ثـقـة أـبـرـارـ، وـسـادـة أـخـيـارـ، أـلـوـادـ النـبـيـنـ، وـعـتـرةـ المصـطـفـينـ، وـسـلـالـةـ النـبـيـ، وـنـسـلـ الـوصـيـ، وـخـيـرـ الـواـحـدـ الـعـلـيـ، مـشـرـبـ لـا يـظـمـأـ مـن وـرـدـهـ، وـدـوـاءـ لـا يـسـقـمـ مـن تـداـوىـ بـهـ، شـفـاءـ الـأـدـوـاءـ، وـوـقـاـيـةـ مـنـ الـبـلـاـ»، كـهـفـ حـصـينـ، وـدـيـنـ رـصـينـ، وـعـمـودـ الـدـيـنـ، وـآئـةـ الـمـسـلـمـينـ، قـوـمـ صـوـابـ بـلـاـ خـطـأـ، وـقـرـبـ شـفـاءـ بـلـاـ رـدـىـ، أـعـنـيـ بـذـلـكـ الطـاهـرـينـ الـطـهـرـينـ، وـآئـةـ الـمـادـينـ، مـنـ أـهـلـ بـيـتـ مـحـمـدـ الـمـصـطـفـيـ، وـمـوـضـعـ الـطـهـرـ وـالـرـضـىـ، الـوـافـيـنـ إـنـ وـعـدـواـ، وـالـصادـقـيـنـ إـنـ نـطـقـواـ، وـالـعـادـلـيـنـ إـنـ حـكـمـواـ»^(١).

(١) مجمع كتب ورسائل الإمام المادي / ٢٨ - ٢٩.

نظريته للصحابية

ولا أنقص أحداً من الصحابة الصادقين، والتابعين بإحسان المؤمنات منهم والمؤمنين، أتولى جميع من هاجر، ومن أوى منهم ونصر، فمن سبب مؤمناً عندى استحلالاً فقد كفر، ومن سببه استحراماً فقد ضل عندي وفسق.

ولا أسبب إلا من نقض العهد والعزمية، وفي كل وقت له هزيمة، من الذين بالتفاق تفرّدوا، وعلى الرسول صل الله عليه مرة بعد مرة ترددوا، وعلى أهل بيته اجروا وطعنوا.

وإني أستغفر الله لأمهات المؤمنين، اللواتي خرجن من الدنيا وهن من الدين على يقين، وأجعل لعنة الله على من تناولهن بما لا يستحقن من سائر الناس أجمعين^(١).

قال العلامة مجعي بن الحسين بن القاسم في كتابه الإيضاح: إن المادي جلد قوماً بصنعاء سموا أبا بكر وعمر^(٢).

نظريته للحججة

الحججة عند الإمام المادي هي العقل بالدرجة الأولى، ثم القرآن، ثم السنة الصحيحة.

* * *

(١) يم睿ع كتب ورسائل الإمام المادي ١٤٦.

(٢) الإيضاح لـأبي حفص ٢١٧.

التحقيق:

مراحل الإعداد:

كانت أولى مراحل التحقيق هو تجميع المخطوطات، ولقد حصلت بحمد الله على ثلاث نسخ من تفسير الإمام المأدي.

ثم دفعت المخطوط إلى الكمبيوتر للصف، ثم استخرجت نسخة وقابلتها مع المخطوطات.

منهج التحقيق:

تصحيح النص وضبطه:

إن أهم عمل ينبغي أن يوليه المحقق الاهتمام الكبير، هو تصحيح النص وتقويمه، حتى يكون أقرب ما يكون من نص المؤلف، خاصة كتب القرون الأولى.

ولقد بذلت جهداً مضنياً في هذا السبيل، وكنت أضطر أحياناً إلى إخلافة كلمة لتقويم النص أضعها بين معكوفين [].

وكذلك ضبطت كل ما يحتاج إلى ضبط من الكلمات التي قد تختلط منع أمثالها.

توزيع النص:

قطعت النص إلى فقرات، والفقرة إلى جمل، مستخدماً علامات الترقيم المتعارف عليها. ولأن كثيراً من مباحث الكتاب شعر متاور أو ثر مشعور فكنت قد أزمعت على الفصل بين كل سجدة وأخرى بنجمة مميزة، ثم أضربتُ عنها واستخدمت الفصلة. ولذلك فالفصلات ليست عشوائية، وإنما وضعتها حسياً أراد الإمام أن يقرأ كتابه.

ترتيب الكتاب:

كتاب تفسير الإمام الهادي جزء منه تكملة لتفسير جده الإمام القاسم الرسي، وعنه محمد بن القاسم، والذين بلغا فيه إلى سورة النازعات من بداية سورة الناس.

بلغ فيه إلى سورة المنافقين. وبقيته عبارة عن أسللة متاثرة غير مرتبة، سأله تلميذه إسحاق بن إبراهيم، وولده محمد المرتضى، وعلى بن محمد بن عبيد الله مؤلف سيرته، وغيرهم. فرتبت ذلك كله حسب ترتيب سور القرآن، ووضعت كل آية في موضعها من السورة، لتقريره وتسهيله على القارئ، وليتنظم للإمام تفسير مفرد.

قال الإمام الهادي: "فابتداًنا بشرح ما نريد بيانه من تفسير القرآن، الذي نزله ذو القوة والبرهان، من حيث أفقى إليه تفسير شيخينا رحمة الله عليهما ورضوانه، جدي وعمي، وهو من أول سورة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، وذلك أن جدي صلوات الله عليه بلغ من تفسيره إلى آخر ﴿وَالثَّمَسِ وَضُحْنَهَا﴾. ومحمد بن القاسم عمي من عند ذلك إلى آخر ﴿وَالنَّزِعَةِ﴾. فرأينا البناء على أساسهما، وإنما ما قد كانا أئملاه من شرح القرآن وتفسيره، وبلغ الغاية في شرح تأويله، إن آخرني الله سبحانه لذلك وأمهلني، وبلغني فيه أمنتي، ولم يمنعني من ابتدائه من أوله وتفسيره من أول حرف منه، إلا التبارك بذكرهما، والبناء على تفسيرهما، صلة مني لها بذلك، وتقريرا إلى الله بأن أكون كذلك، لما لها في ذلك من الأجر، وما يكتبها ذلك إن شاء الله من الفخر، في الدنيا والآخرة والذكر".

التعليقات:

الأيات:

خرجت جميع الآيات المذكورة في الكتاب.

المحدث:

خرجت جميع الأحاديث المذكورة في الكتاب من كتب الحديث والتفسير.

الغريب:

شرح الغريب من الألفاظ، والتركيب، معتمداً على معاجم اللغة وكتب التفسير.

تعليقات:

علقت على كل ما يحتاج إلى تعلق، بالتوسيع أو الاستشهاد بما يؤكد مراد المؤلف.

مقدمة:

وضعت مقدمة للتعرف بالمؤلف، وكلمة عن الكتاب.

الفهرس:

وضعت فهارساً للسور، ولم أضع فهارساً للأيات لكثرتها.

المخطوطات المعتمدة

اعتمدت في تحقيق الكتاب على ثلاث نسخ منه:

الأول: نسخة خطية بخط حسن أغلبها مهملاً من الإعجماء، كتب في آخره:

كتبه إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الحادى بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل بن الحادى إلى الحق عليهم السلام، وكان ذلك بصنعاء اليمن، برجب من سنة ست وستين وثمانين مائة. وقد رممت لها (أ).

الثانية: نسخة خطية بخط واضح حسن، ييد أنها مبتورة من آخرها، فلم أعلم بتاريخ كتابتها، الا ان خطتها من الخطوط القديمة جداً، لعلها من القرن الخامس أو السادس. وهي من جمع العلامة أبي العباس منصور بن موسى الخطابي. وقد رممت لها (ب).

الثالثة: نسخة من المصايد الناطعة الأنوار في تفسير أهل اليسع، المصلحة عبد الله بن أحمد الفزري المتوفى سنة (١٠٦٢هـ)، غير مورخة، وسبعون مائة من عصر المؤلف، وقد جمع فيها من تفسير الحادى شيئاً كثيراً ييد أنه موزع في طيات المصايد. وقد رممت لها (ج).

وهذه نماذج من المخطوطات:



الله رب العالمين نهضت العصابة الفاسدة
في مخالبها فلما أدركتها نهضت العصابة الفاسدة
التي أكرهت الله عز وجل على إخراجها في خادمة المفسد
فإن ينصر الله عز وجل على إخراجها في خادمة المفسد
ستغله الارض بغير حرام فهو من المفسد المفسد
وعلمه العظيم ما ينزل به من مخلص لسروره عليه
الشانع العز العظيم عاشقاً + داعياً في مدارك
برىء لها من قبورها تنتهي المدارك الأعلى الله عز وجل يحيط
بلهم سبعين كثباً في كل دار ودار في كل دار
ذكرها في كل دار ودار في كل دار ودار في كل دار
يا رب سار على سار على سار على سار على سار على سار

هدى الأكمان إلى حرمته
العلق العظيم المسنون بصلوة العرش المبارك
لا يهادى لا يدركه لا يدركه المركبة العظيم
السلام وسلام وسلام وسلام

أَعْلَمُهُ حَسْنَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ وَهَذِهِ الْأُنْوَافُ عَلَى مِيزَانِهِ الْمُبَرِّأَةُ
هَذَا الْكَيْمَانُ شَمِيلُ بْنُ حَمْدَلَةَ أَسْأَاعُونَ
 شَاعِرُ اُولَاهُمَّا الصَّدْوَرُ هُنَّهُ وَيَطْلَعُ تِنَاءُهُ
 عَلَى حَقَاقِتِ اهْبَاهِهِ الْفَتْرُ وَمَا اخْتَارَهُ مُلْكُهُ
 كَمْ سَعْهُمْ فَإِنَّا يَهُمْ وَسَعْهُمْ الصَّدْوَرُ هُنَّهُ قَادِرُهُ
 الْوَرَودُ وَالصَّدْوَرُ هُنَّهُ فَيَا أَنْفُكُ عَلَى مَا امْدَأْتُ لِلْمَاءِ
 بِزَغْهُمْ مِنْ غَلُومْ لِلْأَيْمَهِ الْجَهَانُ هُوَ أَوْيَاعُهُمَانُ
 اخْتَارَهُ وَهُوَ خَنْدَهُمْ بِعِرْجَنْتَهُ دِرْ
 حَوَادِثُ الدَّهَرِ وَمُجَابَتَهُ وَغَطَّامَاتُ تِنَاءَتَهُ
 إِنْ كَمْ أَمْرَ الْغَنَّ صَارَهُ شَمِيلُ بْنُ حَمْدَلَةَ
 كَمَاعُ فِي الْأَسْعَافِ يَا لِمَانِ الْمَاحِنَهُ ذَكَرَهُ
 بِحَدَّ ثَاقِتِ الْكَبِيرِ الْأَقْلَوَلِ إِلَى مَعَامِ اَنْتَهَا
 طَاسِهُ فَإِنَّهُمْ وَأَمَا إِلَيْهِ رَاجِعُوا
 كَسْرَهُ أَوْهَمَهُ مُحَمَّدُ عَسِيلُ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ الْكَيْمَانِ
 يَعْلَمُ لِمَنْ يَعْلَمُ الْمُعْلَمَاتُ أَهْلَكَهُ كَلَّهُ الْمُؤْمِنَهُ
 وَكَانَ ذَكَرُهُ مُبْتَغَى الْيَمَنِ وَرَجَبَهُ مُرْسَلَتُهُ تِنَاءَ
 دِعَانِي يَاهُنَّهُ الْحَسَنَهُ حَوَّلَهُ مِنْ أَهْلَهُ وَسَهَّلَهُ



الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)

ملهمي في العبرة بالصلوة ونحوها وآدابها وأذكارها
 فعندما يتحقق ذلك يكتسب المصلوة حلاوة وذوقاً مملاً
 أطاحه الشعور بغيرها واندفعته شفاعة العصبة
 لعمري على مراجحته لذوقها فلما تحقق ذلك
 انطلق إلى قعده فعندها وهمي سرت شفاعة العصبة
 فلما تحقق ذلك ناحوا طلاقاً وخطوا على
 منتصب شفاعة العصبة فلما تحقق ذلك
 فهمي المفود وما أطالوا فيقول ولما حمل الطلاق
 فلما تتحقق شفاعة الطلاق فلما حمل الطلاق
 في الموضع النهاية فلما حملها في الموضع
 وسائل عزفوا الله سبحانه وارجعوا
 مما زلت على دفاعها أبو إسحاق عرض له قوام عوائده
 ينتفع بأقومنه ورب الله أن ينتفع بما دفعه
 بغيره على المسلمين معزفون له سكانه وإن جتوه
 ينفعه فلما دعوه إلى ذلك هنأهم الله
 عزفه وسبحانه وسبحان الله
 لغافل عن الله وسبحان الله
 لغافل عن الله وسبحان الله

الصفحة الأولى من النسخة (ج)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كُتُبُكَ مُبَشِّرَةٌ بِرَحْمَةِ رَبِّكَ

اللهُمَّ إِذَا حَذَّلَ الْقَرْآنُ فَوْزًا هَبَّا بِأَيْمَانِهِ مِنْ طَلَاثَاتِ الْمُصَلَّى وَنَفَخَهُ وَسَانَهُ إِلَيْكَ أَعْلَمُ بِمَوْعِدٍ
وَجَعَلَ الْوَعْدَ لِمَنْ افْتَشَ بِرَبِّيَّهُ الْمَرْءَينَ دُلْغَمِزَ بِأَوْجٍ دُلْغَمِزَ جَلَّ دُلْغَلَيْهِ مُنْكَرٌ
أَوْ أَهْمَدَيْهِ دُلْلَالَيْهِ مُلْلَاعِنٌ إِنَّهُ هَدَى وَبَسَّأَ لِتَبَرُّهِ مِنْ قَدَّامَهِ أَعْلَمُ كَمْكَرَةً وَأَعْلَمُ بَاهِدَةً
أَوْ أَلَّا أَدْهَلَهُ أَسْجَدَهُ كَمْتَزِيَّكَ لَهُ فِيْكَهُ وَأَسْبَدَهُ أَهْدَأَهُ أَهْدَأَهُ وَرَسَّالَهُ أَسْكَنَهُ
أَعْلَمُ الْمُزَصِّمَ غَسَّلَهُ أَسْلَمَهُ أَنْتَ وَحْدَهُ أَسْطَانَهُ أَنْتَ وَحْدَهُ فَقَهَمَهُ بِعَيْمَهُ
وَأَسْتَحْرَجَ جَكَّهُ وَجَعْلَهُ جَمَاطَ كَمَارَهُ لِحَكَامَهُ وَخَرَانَجَلَهُ لِرَحْرَمَهُ وَالْمَجْنَلَهُ عَلَيْهِ
أَسْرَارَهُ وَغَرْلَصَهُ وَالْمَالِيَّهُ شَرْتِيَّهُ بَرِزَوْهُ لِرَبِّهِ وَالْمَالِيَّهُ لِرَفَواهُمَا لِلْمَلِكِيَّهُ
وَالْمَسِيرُ لِلْمَحْمَنِهِ الْمَدِيَّهُ لِلْمَعْلُونِهِ الْمَعْذُولِهِ الْمَعْذُولِهِ فِيْهِنَّ لِلْمَلِكِيَّهُ
الْمَذَرُ وَلِلْمَادِيَّهُ الْمَدِيَّهُ سِكَّيْرِيَّهُ جَيْلَهُ وَعَجَلَهُ فَانَّهُ مَا كَانَ تَابَ اللهُ الْمَغْزُورُ
وَكَسْحَكَهُ غَرِيْبُهُ اَفْتَأَلَهُ طَلَبَاتِهِ الْمَرْسَهُ فَالْمَغَافِلَهُ وَفِيَهُ الْمَامُ طَلَافُهُ
وَالْمَجَلُرُ وَالْمَسِيرُ وَالظَّاهِرُهُ الْمَأْوَلُ وَمَا يَحْتَلُهُ وَمَا يَغْتَلُهُ فَانْكَشَرَ وَسَانَهُ
الْمَاقَانُ وَسَعَدَهُ الْمَجَوُهُ وَلَدَكَسَنُهُ سَسَّتِيَّهُ الْمَدِيَّهُ بَنَهُ الْمَقَاهِيَّهُ فِيَهُ
شَلَّاتُهُ سَعْلَيَّهُ وَعَلِمَهُ وَلَمْ دَنَّرَ الْكَابَهُ عَلَيْهِ وَلَمْ دَنَّرَ غَلَّهُ وَلَمْ دَنَّرَ
وَمَلَّهُهُ بَشَبَهُ وَرَعَلَتَهُ بَنَهُ الْمَدِيَّهُ وَالْمَارِيَّهُ لِلَّاتِيَّهُ لِلَّاتِيَّهُ خَتَّسَهُمْهُ حَدَّهُ الْمَاءَ
هُوَ الْمَنْ فَمَرَّهُمَا إِلَيْهِ وَفَعَنَهُ فِيَهُ وَدَنَّا بَلَهُهُ لَأَيْمَانَهُ لَأَعْنَانَهُ الْمَاهِيَّهُ
الْمَبَوْقُ وَرَرَقَهُ لَأَهْلِ الْأَهْرَامِ الْمَأْفَالِيَّهُ وَرَرَقَهُ لَسَنَالَهُ الْمَاهِيَّهُ لَهُ الْمَاهِيَّهُ
رَبِّ الْمَالِيَّهُ سَبَّانَهُ بَعْدَيْهِ سَبَّانَهُ بَعْدَيْهِ أَهْبَلَهُ لَهُ وَالْمَهْمَنَهُ الْمَاهِيَّهُ
وَرَزَّوْهُ وَلَرَقَهُ اَهْلَهُ كَالْمَاهِيَّهُ اَهْلَهُ كَالْمَاهِيَّهُ اَهْلَهُ كَالْمَاهِيَّهُ وَرَعَلَتَهُ
إِذَا اسْتَغَدَهُ كَمَاهِيَّهُ زَلَّعَلَهُ الْمَلَمُ وَلَانْقَسَهُ إِذَا اخْرَجَهُ غَرَّعَفَهُ اَهْلَهُ
فَالَّذِي بَنَعَنَهُ اَسْلَعَلَهُ الْمَلَمُ وَالْعَرِيبُ مَلَّعَهُ اَسْلَعَنَهُ سَالَزَهُ اَسْلَعَنَهُ كَمَاهِيَّهُ
وَالَّذِي بَرَزَهُتَهُ وَبِلَاهُ كَمَاهِيَّهُ اَسْلَعَنَهُ وَلَاهُ كَمَاهِيَّهُ اَسْلَعَنَهُ وَكَلَلَ الْمَاهِيَّهُ وَلَاهُ
اَسْدَاهِيَّهُ اَسْدَاهِيَّهُ اَسْدَاهِيَّهُ وَلَاهُ كَمَاهِيَّهُ مِنَ الْمَوَالِيَّهُ كَلَلَ بَغْلَهُ الْمَلَمُ اَسْدَاهِيَّهُ وَلَاهُ
مَدَاهِيَّهُ اَسْدَاهِيَّهُ مَهَانَكَاهُ وَأَخْبَرَهُ الْمَادِيَّهُ فَسَرَهُ اَهْمَكَهُمْ لِرِصَالَهِ اَهْلَهُ
لَيَطَّهُتُ لِلْمَعْيَّاهُ وَكَرَقَلَهُ لَيَطَّهُتُ وَلَدَنَبَتُهُ سَرَلَكَهُ مَلَلَسَيَّاهُ اَهْلَهُ بَوَلَهُ اَهْلَهُ

الصفحة الأخيرة من النسخة (ج)

في هذه الصفحة إلى التكاليف الكبيرة بل هو دراً شهراً صریح المقلع بمحنة نافذ العقوبة
 إلى المفرأة يا الله أولاً شهداً دعوكم إلى تبرئته وتقديمه عما لا يليق به بقوله ليس
 كذلك في رؤاسته ثم أدعوكم شاهداً إلى الأقرار بكونه سوادياً بكل العلام والتدبر والحكم والرجاء
 في ذلك كذا أنا الأقرار بكونه سواداً من الشكر والشكر أدعوكم إلهاً أن الزمان
 في هذه الأوقات التي هي جاداً حسيمة لزمنها في هذا دهشان لمعجزة في الأعراض فعنها
 ثم دعكم خاصاً إلى تعظيم الأرواح الطاهرة والمتبررة وهم الملائكة والآباء وأدعوكم
 سادساً إلى الأقرارات بالبعث والتقيّة ليجري على الذين أساءوا إياها عملاً وبجربي الذين احسنوا
 للحسنة قدم لكم دعكم حاماً بعدهم إلى الأعراض من الدنس والذلة على الأشربة فهذه الأصول
 هي الأصول التورية المعيبة في دينكم حصل الله عليه والله ورسام وبدله العنصر والدلائل الأثبات
 سادساً بهذه بهذه الأصول ثبتت باختصار المتكلمين في الشرعية التي يدعون للخلوة بها قبل
 الذهاب إلى القبور وطبع مستقيم فإنه شهادة صحتها واجلساً وبعد ها عن الباطل والنفي وهو
 أصل الدين (وان هوا الرذكراً) أي بما القرآن الرسوغة وتنبيه للعلمانيين أبا الشافعى
 في هذه الفحشات قال تعالى (ولتعلن صهيون) أي ولتعلن صهيون القرآن وإن الحق
 (ولتعلن صهيون) أي من المرت أو يوم القيمة وقال الحسين بن القاسم عليه السلام معنى بعضه حين بعد
 رثى شاعر الرحمن لشاعر الرحمن لعرف الناس بأيه ولذكر سعاداته السلطان حين وفي
 أصل الدين (ولتعلن صهيون) بعد الموت وقبله لاظهار الأدلة على والمعنى بذلك ان صرامة على الجهل والتليل وإثباته قبل هذه
 أسباب الشفاعة كثراً ما تسلدن بعد حين أكمل كتم صهيون وفي هذه الأعراض وخطيء وذكر مثل هذه الكلمات
 يحيى بن أبي إسحاق المتفق عليه في التأريخ والتزهيد وانه لعام ٥٣٦ الكتاب من الله العزيز
 أفرق بين الدين والدين المرجع والذائب وتناظر في اليوم السادس والعشرين السادس والعشرين من شهر ربيع
 (ولتعلن صهيون) سبعين وسبعين والتenth وراقه بطلب من الملح عليه وقول فيه إن يدك يا آدم عليه
 الشفاعة راجرو على الله سبحانه كتب التبرير الله أنتي بمعنى سواه - يذكر على رأسي الشرف الشامي
 والزبير من هبأ والعديل المستاد أربعة الله بفضله ورحمته وشهادته وشفاعته انه جعل لكم
 دارقطنهم في كل مليم حليم والحمد لله رب العالمين وسلام على سلطاننا محمد بن على الله الأكرمين

كلمة أخيرة

لا يسعني إلا أن أرفع أيادي الحمد والشكر والاعتراف بالفضل لله سبحانه على توفيقه لإخراج هذه المجموعة الذهبية من تراث الزيدية المطمور.

ولا أدعى أنني قد جئت بما لم تستطعه الأولئك، ولكن حسي أنني قد بذلك وسعي، واستغرت جهدي وطاقتني، فإن أوفق بذلك من فضل الله علي، وإن يكن غير ذلك فكما قال الأول:

ولكن عذرني واضح وهو أنتي من الخلق أخطئ تارة وأصيّب
والحمد لله رب العالمين.

داعياً أبناء الزيدية إلى العمل الجاد لإخراج هذه الكنوز لترى النور، ففيها الخلاص والانعتاق من القيود الفكرية التي كبلت العقول. والعالم الحر يتضرعها بفارغ الصبر، ويتلقاها بالحفاوة والتقدير.

والله أعلم أن يغفر لي ولسائر المؤمنين، وصلوا الله وسلم على محمد وأله الطاهرين.

عبدالكريم عبد جدبان

العنوان - صعدة

الطبعة /١٣٢٠/ صيف ١٤٢٣ هـ

الطبع : المراقي - ٢٠٠٣ م

الطبع : المراقي - ٢٠٠٣ م





مقدمة المؤلف



مقدمة المؤلف

قال الإمام الحادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا تراه عيون الناظرين، ولا يقع عليه فكر المفكرين، ولا يستدل عليه أحد من المستدلين، إلا يعادل به على نفسه، وأوقفهم عليه سجانه من صفة، من أنه الفعال لما يريد من الأشياء، وأنه المقتدر الفعال لما يشاء، فدل على نفسه بما أظهر من فطرته، وبين البراهين بذلك على ربوبيته، فليس له حدٌ يُناه، ولا مثل يُضرب به له الأمثال، دائمٌ أحدٌ، حيٌ فردٌ صمدٌ، عزيزٌ قيومٌ، لا تأخذه ستة و لأنوم.

ونشهد أن لا إله إلا هو، وأنه فطر السماوات بناها، وسطح الأرض فدحها، وأخرج منها ماءها ومرعاهها، والجبال أرساها، متنوعاً خلقه، ورحمة لعباده، وأنه على كل شيء قادر.

وأشهد أن عمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين والأخير، الصادقين الأبرار، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم نظيرها، أرسله بالحق داعياً إلى الحق، وشاهدوا على الخلق، فبلغ الرسائل الزاهرة، وأبان الحجج الباهرة، وسطع بالخلق معلناً، وجاهدوا المشركين معلماً، وأصلح الله في بلاده، ونصر جاهداً لعباده، صابراً مصطبراً، جاهداً محتسباً، حتى قبضه الله إليه وقد رضي عمله، وتقبل سعيه وشكر فعله، صلى الله عليه وعلى آله.

إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً إلى الأمة بكتاب ناطق، وأمر صادق، فيه شفاء للصدور، وكهال الفرائض والأمور، والمدى والقوى، والرجوع عن الردى، والنجاة من المهالك، والسبيل إلى أفضل المسالك، ولا يظلم من ورد شرائعه، ولا يجوع من أكل سانقه، ولا يضم من سمع واعظه، ولا يعمى من أبصر سبيله، ولا يصل من اتبع نوره، ولا يغسل من استشهد ناطقه، ولا يهلك من اتبع بيانه، ولا يندم من استمسك بوثيق عروته، ولا يفلج إلا من احتج بمحكم حجمه.

نور ساطع، ويرهان لامع، وحق قاطع، كتاباً مفصلاً، ونوراً وهدى، قد ترجمه الرسول، وأحکم فيه وثائق الأصول، وفرع فروعه بأحسن القول، فكان في حياته واضحوا، وكان به صلٌّ الله عليه وآله قاتلًا ناصحاً، حتى صار إلى ربه، وتركه من بعده في أمته، استأمن عليه من أمته خلفاءٍ من بريته، الذين اختارهم الله على علمه، واصطفاهم له دون جميع خليقته، عترة النبي ونسل الوصي، وسلامة المصطفى الطاهر الزكي، الطيب المرتضى، الذين مددتهم الله في كتابه، وبين آئمٍ خبرته في قرءانه، فقال في كتابه: **«لَمْ أُرْزَقْنَا أَكِتَبَ الَّذِينَ أَصْطَفَنَا مِنْ عِبَادِنَا»** (ناطر: ٢٢)، ثم

(١) الآية: **«لَمْ أُرْزَقْنَا أَكِتَبَ الَّذِينَ أَسْطَلْتَنَا مِنْ جِبَادَنَا فَيَنْهَى طَالِبُنَا لِتَقْبِيَهُ وَتَهْمَمْتَنَا مُتَقْبِسَهُ وَتَهْمَمْتَنَا** سَائِقُنَّ الْخَيْرَتِ يَلْتَهِي الْمُؤْمِنُونَ دَلِيلُكَ هُوَ الْقُنْصُلُ الْكَبِيرُ **﴾** جَئَنَّتْ حَذْنَوْيَتْلُورْتَنَا .. **﴾** (ناطر: ٣٣-٣٤).

نزلت هذه الآية في أهل بيته عليهم السلام.

عن أبي حزة الشباعي، عن علي بن الحسين، قال: إن جمالس عنده إذ جاءه، رجلان من أهل العراق، فقالا: يا بن رسول الله جتناك كي تخبرنا عن آيات من القرآن. فقال: وما هي؟ قال: قول الله تعالى **«لَمْ أُرْزَقْنَا أَكِتَبَ الَّذِينَ أَسْطَلْتَنَا»**. فقال: يا أهل العراق وأيش يقولون؟ قالا: يقولون: إنها نزلت في أمة محمد **ﷺ**. فقال علي بن الحسين: أمّة محمد كلهم إما في الجنة. قال: قلت من بين القوم: يا رسول الله فمن نزلت؟ فقال: نزلت والله فيما أهل البيت - ثلاث مرات - قلت: أخبرنا من نزلت **الظالم لنفسه**? قال: الذي استوت حسانه وسباته وهو في الجنة.

قالت: والمقصود؟ قال: العابد **هـ** في بيته حتى يأتيه اليقين. قلت: السابق بالخيرات؟ قال: من شهر سيفه، ودعا إلى سبيل ربه. الحسکانی في شواعد التنزيل ٢ / ١٠٤ (٧٨٢).

قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَهِّبَ عَنْكُمُ الْجُنُسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)^(١)، ثم أمر العباد بطاعتهم فقال سبحانه: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ

وروى عن زيد بن علي قال: (الظالم لنفسه) المختلط مثا بالناس، (والقصد): العابد، (والسابق): الشاهر سيفه يدعوه إلى سبيل ربه. الحسكناني ٢/١٠٤ (٧٨٣).
وعن علي عليه السلام قال: سألت رسول الله صل الله عليه وأله عن تفسير هذه الآية؟ فقال: هم ذريتك ولدك. الحسكناني ٢/١٠٤ (٧٨٣).
ورواه فرات الكوفي في تفسيره ٢/٣٤٧ (٤٧٣) عن زيد بن علي، وعن محمد بن علي الباقي ٢/٣٤٨ (٤٧٤).

وآخرجه محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ٢/١٦٤ (٦٤٣) عن زيد بن علي عليها السلام.
(١) نزلت الآية في أهل البيت محمد - علي - فاطمة - والحسن - والحسين عليهم السلام. وقد رواه
أغلب المحدثين فمن رواه:

سلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة في باب فضل أهل بيته صلى الله عليه وأله
وسلم، رقم (٤٤٥٠) بسنده عن صفية بنت شيبة، قالت: قالت عائشة: خرج رسول الله صل الله
عليه وأله وسلم غداة وعليه مرط مرحلاً من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء
الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلتها، ثم جاء على فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذَهِّبَ عَنْكُمُ الْجُنُسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وآخرجه الحاكم في المستدرك ٢/١٤٧، والبيهقي في السنن ٢/١٤٩، وابن جرير في تفسيره ٥/٢٢
عن عائشة: وذكره السيوطي في الدر المثمر عند تفسير الآية. وقال آخرجه ابن أبي شيبة، وأحد
وابن أبي حاتم، وذكره الزعشي في الكتاب في تفسير آية المباهمة، وكذلك الفخر الرازي، وقال:
واعلم أن هذه الرواية كاللتقط على صحتها بين أهل التفسير والحديث.
وآخرجه الترمذى في السنن ٢/٢٠٩، بسنده عن عمر بن أبي سلمة، والطحاوى في مشكل الآثار
١/٣٢٥، وابن الأثير الجوزي في أسد الغابة ٢/١٢. وابن جرير في تفسيره ٥/٣١٩ عن أم سلمة.
وآخرجه أحد في المستدرك ١/٣٠٦. وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢/٢٩٧، والمحب الطبرى
في الذخائر ٢١/٢١.

والترمذى ٢/٢٠٩ بسنده عن أنس. والطبرى في تفسيره ٥/٢٢، والحاكم في المستدرك ٣/١٥٨،
وأحد في المستدرك ٣/٢٥٢، والجوزي في أسد الغابة ٥/٥٢١، والمعنى الهندى في كنز العمال ٧/١٠٣.

نفلا عن ابن أبي شيبة، وذكره السيوطي في الدر المثمر وقال: أخرجه ابن المثر، والطبراني، وابن مردوه، وابن حجر ٧/٢٥ بسنده عن حكيم بن سعد.

والحاكم في المستدرك ٤١٦/٢، عن أم سلمة، وأيضاً ٢/١٤٧، والبيهقي في السنن ١٥٠/٢، والطحاوي في المشكّل ١/٣٣٤، ٣٤، والخطيب في تاريخه ٩/١٢٦، وابن حجر ٧/٢٢.

وأخرج الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

ورواه السيوطي أيضاً في الدر المثمر ٥/١٩٨، ١٩٩، قال وأخرج ابن مردوه عن أم سلمة ثالثاً..... الحديث.

ورد بالتأنث مختلفة، ومقامات متعددة، والمعنى واحد. فيها أن رسول الله صل تسعة أشهر، وفي رواية نهاية شهر، وفي رواية ستة أشهر، يأتي كل يوم وقت صلاة الغداة، وفي رواية وقت كل صلاة بيت على وفاطمة، فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهل البيت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجل أهل البيت وبطهركم بطهير).

وأخرجه أيضاً أحد في المستند ١/٣٣٠ عن عمرو بن ميسون، و٤/١٠٧، عن شداد بن أبي عمار، ٦/٢٩٢ عن أم سلمة، و٦/٢٩٢، عن شهر بن حوشب.

والساني في الحصائر ٤/٤. والبغدادي في تاريخه ١٠/٢٧٨ عن أبي سعيد.

والمحب الطبراني في الرياض ٢/١٨٨، وابن عبد البر في الاستيعاب ٢/٥٩٨ عن أبي الحمراء، وأبو داود الطيالي في مستنه ٨/٢٧٤، وهو في كنز العمال ٧/٩٢.

والطحاوي في مشكّل الآثار ١/٣٣٢، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩.

وفي جمجم الزواائد ٦/١١٦، ١٢١، ٢٠٦، والحاكم الحسكناني في شواهد التنزيل ٢/١. رقم ٦٣٧ (٧٧٤).

ومحمد بن سليمان الكوفي في المناقب ١/١٤٢، ١٤٨/١، ١٤٨/٨٣، ١٥٧/١، ١٥٧/٤٢، ١٥٧/٩٢، ١٥٧/٦١، ١٥٧/١٧٤، ١٥٧/٦٥٢.

والحبرري في تفسيره ٥٠/٢٩٧ (٥٠) عن أم سلمة، ٥١/٢٩٩، ٥١/٢٩٩ عن شهر بن حوشب، ٥٢/٣٠٠ عن أم سلمة، ٥٣/٣٠٢ عن أم سلمة، ٥٤/٣٠٣، ٥٤/٣٠٣ عن أم سلمة، ٥٥/٣٠٦ عن أبي سعيد الخدري، ٥٦/٣٠٧ عن ابن عباس، ٥٧/٣٠٩ عن أبي الحمراء، ٥٨/٣١٠ عن أنس بن مالك، ٥٩/٣١١ عن أبي الحمراء.

وأخرجه فرات الكوفي في تفسيره ١/٤٥١، ٤٥١/٣٣٢ عن شهر بن حوشب، ٤٥٢/٤٥٢ عن أم سلمة، ١/٤٥٣، ٤٥٣/٣٢٣ عن أم سلمة، ١/٤٥٤، ٤٥٤/٣٣٤ عن أم سلمة، ١/٤٥٥، ٤٥٥/٣٣٤ عن أبي عبد الله الجوني، ١/٤٥٦، ٤٥٦/٣٣٥ عن شهر بن حوشب، ١/٤٥٧، ٤٥٧/٣٣٦ عن أم سلمة، ١/٤٥٨، ٤٥٨/٣٣٦ عن أبي الحمراء.

وَأَطْبِعُوا آرْسَلُوْنَ وَأُولَى الْأَمْرِ» [الرسالة: ٥٩] ^(١)، ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله بافتراض محبتهم ومودتهم على الخلق، لما أراد من ثبيت ما أراد ثبيته فيهم من الحق، فقال سبحانه لنبيه أمراته له بذلك ^(٢): **«فَقُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَةُ فِي الْفَرَبَى»** [الشورى: ٢٣] ^(٣)، فجعل محبتهم فرضًا على الخلق من ربهم، وحجة ودلالة.

عمره المثلثة، ١/٤٥٩(٣٣٧) عن أم سلمة، ١/٤٦٠(٣٣٧) عن أبي جعفر الباقر، ١/٤٦١(٣٣٨) عن أبي سعيد الخدري، ١/٤٦٢(٣٣٩) عن أبي الحمراء، ١/٤٦٣(٣٣٩) عن جعفر الصادق، ١/٤٦٥(٣٤٠) عن ابن عباس، ١/٤٦٦(٣٤٠) عن عمرو بن ميمون. وفي تفسير ابن كثير ٢/٤٨٤ ٤٨٦ عند تفسير الآية أورد تسع روايات، عن أنس، وأبي الحمراء، وروأة بن الأشع، وأم سلمة بثيان طرق، وعاشرة بطريقين، وأبي سعيد الخدري، وسعد، وزيد بن أرقم. وقد ترکت ذكر الكثير من رواه خشية الطويل.

(١) أولى الأمور: أهل البيت. آخرجه الحاكم الحسکاني في شواهد التزيل ١/١٨٩، ١/١٨٢، ١/٢٠٢، الكوفي في تفسيره ١/١٠٨ - ١١٢، والتفيد في أماله ٣٤٩، والطوسی في أماله ١٢٢، ١/١٨٨، والكلبی في الكافي ١/٢٨٦.

(٢) في (ج): بذلك ف قال. لعلها زيادة.

(٣) نزلت في أهل البيت. آخرجه ابن جریر في تفسره ٢٥/١٦ عن سعید بن جبیر، وعن عمرو بن شعب ایضاً ٢٥/١٧.

وآخرجه أبو نعیم في الحلیة عن جابر ٣/٢٠١.

وآخرجه عبد بن حید، وابن المنذر عن مجاهد، وابن مردویه، عن ابن عباس، وأبو نعیم، والذیلی عن مجاهد عن ابن عباس، وسعید بن منصور، عن سعید بن جبیر. وابن جریر، عن علی بن الحسین زعن العابدین. الدر المثور ٧/٣٤٧ - ٣٤٨.

وآخرجه الحاکم في المستدرک ٢/٧٧٢، والقتدری في بیانیع المودة (الباب ٥٨/٣٢٤ ٣٢٣) وقال: آخرجه الطبرانی في الكبير، والأوسط، وأخرجه البزار. آخرجه الطبرانی في الكبير ١/١٢٦، ٣/١٥٦ ١٥٥، ورواہ الكلبی في کفاية الطالب عنه، الباب (٩١/١١).

وآخرجه ابن المازانی الشافعی في المناقب ٣٠٧ - ٣٥٢. والطبرانی في ذخایر العقیب ٢٥، ١٣٨، وقال: آخرجه الدولابی.

والمبشی في جمیع الروایات ٩/١٤٦ عن أبي الطفیل. وقال آخرجه الطبرانی (رأی أبو بعل)، والبزار، واحد.

منه على إمامتهم، فجعل من كان من آل رسول الله متظلاً لشروط الإمامة المعروفة، التي قد ذكرناها وشرحناها ووضعنها في أول كتاب الأحكام في الحلال والحرام^(١)،

ورواه ابن حجر في الصراط المحرقة /١٠١ ، وقال آخر جه البزار والطبراني . وأخرجه السيد أبو طالب في الأمالي /١٢٠ ، والرشد بالله في الأمالي /١٤٨ . ورواه في أسد الغابة /٥ ، والزغشري في الكشاف عند تفسير الآية . والشلنجي في نور الأ بصار /١٠١ ، والحاكم الحسكي في شواهد التزييل /٢ ١٣٠ ١٤٦ برقم ٨٤٤ ٨٢٢ ، وأخرجه ابن حساك ترجمة الإمام علي /٣ ٤٣ (١٨١) . ورواه الطوسي في جمجمة اليان /٢٩٩ ، ورواه في تاريخ اصبهان /٢ ١٦٥ ، ورواه الطوسي في أماله برقم ٤٠ من المجلس (١٠) ، ورواه البلاذري في أنساب الأشراف /٢ ٧٥٤ .

(١) قال الإمام المادي عليه السلام: ... وأن الإمام من بعدهما من ذريتهما من سار بسيرتها، وكان مثليهما، واحتدا بحذرها فكان ورعاً نقية، صحيحاً نقيان وفي أمر الله سبحانه جاهداً، وفي حظام الدنيا زاهداً، وكان فهوياً بما يحتاج إليه، عالمًا بضر ما يرد عليه، شجاعاً كبياً، بذولاً سخياً، روزفاً بالرغبة رحباً، متطفقاً متحتنا حلها، مواضيا لهم بنفسه، مشركاً لهم في أمره، غير مستأثر عليهم، ولا حاكم بغیر حکم الله نیهم، قالوا شاهراً السيف، داعياً إلى ربه، رافعاً لرایته، مجتهداً في دعوته، مفرقاً للدعاة في البلاد، غیر مقصري في تألف العباد، غیناً للظالمين، ومؤمناً للمؤمنين، لا يأمن الفاسقين ولا يأمنونه، بل يطلبونه، قد يابنهم ويبانوه، وناصبهم وناتصوه، فهم له خائفون، وعمل إملائه جاهدون، ينهيم الغواي، ويدعوا إلى جهادهم القبائل، متشارداً عنهم، خالقاً منهم، لا يردعه عن أمر الله رادع ولا تهوله الأخوف، ولا يمنعه عن الجهاد عليهم كثرة الإرجاف، شرقي مشرقاً، مجتهداً غير مقصري.

فمن كان كذلك من ذرية السبطين الحسن والحسين، فهو الإمام المفترضة طاعت، الراجحة على الأمة نصرته، ومن قصر عن ذلك ولم ينصف نفسه له، ويشهر سيفه له، ويباين الظالمين ويبانوه، وبين أمره، ويرفع رايته، ليكمل الحجة لربه على جميع برته، بما يظهر لهم من حسن سيرته، وظاهر ما يبذلو لهم من سيرته، فتوجب طاعته على الأمة والهاجرة إليه والمصايرة معه ولديه، فمن فعل ذلك من الأمة معه من بعد أن قد أبان لهم صاحبهم نفسه، وقصد ربه وشهر سيفه، وشكف بالمبانة للظالمين رأسه، فقد أدى إلى الله فرضه، ومن قصر في ذلك كانت الحجة عليه له قائمة ساطعة مبرة بية قاطمة، «لَيَهُوكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ يَقِنَّةٍ وَيَقِنَّ مَنْ حَرَكَ عَنْ يَقِنَّةٍ قَاتَلَ اللَّهَ لَكَيْعَ عَلَيْهِ» (٢) . مثل من قام من ذريتهما من الأئمة الطاهرين، الصابرين للمحبين.

مثل زيد بن علي رضي الله عنه إمام المتقين، والقائم بحجة رب العالمين. ومثل يحيى أبا المحاذبي بتعلمه، ومثل محمد بن عبد الله، وإبراهيم أخي المجتهدين لله، المصممين في أمر الله، الذين لم تأخذوا في الله لومة لائم، للذين مضيا قدما قدما، صابرين محظيين، وقد مثل باياتها وعمومتها أتيح المثل، وقتلوا أئمّة القتل، فما دعهما ذلك عن إقامة أمر خالقها والإجتهداد في رضا ربهما، فصلوات الله على أرواح تلك الشايخ وبركاته، فلقد صبروا الله واحتسبوا وما هنوا ولا جزعوا، بل كانوا كما قال الله وذكر من مرضي من آباءهم، حين يقول: **«فَتَرَهُمْ لِيَأْسَأُهُمْ** في سبيلكم **وَمَا تَشْعُرُوا** **أَتَسْتَكْثِرُونَ** **وَلَقَدْ يُبَيِّنُ الْكَتَبُرِيَّ** (٥٦) (٥٦) صدرت: (١١٦).

ومثل الحسين بن علي الفقيхи، الشهيد المحرم المجرد لل سبحانه، المصمم الباذل نفسه الله في عصابة قليلة من المؤمنين، يأمرن بالمرور، وينهون عن التكير، ويضررون ويضربون، حتى لقوا الله على ذلك وقد رضي عنهم، وقبل فعلهم منهم، فرحة الله وبركاته عليهم.

ويحيى بن عبد الله ابن الحسن القائم **فَهُ**، المحتب الصابر **فَهُ** على الشدة والغضب، ومحمد بن إبراهيم بن إساعيل القائم بحجة الله، الخليل الداعي إلى الحق، والناعي عن الفسق، المفرد **فَهُ**، الصابر **لَهُ** في كل أمر، الحكم في كل الأمور بمحنة.

ومثل القاسم بن إبراهيم الفاضل، العامل الرازي، المجرد لسيفه، المصمم الباذل لنفسه، المابن للظالمين، الناعي إلى الحق المبين، صلوات الله عليهم أح恨هم ورحمه وبركتاته، فمن كان كذلك من ذرية الحسن والحسين، فهو إمام جميع المسلمين، لا يسمهم عصيانيه، ولا يجعل لهم خذلانه، بل يجب عليهم طاعة وموالاته، ويندب ال له من خذله، ويشيب من نصره، ويتولى من تولاه، ويمادي من عاده. فاما من عبث بنفسه وينهى، وأقام في أهله وولده وتله، وساير الظالمين وداجهم، وقضوا حروالجه، وتفنحوا حروالجه، وعاشروه وعاشرهم، وأمنوه وأمنتهم، وكفروا عنه وكف عنهم، وخدّم سيفه وطريق رايته، وسرّ منهم نفسه، ومؤوده على الجهل، وأهل الغفلة من الضلال، وادعن الإمامة، وروهم أنه يريد القيام، وهو عند الله من القاعددين أيام، ذوي الفتنة والربناه، طلاق الراحة والرخاء، وهو يظهر للرغبة ويرعرض لهم، ويدخل قلوبهم أنه قائم غير قادر، وأنه مابين للظالمين مجاهد، يوهمهم ذلك ويعرض لهم أنه كذلك، ليحتلب من ذرّهم حلاوة وخيانها دويها، ويأكل بذلك من أمرائهم حراما دنيا، قد ليس عليهم أمرهم بتوجيه عليهم، وقد لهم بطريق رشدهم، يصلهم بتوجيه عن ربيهم، ويسنهم بتلبيه عليهم من أداء فرطهم، والقيام بما يجب خالقهم، فهو دليل في التحلي لأكل أمرائهم بما ليس عليهم من أحواهم، وتوجيه بحالهم أنه قائم غير قادر، وأنه أحد برمي ناهض على الظالمين مجاهد، واله يعلم من سرارة وباطن أمره غير ما يوهم الجاهلين، ويوجه

إماماً للآمة، وعلماً للممحجة، ودليلًا على أبواب النجاة، وسبباً إلى الجنان، ووصلة بين العباد وبين الرحمن، فلده علم كتابه، وأمره بشرحه وبيانه، ليبين بما يظهر فيه من حكمته، ويلقى في قلبه من معرفته، ونطق به لسانه في تبيان حجته، ويمقد^(١) له بذلك في رقاب المؤمنين عهوده المؤكّدات، ويثبت في رقامهم له عقود الإمارات، ول يجعل ما يوافقه له ويكرمه به من تفهمه إياها، ويدله به على^(٢) علم غامض آياته المشابهات، ويوقنه عليه من فهم حكمه الذي قد يبيه في الأمهات المحكمات، دليلاً

بذلك عنده أنه من الصادقين عن سبطه، الذين يغونها عرجاً، فهو بذلك نفسه عند ربه بفعله و فعل غيره، ويفرق عن الحق والمحقين الآنام، ويجمع بذلك عليه الآنام، ويسكن بذلك دعوة الطالبين، ويقيم عبد ملك الفاسقين، ويورهن دعوه الحق والمحقين بما يمروه به على الجاهلين للتزوس عليهم، ولا يأكل أوساخ أيديهم، يأكل سحتا تائفها حراماً، ويحيط المظالم بالصدق عن الله العظيم اجتازها، يفرق كلمة المؤمنين ويشتت رأي المسلمين، ولا يأثر الحق خبالاً، يتأول في ذلك التأويلات ويتحمّل الله في بالجهات ضميره إذا رجع إلى نفسه، وناقضها في كل فعله، وألوّنها على خفي سره، خالف لظاهره وفعاله في باطنها فغير ما يبيه الناس في ظاهره، يخادع الله والذين آتُوا وما يخادع إلا نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿يَخْتَبِئُونَ اللَّهُ وَالَّذِينَ مَأْتُوا وَمَا يَخْتَبِئُ إِلَّا لَنْفَثُمُّهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(٣) في ثلث يوم ترسّق فرائضهم الله مرضًا ولهن عذاب أليم^(٤) (عدد: ١٠٠)، كان لم يسمع الله عز وجل يقول: «رَأَيْتُ أَنْتُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّمَا يَلْيَدُ الْمُشْرِكُونَ»^(٥) (السورة: ١٢)، فهو يذكر بالله وبالمؤمنين، والله يذكر به وهو خير الماكرين. فهو في بلية من نفسه، من تحيله لدنياه ودرره، والإستدامة لا هو به من ثاقة نعمته، يلبس المحرر والديباج والقر، ويلتحف ويفترش السُّورُ والفتَّاح واللَّغْزُ، لا يرتفع في أمور الله، ولا يصلح شأن عباد الله، فلين من كان كذلك فقط من الإيمانة. كلامه إنها عنها بعيد جنب، ومنها غير دان ولا مقرب، وإن لم يبن نفسه، وخدع من كان من شكله بزخرف قوله وكنيه واجترائه على الله، «وَمَنْ يَقْصُلْ ذَلِكَ بِأَنَّ أَنَّمَا يَعْصِمُ لَهُ الْكَذَّابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمَنْ لَدُنْهُ مُهَمَّةٌ»^(٦) (الفرقة: ٦٩ - ٦٨)، فلعله يرمي إن من كان كذلك فقط بعيد عنها يدعى، ويتحمّل عالم يجعله الله له أهلاً، ولم يشرع له إليه سبيلاً. الأحكام ٤١ - ٤٥.

(١) في (أ) و(ج): ويعتقد. ولمل الصواب ما ثبت.

(٢) في (ج): عن.

على عقده له الإمامة على العالمين، وإيجاب الطاعة له في رقاب المخلوقين.

ويكون ذلك حجة له على الخلق وعلماء، ودليلًا على ما أعطاه الله من الكرامات، «إِنَّمَا مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْتِهِ وَتَحْتَيْنِي مَنْ حَمَّ عَنْ بَيْتِهِ إِنَّ اللَّهَ لَكَمْبِيغُ عَلِيُّمْ» (الآية: ٤٤).

فرأينا عندما خصنا الله به وأعطانا، وفضلنا به على أهل دهرنا وأولانا، أن ننشر فضائل الحكمة التي أوليناها، وأن نبين علامة الإمامة التي أعطيناها، لتخلع الحجة من رقابنا، وتبثتها الله على غيرنا، بما يظهر مما أمرنا الله بإظهاره من شرح غامض الكتاب، وتبيّن تفسيره من كل الأسباب، حتى تبين بذلك الحق المبين، وتثبت فيه الصدق اليقين، وتنفي عنه تأويل الفاسقين، ونبسط عنه تفسير الجاهلين، الذين حلوا تأويله على غير تزيله، وحكموا على حكمه بمتناهيه، وردوا معانى الآيات المحكمات المبيّنات، من الآيات اللواتي هن الأمهات على معانى غيرهن من الشابهات، واستشهدوا المشابه على المحكم، فأهملوكوا بذلك جميع الأمم، شبهوا في تأويلهم وتفسيرهم ربهم بخلقهم، فأبطلوا مانفاه من بُعد الشبه لهم عن نفسه، فمثلوه ثيشلا، ونقلوه في الصور تقليلاً، وجعلوه بذلك صورة مصورة، محدودة عندهم غير مقدرة، فعبدوا ما وصفوا، ودانوا بهذه الصورة التي ذكروا، فكانوا بالله غير عارفين، ولا مقررين ولا مثبتين، بل كانوا عنه عاندين^(١)، وبه في كل الأمور جاهلين، فلما أن جهلوه لم يعبدوه؛ لأنهم عبدوا بمعولاً مقدراً، ومعبوداً عندهم مصوراً.

والله فليس هو كذلك، إذ المعبد الذي هو عندهم كذلك، فكانت عبادتهم لغير الرحمن، وطاعتهم لغير ذي الجلال والسلطان، بل كانوا الله متذمرين، وبه غير مقررين.

(١) في (ج): عابدين، مصححة.

فابتداً بشرح ما نريد بيانه من تفسير القرآن، الذي نزله ذو القوة والبرهان، من حيث أفضى إليه تفسير شيخينا رحمة الله عليهما ورضوانه، جدي وعمي، وهو من أول سورة **﴿عَمَّ يَنْسَاةُ لَوْنَ﴾**، وذلك أن جدي صلوات الله عليه بلغ من تفسيره إلى آخر **﴿وَالثَّمَسِ وَضَحْنَهَا﴾**. وعمد بن القاسم عمي من عند ذلك إلى آخر **﴿وَالنَّزِعَتِ﴾**. فرأينا البناء على أساسهما، وإنما ماقد كاتنا أئلاه من شرح القرآن وتفسيره، وبلغ الغاية في شرح تأويله، إن آخرنا الله سبحانه لذلك وأمهلي، وبلغني فيه أمريتي، ولم يعنني من ابتدائه من أوله وتفسيره من أول حرف منه، إلا التبارك بذكرهما، والبناء على تفسيرهما، صلة مني لها بذلك، وتقريرا إلى الله بأن أكون كذلك، لما هما في ذلك من الأجر، وما يكبهما ذلك إن شاء الله من الفخر، في الدنيا والآخرة والذكر؛ لأن يشركها الله عز وجل وجل في صالح مانفع من ذكر الحق، ونبين من براهين الصدق، التي نهدي بها المسلمين، ونقذ بها جميع المخلوقين، من يستحق من الله المهدى، ويستوجب منه المعونة على التقوى.

فابتداً من حيث بلغا مستعينا بالله متوكلا عليه، سائلا له العون في كل أمر من هذا وغيره، فسأل الله أن يبلغنا في ذلك أمننا، وأن يعظم عليه أجرا، وحسب الله فنعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي القدير.





تفسير سورة الفاتحة



سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الحمد لله رب العالمين، وصل الله علی محمد وآلہ سلم تسلیماً) ^(١).

١) وسألت أرشد الله أمرك، ووفق لقصد الحق طريقك، عن ^(٢) تفسير سورة الحمد؟ وقد كنت سألاً عنها أبي المادي إلى الحق صلوات الله عليه، وسألته بعض أصحابكم أيضاً؟

فقال: معنى قوله: **«بِسْمِ اللَّهِ»** فهو: بسم الله يبدأ كل شيء.

«الرَّحْمَنِ» فهو: ذو الرحمة ^(٣) والإحسان.

«الرَّحِيمِ» فهو: ذو التعلق بالرحمة والامتنان.

«الْحَمْدُ» معنى **«الْحَمْدُ»** ^(٤) فهو: الشكر لله على نعمه وإحسانه، والمجيد لله والثناء عليه سبحانه ^(٥).

«رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(٦) فمعنى **«رَبٌّ»** فهو: سيد العالمين، والعالمون فهم: الخلق أجمعون من إنس وجن ^(٧).

(١) سقط من (أ): ما بين الفوسين.

(٢) في (ب): وسألت أرشدك الله عن ...

(٣) في (ب)، (ج): ذر البر.

(٤) سقط من (أ): معنى الحمد. وفي (ج): معنى قول الحمد.

(٥) في (ب)، (ج): والتحميد. وسقط من (أ): سبحانه.

(٦) في (أ)، (ج): إنسى وجني.

﴿أَرْحَمْنَا الرَّحِيمَ﴾ فلقد تقدم^(١) تفسيرها.

﴿مِنْكَ يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٢) معنى ﴿مِنْكَ﴾ فهو: مالك أمر يوم الدين، الذي^(٣) لا ينفذ أمر في ذلك اليوم غير أمره، ولا يمضي فيه حكم غير حكمه، ويوم الدين فهو: يوم الجزاء والحساب^(٤)، والثواب والعقاب، وإنما سمي الدين لما يدان العالمون فيه، ومعنى يدان فهو: يجازى.

﴿إِلَيْكَ تَعْبُدُ﴾ معناها: أنت معبودنا لا غيرك.

ومعنى ﴿تَعْبُدُ﴾ فهو: نطيع ونعبد.

﴿وَإِلَيْكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٥) معناها: إياك نسأل العون على أمرنا، والتوفيق لما يرضيك عنا.

﴿أَهْدَنَا الصِّرَاطَ﴾ فمعنى^(٦) ﴿أَهْدَنَا﴾ فهو: وفتنا وأرشدنا للصراط المستقيم.

و﴿الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ﴾^(٧) فهو: الطريق إلى الطاعة، ﴿الْمُسْتَقِيمُ﴾ فهو^(٨): الحق الذي افترضه.

﴿صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، يقول: طريق من أنعمت عليه من عبادك الصالحين، الذين وفقتهم وهديتهم لرشدهم.

(١) في (ب): قد.

(٢) سقط من (أ): الذي.

(٣) سقط من (ب)، (ج): والحساب.

(٤) في (ب)، (ج): معنى.

(٥) في (أ): وهو.

﴿غَيْرُ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، يقول^(١): اهدا صراطا غير صراط الذين غضبوا عليهم.

و﴿الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ في هذا الموضع فهم: اليهود.

﴿وَلَا الظَّالِمِينَ﴾، يقول: ولا صراط الضالين، أي: اهدا صراطا غير صراط الضالين. والضالون فهم في هذا الموضع: النصارى.



(١) في (أ)، (ج): ويقول. ولعل الصواب حلف الواو.



تفسير سورة البقرة



ومن سورة البقرة

قال أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل:

٢) وسأله إمام المسلمين في عصره يحيى، بن الحسين، بن القاسم، بن إبراهيم، بن إسماعيل، بن إبراهيم، بن الحسن، بن الحسن، بن علي، بن أبي طالب، عليه وعلى آبائه السلام، عن قول الله تبارك وتعالى: **﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْتَجِدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسُ﴾** (البقرة: ٢٤)، كيف كان السجود من الملائكة صلوات الله عليهم؟

فقال: معنى قوله: **﴿اسْتَجِدُوا لِأَدَمَ﴾** إنما أراد بذلك السجود من أجل آدم تعظيمًا لخالقه، إذ خلقه من أضعف الأشياء وأقلها عنده، وهو الطين، فجاز أن يقال: **﴿اسْتَجِدُوا لِأَدَمَ﴾** لما أن كان السجود من أجل خلقه، وقوله: **﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسُ﴾** فإنما جاز أن يجعل معهم إبليس في الأمر وإن لم يكن من جنسهم، إذ كان حاضرا لأمر الله لهم، فأمره بالسجود معهم، وإن لم يكن جنسه من جنسهم، لأن الملائكة صلوات الله عليهم^(١) إنما خلقوا من الريح والماء، وبخلقت الجن كلها من مارج النار، ومارج النار فهو: الذي ينقطع منها عند توقدها وتتجهها.

٣) قلت: فما الدليل على أن إبليس من الجن؟

فقال: قول الله جل ذكره: **﴿إِلَّا إِبْلِيسُ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَقَسَّ عَنْ أُمِّ رَبِيعٍ﴾** (الكهف: ٥٠).

(١) سقط من (١): لأن الملائكة صلوات الله.

٤) قلت: فهل أمرت الجن كلها بالسجود، أم خص الله إبليس بذلك دونهم؟

قال: لم يأمر الله سبحانه أحداً منهم إلا إبليس، فقد أمره الله بالسجود دونهم.

٥) قلت: أنسخوصاً كان بذلك دونهم؟

قال: نعم كان مخصوصاً بالأمر.

٦) قلت: فعسان آدم صلوات الله عليه في أكل الشجرة، كيف كان ذلك منه تعمداً أم نسياناً؟

فقال: قد أعلمك الله ذلك^(١) في كتابه في قوله: «وَلَقَدْ عَاهَنَا إِلَيْهِ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَتَسَبَّيَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزِيزًا^(٢)» [طه: ١١٥]، يقول: لم نجد له عزماً على أكلها واعتبرناها بعينها.

ولكن سلني فقل لي: فإذا كان آدم في أكل الشجرة ناسياً كيف وجبت عليه العقوبة؟ وقد أجمعت الأمة على أنه إذا نسي الرجل فشرب ماء في رمضان وهو ناسي، أو أكل وهو ناسي، أو ترك صلاته^(٣) حتى يخرج وقتها وهو ناسي، أو جامع الرجل مرأته^(٤) في طمانتها وهو ناسي، لم يجب عليه في ذلك عقوبة عند الله.

فكيف يجب على آدم صلوات الله عليه العقوبة، في أكل الشجرة ناسي؟! فإن سألتني عن ذلك؟

(١) في (ب): قد أعلم الله في كتابه بقوله.

(٢) في (ب): صلاة.

(٣) في (ب): مرأته.

قلت لك: إنما عوقيب^(١) آدم صل الله عليه في استعجاله في أكل الشجرة، وذلك أن الله تبارك وتعالى لما^(٢) نهاه عن أكل الشجرة وهي البر، وأمره بأكل^(٣) الشعير ولم يعظه عليه، فكان يأكل من شجرة الشعير، وهي ورق لم تتحمل ثراها، فلما أن صار فيها الحب والثمر اشتغل عليه أمرها، فلم يدر أيها هي عنها، فأناه اللعين إيليس فخدعه وغره، وقادمه على ما ذكر الله في كتابه، فقال^(٤): «مَا نَهَنَّكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونُنَا مَلَكَتِينَ أَوْ تَكُونُنَا مِنَ الْخَالِدِينَ»^(٥) [الأعراف: ٢٠]، فاستعجل آدم فأكل من هذه^(٦) الشجرة ولم يتضرر الرحي في ذلك من عند الله، فعوقيب لاستعجاله، وقلة صبره لانتظار أمر ربه.

٧) قلت فكيف كان كلام إيليس وخدعه إياها، هل كان تصور له جسماً ورهاه عياناً؟
 قال: لا^(٧)، إنما سمع آدم كلامه ولم يره جسماً، وقد رويت في ذلك روايات^(٨)، كذب فيها من روتها || وكيف يقدر علوق أن يخلق نفسه على غير مركب خلقه وفطرة جاعله !! هذا ما لا يثبت ولا يصح عند من عقل وعرف الحق.

(١) في (أ): عوت.

(٢) سقط من (ب): لما.

(٣) سقط من (ب): بأكل.

(٤) في (ب): حيث قال.

(٥) سقط من (ب): هذه.

(٦) سقط من (ب): لا.

(٧) أخرج ابن جرير، عن محمد بن قيس قال: نهى الله آدم وحواء أن يأكلان من شجرة واحدة في الجنة، فجاء الشيطان للتدخل في جوف المية، فكلم حواء ووسوس إلى آدم، فقال: ما تناكينا ربكم عن هذه الشجرة إلا أن تكوننا ملائكة أو تكوننا من الخالدين، وقادمهما ألي لكتها لمن الناصحين، الدر المثمر

٨) قلت فقد كان النبي^(١) محمد صل الله عليه وآله وسلم يخاطب^(٢) جبريل ويعاينه، على عظيم خلقه، وجسم مركب؟

فقال^(٣): إنما كان جبريل عليه السلام يتزل على محمد صل الله عليه وآله وسلم في صورة لطيفة، يقدر على رؤيتها وعيانها، وقد صح عندنا أن النبي محمدًا عليه السلام رأى جبريل في صورة دحية الكلبي، وإنما ذلك خلق أحدثه الله فيه، وربه عليه، لما علم من ضعف البشر، وأنهم لا يقدرون على النظر إلى خلق الملائكة، لعظيم خلقهم، وجسم مركبهم، فلما علم الله تبارك وتعالى من محمد عليه السلام ذلك، ولم يكن جبريل عليه السلام يقدر على تحويل صورته ومركبها من حال إلى حال، لضعف المخلوقين، وعجزهم عن ذلك، نقله الله سبحانه على الحالة التي رأى محمد عليه السلام فيها، نظرا منه لنبيه صل الله عليه وآله وسلم، وما فعله الله فليس من فعل^(٤) خلقه، فلذلك في هذا كفاية إن شاء الله^(٥).

٩) قلت فهل كان آدم صلوات^(٦) الله عليه طمع في الخلد، لما قاسمه إبليس على النصح؟

قال: إنما كان ذلك منه صل الله عليه طمعاً أن يبقى لعبادة الله وطاعته، فأراد أن يزداد بذلك قربة من ربه.

(١) سقط من (ب): النبي.

(٢) في (أ): خاطب جبريل وعاتبه.

(٣) في (ب): قال.

(٤) في (ب): قبل.

(٥) سقط من (ب): ذلك في هذا كفاية إن شاء الله.

(٦) في (ب): صل.

١٠) قلت فما معنى قوله: **﴿فَأَكَلَّا مِنْهَا فَبَدَّلَ لَهُمَا سَوْءَاهُمَا﴾** [البقرة: ١٢١]؟

قال: معنى قوله: **﴿بَدَّلَ لَهُمَا سَوْءَاهُمَا﴾** فهو: سوء فعلهما، لا كما يقول من جهل العلم وقال بالمحال، إن الله ^(١) تبارك وتعالى كشف عورة نبيه وهتكه، وكيف يجوز ذلك على الله في أنبيائه؟ والله لا يجب أن يكشف عورة كافر به ^(٢)! فكيف يكشف عورة نبيه؟!

١١) قلت: قوله: **﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾** [الإعراف: ٢٧]؟

قال: قد اختلف ^(٣) في ذلك وروي في روايات ^(٤)، وأصح ما في ذلك عندنا، والذي يبلغنا عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أن لباسها هو لباس التقوى والإيمان، لا ما يقول الجاهميون إنه لباس ثياب، أو ورق من ورق الشجر ^(٥)، فهذا معنى قوله: **﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾**، وإنما أراد بذلك من قوله: **﴿لِبَاسَهُمَا﴾** أي: لباس التقوى، بما سوف ووسوس لها من الكذب والمساءة التي سمعها ^(٦).

١٢) قلت: قوله: **﴿وَطَقِيقًا يَخْصِيَّانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾** [الإعراف: ٤٢]؟

قال: إنما كانوا في الجنة في ظلها وتحت أشجارها، فلما أخرجوا ^(٧) منها وأصابتها

(١) في (ب): إنه تبارك.

(٢) سقط من (ب): به.

(٣) في (أ): اختلفت.

(٤) أخرج عبد بن حميد، عن ابن منه **﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾** قال: النور.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن زيد في قوله: **﴿وَتَبَلِّه﴾**: قال: نسله. الدر الم Shr / ٣ ٤٣٦.

(٥) في (ب): الشجرة.

(٦) في (أ): والمساءة التي سمعها.

(٧) في (ب): خرجوا.

الشمس بحرها، ورمض الأرض، فلأرادا أن يجعلوا لها موضعاً يكون لها فيه ظلال، كما يفعله من يخرج من منزله وبلده في سفره إلى غيره من البوادي وغيرها، فلا يجد ظلاً ولا مسكناً، ولا يجد بداً من أن يعرض عريشاً يكتبه ويستره من الحر، وبقيه شدة البرد، فهذا معنى قوله: **﴿يَعْصِيَان﴾**.

١٣) قلت فالجنة التي كانا فيها أفي السماه كانت أَم^(١) في الأرض؟

قال: هي جنة من جنан الدنيا، والعرب تسمى ما كان ذا ثمار وأنهار: جنة (كقوله تعالى: **﴿وَجَتَّتْ مِنْ أَعْنَبِسٍ﴾** (الإمام: ٩٩، الرعد: ٤)، قوله: **﴿فَنَدَ حَلَّ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾** (الكهف: ٢٥)).

١٤) قلت فقوله: **﴿أَقْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾** (البراء: ٢٨).

قال: ذلك جائز في لغة العرب، إلا ترى ألك تقول هبطنا نجران، وهبطنا^(٢) من اليمن، ونزيد أن نهبط إلى الحجاز، فلما أن كان ذلك معروفاً في اللغة، جاز أن يقال: **﴿أَقْبِطُوا مِنْهَا﴾**.

١٥) وسألته عن قول الله سبحانه: **﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾** (البراء: ٣٧)، ما الكلمات التي تلقاها آدم من ربِّه؟

قال: قد اختلفت فيها^(٣)، والصحيح عندنا أن الكلمات هو: ما كان الله تبارك

(١) في (أ): في السماه كانت أَم.

(٢) سقط من (أ): ما بين القرسين.

(٣) سقط من (أ): نجران وهبطنا.

(٤) أخرج الطبراني في المعجم الصغير، والحاكم، وأبو نعيم، والبيهقي كلها في الدلائل، وابن عساكر، عن عمر بن الخطاب قال: «قال رسول الله صل الله عليه وآله وسلم: لما أذنَ آدمُ الذئب الذي

وتعالى قد أعلمك بخلق من سيخلقه من ذرية آدم ونسله، وأنه سيكون منهم مطين ويكون منهم عاصي باختيارهم، وأنه سبحانه يقبل التوبة من تائبهم، إذا تاب وأصلح وأخلص التوبة وراجع، فلما كان منه ما كان^(١) من أكل الشجرة، ذكر^(٢) ما كان الله قد أعلمك من القبول للتوبة، فـ«قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْشَأْنَا إِنَّ لَمْ تَغْفِرْنَا لَنَا وَتَرَحَّبْنَا لِنَكُونَنَا مِنَ الْخَسِيرِينَ»^(٣) [الأمراء: ٢٢]، وهذه الكلمات التي تلقاها آدم من رب صلوات الله عليه^(٤).

اذبه، رفع رأسه إلى السماء فقال: أسلك بحق محمد ألا غفرت لي؟ فأوحى الله إليه: ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك. لما خلقتني رفعت رأسك إلى عرشك فإذا فيه مكتوب «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدُ رَسُولُهُ» فعلمت أنه ليس أحد اعظم عنك قدرًا عن جعلت اسمه مع اسمه، فأوحى الله إليه: يا آدم إنه آخر النبئين من ذريتك، ولو لا هو ما خلقتك». وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في التوبة، وابن حجر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحده، وابن مردويه، عن ابن عباس في قوله: «فَلَقَنَنَّ نَادِمُونَ بْنَ زَيْدٍ كَلْنَتْ» قال: أي رب لم تخفي بيتك؟ قال: بل. قال: أي رب لم تخفي في من روحك؟ قال: بل. قال: أي رب لم تسبق إلى رحلك قبل غضبك؟ قال: بل. قال: أي رب أرأيت إن بت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم. الدر الم Shr / ١٤٢ - ١٤٣.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في شعب الإيمان، عن قتادة في قوله: «فَلَقَنَنَّ نَادِمُونَ بْنَ زَيْدٍ كَلْنَتْ» قال: ذكر لنا أنه قال: يا رب أرأيت إن بت وأصلحت؟ قال: فإني إذن أرجعك إلى الجنة. «فَلَأَرَزَّنَا كَلْنَتَ أَنْتَ وَلَذِنَ لَرْ تَغْيِرْنَا وَتَرَحَّبْنَا لِنَكُونَنَا مِنَ الْخَسِيرِينَ»^(٥) فاستغرق آدم ربه ونواب إليه خاتم عليه. وأما عدو الله إيليس فواه ما تصل من ذبه، ولا سأل التربة حين وقع بها وقع به، ولكن سأله النظرة إلى برم الدين، فأعطي الله كل واحد منها ما سأله.

وأخرج الشعبي من طريق عكرمة، عن ابن عباس في قوله: «فَلَقَنَنَّ نَادِمُونَ بْنَ زَيْدٍ كَلْنَتْ» قال: قوله: «فَلَأَرَزَّنَا كَلْنَتَ أَنْتَ وَلَذِنَ لَرْ تَغْيِرْنَا وَتَرَحَّبْنَا لِنَكُونَنَا مِنَ الْخَسِيرِينَ»^(٦) الدر الم Shr / ١٤٤ / ١.

(١) سقط من (أ): ما كان.

(٢) في (أ): وذكر.

(٣) سلط هنا السؤال والجواب من: (ب).

١٦) وسألته عن قول إبراهيم صلوات الله عليه: **«رَبِّ أَرْنِي حَيْثُ تُحْكَمُ الْمُرْتَزَىٰ فَقَالَ أَوْلَئِمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمِئِنُ قَلْبِيٰ»** [البر: ٩٢٠].

قال: أراد بذلك صل الله عليه: أرني آية أزداد^(١) بها علما وبصيرة، وأعرف سرعة الإجابة لي منك، حتى يثبت ذلك عندي، ويقر في قلبي معرفة ذلك، فأمره الله أن يأخذ أربعة من الطير، وأن يجعل على كل جبل منها جزاً، ثم أمره يدعهن، ليريه عجيب قدرته، وشاهد حكمته، ما يزداد به معرفة في دينه، وثبتت عنه علم ما سأله من آية ربه، فأراه الله ذلك، فازداد به بصيرة وإيقاناً، ومعرفة وتياناً.

١٧) وسألته عن قول الله سبحانه: **«يَعْقُولُونَ أَوْ يَعْقُولُوا أَلَّذِي يَبْدِئُ عَقْدَهُ الْنِسَاجُ»** [البر: ٣٢٧].

قال هو: الزوج، وليس كما يقول الجهل من هذه العوام: أنه الأب.

قلت: فإن قال لنا قائل: ما الدليل على أن الزوج هو الذي يبدأ عقدة النكاح دون الأب والإخوة وبني العم؟

قال: لأن العقدة لا تكون إلا في يد من يحملها، إذا أراد أن يطلق طلق، وإن أحب أن يمسك أمسك.

ألا ترى أن الأب لو كره شيئاً من الزوج، فأراد أن يجعل عقدة نكاحه، لم يجز له ذلك، ولم يقدر عليه، ولم يمكنه إلا برضاء الزوج، ولو كره الزوج شيئاً من خلائق المرأة، ثم أراد أن يطلق جاز له ذلك، دون الأب وغيره؟!

قلت: بلى.

(١) في (أ) و (ج): أزيداد. ولعل الصواب ما أثبت.

قال: فذلك ثبت ما قلنا، وأبطل^(١) قول غيرنا.

قلت: فأين قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت ومالك لأيك»^(٢)؟

قال: هذا معنى جعله الله ورسوله، تعظيماً وتوقيراً وإجلالاً، وتفضيلاً للأب على ولده، أزال به عنه إقامة الحد.

ألا ترى أن رجلاً لو سرق شيئاً من مال ابنته، مما يجب في مثله القطع على أخيه، لم يجب عليه فيه قطع بإجماع الأمة كلها، فعل هذا المعنى يخرج قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت ومالك لأيك».

قلت: فإن قال قائل: فقد رأينا الأب يجوز له أن يعقد نكاح ابنته إذا كانت صغيرة في حجره، ويدخل بها زوجها؟

قال: العقد للنكاح خلاف عقد النكاح، وبينهما فرق في القول والمعنى.

ألا ترى أن الأب لو باع شيئاً من مال ولده صغار أو كبار، ثم أراد أحدهم أن يرجع فيه عند بلوغه، أليس ذلك له؟

قلت: لا أدري.

قال: بل، له الاختيار عند بلوغه، فكذلك لا يجوز له ولا يمكنه العفو عن شيء لا يملكه، والعفو فهو: إلى الزوج، أما أن يغفر فيدفع الفريضة التي فرض على نفسه لها، وإنما أن تعفو هي عن النصف الذي أوجب الله لها، فهذا معنى العفو الذي ذكر الله، وفي ما ذكرنا كفاية، ولو جاز أن يكون قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) في (١): وبطلي، وما أثبت اجتهاد.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٥٢٨(٢٨٨)، والتزمي ٦٣٩(٦٥٨)، والسائل في المحتوى ٢٤٠(٤٤٤٩)، وأبي ماجة ٧٢٣(٢١٣٧)، وأحمد ٢٠٤(٦٤٠).

«أنت ومالك لأبيك»، لأن ما في الحكم لما كان للزوج ولا للولد شيء من الميراث مع الأب، إذا هلكت ابنته أو ابنه، ولكن يجوز له حينذاك أخذ جميع ماترث ولده، فإذا كان هذا الميراث غير جائز له، ثبت وصح أن ولي العقدة هو الزوج، وبطل قول من قال: إن الأب ولي العقدة.

١٨) وسأل الله عن قول الله سبحانه: ﴿مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُشِّهَا تَأْتِ بِعَذَابٍ مِّنْهَا﴾ [الفرقان: ١٠٦]

قال: معنى قوله: ﴿تَأْتِ بِعَذَابٍ مِّنْهَا﴾ هو: في التخفيف والرحة والحكم، فاما على معنى الإبطال لها، فلا يجوز لأحد أن يقول ذلك، ولو أن أحداً انكر من القرآن آية، لوجب عليه أن يستتاب، فإن تاب ولاقى عذاباً.

١٩) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿لَمْ قَسْتَ قُلُوبَكُمْ مِّنْ يَقْدِرُ ذَلِكَ فِيهِ حَكَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قُسْوَةً إِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لِمَا يَنْقُضُّ مِنَ الْأَنْهَارِ إِنَّ مِنَهَا لَمَاءٌ شَفَقٌ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ فَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَهْبِطُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ﴾ [الفرقان: ٧٦]

معنى ذلك^(١): أن الله تبارك وتعالى أخبر عن قسوة قلوبهم، وقلة رجوعهم^(٢) إلى الحق، حتى إنها في ذلك أشد قسوة من الحجارة، لو كان من الحجارة من الفهم والتمييز ما في قلوبهم.

ثم أخبر أن من الحجارة ما يشقق فيخرج منه الماء، وليس في قلوب هؤلاء المشركين قلب يلين إلى شيء من الحق، فالحجارة^(٣) يعمل فيها الماء حتى يشققاها، ويخرج الماء منها، وقلوبهم لا تعمل فيها الفكر، ولا العفة^(٤) ولا

(١) في (أ): الجواب في ذلك.

(٢) في (أ): رجوعها.

(٣) سقط من (ب): من الحق. وفي (ب): إلى شيء والحجارة.

(٤) في (أ): العفة.

التذكرة، ولا التخريف ولا الترغيب، فهي على ما يعمل فيها من التذكير، والوعظ والتخريف، أقساً وأشد من الحجارة، على ما يعمل فيها الماء الخارج منها، المشقّ لها.

﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَهِيَطْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ يقول: لو كان فيها من العقل والتمييز والفهم، لما يراد منها ما فيكم هبطت من خشية الله^(١)، وهبوطها فهو: تهدمها وتقطمها^(٢) وسقوطها، وأنتم فيكم من ذلك ما قد جعل، وليس يصدقكم عن معاصي الله، ولا يرددكم إلى طاعة الله^(٣).

٢٠) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ أَسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَيْهِ أَبْنَى وَاسْتَكَبَرَ وَحَانَ مِنَ الْكُفَّارِينَ ﴾** [البر: ٢١] (١٢١)

فإنما يلبيس لعنة الله أمر بالسجود، كما أمرت الملائكة فأطاعت وسجدت، وكفر واستكبار على آدم صل الله عليه، والسجود فإنما كان الله عز وجل لا لأدم، وإنما قال **﴿أَسْجُدُوا لِأَدَمَ﴾** أي: من أجل آدم، وما أظهرت فيه من عجائب الصنع والتدبر، وعظيم الفعل والتقدير.

٢١) وسألت أرشدك الله عن قول الله سبحانه: **﴿فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمْرَكُمُ اللَّهُ﴾** [البر: ٢٢] (١٢٢) قلت: أي موضع أمر أن يؤتني فيه؟

وهو أعنك الله أبايلهن^(٤) لا أبايرهن، لأن الله سبحانه يقول: **﴿نَسَأُؤْخُذُمْ حَرَثَ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَئْنِي شِئْتُمْ﴾** [البر: ٢٣] (١٢٣)، والحرث الذي أمر الله عز وجل

(١) سقط من (١): الله.

(٢) في (١): وتقطمها.

(٣) في (ب): الطاعة.

(٤) في (٤): لأبايلمن.

يأتيانه فهو: حيث يكون النسل والمذرع من النساء^(٣)، لا تسمع كيف يقول الله الواحد العلي الأعلى: «فَإِذَا تَطَهَّرُنَ فَأُثْوَرْنَ مِنْ حَيْثُ أَمْرَكُمُ اللَّهُ»، يدل بقوله: «مِنْ حَيْثُ أَمْرَكُمُ اللَّهُ» على أن فيهن موضعًا عندهم، ولو لم يكن فيهن موضع^(٤) لهم عنه المأمورون، لما جاز أن يقول: «مِنْ حَيْثُ أَمْرَكُمُ اللَّهُ»، إذ من في كل^(٥) ذلك مطلقات، ففي ذلك دلالة شافية، ميئية لما قلنا به والحمد لله كافية، مع ما جاء عن الرسول في ذلك من الأحاديث المؤكدة، المكررة^(٦) في التهـي عن الأدبار المشددة، من ذلك قوله صل الله عليه وآله وسلم: «إيتـان النساء في عجـازهن كـفر»^(٧).

(٢٢) وسألت عن قول الله سبحانه: «وَالْمُظْلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةُ فَرْقَاءُ» [البر: ٢٢٨] فقلت: ما القـراء، ومـنـ أولـ الـثـلـاثـةـ، وـمـنـ آخرـهاـ؟

فالـقـراءـ هوـ الـمـحـيـضـ وـالـدـمـ نـفـسـهـ، لـاـ شـيـءـ فـيـ الـعـنـيـغـيرـ، وـإـنـاـ سـمـيـ قـرـوـءـاـ لـتـقـرـيـ المـرـأـةـ فـيـ خـرـقـهـاـ مـنـهـ وـتـجـمـعـ، وـكـلـ مـاـ جـمـعـ فـاـجـتـمـعـ فـقـدـ قـرـيـ فـيـهـ فـيـاـ يـجـمـعـ فـيـهـ مـنـ خـرـقـ أوـ كـرـسـفـ، أوـ إـنـاءـ أوـ حـوـضـ، أوـ غـيـرـ ذـلـكـ مـنـ الـأـوـعـيـةـ وـالـشـيـاءـ.

الـأـنـرـىـ أـنـ الـعـرـبـ تـقـولـ لـلـمـسـافـرـ: اـقـرـ فـيـ الـحـوـضـ وـلـاـ تـنـيـ، تـرـيدـ: اـجـعـ الـمـاءـ وـلـاـ تـهـرـقـ، وـاقـرـ فـيـ حـوـضـكـ^(٨) وـلـاـ تـنـرـقـ.

(١) سقط من (١): من النساء.

(٢) في (١): موضعـاـ.

(٣) سقط من (١): كلـاـ.

(٤) في (١): المـكـرـرـةـ المـذـكـورـةـ.

(٥) رواه الإمام المادي عليه السلام في الأحكام ١ / ٤١٠، وأخرجه الترمذـي برقم (١٣٥)، وابن ماجـة (١٣٩)، وأحد ٢، ٤٠٨، ٤٧٦، وأبي دارد (٢٩٠٤)، والدارمي ١ / ٢٥٩، بلفظ: من أثـنـ حـالـفـاـ أوـ اـمـرـأـةـ فـيـ دـبـرـهـاـ أوـ كـاهـنـاـ، فـصـدـقـهـ، فـقـدـ كـفـرـ بـياـ أـنـزـلـ عـلـىـ مـحـمـدـ صـلـ اللهـ عـلـيـهـ سـلـمـ.

(٦) في (١): حـوـضـهـ.

ومن سورة الأعراف

٦٥) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلَّاً إِبْيَانَهُمْ﴾** (الأعراف: ٤٦).

الجواب في ذلك: أن **«الْأَعْرَافِ»** هو: ما ارتفع من الأرض وعلا، وشمخ منها في الموى.

ذلك أعراف الأرض ومعارفها.

والرجال التي عليها في يوم الدين، فقد قيل: إنها رجال من المؤمنين.

وقيل: إنها الحفظة التي كانت من الملائكة المقربين، حفظة في الدنيا على العالمين، التي قال الله في كتابه وذكرهم، وما أخبر من حفظهم لم كان من الخلق منهم، حين يقول: **﴿إِذَا يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَاءِ قَعِيدًا هُنَّ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدِيَهُ رَقِيبٌ عَيْنَاهُ﴾** (آل عمران: ١٨-١٧)، وهذا فأشبه المعنى عندي والله أعلم وأحكم.

ومعنى **«يَعْرِفُونَ كُلَّاً إِبْيَانَهُمْ﴾** فهو: معرفة أولئك الحفظة من كانوا يحفظون.

ومعنى **«يَعْرِفُونَ»** فهو: يتعرفون ويتفهمون، حتى يوفروا بهم، ويعرفوهم ويقدروا عليهم ويشتهرهم معرفة. ومعنى **«إِبْيَانَهُمْ﴾** فهو: بحلبائهم التي كانوا يعرفونها في الدنيا، ومنها في صفاتهم وخلقهم، وبنائهم المروفة من صورهم.

٦٦) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿وَإِذْ قَاتَلَ أَمَّةً مِّنْهُمْ لَمْ تَعْظُرُنَّ فَرَوْنَ أَلَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾** [الأمرات: ١١١] فقلت: هل دخلت هذه الأمة القاتلة **﴿لَمْ تَعْظُرُنَّ فَرَوْنًا﴾** في المملكة، أم هي من المملكة ناجية؟

وكيف تدخل في العذاب والقتم، وهي منكرة على أهل العصيان من الأمم.

٦٧) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾** [الأمرات: ٤٣] فقلت: ما هذا التأويل، وعلى ما يخرج من الأقارب؟

واعلم أنه تأويل ما كان يأتي به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من الوعد والوعيد من ذي الجلال والإكرام^(١)، مما كانت قريش ومن معها^(٢) من المشركين، وكثير من كان معه صلى الله عليه وآله وسلم من المافقين يكذبونه ويحمدونه^(٣)، ويأبون التصديق به ويطبلونه، من الخشر والميعاد، وما أعد الله سبحانه للعباد، من الثواب الذي أعده للمحسنين، والعذاب الذي جعله سبحانه جزاء للفاسقين، إلا تسمع كيف حكى ذلك عنهم الرحمن، حين^(٤) يقول في واضح ما نزل من القرآن، من قوله: **﴿أَوَذَا مِنَّا مِنْتَأْنَا وَحَكَنَّا تُرَابًا وَعَظَنَّا أَعْنَانًا لَمْ يَعْلَمُوْنَ بِهِ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَإِبْرَاهِيمَ هَذَا مِنْ قَبْلٍ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾** [المومنون: ٨٣-٨٤]^(٥)

(١) في (ب): من الله سبحانه.

(٢) في (ب): ومن تعها.

(٣) في (أ): يكذبون به ويحمدون.

(٤) في (ب): حيث.

(٥) في (أ) أثبت الآية هكذا: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَيْدِي أَكْثَرِنَا وَإِبْرَاهِيمَ أَبْنَائِنَا نَخْرُجُونَ**^(٦) **﴿وَالآيَةُ الْأَيَّةُ عَنْتَلَةٌ كَمَا تَرَى، فَهِيَ مِنْ سُورَةِ النَّصْلِ: لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا لِنَحْنُ وَإِبْرَاهِيمَ أَبْنَائِنَا نَخْرُجُونَ**^(٧) **﴿قَتْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾** [فصل: ٦٦-٦٧]

فأخبر سبحانه عن عجيء تأويل^(١) ما كانوا يوعدون، مما^(٢) كانوا به يكذبون، من يوم حشرهم وعقابهم، وما يعابونه^(٣) من حسابهم.

٦٨) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿وَلَقَدْ ذَرَّا نَا لِجَهَنَّمْ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ﴾** [الأعراف: ١٧٩]، فقلت: إذا كان الله قد ذرأهم لها، فكيف يقدرون على الخلوص منها؟

واعلم أن الذرو الذي ذكر الله هو الذرو الثاني في الحشر، حشر المؤمنين إلى التعيم المقيم، وحشر المنافقين الفاسقين إلى العذاب الأليم، لا ما يتورهم الجهلة العَمُون، على رب العالمين، من خلق الفاسق فاسقاً، والمنافق منافقاً، والصالح صالحاً، والطالح طالحاً.

ولو كان ذلك كذلك لما أرسل إليهم المرسلين، ولما أمرهم بأن يكونوا من المؤمنين، ولكن في أمره إياهم بذلك داعي لهم إلى مغايته، آمراً لهم بالخروج من جهته، ولم يكن المحسن أول بثواب الإحسان من المذنب، ولم يكن المذنب أول بعقوبة المذنب من المحسن، و**﴿وَذَلِكَ ظُنُونٌ أَلَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلِيلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾** [آل عمران: ٢٧].

٦٩) وسألت عن قول موسى: **﴿رَبِّي أَرِنِي أَبْطُرُ إِيَّاكُ﴾** [الأمراء: ٩١١٢]؟ فلم يرد موسى عليه السلام ما يتورهم الجاهلون، من أن يكون سأله أن يرى ما لا يرى، وموسى عليه السلام أعرف بالله من أن يجعله محدوداً.

(١) سقط من (أ): تأويل.

(٢) في (ب): وما.

(٣) في (أ): يعابون.

وإنما معنى قوله: **﴿أَرَيْتَ أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾** هو: أرني آية من كبار آياتك، أنظر بها إلى عجائب قدرتك، وإلى ما لا أشك فيه من عجائب فعلك، الذي لا يناله غيرك، ولا يقدر عليه سواك، فأوحى الله إليه أنك: قال تعالى: **﴿لَنْ تَرَشِّنِ﴾** يقول: إنك لن ترى مني تلك الآية، لضعف بنيتك عنها طلبت من عظيم آياتي، التي لا يقوم لها فطر الأدرين، ولا يقدر على تأملها أحد من الأدرين، ثم قال سبحانه: **﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾** الذي هو أشد منك بنيّة، وأقوى منك فطرة، فإني سأعطيك عليه بعض ما سألتني أن تراه من عظيم آياتي، فإن استقر هذا الذي هو أشد منك بنيّة، عند تخيّل الآية عليه، ووقعها به^(١)، فسوف أريكمها أو مثلها، وإن لم يستقر ولم يطقطقها، فكيف تسألني أنت أن أريكمها أو مثلها؟ بل كيف تقوى بنيتك الضعيفة لها، ولم يقم لها جسم الجبل العظيم، الصخر الصلد الجسيم^(٢)، قال تعالى: **﴿فَلَمَّا تَحَجَّلَ رَبُّهُ﴾**، يقول: فلما تجلّت آية ربه للجبل **﴿جَعَلَهُ دَكَّانًا﴾** فقال: تجلّ ربي، وإنما معناها: تجلّت آية ربي، وهذا من العربية فكثير، أن تقيل الشيء مقام ما هو منه، مثل ذلك قول الله: **﴿وَسَلَّلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي حَكَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلَنَا فِيهَا﴾** [بروت: ٨٣]، فقال: العير والقرية، وإنما القرية: الجدر^(٣) والأرض، فلم يُرد ذلك، وإنما أراد: أهل القرية، فطرح أهل واقام القرية مقام أهلها، **﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلَنَا فِيهَا﴾** والعير فهي: الإبل، وليس سُلَال الإبل، وإنما أراد: أهل العير، فطرح الأهل واقام العير مقامهم، فعل ذلك يخرج معنى^(٤) قول الله: **﴿فَلَمَّا تَحَجَّلَ رَبُّهُ﴾** وهو المثل الأعلى،

(١) سقط من (ب): به.

(٢) سقط من (ب): الصخر الصلد الجسيم.

(٣) في (ب): والقرية: الجدر.

(٤) سقط من (أ): معنى.

ومعنى قوله: **«لِلْجَبَلِ»** فهو: على الجبل، غير أن حروف الصفات^(١) يقوم بعضها مقام بعض، ويجزى بعضها عن بعض.

ومن الحجة في أن العرب تطرح الشيء وتقيم ما كان من سبيه مقامه، قول الشاعر:

الآتي أسلوب حalka الأبجي من الشراب الأبجي^(٢)

والأسد لا يشربه أحد ولا يُسقاه، وإنما هي الحياة السوداء، وإنما أراد: إنني سقيت سم أسود، فطرح السم وأقام الأسود مقامه.

(٧٠) وسألت عن قول الله سبحانه: **«فَإِذَا أَخَذَ رَبِّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذَرَّتْهُمْ وَأَشَهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنْتُ إِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهَدْنَا»**
[الأمر: ٩]

فأخذ الله سبحانه على بني آدم، فهو: أخذه على أولئك، ما أخذ من الإقرار به ويوحداناته وريوبنته، والإقرار بغير أفضحه وكبه ورسله، لا يزيله عنهم شيء إلى أن تقوم الساعة، فرضا لازما في الأولين والآخرين، فهذا معنى: أخذ الله من بني آدم، ومعنى **«مِنْ ظُهُورِهِمْ»** فهو: أخذه على نسلهم نيلا بعد نسل، والظهور ما يخرج من الظهور من النسل، وعلى ما يخرج منها، كان الأخذ عليها، لا تسمع كيف

(١) يعني: حروف الجر.

(٢) البيت لطرفة بن العبد من قصيدة مظلومها:

خولة بالأجزاء من إصم طلل وبالسفع من قو مقام ومحمل

بلغظ:

الآتي شربت أسود حalka لا بجي من الشراب الابجي

يقول: «ذَرْتُهُمْ»، فأخبر بذلك أنه عنى اللرية التي تخرج من الظهور، ومعنى
«أشهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ» فهو: بما جعل من حجج العقل، الشاهدة لهم وفيهم،
هذه بحقائق ما أخذ الله من الإقرار بربوبيته ووحدانيته عليهم ^(١).

٧١) وسألت عن قوله سبحانه: «وَلَقَدْ ذَرَّا نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّىٰ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ
لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَقْعُدُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يَبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذْانٌ لَا
يَسْمَعُونَ بِهَا أَوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَئِكَ هُمُ الظَّفِيلُونَ

﴿الآيات: ٩١٧٩﴾

فمعنى قوله: «ذَرَّا نَارًا» هو: أنشأنا وجعلنا، وهو النرو الآخر، والنشأة الآخرة
في يوم القيمة، عند خروج الناس من قبورهم، فيساق أهل كل دار إلى دارهم، من
عمل في الدنيا خيرا حشر إلى الجنة وفري لها، ومن عمل في الدنيا شرا حشر إلى النار
وأنشى لها وإليها، جزاء على عمله، وإعطاء لما أسلف من فعله، وأما ما ذكر الله من
القلوب والأعين والأذان، فإنه أخبر بذلك أنهما كانوا لا يتضمنون بها في الدنيا، كانوا
لا يميزون بقلوبهم ما أمروا بتمييزه، ولا يعتبرون بما يرون من أثر صنعة الله
لغيرهم، ولا يقبلون عن الله ما يسمعونه بأذانهم، فهم في قلة القبول والاحتداء ^(٢)،
وترك الانتفاع بما يُسمع ويرى، كالأنعام بل هم أضل من الأنعام، لأن معهم من
التميز ما ليس معها، ثم هم في الإعراض وقلة الانتفاع كهن ^(٣) سواء، فهم بذلك

(١) سقط هذا السؤال والجواب من: (ب).

(٢) في (أ): والاحتداء.

(٣) في (أ): هي في الإعراض وقلة الانتفاع كهم.

وشبّه أشر منها وأردى، وآفَك عن الحقيقة وأبل، فنعزّ بالله من الحيرة والعمى،
والملائكة باتباع الموى^(١).

قال أبو القاسم الإمام المرتضى لدین الله محمد بن يحيى.

سألت أبي الحادى إلی الحق صلوات الله عليه^(٢) ورحمته، عن قول الله: «إِذْ أَخْذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّتُهُمْ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ»
(الأعراف: ١٧٢: ؟)

قال: يعني سبحانه أنه أخذ على آدم صل الله عليه وعل ذريته العهد، بما ذكر
من^(٣) المعرفة والإقرار بربوبيته، والتوجيد له والقول بالحق فيه، وألزمهم وإياهم
الإقرار بذلك، فكان ذلك عهداً أخذه من آدم في عصره، وحيثه^(٤) عقداً باقياً،
وفرض على ذريته لازماً لهم، إلى يوم الدين، وحشر العالمين، فلما أن كان سبحانه قد
أخذ العهد على آدم بذلك، وجعله فرضاً ثابتاً على ذريته، لا يتغير حاله، ولا يزول
فرضه، وإنجبا له على الخلاقين أبداً، وكان ذلك عهداً عقده الله عز وجل على آدم
ودريته إلى يوم الدين، جاز أن يقول: «إِذْ أَخْذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ
ذُرِّتُهُمْ»، ومعنى «من ظُهُورِهِمْ» يقول: من نسلهم وعقبهم، نسل فنسلا،
وعقباً بعد عقب.

(١) في (أ): المرواء وسا. وكتب على الكلمة الأخيرة (كتلا).

(٢) في (أ): عليها. وما أثبت اجتهاد.

(٣) في (أ) و (ب): من.

(٤) في (أ): من بني آدم في عصره وذراته.

وأما قوله: **«وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ»** فهو: بما جعل وركب من العقول لهم، فكانت العقول ^(١) تشهد لمن أنصفها، بأثر الصنع فيها خالقها، وتدل بذلك على الله صاحبها، فهذا معنى قوله سبحانه: **«وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ»**، وقد يكون الإشهاد يخرج على معنى الشهادة منهم على أنفسهم، والإقرار بما أخذ سبحانه من العهد ^(٢) عليهم، فكل ذلك حسن في ^(٣) معناه، جائز لمن احتجاه، فافهم ^(٤) هذيت ما عنه سألت، نسأل الله لنا ولكم التوفيق والتسديد.

٧٣) [وَسَلَّ] عن قول الله تبارك وتعالى: **«جَعَلَ لَهُ شَرَحَّاءَ فِيمَا آتَنَهُمْ»**
الآمراف: ١٩٠.

قال: إن آدم وحواء صل الله عليهما لما أسكنهما الله الجنة التي ذكر في كتابه، نظر آدم صل الله عليه إلى خلقه ونظر إلى خلق حواء عليهما السلام، فقال: لئن آتتنا ولدا مثل خلق آدم لنجلسه لمبادتك وطاعتك، فلما أن رزقها الله تبارك وتعالى ولدا ذكرا، وشب ذلك الغلام وكبر، لم يستغف عنده أبوه في معونته، في حرثه وزرعه وجميع مرافقه، فاستخدمه يوما، وخلاله لعبادة ربها يوما، فكان على ذلك فعله، فأنزل الله

(١) سقط من (أ): العقول.

(٢) في (أ): المهد.

(٣) سقط من (أ): في.

(٤) في (ب): فافهم ذلك. وسقط ما بعده.

تباك وتعالى قرآن، وهو قوله: **﴿جَعَلَ لَهُ دُرْحَكَاءَ فِيمَا أَتَيْنَاهُمْ﴾**، لا ما يقول به الجاهلون، القائلون على الله ما لا يعلمون^(١).

٧٤) وسئل عن قول الله سبحانه في ما يحكي عن موسى عليه السلام إذ: **﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَأَصْبِرُ وَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَنْقَيْبَةُ لِلْمُتَقْيِنَ﴾** [الآيات: ١٢٨]، قال: كيف يستعان بالله، وما يقول المستعين؟

قيل له: الاستعانة بالله هي: العمل لا المقال، من كل مستعين من النساء والرجال، والاستعانة بالله هي العمل بطاعة الله، والأمر بأمره، والنهي عن نهيه،

(١) أخرج أحد، والترمذني وحسنة، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه والحاكم وصححه، عن سمرة، عن النبي صل الله عليه وآله وسلم قال: لما ولدت حواء طاف بها إيليس وكان لا يعيش له ولد، فقال: سمي عبد الحارث فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش، فكان ذلك من حسي الشيطان وأمره.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن سعيد بن جبير قال: لما أهبط الله آدم وحواء إلى في نفسه الشهوة لامرأته، فتحرك ذلك منه فأصابها، فليس إلا أن أصابها حلت، فليس إلا أن حلت تحرك ولدها في بطنهما، فقال: ما هذا؟ فجاءها إيليس فقال لها: إنك حلت خلدين، قال: ما ألل؟ قال: ما هل ترين إلا ناقة أو بقرة أو ماعزه أو ضانية هو بعض ذلك، وينحرج من أنفك أو من ميئيك أو من أذنك، قالت: والله ما نسي من شيء إلا وهو يضيق عن ذلك، قال: فاطيعيوني وسميه عبد الحارث - وكان اسمه في الملائكة الحارث - تلدي مثلثك، فذكرت ذلك لأدم فقال: هو صاحبنا الذي قد علمت، فلما ثم حلت بأخر، فجاءها فقال: أطعني أو قتله فإني أنا قلت الأول، فذكرت ذلك لأدم فقال مثل قوله الأول، ثم حلت بالثالث فجاءها فقال لها مثل ما قال، فذكرت ذلك لأدم فلما لم يكره ذلك، فسمته عبد الحارث، فلذلك قوله: **﴿جَنَّكَ لَهُ شَرَّكَةٌ يَهْسَأُونَهُمْ﴾**.
الدر المشرور ٢/٦٢٣ - ٦٢٤.

وال الوقوف عن معاصيه، فمن عمل ذلك من الناس، فقد استعان بالله^(١) الواحد الرحمن.

وفي ذلك ما يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْأَلَّدِينَ أَتُقْرَأُ وَالْأَلَّدِينَ هُمُ الْمُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ومن كان الله معه، فقد قهر أمره وقوى، ومن لم يكن الله معه فقد عجز في أمره وغوى، والله سبحانه فلا يكون إلا مع من ذكر من المتقين المحسنين^(٢)، وإذا لم يكن إلا مع المتقين فهو: لا شك خاذل للفاسقين، ومن خذله الله فقد هلك وهوى، ومن وفقه الله وأعانه فهر أمره وعلا، ألا ترى كيف^(٣) يدل آخر الآية التي سالت عن تفسير أولاها، على جميع ما عنه^(٤) سالت، منها حين يقول: ﴿وَالْعَنْتَبَةُ لِلْمُتَقْبِتِ﴾، فأخبرهم سبحانه أن استعانتهم به لا تنجح إلا^(٥) للمتقين، وفي هذا^(٦) دليل لمن عقل وفهم، واستضاء بنور كتاب الله فعمل، على ما قلنا به من تفسير الآية وشرحنا.

٧٥) وسألته عن قول موسى صل الله عليه: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ٩١٤٣]

قال: معنى قوله: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، فهو: أرني آية من عظيم آياتك، أنظر بها إلى قدرتك، وأزداد بها بصيرة في عظمتك وقدرتك، فقال: ﴿لَنْ تَرَنِتِي﴾، يقول: لن تقدر على نظر شيء من عظيم الآيات، التي لو رأيتها لضعف جسمك، ولطف

(١) سقط من (ب): بالله.

(٢) في (ب): والمحسنين.

(٣) في (أ): أمر، ألا ترى يدل.

(٤) في (أ): عليه.

(٥) سقط من (أ): إلا، ومن (ب): به.

(٦) في (ب): فهذا.

مركبك ولأهلتك، ولا قدرت على النظر إليها لعجزك وضعفت مركبك، **﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَيْ﴾** هذا **«الْجَيْلُ»**، الذي هو أعظم منك خلقاً، وأكبر منك جسماً، **﴿فَإِنْ أَسْتَقْرَ مَحَانَهُ﴾** إذا أردته بعض ما سألكني أن أريك، **«فَسَوْفَ تَرَبَّتِي»**، يقول: فسوف ترى ما سألت من عظيم الآية، ولن تقدر على ذلك أبداً، ولا تقوم له أصلاً، **﴿فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِلْجَيْلِ جَعَلَهُ دَكَّاً﴾**، معنى **«تجلى ربُّه دَكَّاً»**، أي: أظهر آياته، وأبان قدرته، **«جَعَلَهُ دَكَّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِيقَةً»**، يقول: مغشياً ميتاً، لما رأى من المول العظيم الذي لا يقدر على رؤيته لعجزه وضعفه، وإن كان الذي أظهره الله وأباهه من لطيف آياته، فجاز أن يقول: **«تَجَلَّ رَبُّهُ»**، لما كان ذلك من فعله وتدبیره، وأمره وإرادته. وهو كقوله: **«هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي ظُلُّ مِنَ الْكَسَّامِ»** (البقرة: ٢١٠)، يقول: تأثيرهم الآيات، وما يريد أن يُخْلِّ بهم من العذاب والنعم والأفات. قوله: **«وَجُوهٌ يَوْمَدِ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**

(النaba: ٢٣-٢٤)، يقول: نصرة مشرفة حسنة، وهذا معروف في اللغة والبيان، يقول العرب للرجل إذا أرادت له خيراً: نَصَرَ اللَّهُ وَجْهُكَ، وقوله: **«إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**

﴾﴾، أي: ناظرة لثوابه، وما يأتיהם من خيره وفوائده، ومن ذلك ما تقول العرب: قد نظر الله إلينا، وقد نظر الله إلىبني فلان إذا أصابهم الخصب بعد الجدب، والرخاء بعد الشدة. وإنها أراد بذلك: أن الله قد رحمهم وأتاهم بالنعم، **«فَلَمَّا أَنْفَقَ** موسى صل الله عليه، **«فَقَالَ سُبْحَنَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَإِنَّا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**

﴾﴾، يقول: لو ابليتني وأربنتي وأظهرت لي من بعض ما سألكني، ما أهلتك به الجبال الراسية لما قام لها جسمى، ولأهلكتني بقليلها، ولما احتمل ذلك لطيف خلقي، وضعف مركبي، أنظر إلى عظيم ما ذهبت به الجبال الراسية، فلك الحمد

عل ما صرفت عني من ذلك، رحمة منك بي، وتفضلاً علي، وزبادة وإحساناً إلي.

فهذا معنى قوله: **«أنظُرْ إِلَيْكَ»**، لا ما ذهب إليه من جهل وزعم أن الله يرى، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيراً. كيف وهو يقول في كتابه: **«لَا تُدْرِكُ الْأَنْسَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»** [الأسماء: ١٠٣].





تفسير سورة الأنفال

ومن سورة الأنفال

٧٦) وسألته عن قوله سبحانه: ﴿كَمَا أَخْرَجَكُّرِبَكَ مِنْ بَيْتِكَ يَالْحَقِّ... إِلَى قَوْلِهِ:
وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (الأنفال: ٦-٥) ^(١)

قال: هذا إخبار من الله تبارك وتعالى بما كان من خبرته لنبيه صل الله عليه وآله وسلم في خروجه إلى أحد، وتبصره عن المدينة حتى كان الحرب بأحد، ولم يكن على أبواب المدينة، فكان ذلك خبرة من الله لنبيه، فأما قوله: ﴿وَإِنْ قَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِبُونَ﴾ فقد كان رسول الله صل الله عليه وآله وسلم شاورهم أين يكون قاتلهم، أترون أن ثبت حتى يأتونا المدينة فقاتلتهم على دروبها؟ أو نخرج فقاتلتهم ناحية منها؟ فأشاروا عليه بالقتال في المدينة فأطاعهم، ثم بدا لهم فأشاروا بالخروج فأطاعهم، فدخل منزله ولبس لامته، ثم ركب وخرج، فلما أن خرج قالوا: يا رسول الله ارجع بنا إلى الرأي الأول، إلى القتال على أبواب المدينة، نبيت لهم حتى يأتونا إلى هاهنا، فقال صل الله عليه وآله وسلم: ما كان لنبي إذا لبس لامته - يعني درعه - أن يفسخها حتى يقاتل، ومفعى صل الله عليه وآله وسلم نحو أحد، فكرهوا ذلك وجادلوه فيه، ونقل عليهم الخروج إلى قريش، ورجع من الطريق عبد الله بن أبي الأنصاري في ثلاثة مائة، ومفعى رسول الله صل الله عليه وآله وسلم في باقي الناس، وبهم من الميبة والفرق ما قال عز وجل: ﴿كَانُوا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ

(١) كمال الآية: ... وَإِنْ قَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِبُونَ ^ر يُجَدِّلُونَكَ يَالْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ
كَانُوا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ...﴾.

يَنْظُرُونَ》， من لقاء القوم، وحاربهم وكان من الأمر ما كان^(٤).

(١) قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم، أن رسول الله صل الله عليه وأله وسلم قال: «رأيت بقرًا لي تُذبح؟ قال: فأما البقر، فهي ناس من أصحابي يقتلون، وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي، فهو رجل من أهل بيتي يقتل.

قال ابن إسحاق: فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتذعورهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها، وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله صل الله عليه وأله وسلم، يرى رأيه في ذلك، والأما عزوج إليهم، وكان رسول الله صل الله عليه وأله وسلم يكره الخروج، فقال رجال من المسلمين، من أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره، من كان فاته يدر: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جئنا عنهم وضعفنا؟ فقال عبد الله ابن أبي بن سلول: يا رسول الله، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا طُلِّ إلا أصحاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصحابنا، فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم، ورمامهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجموا رجعوا خاتمين كما جاءوا. فلم يزل الناس برسول الله صل الله عليه وأله وسلم، الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم، حتى دخل رسول الله صل الله عليه وأله وسلم بيته، فلما سأله لأمه، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة. وقد مات في ذلك اليوم رجلٌ من الأنصار، يقال له: مالك بن عمرو، أحد بنى التجار، فصل عليه رسول الله صل الله عليه وأله وسلم ثم خرج عليهم، وقد ندم الناس، وقالوا: استكرهنا رسول الله صل الله عليه وأله وسلم، ولم يكن لنا ذلك. فلما خرج عليهم رسول الله صل الله عليه وأله وسلم، قالوا: يا رسول الله، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صل الله عليك، فقال رسول الله صل الله عليه وأله وسلم: ما ينبغي لبني إدريس لأمه أن يضعها حتى يقاتل، فخرج رسول الله صل الله عليه وأله وسلم في ألف من أصحابه.

قال ابن هشام: واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس.

قال ابن إسحاق: حتى إذا كانوا بالشرط بين المدينة وأحد، انحرز عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندرى علام نقتل أنفسنا هاهنا أيام الناس! فرجع بين اثنين من قومه من أهل النفاق والريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، آخر بنى سلامة، يقول: يا قوم، أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنك

(٧٧) وسأله عن قول الله سبحانه: **«وَلَوْ تَوَاعِدُهُمْ لَا خَتَّلْفُتُمْ فِي الْعِبَادَةِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا حَكَارَ مَفْعُولًا»** (الأشـٰل: ٤٢)، فقلـتـ: ما هذا الأمر الذي يقضـيـ الله وما قـضاـزـهـ؟

وهـذاـ فإـخـبارـ منـ اللهـ لـلـمـؤـمـنـينـ بـهـاـ وـفـقـ لهمـ مـنـ المـعـونـةـ وـالـنـصـرـ، وـمـنـ بـهـ فـيـ ذـلـكـ عـلـيـهـمـ مـنـ الـظـفـرـ.

وـالـأـمـرـ الـمـقـضـيـ فـهـوـ النـصـرـ مـنـ اللهـ لـلـمـؤـمـنـينـ، عـلـىـ نـاصـبـهـمـ مـنـ الـكـافـرـينـ، وـقـولـهـ: **«حَكَارَ مَفْعُولًا»** يـريـدـ: كـانـ اللـهـ (١) حـكـماـ وـفـعـلاـ مـفـعـولاـ، فـيـ قـدـيمـ الدـهـرـ وـحـدـيـثـةـ، وـقـبـلـ إـيجـادـ يـوـمـ بـدـرـ وـتـكـوـيـنـ، لـأنـ اللـهـ لـمـ يـزـلـ مـنـذـ خـلـقـ الـدـنـيـاـ، حـاكـماـ بـالـنـصـرـ مـنـ لـأـهـلـ التـقـوـيـ، فـمـنـ اـتـقـاهـ وـنـصـرـهـ، أـعـانـهـ وـأـيـدهـ وـنـصـرـهـ، وـذـلـكـ قـولـهـ: **«وَلَيَنـصـرـنـ اللـهـ مـنـ يـنـصـرـهـ إـنـ اللـهـ لـقـوـيـ عـزـيـزـ مـغـيـرـ»** (الـجـ: ٤٤)، وـقـولـهـ: **«إـنـ تـنـصـرـوـاـ اللـهـ يـنـصـرـحـكـمـ وـيـشـتـأـرـ أـقـدـامـكـمـ»** (الـمـدـ: ٧).

وـقـلتـ: مـاـ قـضاـزـهـ لـهـ؟
 فـهـوـ: إـيجـادـهـ لـهـ وـفـعـلـهـ.

(٧٨) وـسـأـلـهـ عـنـ قـولـ اللهـ سـبـحانـهـ: **«يـسـتـلـوـنـكـ عـنـ الـأـنـفـالـ قـلـ الـأـنـفـالـ لـلـهـ وـالـرـسـوـلـ»** (الـأشـٰلـ: ١)،

فـقـالـ: الـأـنـفـالـ فـهـيـ: الـغـنـائـمـ الـتـيـ نـفـلـهـ اللـهـ الـمـسـلـمـينـ وـجـعـلـهـمـ وـأـطـلـقـهـاـ، وـلـمـ

تقـاتـلـونـ لـأـسـلـمـنـاـكـمـ، وـلـكـنـ لـأـنـ رـىـ أـنـ يـكـوـنـ قـاتـلـ، قـالـ: فـلـيـاـ اـسـتـعـصـواـ عـلـيـهـ وـأـبـواـ لـاـ الـاـنـصـارـ فـعـنـهـمـ، قـالـ: أـبـدـكـمـ أـهـدـاءـ اللـهـ، فـسـبـعـنـيـ اللـهـ عـنـكـمـ نـيـهـ، سـيـرـةـ اـبـنـ هـشـامـ ٢/ ٦٧ - ٦٨ .

(١) فـيـ (بـ): لـهـ.

يُكَلِّفُهُمْ لِأَخْدَقِنَّ مُحَمَّداً عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ^(١)، فَأَخْبَرَهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ
لَهُمْ فِيهَا طَبَةٌ وَلَا قِبْضَةٌ وَلَا ابْنَاطَةٌ، وَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ الْحُكْمَ فِيهَا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَحَكَمَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا وَرَسُولُهُ بِمَا قَدْ عَلِمْتُ^(٢) مِنْ خَسْبِهَا، وَقَسَمَ الْأَرْبَعَةِ الْأَخْرَاسِ عَلَى
مِنْ^(٣) حُضُورِهَا مِنَ الرِّجَالِ وَالْفَرَسَانِ، عَلَى الْأَسْهَمِ الْمُرْوَفَةِ، «لِلرَّاجِلِ سَهْمٌ
وَلِلْفَارَسِ سَهْمَانٌ»^(٤).

(٧٩) وَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَّاحَةَ: «وَلَوْ عِلِّمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَا سَمْعَهُمْ وَلَوْ
أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلُّوا وَهُمْ مُغَرَّضُونَ»^(٥) (الأنفال: ٢٢)؟

فَقَالَ: مَعْنَى قَوْلِهِ: «لَا سَمْعَهُمْ» فَهُوَ: لَوْفَقُهُمْ، وَلِسَدِّدِهِمْ فَهَدَاهُمْ، وَأَرْشَدَهُمْ
إِلَى صَرْبَابِ مَا يَسْمَعُونَ، وَإِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ يُدْعَوْنَ، وَلَكِنْ لَمْ يَعْلَمُهُمْ مَنْ يَرِيدُ الْحَقَّ،
وَلَا يَصُدُّقُ فِي سَأَهْلِهِ مَا ذَكَرَ مِنَ الْإِسْبَاعِ، الَّذِي هُوَ الْهُدَى وَالْتَّوْفِيقُ وَالْتَّسْدِيدُ،
بَلْ عِلْمٌ أَنَّهُ لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ مَا قَبْلَهُ وَلَتَرْكُوهُ، وَتَوَلُّوا عَنْهُ وَهُمْ مَعْرَضُونَ عَنْ
قَبْوَلِهِ، وَعَنِ الْإِقْرَارِ بِهِ.

(١) أَخْرَجَ الْبَخَارِيُّ بِرَقْمِ (٣٢٣) عَنْ جَابِرٍ بْنِ عَبْيَالَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَعْطِيْتُ حَتَّى
لَمْ يَمْتَهِنُ أَخْدَقَنِي تَمِيزَتُ بِالرَّاغِبِ مُسَيْرَةَ شَهْرٍ وَجَيَّلَتُ بِالْأَرْضِ مُسَيْرَةَ وَطَهُورًا فَأَتَيْتُهُمْ جُلُّ مِنْ
أَنْتَيْتُ أَذْرَكَتُهُ الصَّلَاةَ فَلَبِسْتُهُ وَأَجْلَتُهُ فِي الْمَاقِمِ وَلَمْ يَعْلَمْ لِأَخْدَقَنِي وَأَعْطِيْتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ أَئِمْمَةُ
يَتَعَثَّتُ إِلَيْهِمْ خَاصَّةً وَيَبْعَثُتُ إِلَيْهِمْ عَامَّةً.

(٢) فِي (١): عِلْمَهُ.

(٣) فِي (١): مَا.

(٤) أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي الْسَّنْنِ ١٦٠ / ٣٠١٥، وَالحاكِمُ فِي الْمُسْتَدِرِكِ ٢ / ١٤٣ (٢٥٦٣)، وَالْيَهِيْقَنِيُّ
فِي الْكَبْرِيِّ ٦ / ٣٢٥ (١٢٦٤٨)، وَأَحْدَادُ ٣ / ٤٢٠ (١٥٥٠٨)، كَلِمَهُ «فَأَعْطَى الْفَارَسَ سَهْمَانَ
وَالرَّاجِلَ سَهْمَا». وَمُثْلِهِ فِي الْبَخَارِيِّ فِي غَزْوَةِ خَيْرٍ ٦ / ٤٧١ / ٥٢-٥٠، وَسَلَمَ بِشَرْحِ التَّرْوِيِّ
٨٢-٨٢ / ١٢.

٨٠) وسألته عن قوله سبحانه: «وَإِذَا يَعْدُكُمُ اللَّهُ أَخْذَى الظَّاقِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَنَوَّذُونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لُكْمَةً وَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَتِيهِ» [الأفال: ٧]؟

قال: الطائفتان فهم ^(١) عسكر قريش الذي لقي النبي صلى الله عليه وأله وسلم يhydr، والطائفة الأخرى وهي العير التي أقبلت من الشام إلى مكة تحمل الطعام، فلما ^(٢) وعدهم الله أن يظفرهم بإحداهما ^(٣)، أحب المسلمين وودوا أن تكون طائفة العير والطعام، الذي ليس فيه إلا الجالون ^(٤) الذي لا يغارون ولا يدافعون عنها، ولا شوكة فيها، وأشفقوا من طائفة العسكر والجيش الذي فيها السلاح والخيل والقتال، فأحبوا أن يلقوا غير هذه الطائفة فيكون أهون عليهم في المعاناة وأسلم لهم، وكان الله يريد غير ذلك من إذلال العسكر ومن فيه، وقتل أعداء نبيه، وإظهار النصرة على عدوه، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل ^(٥).



(١) في (ب): فهو.

(٢) سقط من (ب): أدن.

(٣) في (أ): يأخذها.

(٤) سفي (أ): الجالون.

(٥) أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، من قنادة رضي الله عنه في قوله: «رَبَّذِ يَوْمَكُمُ اللَّهُ يُنْتَكُ الظَّاقِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ» قال: الطائفتان إحداهما أبو سفيان أقبل بالعير من الشام، والطائفة الأخرى أبو جهل بن هشام معه ثغر من قريش، فكره المسلمون الشوكة والقتال وأحبوا أن يلتقدوا العير، وأراد الله ما أراد. الدر المثمر ٤ / ٢٧ - ٢٨.



تفسير سورة التوبة



ومن سورة التوبۃ

(۸۱) وسألته عن قوله سبحانه: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَنْذَنَ لِي وَلَا تَنْهَنِّ»^۱ [التوبۃ: ۴۹].

قال: نزلت هذه الآية في جد بن قيس وذلك أنه أمره رسول الله صل الله عليه وآله وسلم بالخروج معه في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله قد علمت إعجابي بالشأنة وتحبتي لهن، وأنا أخشى إن رأيت بنات الأصفر أن لا أصبر، وافتنه بهن، فأنزل الله سبحانه: «أَلَا فِي آفَقِنَّا سَقْطُوا»^۲، يقول سبحانه: ألا في العذاب وقع وسقط^۳، والفتنة فمعناها: العذاب، فأخبر سبحانه أنه حاد وتملل، بمعنى قد وقع فيه، بخلافه عن رسول الله.

(۱) أخرج ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، أبو نعيم في المعرفة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما أراد النبي صل الله عليه وآله وسلم أن يخرج إلى غزوة تبوك قال جد بن قيس: ما تقول في مجاهدة بنى الأصفر؟ فقال: إن أخشى أن رأيت نساء بنى الأصفر أن افتشن في ولا تفتشي، فأنزل الله «وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَنْذَنَ لِي وَلَا تَنْهَنِّ...» الآية».

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «وسمعت رسول الله صل الله عليه وآله وسلم يقول جد بن قيس: يا جد هل لك في جلاد بنى الأصفر؟ قال جد: أنا ذنلي يا رسول الله؟ قال: رجل أحب النساء، وإن أخشى إن أنا رأيت نساء بنى الأصفر أن افتشن، فقال رسول الله صل الله عليه وآله وسلم وهو معرض عنه: قد أذنت لك. فأنزل الله «وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَنْذَنَ لِي وَلَا تَنْهَنِّ...» الآية». الدر المثود ۴/ ۲۱۳.

(۲) سقط من (ب): وسقط.

٨٢) وسألت عن سورة براءة، لم يكتب في أولها: **﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾**؟
 وأعلم - هداك الله ووفتك، وأعاتك على نجاتك وبصرك - أن بسم الله الرحمن الرحيم، مفتاح خير وبركة، ورضا وتركيبة، أثبتها الله فيها كاننزله على نبيه وعلى المؤمنين من القرآن، وأن براءة نزل أولها مفتاح حرب وإنذار، وبندا^(١) للعهد الذي كان بين الرسول وبين المشركين، وإنذارا وإيعادا لهم من ذي الجلال والإكرام، عن المسجد المظهر والبيت الحرام، وإخبارا لهم بأن ما كانوا يفهمون ويعرفون قد زال وتصرّم وحال، وأنهم إن ثبتوا على شركهم قتلوا حيثما ثقروا، إشادة من الله سبحانه بذكر الإسلام، وإظهارا وإعزازا للدعوة نبيه عليه السلام، فلذلك لم يثبت فيها بسم الله الرحمن الرحيم.

٨٣) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ أَسْتَجِرَكَ فَاجْزِءْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلْمَنَ اللَّهِ﴾** (آل عمران: ٦)؟

وكلام الله فهو: وحي الله وقوله، وإنما قيل: كلام الله، لأنه من فعل الله، وما كان من فعل الله، فهو: منسوب إلى الله.

لأن هذا الكلام خلق الله، فلما أن كان من الله وفعل الله، نسب إليه، كما يقال: سباء الله، وأرض الله، وعيبد الله.

٨٤) وسألت عن من فعل مثل فعل الثلاثة الذين خلفوا، هل يجوز أن يجعل فيهم مثل ما فعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من المع لهم من أهلهم، والنهي عن معاشرتهم؟

(١) في المخطوظين: وبندا. وما أثبت اجتهاد.

فأعلم - هداك الله وأعانك - أن ذلك كان فعلا من الرسول صل الله عليه وآله وسلم، فَعَلَهُ بِهِمْ مَا أَرَادَ مِنْ توبَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَشَاءَ مِنْ صَفَحَهُ عَنْهُمْ، فَأَحَبَ صَلَالَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامٍ إِذْ صَدَقُوهُ وَلَمْ يَكُنْ بُوَءِهِ، أَنْ يَفْعُلَ ذَلِكَ بِهِمْ اسْتِدَاعَةً لِرَحْمَةٍ^(١) اللَّهِ لَهُمْ، وَحَسْنَ جَزَاهُ عَلَى صَدَقَتِهِمْ^(٢)، وَإِنْ ذَلِكَ لَا يَمْوِزُ لَأَحَدٍ مِنَ الْعِبَادِ، أَنْ يَفْعُلَهُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنِ الْجَهَادِ، وَلَكِنْ لَهُ أَنْ يَفْعُلَ بِهِمْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْإِخْرَاجِ وَالْفَضْيَحةِ وَالْإِبْعَادِ، وَطَرْحُ شَهَادَتِهِمْ، وَإِزَالَةِ عِدَّتِهِمْ، عَنْدَ حُكْمِ الْمُؤْمِنِينَ.

(٨٥) وَسَأَلَتْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ: ﴿إِنَّا أَنْسَيْتُمْ زِيَادَةً فِي الْكُفَّارِ﴾ (الرَّهْبَةِ: ٣٧)

فالنبي ﷺ هي: الأشهر التي كان أهل الجاهلية يُنسونها، ومعنى يُنسونها فهو: يبدلونها ويتركونها، كانوا يجعلونها هي، ويعصون في الأشهر التي أبدلوا عن النظام، فهذا معنى ﴿الْأَنْسَيْتُمْ﴾، يُنسون هذا ليتركوه مرة، ثم يأخذونه وينسون غيره، مرة يحرمون التظلم في شهر، ومرة يجعلونه فيه ولا يحرمونه في غيره، فأخبر الله تبارك وتعالى أن هذا من فعلهم، زيادة في ما هم عليه من كفرهم، وغردا على خالقهم، فضل به الكافرون من فعلهم، يجعلونه عاما ويحرمونه عاما، ويطلقونه وقتا ويحرمونه وقتا، فأخبر الله بفضائحهم في ذلك، وأعلم أنهم في الكفر كذلك.

(٨٦) وَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ: ﴿وَمَا خَرَفُونَ أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَمَا خَرَفُوا إِلَّا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤٠)

(الرَّهْبَةِ: ٤٠)

(١) في (ب): للرحمة.

(٢) القصة مذكورة في كتاب السير، وهي أيضا في الدر المترعرع / ٤، ٣٠٩، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَلَ الْأَنْتَوْلَيْكَ ظَلَفْرَا...﴾.

فقال: هؤلاء أهل التوبة إلى الله من بعد المعصية، فذكر الله سبحانه أنهم عملوا عملاً سيئاً، ثم خلطوا أنعاجهم بالصالحات، فعملوا بها من بعد التوبة وبعد العمل الرديء، ومعنى **«عَمَّى اللَّهُ»** فهو: إعجاب لقبول التوبة عن التائبين من بعد الإخلاص لله بالتوبة، وليس كما يقول الجهال: إنهم يعملون قبيحاً وحسناً في حالة واحدة، ويقبل منهم الحسن، هذا ما لا يكون، لأن الله يقول: **«إِنَّمَا يَتَقبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»** ﴿الأنفال: ٢٧﴾ ومن كان في معصية ربه فليس بمتقيٍ، ومن لم يكن بمتقيٍ فليس يقبل عمله منه ^(١).



(١) سقط من (ب): هذا السؤال وخمسة عشر سؤالاً قبله.



تفسير سورة يونس



ومن سورة يومنس

(٨٧) قلت فما معنى قوله في فرعون: **«حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْقَرْفَ قَالَ إِأَمْتَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَللَّهُ إِنِّي مَأْمَنْتُ بِمِدْ بَنْوَ إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ»** (يومنس: ٩٠)،
فهل قبل الله ذلك منه؟

قال: لا، ألا تسمع كيف يقول الله: **«إِلَئِنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَمَخْتَنَ مِنَ الْمُقْسِدِينَ»** (يومنس: ٩١)، وقوله: **«فَاتَّيْمَ شَجَرِكَ بِيَدِنَكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ إِيمَانَكَ»** (يومنس: ٩٢)، وإنما أمر الله البحر فالقاء على جانبه شلوا ميتا، وقوله: **«فِيَدِنَكَ»** فالبدن هو: الدرع، وإنما كانت درعاً^(١) من جوهر وياقوت قد اخذهما، وكان لا يلبسها إلا في عظام أموره الجسمية الفادحة، فاراد سبحانه أن ينجيه بها ليعرفه^(٢) من رآه من قومه فيعتبرون به، ويعلمون أن الله تبارك أسماؤه، هو الذي أهلكه، وأنه لا مغالب لحكمه، وهو السميع العليم.

(٨٨) قلت: فما الدليل على ما قلت في البدن من أنها الدرع، يتبين لي من لغة العرب حتى أفهمه؟

قال: الدليل على ذلك ما يقول الشاعر:

غمبون للركبات في الأبدان

.....

(١) في (١): درع.

(٢) في (١): لعله، لعلها مصححة.

(٣) اليت لميد بن الأبرص من قصيدة له مطلعها:

درست وغيّرها صروف زمان
لمن الديار ببرقة الروحان

إلى أن قال: أما إذا ذُمت نَرَالاً لِإِنْهِمْ
يعبرون للركبات بالأبدان

وذلك عندما يكون من تبليغ الحرب بينهم، وهذا دليل على ما سألت عنه،
وذلك فيه كفاية إن شاء الله^(١).

(٨٩) وسألته عن قول الله سبحانه: **﴿فَإِنَّا تُرِكْنَا بَعْضَ الَّذِي نَعِدْنَاهُ أَوْ نَقْوِيَّنَاهُ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ إِلَيْنَا شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾** [يونس: ٤٦]

قال: الذي نعدهم فهو^(٢): الانتقام منهم، فقال سبحانه: إن أربناك ذلك
فبفضل منا، وإن ترك إيمان في الدنيا فستراه وتعلمه في الآخرة، عند رجوعهم إلينا،
ونزول العذاب بهم في يوم الدين.

(٩٠) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿رَأَيْتَ أَنَّكَ أَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَأَيْتَ لِيُضْلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾** [يونس: ٤٨]

معنى **«أَتَيْتَ»** فهو: أعطيت فرعون وقومه هذه الأموال والزينة.
«لِيُضْلُّوا» معناه^(٣): لأن لا يضلوا، ولأن يشكروا ويرثمنوا، فلم يفعلوا ولم يهدوا،
بل عصوا نطقوها وخالفوها، فقال: **«لِيُضْلُّوا»**، وإنما أراد: لأن لا يضلوا، فطرح
الألف استخفافاً لها، والعرب تفعل ذلك^(٤)، تطرحها وهي تريدها، وتبتتها وهي لا
ترىدها، فبقيت **«لِيُضْلُّوا»**، فدخلت النون في أدراج الكلام، فبقيت **«لِيُضْلُّوا»**،
والمعنى فيها: لأن لا يضلوا، فلما أن طرح ألف جار كها ذكرنا.

(١) سقط هنا السؤال والذي قبله من: (ب) و(ج).

(٢) في (١): هو.

(٣) في (١): متنا.

(٤) في (١): كذلك.

وطرحُ الألف في القرآن كثير، وفي لغة العرب وأشعارها، من ذلك قول الله سبحانه: «لَا أَقِيمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ» (الباءات: ١)، و«لَا أَقِيمُ بِهَذَا الْبَلْدَ» (البلد: ١)، المعنى فيها: معنى قَسْمٍ، أراد الله سبحانه لا أقسام، فطرحها استخفافاً لها، فمخرج اللفظ معنى نَفْيٍ، وإنما معناه معنى إيجاب، لا أقسام.

وقد ثبتتها العرب في كلامها وهي لا تريدها، فيخرج معنى اللفظ معنى نَفْيٍ، وإنما معناه معنى إيجاب. من ذلك قول الله: «إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْحِكْمَةِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ» (الميدان: ٢٩)، فقال: «إِنَّمَا يَعْلَمُ»، وإنما المعنى فيها: لِيَعْلَمُ. فأثبتت فيها وهو لا يريدها، وقد تفعل ذلك العرب ثبت ذلك العرب قوله (١) «إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْحِكْمَةِ»، فأثبتت وهو لا يريدها، فأثبتهما وهو لا يريدهما قوله (٢) «إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْحِكْمَةِ»، فأثبتت وهو لا يريدها، وأثما طرح الألف (٣) وهو يريدها فهو: ما ذكرنا من قوله: «لِيُضْلُّوا» (٤)، وقوله: «لَا أَقِيمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ» (الباءات: ١)، و«لَا أَقِيمُ بِهَذَا الْبَلْدَ» (البلد: ١)، ومثله: «وَأَرْسَلْنَا إِلَيْنَا مِائَةً أَلْفَ أُورْبِيزِيدُونَ» (الصافات: ١٤٧)، فقال: «أُورْبِيزِيدُونَ»، فادخل الألف هامنا وهو لا يريدها، وإنما معناه: يزيدون على المائة الألف، فخرج المعنى حين أثبتت الألف معنى شك، وإنما المعنى: معنى إيجاب، وتسقى بالواو للزيادة على المائة الألف، غير أن الألف دخلت وليس لها هامنا معنى، فاختلط الظاهر والمعنى.

(١) في (١): ثبتها.

(٢) في (١): لي قوله.

(٣) في (١): وأثما طرح الألف وهو يريدها قوله: ...

(٤) في (١) و(ب) و(ج): أثبتت الآية هكذا: لِلَا يَضْلُّوا. والأية كما أثبتت.

٩١) وسألت عن قول الله سبحانه: «وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةٌ وَحِدَّةٌ فَاتَّخَذُوكُلُّهُمْ
وَلَوْلَا حَكِيمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رُّبُّكَ لِقْضَى بَيْنَهُمْ» [يونس: ٤١٩]

المعنى في ذلك: أن الله سبحانه أخبر أن الناس في الحق كانوا أمة واحدة، في الإقرار بالله وما أمروا به من طاعة الله، وأن الحكم من الله والأمر لهم في ذلك قوله، لم يزل واحدا حتى اختلف أهل العصيان والخلاف، فعصوا وخالفوا ما جعل الله لهم من الأصل في الدين، وثبت لهم من اليقين، بغيا وضلالا، وكفرا بالله وطغيانا، ومعنى قوله: «وَلَوْلَا حَكِيمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رُّبُّكَ لِقْضَى بَيْنَهُمْ» يقول: لو لا حكم من ربكم سبق بالتأخير لهم إلى يوم القيمة، لقضى بين المحقين والمبطلين، ولكن سبقت هذه الكلمة، وهي الحكم من الله بالتأخير، لمن خالف الحق إلى عقوبة الآخرة بالنار وبش المصير، وربما أذاقهم سبحانه من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر^(١).

٩٢) وسألت عن قول الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَّنَ
مَنْ فِي الْأَرْضِ حَكُلُّهُمْ جَيْعَناً» [يونس: ٩٩]، وعن قوله: «وَلَوْ شَاءَ لَهُ دِسْكُمْ
أَجْمَعِينَ» [النمل: ٩]؟

فمعنى هاتين الآيتين وتفسيرهما، كمعنى قوله في سورة الجنز^(٢): «وَلَرَبِّنَا
لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى نَّهَا» [السجدة: ١٣]، سواء سواء، لا فرق بينها في سبب ولا

(١) سقط هنا السؤال والجواب من: (ب).

(٢) سقط من (أ): في سورة الجنز، والجنز هي سورة السجدة..

معنى، والجواب في ذلك أولاً، يجزي عن شرح هاتين أيضاً^(۱).

۹۳) وسألته عن قول الله سبحانه: «وَأَرْجِعْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبُوءَ لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بَيْوَتًا وَاجْعَلُوا بَيْوَتَكُمْ قِبْلَةً» [بیونس: ۸۷]؟

قال: أمرهما أن يتبوءا لقومهما بمصر^(۲) بيوتاً، وهي القرى والأماصار، ومعنى قوله: «بِمِصْرَ» أي: بمصر من الأماصار، فقد قيل: إنها مصر هذه المعروفة^(۳)، ومعنى «قِبْلَةً» فقد قيل: إنها مواجهة أبوابها للقبلة^(۴)، وقد قيل: إن معنى «وَاجْعَلُوا بَيْوَتَكُمْ قِبْلَةً» أي: اجعلوا جميع قراكم أهل ملة ودعوة وصلة إلى بيت المقدس وصلة، والمعنى الآخر أحبهما إلى وأحسنها عندي.



(۱) في (ب): وقد ذكرنا ذلك في تلك السورة وهو يجزي عن ذكره هامنا.

(۲) سقط من (ب): بمصر.

(۳) أخرج ابن جرير، وابن أبي شيبة، وابن المتن، وابن أبي حاتم، عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: «أَن تَبُوءَ لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بَيْوَتًا» قال: مصر الإسكندرية. الدر المثور ۸/ ۳۸۳.

(۴) أخرج أبو الشيخ، عن قتادة رضي الله عنه في قوله: «وَأَرْجِعْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبُوءَ لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بَيْوَتًا» قال: ذلك حين منهم فرعون الصلاة، وأمرها أن يجعلوا ماجدهم في بيوتهم، وأن يوجهوها نحو القبلة. الدر المثور ۸/ ۳۸۳.



تفسير سورة هود



وَمِنْ سُورَةٍ هُودٍ

٩٤) وسألت عن قول الله سبحانه: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِيشَتُهَا يُرُوقُ إِلَيْهِمْ أَعْنَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ»^(١) (مود: ١٥) فقلت: فإن قال قائل من المجرة: فإذا^(٢) كان هو الموسي ذلك إليهم، أليس ذلك فعله بهم؟! فما المعنى في ذلك؟ ثم قال^(٣): «أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْكَارَّ وَحِيطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَنَطَلَ مَا حَكَلُوا يَعْمَلُونَ»^(٤) (مود: ١٦)

وكذلك الله الصادق في قوله، العادل في فعله، يفعل بمن أراد الحياة الدنيا،
وَهُمَا^(٥) عن الآخرة التي تبقى، فإنه يوفى إليه عمله.

ومعنى «يُرُوق إِلَيْهِمْ أَعْنَالَهُمْ فِيهَا» هو يوفي^(٦) إليهم في الآخرة جزاء أفعالهم، وما حكمنا به من العقاب على من فعل مثل أفعالهم.

وقوله: «وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ» يزيد: وهم^(٧) لا يظلمون.
وأما معنى قوله: «أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْكَارَّ وَحِيطَ مَا

(١) في (ب): إذا.

(٢) في (ب): وفي قوله.

(٣) لما، من اللهو.

(٤) في (أ): «يُوفَى لَهُمْ ...». وفي (ب): يوف.

(٥) في (ب): لهم.

صَنَعُوا فِيهَا وَتَطَلَّبُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ》 فهم الأولون من المذكورين بالليل إلى الدنيا وزيتها، والرضى بما فيها من زخرفها دون ما هو خير منها، فأخبر الله سبحانه أنه لا نصيب لهم في الآخرة، إذ لم يعملا لها بعملها، وينصبوا في طلبها، إلا النار التي خلقت مقراً وداراً للعاصيـن، وعـلاـمـهـمـ وموـتـلـاـ فيـ يـوـمـ الـدـيـنـ.

وقوله: **﴿وَحَبَطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَتَطَلَّبُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** (١)، هو إخبار من الله جل جلاله، عن أن يجويه قول أو يناله، أن ما كانوا يعملون في الدنيا حابط، والhabط: الباطل، الذي لا منفعة له ولا حاصل، فأخبر سبحانه أن أعمالهم حابطة، إذ لم يتفهم منها في الآخرة نافعة، كما نفع المؤمنين ما عملوا (٢)، وأحـلـهـمـ دارـ الـخـلـدـ بما صنعوا، وليس بحمد الله للمثـبـهـنـ ولاـ لـلـمـجـرـيـنـ، فيـ هـذـاـ حـجـةـ عـلـىـ ربـ الـعـالـمـينـ.

٩٥) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ﴾** [عمر: ١٠٥]؟
فهذا: إخبار من الله سبحانه بسعادة من سعد بفعله، وشقاء من شقي بصنعه، وليس الله في سبب سعادتهم فعل، ولا له في شقائهم قضاء.

٩٦) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾** (٣) إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَثِكَ
[عمر: ١١٩-١١٨]؟

وقد قيل في ذلك: إن معناها للرحة خلقهم، والذي أراه أنا في ذلك، ويتجه لي

(١) في (١): على ما عملوا.

من القول فيه^(١)، أنه سبحانه أراد به: خلق المؤمنين لمخالفة الكافرين، لأن مخالفة الكافرين في كفرهم أعظم الطاعة لرب العالمين، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾^(٢) [الذاريات: ٥٦]، فأخبر أنه لم يخلق الخلق إلا لعبادته، فمن خالف عبادته وطاعته، فمخالفته في ذلك من^(٣) فرض الله على من مخالفه، ولا مخالفة لأعداء الله ولا مفارقة، أكبر من ضرب وجوههم بالسيف وسفك دمائهم، ومجاهدتهم على مخالفة الحق، وهذا فهو: أكبر فرائض الله على خلقه، وأعظم ما افترض الله على عباده، ولهذا خلق الخلق لأنه أفضل عبادته، فإذا^(٤) قد صرحت فرض المخالفة للفاسين على المؤمنين والجهاد، فقد صرحت إن لتلك المخالفة التي افترضها عليهم خلقهم، وإليها دعاهم، وبها في أعدائه أمرهم.



(١) سقط من (ب): ويرتجى لي من القول فيه.

(٢) سقط من (ب): من.

(٣) في (ب): فإذا.



تفسير سورة يوسف

وَمِنْ سُورَةِ يُوسُفَ

(٩٧) وَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي يُوسُفَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: «وَلَقَدْ هَمَتْ بِي
وَهَمَ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَءَاءَ ابْرَاهِيمَ رَبِّي» (يوسف: ٢١)، كَيْفَ كَانَ هُمْهَا بِهِ وَكَيْفَ هُمْ بِهَا؟

فَقَالَ: كَانَ هُمْهَا هُمْ شَهْوَةً وَمَرَاوِدَةً، وَكَانَ هُمْ هُوَ بِهَا صَلَالُ اللَّهِ عَلَيْهِ هُمْ
طَبَاعُ النَّفْسِ وَالْتَّرْكِيبِ، أَلَا تَرَى أَنِّكَ إِذَا رَأَيْتَ شَيْئًا حَسَنًا أَعْجَبْتَكُ، وَحَسَنٌ فِي
عِينِكَ، وَإِنْ لَمْ تَهْمِ بِهِ لَتَظْلِلْهُ وَتَأْخُذْهُ غَصْبًا مِنْ أَهْلِهِ، وَكَذَلِكَ إِذَا رَأَيْتَ طَعَامًا طَيِّبًا،
أَوْ لَبَاسًا حَسَنًا أَعْجَبْتَكُ، وَعَنِيتَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مَثَلُهِ، وَأَنْتَ لَا تَرِيدُ إِلَّا عَجَابَكَ بِهِ
أَخْذَهُ وَلَا أَكْلَهُ، إِلَّا عَلَى أَحَلِّ مَا يَكُونُ وَأَطْيَبِهِ، (وَلَمْ تَرِدْ بِقَوْلِكَ أَنِّكَ تَأْكُلُهُ أَوْ تَلْبِسُهُ
أَوْ تَنْكِحُهُ إِلَّا حَلَالًا^(١)).

قَلْتُ بِلَ.

فَقَالَ: كَذَلِكَ كَانَ هُمْ يُوسُفَ صَلَالُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي زَوْجَةِ الْمَلِكِ.

(٩٨) قَلْتُ فَقَدْ سَمِعْنَا بَعْضَ الرِّوَايَةِ يَذَكُّرُ: أَنَّهُ إِنَّمَا مَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ إِتْيَانِهِ
أَنَّهُ رَأَى يَعْقُوبَ صَلَالُ اللَّهِ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ يَزْجُرُهُ عَنْهَا وَيَغْنُفُهُ^(٢)؟

(١) سقط من (ب): ما بين الفتوتین.

(٢) أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَاقِ، وَالْفَرِيَابِيُّ، وَسَعِيدُ بْنِ مَنْصُورٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمَنْذُرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ
الشِّيْخِ، وَالْحَاكِمِ وَصَحَّحَهُ، عَنْ أَبْنِ عَيَّاشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَاهَتْ بِهِ، تَرَيَتْ ثُمَّ اسْتَلَقَتْ عَلَى
فَرَاشَهَا، وَهُمْ بِهَا وَجْلَسُوا بَيْنَ رِجْلِيهَا مَعْلُومَتِيَّةً، نُودِيَ مِنَ السَّيَّاهِ: يَا بْنَ يَعْقُوبَ، لَا تَكُنْ كَطَافِرَ
يَسْتَفِرُشَ، فَيَقِي لا رِيشَ لَهُ، فَلَمْ يَتَعَظَّ عَلَى النَّدَاءِ شَيْئًا حَتَّى رَأَى بِرْهَانَ رَبِّهِ جَبَرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي
صُورَةِ يَعْقُوبِ عَاصِمِهِ، فَفَزَعَ لِفَرِجَتْ شَهُورَتِهِ مِنْ أَنَامِلِهِ، فَوَرَبَ إِلَى الْبَابِ فَوَرَجَ، مَفْلَقاً،

قال: قد قبل فيه شيء من ذلك، وليس القول فيه كذلك، وحاش لله أن ينسب ذلك إلى نبي الله.

فرفع يوسف رجله فضرب بها الأدنى فانفوج له، واتبعه فادركته، فوضعت يديها في قميصه فشقق حتى بلغت عضلة ساقه، فألفيا سدها لدى الباب.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: **﴿تَوَلَّ أَنْ زَهْنَ رَبِيعَةَ﴾** قال: رأى صورة أبيه يقترب في وسط البيت عاصفاً على إيهامه، فأذير هارباً وقال: وحقك يا أبا لا أعود أبداً.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن عكرمة، وسعيد بن جير في قوله: **﴿تَوَلَّ أَنْ زَهْنَ رَبِيعَةَ﴾** قال: حل السراويل وجلس منها مجلس الخاتم، فرأى صورة فيها وجه يقترب عاصفاً على أصابعه، فدفع صدره فخرجت الشهوة من أنامله، فكل ولد يعقوب قد ولد له الثامنة عشر ولدانا، إلا يوسف عليه السلام فإنه نقص بذلك الشهوة ولدانا ولم يولد له غير أحد عشر ولداً.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: **﴿تَوَلَّ أَنْ زَهْنَ رَبِيعَةَ﴾** قال: قتل له يعقوب عليه السلام فضرب في صدر يوسف عليه السلام، فطارت شهوره من أطراف أنامله، فولد لكل ولد يعقوب الثامنة عشر ذكراً، غير يوسف لم يولد له إلا غلامان.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن الحسن رضي الله عنه في قوله: **﴿تَوَلَّ أَنْ زَهْنَ رَبِيعَةَ﴾** قال: رأى يعقوب عاصفاً على أصابعه يقول: يوسف يوسف.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة رضي الله عنه في الآية قال: رأى آية من آيات رب حجره الله بها عن معصيته. ذكر لنا أنه مثل له يعقوب عاصفاً على أصابعه وهو يقول له: يا يوسف، أنت بعمل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء؟ فذلك البرهان، فانتزع الله كل شهرة كانت في مقاصله.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن محمد بن سيرين رضي الله عنه في قوله: **﴿تَوَلَّ أَنْ زَهْنَ رَبِيعَةَ﴾** قال: مثل له يعقوب عليه السلام عاصفاً على أصابعه يقول: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن، اسمك في الأنبياء وتعلم عمل السفهاء؟!..

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد رضي الله عنه قال: رأى صورة يعقوب عليه السلام في الجدار.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن الحسن رضي الله عنه قال: زعموا أن سقف البيت انفوج، رأى يعقوب عاصفاً على أصابعه. الدر المثمر / ٤ - ٥٢٠ - ٥٢٢.

٩٩) قلت فقد كان ذلك يُروى لنا بين الملا وَيُتحدث به في المساجد؟

قال: قد ذكر ذلك، جل الله وتعال عن كل ما يقول فيه الملحدون، وينسب^(١) إلى الصالون، وليس قولهم هذا في أنبياء الله، ورواياتهم الكاذبة عليهم، بأعظم من كذبهم وجرائمهم على الله، سبحانه وتعال عنها يقول الظالمون علواً كبيراً، ألا ترى كيف شبهوه بالأشباء من خلقه، وجعلوه جسماً ذات أعضاء وأجزاء مختلفة، فتعال عن^(٢) ذلك من ليس كمثله شيء.

ولقد ناظرت رجلاً من يتحل التشيه، فألزمته أن يقول: إن الله خلق، أو ينفي عنه التشيه، فاختار أن يجعله خلوقاً، وكراه أن ينفي عنه التشيه، فهذا أعظم الأمور، وأقبح الأقوال كلها^(٣).

١٠٠) قلت فالبرهان الذي رأه يوسف صل الله عليه ما هو؟

قال: ما جعل الله فيه من علمه، وخصه به من المعرفة والخروف له، في علانيته وسره، وإنما كان ذلك ابتداء منها ومراؤدة له على نفسه، كان من قولهما له: أن يا يوسف إن لم تأتني أتيت أنا إليك، فقال: معاذ الله من ذلك، فقامت فارخت ستراً كان على البيت، وكان في البيت صنم لها تعبد من الذهب، له عينان من ياقوتين هراوين، فكانت تستحبه وتعبده، فقال لها يوسف صل الله عليه: لم أرخيت هذا الستر؟ فقالت: إني أخاف أن يراني هذا الذي في البيت، فأرخيته حياء منه وإجلالاً

(١) في (١): ونسب.

(٢) في (١): فتعال الله.

(٣) سقط هذا السؤال والجواب من: (ب).

له، فقال لها: فإذا ^(١) كنت تستحيين أنت من صنم لا يضر ولا يسمع، ولا يضر ولا ينفع، فكيف لا تستحي أنا من الذي خلقي وخلقك وخلق هذا الذي تخافين، ومنه تستحيين، بل أخاف وأستحيي، من الذي خلقي وخلقكم، وهو ^(٢) خالق السموات والأرض ^(٣).

ثم نهض منها هارباً بنفسه، فلحقته إلى باب الدار فقدت قميصه، **﴿وَأَسْتَبَقَاهُ آتِيَابَ وَقَدْتُ قَمِيصَهُ مِنْ ذُبْرِ وَأَلْقَيَا سَيْدَهَا لَذَا آتِيَابَ﴾**، وهو زوجها الملك، وذلك أنهم كانوا يسمونه السيد، لموضعه عندهم، ورفعته فيهم، فقالت له: **﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [يوسف: ٢٥]، قال يوسف: **﴿هِيَ رَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾** [يوسف: ٢٦]، فتحير الملك واشتبه عليه الأمر، وكفر فيه القول، فذكر بعض الرواة، أن الذي حكم في ذلك صبي صغير كان في المهد ^(٤)، وانختلف فيه، والذي صح في ذلك عندنا أنه كان صبياً قد عقل، وهو من

(١) في (ب): فإن.

(٢) في (ب): فهو.

(٣) أخرج أبو نعيم في الحلية، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: **﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَقْمَ بِهَا﴾** قال: طمعت فيه وطمع فيها، وكان من الطمع أنهم بحل التكمة، فقاموا إلى صنم مكمل بالذر والياقوت في ناحية البيزن فسترته بثوب أبيض بينها وبينه، فقال: أي شيء تصنعين؟! فقال: استحي من إلهي أن يراني على هذه الصورة، فقال يوسف عليه السلام: تستحيين من صنم لا يأكل ولا يشرب، ولا تستحي أنا من إلهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت؟!... ثم قال: لا تاليها مني أبداً. وهو البرهان الذيرأى. الدر المثمر ٤/ ٢٢١.

(٤) أخرج ابن جرير، وأiben أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس رضي الله عنها في قوله: **﴿وَشَهَدَ شَاهِدًا مِّنْ أَنْفُسِهَا﴾** قال: صبي في المهد.

أبناء حسن سنين أو شبيه بها، فأتى به إلى الملك، فقال: إن كان قميصه قد من قبل فصدقـتـ هي فيها ذكرـتـ من مراودـتهـ لها عـلـى نفسـهاـ - وإن كان قميصـهـ قد من دبرـ فـكـلـبـتـ - فـيـاـ اـدـعـتـ - وهو من الصادقـينـ في قولهـ، وـمـرـاؤـدـتـهاـ لهـ عـلـى نفسـهـ، فـأـتـيـ بالـقـيـصـ إـلـىـ الـمـلـكـ، فـنـظـرـ إـلـىـ يـوـسـفـ فـلـذـهـ مـنـ حـكـيـمـ كـمـنـ
 إـنـ كـيـنـدـكـنـ عـظـيمـ (٢٨) (يوسف: ٢٨)، ثم بدا لهم من بعد ذلك فالقيـ في السجنـ،
 وكانـ فيـ السـجـنـ رـجـلـانـ منـ خـدـمـ الـمـلـكـ، فـلـمـ كـانـ مـنـ إـعـلامـهـ لـمـ بـتـأـوـيلـ رـؤـياـهـاـ عـلـىـ
 الحـقـيـقـةـ بـعـيـنـهـاـ، فـلـمـ رـأـيـ الـمـلـكـ رـؤـيـاهـ، أـتـيـ أـحـدـ الرـجـلـينـ إـلـىـ يـوـسـفـ فـقـصـ عـلـيـهـ
 ذـلـكـ، فـأـخـبـرـهـ بـتـأـوـيلـهـ فـلـمـ اـتـهـيـ ذـلـكـ إـلـىـ الـمـلـكـ، بـعـثـ إـلـىـ النـسـوةـ يـسـأـلـهـنـ عـنـ خـبـرـهـ،
 فـ«قـالـتـ أـمـرـاتـ الـعـزـيزـ أـلـثـنـ حـضـرـتـ الـحـقـ أـنـ رـوـدـتـهـ عـنـ تـقـيـيـمـ وـإـنـهـ لـمـ
 أـلـصـدـقـيـنـ (٢٩) - فـيـاـ تـبـرـأـهـ وـأـنـكـرـهـ - ذـلـكـ لـيـعـلـمـ أـتـيـ لـمـ أـخـنـهـ بـالـغـيـبـ وـإـنـ اللهـ لاـ
 يـهـدـيـ كـيـدـ الـخـاـيـرـينـ (٣٠) • وـمـاـ أـبـرـئـ نـفـسـيـ إـنـ الـنـفـسـ لـأـمـارـةـ بـالـسـوـءـ إـلـاـ ماـ
 رـحـمـ رـبـيـ إـنـ رـبـيـ عـفـوـرـ رـحـيمـ (٣١) (يوسف: ٥٣-٥٤)، فـهـذـاـ مـاـ كـانـ مـنـ خـبـرـهـ عـلـيـهـ
 السـلـامـ.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن الفسحـاكـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ «رـئـيـهـ شـائـيـدـيـنـ أـقـلـيـهـاـ» قالـ:
 صـبـيـ، أـنـطـقـهـ اللهـ كـانـ فـيـ الدـارـ.

وأخرج أحدـ، وابنـ جـرـيرـ، والـيـهـقـيـ فيـ الدـلـالـلـ، عنـ ابنـ عـبـاسـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـاـ، عنـ النـبـيـ صـلـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ قالـ: «تـكـلـمـ أـرـبـعـةـ وـعـمـ صـفـارـ: ابنـ مـاشـطـةـ فـرـعـونـ، وـشـاهـدـ يـوـسـفـ، وـصـاحـبـ جـرـيـجـ،
 جـرـيـجـ، وـعـيـسـيـ بـنـ مـرـيـمـ».

وأخرج ابنـ جـرـيرـ، عنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ قالـ: «عـيـسـيـ، وـصـاحـبـ يـوـسـفـ، وـصـاحـبـ جـرـيـجـ،
 تـكـلـمـواـ فـيـ الـهـدـ».

وأخرج ابنـ أـبـيـ شـيـةـ، وـابـنـ جـرـيـجـ، وـابـنـ المـنـذـرـ، وـأـبـوـ الشـيـخـ، عنـ سـعـيدـ بـنـ جـيـرـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ فـيـ
 قولهـ: «رـئـيـهـ شـائـيـدـيـنـ أـقـلـيـهـاـ» قالـ: كـانـ صـيـاـنـ فـيـ الـهـدـ. الدرـ المـشـرـورـ / ٤ - ٥٢٦ - ٥٢٥.

١٠١) وسألته عن قول الله سبحانه: **﴿وَقَالَ لِلَّذِي طَنَ أَنَّهُ تَاجٌ مِّنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَهُ الشَّيْطَانُ دِحْكَرَ رَبِّيْمَ قُلْبِتُ فِي السِّجْنِ بِضَعْ سِنِّينَ﴾**

﴿يوسف: ٩٢﴾

قال: هذا خبر عن يوسف صل الله عليه وآله، وصحابيه المسجونين معه، حين رأيا الرؤيا، وقصاها ^(١) عليه فعبرها لها، فكانت كما قال صل الله عليه وآله ^(٢)، فكان منه تقدمه إلى الذي علم أنه ينجو منها من القتل، أمره أن يذكره عند ملوكهم بحسن تعبير الرؤيا، والفهم بما يأتي من الأمور ويدرك ^(٣).

فلما أن كان من رؤيا الملك ما كان، وسأل قومه وأهل مملكته أن يفسروها له، فلم يجد ذلك عندهم، ذكر الناجي من الحبيسين يوسف ويصره بالتعبير، فأخبر به الملك، فأحضره وسأله عن تعبير رؤياه؟ فعبرها فتمكن عنده بذلك، وعظم قدره.

فاما قوله: **﴿فَأَنْسَهُ الشَّيْطَانُ دِحْكَرَ رَبِّيْمَ﴾** فهو: أنباء الشيطان أن يذكر أمر يوسف لربه، قبل رؤيا الملك، وربه فهو: سيده وكبيرة. قوله: **﴿قُلْبِتُ فِي السِّجْنِ بِضَعْ سِنِّينَ﴾** يعني: يوسف، والبعض فهو: ما بين الست إلى السبع سنين.

١٠٢) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿كَذَّلِكَ كَيْدَنَا لِيُوسُفَ﴾** ^(يوسف: ٧٠)
ومعنى ذلك - رحلك الله - أنه يقول: كدنا لمعاقبته على احتياله لأخذ أخيه، وادعاته من السرقة لما ادعى عليه، بدسه الصواع في رحاله، حتى أخذه بذلك من

(١) في (ب): نقصاصها.

(٢) سقط عن (أ): وآله. في الموضعين:

(٣) سقط من (ب): ويدرك.

إخوته، فكره الله لنبيه صل الله عليه الظليم والزلل، ولم يرض بذلك من أحد من أهل الملل، فهذا معنى قوله: **﴿كَيْدَنَا﴾**، فكانه من يوسف صل الله عليه الزلل والنسيان، وكان من الله سبحانه العفو والمن والإحسان.

وأما تأويل قوله: **﴿وَقَالَ يَتَأْبِتُ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَيْ مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّيَ حَقَّا﴾** (يوسف: ۱۰۰)، فهي: ما كان من رؤياه في أول أمره، وقيل: فعل إخوته ما فعلوا به من سجود الكواكب والشمس والقمر، فكان تأويل ذلك أبويه وإخوته، وإيتاهم إياه في عملكته، فخرروا له سجدا كما قال الله سبحانه، ومعنى **﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجْدَةً﴾** فهو: خروا الله من أجل ما أنعم عليهم عليه، كما كان سجود الملائكة لأدم، وإنما معنى قول الله سبحانه: **﴿أَسْجُدُوا لِأَدَمَ﴾** (البر: ۲۴)، أي: اسجدوا الله من أجل آدم عليه السلام، لعجب ما ترون من قدرته فيه وابتداعه له وخلقه.

فاما قوله: **﴿جَعَلَهَا رَبِّيَ حَقَّا﴾** فإنما يقول: قد حقيقها رب بها مَنْ به من إيتاهم بكم، وتفضل بذلك علي وعليكم.

(۱۰۳) وسألته عن قول الله سبحانه: **﴿يَتَبَّئِنَ لَا تَنْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِدَرٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ شَفَّرِقَةٍ...﴾** (يوسف: ۱۷)؟

هذا من يعقوب صل الله عليه جماعة بنيه، حين خرجوا عنه مسافرين، فخاف عليهم من النفس وعيون الناظرين، فأمرهم عند دخول القرية بأن لا يدخلوا جملة واحدة، لما كانوا عليه من جالمهم، وكثرتهم وكثالمهم، وكانوا أحد عشر رجلا، لم يُر مثلهم حالا ولا كمالا، فخاف عليهم وأشفق صل الله عليه من أن يراهم أهل تلك البلدة، مجتمعين جماعة واحدة على ما هم عليه من كالمهم وحسنهم وجالمهم، فأمرهم

أن يتفرقوا، وأن يدخلوا من أبواب متفرقة، شفقة عليهم من الغيرة والنفس، قال الله سبحانه: **﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمْرُهُمْ أَبْرُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَقْرُبُ قَضْنَاهُ﴾** (برهان: ١٦)، يخبر سبحانه أن المحن للنفس والعيون لا ينفع إلا بدفع الله و توفيقه ولطفه وحفظه^(١).



(١) في (١): ذكرنا أمرهم أن يدخلوا من أبواب معروفة، وبهاهم أن يدخلوا من باب معا، لأنه خشي عليهم عند اجتماعهم العين، لما كانوا عليه من الحبطة والجلال، والكثرة والكمال، فأخبار الله تبارك الله وتعالى أنه لو لا دفاعه عنهم لم ينفعهم ما أوصاهم به، وأخبار تبارك وتعالى أن يقترب صلاته عليه كان عالماً بأن ذلك الذي أمرهم به لا يغنى عنهم شيئاً، إلا بساغة الله عنهم، وإحسانه إليه فهم، غير أنها حاجة في نفسه قضاؤها، يريد: شيئاً كان في نفسه أن يلقى إليهم، فالقاء احتياطاً وشفقة، وعالم أنه لا ينفعهم [لا بالله سبحانه، ولا يدفع عنهم ما كره] إلا بدفعه عن ذكره.

قال عمرو بن كلثوم:

تربيك وقد دخلت على خلاء
وقد أمنت عيون الكاشحينا
هزاعي عيطل أدماء بكر
هجان اللون لم تقرأ جنباً^(١)
أي: لم تضم رحها على ولد.

وأما أول الأفداء المأمور بها، ملن طلق بها على العدة من النساء، فأول دم تراه من بعد ذلك الطهر الذي طلقها فيه وعلى وجهه بعلها، فاما من طلق منهن حانضا، فإنها لا تعد بتلك الحيبة في الأفداء، وتبتدأ من بعد ما يأتي بعد تلك من أفرادها، حتى تأتي على ما ذكر من عدتها، وهو عند كمال الثلاثة من حيبتها، واغتسالها بالماء وطهرها، ثم هي من بعد ذلك أولى بنفسها.

(٢٣) وسألت عن قول الله سبحانه: «وَإِذْ أَخْذَنَا مِنْتَقْبُكُمْ لَا تَسْقِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِّنْ دِيْرِكُمْ ...» [البقرة: ٨٤] إلى آخر الآيات؟

فقال: نزلت في اليهود، وذلك أن بني القينقاع كانوا حلفاء مع الخزرج، وكان بنوا النظير وقريبة حلفاء للأوس، وكان كل يقاتل مع حلفائه، فإذا وضعت الحرب أو زارها افتقدت إلى اليهود ما في أيدي الأنصار من أسرارها^(١)، وكان في التوراة واجبا فرضيا^(٢) عليهم أن يفتدوا أسرارهم حيث كانوا، وأن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرجه من دياره، فقبلوا بعض الفرض من الافتداء، وسفكوا الدماء

(١) من معلقة عمرو. انظر الديوان. وسقط البيتان من (١).

(٢) في (١): أسرار.

(٣) في (١): واجب فرض.

وأخرجوها من الديار. فأنزل الله سبحانه: **﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِيَقْصِدُكُلُّكُلُّ وَنَكْفُرُونَ بِيَقْصِدِكُلُّ﴾** [البر: ٨٥].^(١)

٤٢) و[سألت] عن قوله: **﴿وَلَن يَمْتَهِنَ أَبْدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾** [البر: ٩٥]؟
يريد: بما قدمت أيديهم من كفرهم بك، وجحدهم لك، من بعد علمهم بأمرك الذي وجدوه في التوراة.

٤٣) وسألت عن قوله سبحانه: **﴿فَقِدَّمْتَ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةً أَوْ نُسُكً﴾** [البر: ٩٦]
والصيام فهو: صيام ثلاثة أيام، والصدقة فهو: إطعام ستة مساكين، والنسك فهو: شاة، وهو خير في ذلك، فأي ذلك شاء فعل.

(١) أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: **﴿إِنَّمَا أَقْرَبُكُمْ وَأَنْتُمْ تَنْهَدُونَ إِنْ هُنَّا حَقٌّ مِّنْ مِثَافِي عَلَيْكُمْ، لَمَّا أَتَمْ كُلَّاً مَّا تَنْلَوْتُ أَنْتُكُمْ﴾** أي: أهل الشرك حتى تسفروا دماءكم معهم، **﴿وَغَزَّجُونَ فَرِيقًا يَنْكِمْ تِنْ وَيَكْرِهُمْ﴾** قال: تغزجونهم من ديارهم معهم، **﴿تَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْأَعْمَامِ وَالْأَنْذِرِ﴾** فكانوا إذا كان بين الأوس والمزرج حرب خرجت بنو قباع مع المزرج، وخرجت التفسير وقريبة مع الأوس، وظاهر كل واحد من الفرقين حلفاء على إخوانه، حتى تسافروا دماءهم، فإذا وضعت الحرب أوزارها انددوا أسرارهم تصديقا لما في التوراة، **﴿وَلَن يَأْتُوكُمْ أَكْرَى مُنْتَدِّرُكُمْ﴾** وقد عرفت أن ذلك عليكم في دينكم **﴿وَهُوَ حَمَّ عَلَيْكُمْ﴾** في كتابكم **﴿إِنْرَاجُهُمْ﴾**، **﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِيَقْصِدُ الْكُتُبِ وَنَكْفُرُكُلُّكُلُّ بِيَقْصِدِكُلُّ﴾** انقادونهم مؤمنين بذلك وتغزجونهم كفرا بذلك.

وأخرج ابن جرير، عن أبي العالية، أن عبد الله بن سلام مر على رأس المخالفات بالكونفة، وهو ينادي من النساء من لم يقع عليها العرب، ولا يقادى من وقع عليه العرب، فقال له عبد الله بن سلام: أما أنه مكتوب عندك في كتابك أن قادر من كلهن. اللد الم Shr ٢١١/٢١٢.

٢٦) وسألت عن قوله سبحانه: **﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطْبِقُونَهُ فِتْنَةً طَعَامٌ مِّنْكِنٌ﴾**

[البر: ١٨٤]

والمعنى في ذلك فهو: على الذين لا يطقوه ندية، فطرح لا وهو يريدها، لأنه سبحانه إنما خاطب العرب بلسانها، والعرب تطرح لا وهي تريدها، وتثبتها وهي لا تريدها، وفي ذلك ما يقول الشاعر:

يَوْمَ جَدُودُ لَا فَضْحَمُ أَبَاكُمْ
وَسَالْتُمُ الْخَيلَ تَدْمِي شَكِيمَهَا^(١)

فقال: لا فضحتم، وإنما أراد: فضحتم، فأدخل لا وهو لا يريدها، وشاهد ذلك من كتاب الله، قوله جل جلاله، عن أن يحويه قول أو بناله: **﴿إِنَّا لَأَقْتَلَمُ أَهْلَ الْكِتَابَ﴾** [النحل: ٩٩]، فأدخلوها صلة في الكلام، وذلك عند العرب فمن البلاغة وال تمام، وهي مثل ما يقول الشاعر:

نَزَّلْتُمْ مِنْزَلَ الْأَضْيَافِ مِنَا
فَعَجَلْنَا الْقِرْيَى أَنْ تَشْتَمُونَا^(٢)

فقال: أن تشنمنا، وإنما أراد: لأن لا تشنمنا، فطرح لا وهو يريدها، والشاهد لذلك في كتاب الله سبحانه، قوله: **﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾** [البقرة: ١]، فقال: لا أقسم، وإنما أراد: أقسم^(٣)، وقال سبحانه: **﴿وَسَكَدَ لِكَ جَعْلَنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُخْرِبِهَا لِيَمْكِرُوا فِيهَا﴾** [الأنعام: ١٢٣]^(٤)، وإنما أراد: لأن لا يمكروا فيها.

(١) سبق تخربيه.

(٢) سبق تخربيه.

(٣) في (١): لا أقسم.

(٤) في (١): فيها وما وإنما.

٢٧) وسألت عن قول الله سبحانه: «وَمُعَوْنَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدَهُنَّ لِـذَلِكَ» [البراءة: ٢٢٨]، فقلت: ما ذلك الذي يعطهن أحق بردهن فيه؟

وهذه الآية نزلت في رجل من الأنصار طلق زوجته، ثم أراد مراجعتها فأبى عليه أولياؤها، فأنزل الله هذه الآية يخبر أنه أحق بها من غيره^(١).

وأما قوله: «لِـذَلِكَ» فقد يعمل أن يكون^(٢) يريد العدة وأيامها، وما دامت في أقرانها، ويحتمل أن يكون معنى قوله: «لِـذَلِكَ» أي: بذلك، يريد الأمر الذي يمثّل به زوجها إليها من النكاح والحرمة والمصالحة، والخلة والولد والرغبة، فيقول: «وَمُعَوْنَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدَهُنَّ» لذلك الأمر الذي كان أولاً والسبب الذي كان ينتهي من المدانة والإلقاء، فليس لكم أن تمنعوها من التراجع إن أرادوا الإصلاح والاتفاق والإئتلاف والاختلاء.

٢٨) وسألت عن قول الله سبحانه: «أَلَيْسَ عَلَيْكُمْ هُدًىٰ نَّهَىٰ اللَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ مَنْ يَشَاءُ» [البراءة: ٢٧٣]؟

(والمعنى في هذه الآية والأولى واحد، وإن اختلف التفسير)^(٣)، ويعناها أنه

(١) أخرج ابن المتن، عن مقاتل بن حيان في قوله: «وَمُوَلَّهُنَّ أَحَقُّ بِرَدَهُنَّ» يعني: المراجعة في العدة، نزلت في رجل من غفار، طلق امرأة ولم يشعر بحملها، فراجعتها وردها إلى بيته فولدت ومات ولدها، فأنزل الله بعد ذلك أيام بسيرة «الكلائق سُكَّانَ كُلُّ كَاٰلٍ يَمْتَهِنُ أَوْ تَسْرِيعُ يَلْتَهِنُ» [البراءة: ٢٢٩]، فنسخت الآية التي قبلها، وبين الله للرجال كيف يطلقون النساء وكيف يتزوجن. الدر المشرور ١/٦٦٠.

(٢) سقط من (ب): يكون.

(٣) سقط من (ب): ما بين القوسين.

ينبئ سبحانه أنه لم يفترض على نبيه صل الله عليه قسر قلوبهم على المنهى، وجرها حتى تكون مخلصة في أعمالها، كما افترض عليه قسر أستهتم على التكلم بالإيمان والنطق به، وكما افترض عليه قسر جوارحهم على ظاهر أعمالهم في أداء فرائضهم كلها، فأخبر الله نبيه أن الذي افترض عليه فيهم أمره^(١) بدعائهم وجهادهم، هو الظاهر ما يناله وقدر عليه منهم، مثل التكلم بالإسلام والإقرار به، واستعمال الجوارح في الصلاة والصيام والحجج والجهاد، وما أشبه ذلك من ظاهر الأفعال، التي يعانون بها دماءهم عن القتل، وحرّمهم عن السبي، وأموالهم عن الأخذ، وأنه لم يفترض عليه ولم يكلّفه صلاح قلوبهم وليانها، ولا علم باطنها^(٢) وضميرها، واستخراج مكتون غبيهم، يكونون بذلك من فعل نبي مهتدين حقاً، ويتطوّهم اسم الإيمان صدقاً، فأخبر جل جلاله بما ذكر من ذلك وفيه، أن عليه صل الله عليه إصلاح ظاهرهم، والمعاملة منه على ذلك لهم، وأن الله سبحانه معاملتهم على باطن ضمائر القلوب، وأن الله سبحانه العالم بما تنظرى عليه قلوبهم من الغيوب، «لِيَجزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوْأْيْمَا عِلْمًا وَجَزِيَ الَّذِينَ لَخَسَنُوا بِالْحُسْنَى»^(٣) (الجم: ٣١).

٢٩) [و] [سُلِّل] عن قول الله: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ» (البر: ٢٧).

قال: الكلمات هو كلمات الاستغفار والتوبة والإثابة، ذكرهن آدم بعد المعصية، فطَّقَى بين^(٤) ما وجب عليه من غضب ربِّه، فلما أن تكلم بكلمات التوبة وأظهرهن، صرف الله عنه العقاب، وصار حكمه عند الله حكم من أتاب وتاب.

(١) في (١): من أمره.

(٢) في (ب): باطن ضميرها.

(٣) في (١): لطاماً من، هكلاً، والكلمة الأولى مهملة. ولعلها كما أثبت والله أعلم.

قال علي بن محمد بن عبيد الله العلوي رحمة الله عليه.

(٣٠) سألت المادي إلى الحق صلوات الله عليه عن قول الله سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيْرِ﴾ [البر: ٢٥٦].

فقال: هذا أمر من الله سبحانه لنبه صل الله عليه، بأن يقول لكتفة قريش وجاهليتها^(١)، فيما كانوا يفعلون بمن أسلم منهم وأمن، واتبع محمداً صل الله عليه، وذلك أنهم عاقدوا رسول الله عليه السلام يوم هدنة الحديبية، على أنه يرد إليهم من آثار من أصحابهم، وعاقدتهم على ذلك، وأوجبه صل الله عليه على نفسه بأمر الله له^(٢)، وكان يرد إليهم من آثار راغباً في الإسلام منهم فيكرهونه على ترك الإسلام، وعلى الدخول في دينهم والرجوع، فلما أن انتقض^(٣) العهد الذي كان بين رسول الله وبينهم، أمره الله لا يرد إليهم أحداً من يهاجر إليه، وأعلمه أن الحق قد بلغ متهاه، وقامت شرائع الدين، وظهرت أمور الله، وأنه لا سبيل للحكومة إلى إكراه أحد من اختار دين محمد صل الله عليه، ولا رده إلى دينهم، ومتنهما^(٤) القول مما كانوا يفعلون بمن هاجر، ومنع الرسول به من رد أحد من يهاجر إليه إلى قريش، وأعلمه أن الرشد قد تبين من الغي، والرشد هاهنا فهو: الحق والمهدى، وقيام الحجة على الكفرة الأعداء، والغي فهو: الباطل الذي كانوا فيه من كفرهم وغيرهم، ثم أذن لرسوله صل الله عليه في أن يضع عليهم السيف حتى يسلموا، أو يبيدهم بالسيف،

(١) في (أ): يقول المخفرة قريش وجاهليها.

(٢) في (أ): لم.

(٣) في (ب): انقضى.

(٤) في (أ): لهذا.

ومنه من كل هذة وموافقة، وأمره بقتلهم إن لم يدخلوا معه^(١) كافة في الإسلام، ولم يرض في العرب إلا بالقتل أو الإسلام، لا غير ذلك، ولم يجز له أن يقبل منهم جزية كما قيل من الإسرائيelin من أهل الكتابين، فهذا تفسير «لا إكراه في الدين» يقول: لا ترخيص لكم في (إكراه أحد على دينهم، قد انتقل الأمر الأول، وبين الرشد الحق من)^(٢) الباطل.

(٣) وإن سأله عن قول الله ذي الجلال: «لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ الْأَنْسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ قِرْبَةً» (البقرة: ٢٢٦)، فقال: ما^(٣) معنى قوله: لا جناح على من طلق قبل أن يمس، وقد تعلمون ونعلم أيضا أنه لم يجعل جناحا على من طلق من^(٤) بعد المس؟!

قيل له: إن للآية خبر جايئا، عند من عقل يسوى ما ذهب إليه، وتحقق بسوء نظرك فيه، وإنما المعنى في ذلك: أن^(٥) الله تبارك وتعالى يقول: «لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» لا إثم ولا حرج في الطلاق، وإنما أراد بالجناح هاتنا: المهر، وطالبة المرأة له بما تطالب به المطلقة، المفروض لها التي لم يمسها، ولم يدخل عليها زوجها، فأخبر تبارك وتعالى: أنه إذا طلقها، ولم يكن فرض لها صداقا، ولا سمي لها مهرا، أنه لا سبيل لها عليه في مطالبة بمهر، لأنه لم يفرض لها شيئا تطالبه بنصفه، كما تطالب التي

(١) سقط من (أ): معه.

(٢) سقط من (أ): ما بين القوسين.

(٣) سقط من (ب): ما.

(٤) سقط من (أ): من.

(٥) في (أ): أنه.

قد فرض لها، ثم طلقها من قبل أن يمسها بنصف ما اسمى لها، فهذا هو معنى الجناح
ها هنا.

(٣٢) وإن سأله عن قول الله سبحانه: **﴿وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَتَعَقَّبُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾** [البر: ١٧١]، كيف^(١) يشبه الذين كفروا بالناعق؟ ثم
قال: **﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾** والناعق سمع بصير، فإن كان مثلكم^(٢) بالبهائم فكان
مجاز الكلام أن يقول: كمثل الذين نعق به؟

قيل له: يا جاهل ذا ارتياط، ويا جائز عن الصواب^(٣): إن الله تبارك وتعالى
إيتها^(٤) شبهة الذين كفروا بالناعق التي تتعنق، لقلة اتباعهم وقبولهم، وقلة معرفتهم بها
جاءهم من ربهم، فشبههم في قلة اتباعهم بالبهائم التي لا تميز لها، فاما قوله: **﴿كَمِثْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَتَعَقَّبُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾**، فهو: مثل ضربة الله لهم، فمثلهم
بغنم راجعي سامت^(٥) فقطلت، وتتابعت فذهببت، فأزاغها صاحبها فلم يجدوها، فعلا
شرفًا^(٦) من الأرض لها، وأقبل يتعنق بها، ويناديه وهي لا تسمعه، وهو في دعاء
ونداء وهي سائمة ترعى، ولا تحيب له صوتا، ولا تألهه فوتا، كذلك الذين كفروا
حالهم في ترك الإجابة إلى الحق، كحال هذه الغنم المستعجمة من الخلق.

(١) في (أ): فكيف.

(٢) في (ب): شبههم.

(٣) سقط من (ب): يا جاهل ذا ارتياط ويا جائز عن الصواب.

(٤) سقط من (أ): إتها.

(٥) سقط من (أ): سامت.

(٦) الشرف: المكان العالى.

٣٣) وسألته عن قول إبراهيم صلوات الله عليه: **«رَبِّ أَرِنِي حَيْثُ تُحْكَمُ الْأَمْرَاتِيْنِ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنَ قَالَ بَلَى وَلَكِنِ لَيَطْمِئِنُ قَلْبِيْ»** [البقرة: ٢١٠]؟

قال: إنما أراد بذلك **صليل الله عليه: أرنى آية، أزدد**^(١) بها على وبصيرة، وأعرف سرعة الإجابة لي منك، حتى يثبت ذلك عندي، ويقر في قلبي معرفة من ذلك، فأمره الله سبحانه أن يأخذ أربعة من الطير، وأن يجعل على كل جبل منهم جزءاً، ثم أمره أن يدعوهن، ليりه من عجيب قدرته، وشهادت حكمته، ما يزداد به معرفة في دينه، ويشتت عنده علم ما سأله عنه من آيات ربه، فرأاه الله ذلك فازداد بصيرة وإيقاناً، ومعرفة وبياناً.

٣٤) قال يحيى الحسين رضي الله عنه: الجواب لمن سأله عن الأشهر المعلومات؟
أهنا: أشهر الحج الم فهو: مات، وهي: شوال، ذو القعدة، وعشر من ذي الحجة^(٢).

(١) في المطررات: أزاد، ولعل الصواب ما أثبت، لأنها جواب وجاء لفعل الطلب (أرنى).

(٢) أخرج وكيع، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصحمه، والبيهقي في سنته من طرق عن ابن عمر **«الحجُّ أَنْهَرٌ شَلُوتَتْ»** قال: شوال، ذو القعدة، وعشر ليل من ذي الحجة.

وأخرج وكيع، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي، عن ابن سعور **«الحجُّ أَنْهَرٌ شَلُوتَتْ»** قال: شوال، ذو القعدة، وعشر ليل من ذي الحجة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والبيهقي من طرق عن ابن عباس **«الحجُّ أَنْهَرٌ شَلُوتَتْ»** قال: شوال، ذو القعدة، وعشر من ذي الحجة؛ لا يفرض الحج إلا فيهن.

وأما الأيام المعدودات، فهي: أيام التشريق، يوم أحد^(١) عشر، ويوم إثنى عشر،
ويوم ثلاثة عشر من ذي الحجة، فهذه الأيام المعدودات.



وأخرج ابن المزار، والدارقطني، والطبراني، والبيهقي عن عبد الله بن الزبير **«الحجُّ أَنْهَرٌ مَغْلُوبٌ»** قال: شوال، ذو القعدة، وعشرين من ذي الحجة. الدر المثمر ٢/٥٢٤ - ٥٢٥.
(١) في (١): إحدى.



تفسير سورة آل عمران



وَمِنْ سُورَةِ آلِ عُمَرَانَ

(٣٥) وَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَمَسْكُرُوا وَمَسْكُرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَمْكُرِينَ» (آل عُمَرَانَ: ٤٠). فَكِيفُ الْمَكْرِ فِيهِمْ، وَكِيفُ الْمَكْرِ مِنَ اللَّهِ بِالْمَمْكُرِينَ؟

فَقَالَ: أَمَا مَكْرُ الْعِبَادِ فَهُوَ مَا يَخْفُونَ وَيَصْرُونَ، مِنْ إِرَادَةِ الْمَكْرِ لِمَنْ يَهْمِكُونَ، وَسْتَرَ مَا يَرِيدُونَهُ، مِنَ الْغَوَائِلِ لِمَنْ يَغْتَالُونَهُ، فَهَذَا الْمَكْرُ مِنَ الْأَدْمِينَ.

وَأَمَا الْمَكْرُ مِنَ اللَّهِ فَهُوَ عَلَيْهِ بِمَا يَصْرُونَ، وَالْأَطْلَاعُ عَلَى مَا يَخْفُونَ وَيَعْلَمُونَ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ فِيهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْعُلُوهُ، وَيَطْلَعُ عَلَى خَفِيٍّ مَا يَخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ قَبْلِ أَنْ يَدْعُوهُ، فَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْلَمُ عِلْمَهُ، وَلَا يَطْلَعُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ إِرَادَتِهِ، تَعَالَى رَبُّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي لَا يَعْتَاجُ إِلَى النِّيَّةِ وَالضَّمِيرِ، فِي الصَّغِيرِ وَلَا فِي الْكَبِيرِ.

(٣٦) وَسَأَلَتْ عَنْ قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ: «تُؤْتِيَ الْمُلْكَ مَنْ شَاءَ وَتُنْزِعُ الْمُلْكَ مِمْنَ شَاءَ وَتُعِزِّزُ مَنْ شَاءَ وَتُذَلِّلُ مَنْ شَاءَ» (آل عُمَرَانَ: ٢٦)؟

وَالْمُلْكُ هَاهُنَا الَّذِي يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ فَهُوَ جَبَابَاتُ الدُّنْيَا وَأَمْوَالِهَا، وَالَّذِينَ يَشَاءُ أَنْ يُؤْتِيَهُمْ فَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأُلْمَاءُ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَالَّذِينَ يَشَاءُ أَنْ يَنْزَعَهُمْ فَهُمُ أَعْدَاءُهُ، مِنْ جَبَابَرَةِ أَرْضِهِ.

وَمِنْ «تُؤْتِيَ الْمُلْكَ» فَهُوَ الْحُكْمُ بِالْمُلْكِ لِمَنْ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَمِنْ حُكْمِهِ بِالنِّبَرَةِ أَوْ بِالإِمَامَةِ حَكِيمًا، وَأَوْجَبَ لَهُ الطَّاعَةُ عَلَى الْأُمَّةِ بِاسْتِحْقَاقِهِ لِذَلِكَ الْمَوْضِعِ إِيجَابًا، فَقَدْ آتَاهُ الْمُلْكَ، لَأَنَّ الْمُلْكَ هُوَ الْأَمْرُ وَالنَّهِيُّ وَالْجَبَابَاتُ وَالْأَمْوَالُ الَّتِي تَقْبَضُ، الَّتِي يَبْهَا قَوْمُ الْعَسَكِرِ، وَالْمَخَازِدُ الْخَلِيلُ وَالرَّجُالُ وَالسَّلاحُ، وَجَمِيعُ أَدَاءِ

الملك، فمن أجاز الله له قبض جباريات الأرض، وإقامة أحكامها وحدودها، وأوجب له الطاعة على أهلها، فقد آتاه الملك حقاً، أولئك هم السابقون بالخيرات صلوات الله عليهم، ومن لم يحكم له بشيء من ذلك، ولم يجزه له وبطلق يده فيه، ولم يوجب له الطاعة على أحد من خلقه، فقد نزع الله ملك أرضه منه، وأبعده عنه، أولئك أعداؤه وجبارته أرضه، الحاكمون بغير حكمه، المقصوبون ما جعل الله سبحانه لأوليائه، المعتدون^(١) لما حكم به في خلقه وبلاده، أولئك **﴿يَأَسْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُوْنَ سَعِيرًا﴾** [الناد: ١٠]، فسبحان من لم يقض بشيء من ذلك لأعدائه، ولم يؤته غير أوليائه.

وفي نفي الحكم منه بشيء من ذلك لأعدائه، ما يقول لإبراهيم صل الله عليه: **«لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** **﴾[البر: ١٢٤]**»، والمعهد فهو: العقد بالإمامية، والحكم لهم بالطاعة، ومعنى **«لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**» فهو: لا يُنْلَهم ولا يجيزهم. (٣٧) وسألت عن قول الله سبحانه: **«فَإِذَا أَخْذَ اللَّهُ مِيقَاتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** **﴾[المران: ١٨٧]**»، ما كان أخذ الميقات ومتى كان؟

وأخذ الله سبحانه لميقات أهل الكتاب، فهو: بلا شك ولا ارتياط، ما أخذ الله منهم على لسان موسى وعيسيٍ صل الله عليهما، من التصديق بمحمد صل الله عليه وأله وسلم، والإثبات به والإقرار بما يتزل عليه من وحيه، والنصر له صل الله عليه وأله وسلم، والقيام معه.

(١) في (ب): المتفقين.

(٣٨) وسألت عن قول الله سبحانه، فيها حكى عن المؤمنين من عباده القائلين: ﴿رَبَّنَا
لَا تُرِغِّبْنَا بَعْدَ اذْهَبْنَا﴾ [آل عمران: ٨]، فقلت: كيف يزيف قلب من هداه
الله، وكيف جاز لهم أن يظفرون به سبحانه؟

وهذا دعاء منهم بالتشيّط لهم، بالمعونة والتوفيق والتسديد والإرشاد، يقولون:
ربنا زدنا هدى إلى هدايانا، ومعونة إلى قوتنا، ولا تركنا من رحمةك فنهلك، وتزيف
قلوبنا بعد ما نحن عليه من اجتهادنا، في طاعتك، واتبعنا لمرضاتك، لا أنهم
يتهمون على ربهم، أو يظفرون^(١) بخالقهم ظلماً لهم، أو إزاغة عن رشدهم، أو
إدخالاً^(٢) لهم في تقصير إن كان منهم.

(٣٩) وعن قول الله سبحانه فيها يحكى عن من قال: ﴿لَنْ تَمْسَكَنَا أَنْتَ كَارِئٌ أَيَّاماً
مَعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: ٩٤]

فقال: نزلت في اليهود، كانوا يقولون: إن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وإن الله
يعذب أهل النار بدل كل ألف سنة يوماً واحداً، فذلك سبعة أيام، ثم يتضاعف عذاب
جهنم^(٣)، فأنزل الله إكذابهم في ذلك وزور قوله عنهم.

(١) في (ب): ويظفرون.

(٢) في (ب): وإدخالاً.

(٣) أخرج ابن إسحاق، وأبي جرير، وأبي المنذر، وأبي حاتم، والطبراني، والواحدي، عن ابن عباس
أن عزراً كانوا يقولون: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنها تعذب لكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً
واحداً في النار، وإنها هي سبعة أيام معدودات ثم يتقطع العذاب، فأنزل الله في ذلك ﴿وَقَالُوا أَنْ
تَكَارِئُ﴾ ... إلى قوله: ﴿هُمْ فِيهَا حَكِيلُونَ﴾. الدر المختار / ٢٠٧.

٤٠) وسألت عن قول الله سبحانه: «وَيَنْلَكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ»

﴿ال عمران: ٩﴾

فصدق الله سبحانه هو المكون لها، والمحدث لما كان من خلقها، وإنما أراد سبحانه بذلك ما يداول بينهم فيها من الغموم والغموم والأحزان، والفرح والسرور الذي غر به على الإنسان، مما ينزل به السرور، بما يرزقون ويوجهون من الذكور، ويسط لهم من الأرزاق، ويوسع عليهم من الأرفاق، ويبتلون من الشكل للأشياء، وما ينالهم من زوال السرور والرخاء، فمرة يستغنى الفقير المعاشر، ومرة يفتقر الغني الموسر، وتارة يفرح هذا بها يولد له من الأولاد، وتارة يغتم ويحيط بها يخافه من الضعف والفساد، والأيام بين المخلوقين، دُولٌ كما ذكر رب العالمين، بما يسط لهم من الأرزاق، ويعن به عليهم من السعة والأرفاق، لا ما يتورهم الجاهلون، وينسب إلى الله الضالون، من إدلة الله للفاسقين، وتمكينه لل مجرمة العاصيين، والإدلة فهي نصر وغ يكن، والله فلا يُمْكِن إلا لعبادة المؤمنين.

٤١) وسألت عن قول الله سبحانه: «مِنْهُ أَيَّتَتْ تَحْكِيمَتْ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَبِّهَاتْ» ﴿ال عمران: ٢٧﴾

والمحكمات - رحمة الله - فهن الآيات اللواتي ظاهرهن^(١) كباطنهن، وتأويلهن كتزيلهن، لا يختلطون معندين، ولا يقال فيهن بقولين، مثل قوله تبارك وتعالى: «لَيْسَ كَمِنْهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» ﴿الشورى: ١١﴾، ومثل قوله: «فَلَمْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ﴿الله الصمد: ٣﴾، لم يكُنْ ولَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَفُواً أَحَدٌ» ﴿الإِعْلَام: ١-٤﴾، ومثل قوله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا

(١) في (١): ظاهرهن.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الْذُلُّ وَكَثِيرٌ تَكْبِرُ^(١)» [الإسراء: ١١١]، ومثل سورة الحمد، مثل قوله: «اللَّهُ أَكْبَرُ إِلَهُ إِلَهُ حُلَّى أَكْبَرُ...» [البقرة: ٢٥٥] الآية كلها، وغير ذلك ما كان من الآيات المحكمات، اللوائي لا يدخلهن التأويلات، ولا تختلف فيهن القالات، والأمهات فهن: اللوائي ترد^(٢) إلىهن المشابهات، وأم كل شيء فأصله، وأصله فمحكمه، الذي يرد^(٣) إليه الفروع والاختلاف، ويقع بالرجوع إليه بعد التشاجر الإيلال، والمشابهات فهن: ما حجب الله عن الخلق علمه من الآيات، اللوائي لا يعلم تأويلهن غير رب السموات، كما قال الله: «مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ مَا أَنَا بِيَدِكُمْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّيَّتِكُمْ» [آل عمران: ٧٧]، فأخبر أنه لا يعلم تأويله غيره^(٤)، وأن الراسخين في العلم إليه يعودونه، إذ لم يعلموا، وإذا حجب عنهم تأويله فلم يفهموا، مثل: «بَسَتْ»^(٥) [بس: ١] و«حَمَّ»، و«الْأَرْ»، و«طَسَّ»، و«كَتَهِيْعَصَّ»، و«الْأَتَمَّ»، و«الْأَتَصَّ» و«صَنَّ».

وما كان من المشابه مما يحتاج الخلق إلى فهمه، فقد أطلع الله العلماء الذين أمر بهؤالم على علمه، وهو ما كان تأويله، خالفاً لتنزيله، مثل قوله سبحانه: «وُجُوهٌ
بَوْصِيدٌ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ»^(٦) [الباهة: ٢٢-٢٣]، ومثل قوله: «وَأَسْمَوْاتٌ
مَطْرِيَّتٌ بِسَعِينِهِ»^(٧) [الزمر: ٦٧]، (ومثل قوله: «تَبَرَّكَ أَسْمُ رَبِّكَ»^(٨) [الرحمن: ٧٨]،
ومثل ما ذكر الله من الفضلال والإملاء، وغير ذلك مما ذكر تبارك)^(٩) وتعالى، مما

(١) في (أ): يرد.

(٢) في (ب): ترد.

(٣) في (ب): تأويله إلا الله.

(٤) سقط من (ب): ما بين القوسين.

يتعلّق تزيله [باتّوبل يعرّفه العالّمون] وينسب فيه إلى الله شبه خلقه الجاهلون، فأبطلوا بذلك ما ذكر الله من الأمهات المحكّمات، اللواتي جعلهن بالحق شاهدات، وعن ظاهر المشابه ناطقات.

٤٢) وسألت عن قول الله سبحانه: **«مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْشَمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمْيِيزَ الْخَيْرَ مِنَ الْقَيْرَ»** (ال عمران: ١٧٩)

ومعنى ذلك عندنا، وما تأوله في قوله: أنه أراد أنه لم يكن ليذر المؤمنين على ما عليه غيرهم من المنافقين، وذلك أن المؤمنين كانوا إذا أمرهم رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم بشيء، مما أمره الله أن يأمرهم به من شرائع الإسلام، أذعنوا لذلك وسلّموا وانقادوا له، وأجابوا بقولهم وألسنتهم، وكان المنافقون إذا أمروا ونهاوا أجابوا بألسنتهم وأضمروا في باطنهم خلاف ما أظهروا، وكانتوا يختذلون قول المؤمنين، ويذكرون عن أنفسهم ما يذكر المسلمين، من الإجابة والرغبة والصدق والسمع والطاعة والحق، فذكر الله عز وجل أنه لا يذرهم على ذلك حتى يميزهم بالأمر والنهي لهم، والافتراض لما افترض على خلقه من الجهاد في سبيله، والإتفاق في طاعته، والإتباع لرسوله فيما أمروا به من الجهاد، والصبر مع الرسول في البلاء، حتى يتبنّ للرسول الصادق^(١) في فعله وقوله، والكافر^(٢) فيما يظهر من نفسه للرسول، فلما افترض ذلك عليهم، وجعله حجة له باقية فيهم، لا يسعهم تركها، ولا يجوز لهم رفضها، لحج^(٣) لذلك المؤمنون، وبسم الله المتّعون، وقوفهم بفعلهم صدقوا، ونكّل المنافقون ورضوا بالخلاف عن رسول الله وعصوا، فبان بذلك المؤمنون من الفاسقين، والصادقون من المنافقين، وما زهم بذلك رب العالمين، فوقف الرسول

(١) لحج: الهرج بالشيء الروع به، ولحج به: إذا أغري به ثابر عليه.

ومن معه على ذلك من فعلهم، وعَرَفُوهُمْ بِمَا كَانُوا مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَقَدْ يَكُونُ الْمِيزَانُ مِنْ أَنَّهُ لَهُمْ، بِمَا حُكِمَ بِهِ فِي الْآخِرَةِ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ، مِنَ الثَّوَابِ لِلْمُتَقْبِلِينَ، وَالْعَذَابِ لِلْمُفَاسِدِينَ.

(٤٣) وَسَأَلَنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبارَكَ وَتَعَالَى: «قُلْ لَئِنْ كُنْتُمْ فِي بَيْوَتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كَيْتُ عَلَيْهِمُ الْتَّنَاهِيَ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ» [آل عمران: ١٥١]، فَقَالَ: مَا مَعْنَى «كَيْتُ» وَمَا الْكِتَابُ؟

فَقُلْتُ: الْكِتَابُ يَكُونُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَعَانٍ: وَكُلُّهَا - وَالْحَمْدُ لِهِ - يَقِنُّ مِنْهُ، عَنْدَ مِنْ رِزْقِهِ الْمُرْفَعَةُ بِالْكِتَابِ وَالْتَّفْسِيرِ:

فَمِنْهَا: الْعِلْمُ، وَهُوَ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ، وَمَا كَانَ فِي الْكِتَابِ، مُثْلُ قَوْلِ اللَّهِ: «فَتَنَّمَ يَعْمَلُ مِنَ الْصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفَّارَانِ لِسَعْيِهِ إِنَّا لَهُ مَحْتَبِبُونَ» [آل آيَة: ٩٤]، يَرِيدُ بِكَاتِبِينَ عَالَمِينَ، وَمُثْلُ قَوْلِهِ فِي آخِرِ الْحِجَّةِ (١): «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» [الْحِجَّة: ٧٠]، يَرِيدُ سُبْحَانَهُ، وَجَلَّ عَنْ كُلِّ شَانٍ شَانٍ، بِقَوْلِهِ «فِي كِتَابٍ» أي: فِي عِلْمٍ مَعْلُومٍ، عَنْدَ اللَّهِ غَيْرِ مَكْتُومٍ.

وَالثَّانِي: مَعْنَى الْحُكْمِ مِنَ الرَّحْمَنِ، وَفِي ذَلِكَ مَا يَقُولُ فِي وَاضْعَفِ الْفَرْقَانِ: «وَأَذْلَلُوا الْأَرْجَامِ بِعَضُّهُمْ أَوْلَى بِيَعْضٍ ... إِلَى قَوْلِهِ: حَكَانَ ذَلِكَ فِي الْحَكِيمِ مَسْطُورًا» [الْأَحْرَاب: ٦]، فَقَالَ: فِي كِتَابٍ، وَإِنَّمَا أَرَادَ فِي حُكْمِ اللَّهِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَالظُّرُورِ يَكْتُبُ مَسْطُورٌ» [الظُّرُور: ٢-٣] (٢)، يَقُولُ فِي الْحُكْمِ مِثْبَاتٍ (٣)

(١) سَقطَ مِنْ (١): فِي آخِرِ الْحِجَّةِ.

(٢) فِي (١): وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الظُّرُورِ.

(٣) فِي (٢): مَثْبَاتٌ.

مفروضاً. ومن ذلك قوله: **«وَسَعَّيْتَنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ»** (المسد: ٤٥)، وقال: **«سَعَّيْتَنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا»** يريد: وحکمنا عليهم فيها، فذكر أنه حکم على بني إسرائيل، بما ذكر من النفس بالنفس، ومعنى قوله: **«فِيهَا»** في التوراة التي أنزلها على موسى صل الله عليه، وما أشبه ذلك في القرآن، مما أراد به الحكم على الإنسان.

والمعنى الثالث فهو: اسم الكتاب المنزل نفسه، مثل قوله: **«وَزَرَّنَا عَلَيْنَا الْكِتَابَ تِبَيَّنَ لَكُلُّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةٌ وَشَرِيكٌ لِلْمُسْلِمِينَ (٢٩)**» (الحل: ٨٩) فأراد بذلك: هذا الكتاب الكريم، الذي يحيط ^(١) في الصحف والدفاتر، وتعيه وتنطوي ^(٢) عليه الصدور والضيائير. ومثل ذلك قوله، وما أقسم به في ^(٣) كتابه وتزييله، حين يقول: **«وَالظُّرُورِ (٤) وَسَعَّيْتَ مُسْطَرِينَ (٥)»** وما كان في الكتاب مثل هذا وغيره، مما أراد به تفسير تزييله ووحيه، فعل هذه الثلاثة معان ^(٦) يخرج معنى الكتاب، ولن يوجد معنى رابع ^(٧) بسبب من الأسباب.



(١) في (أ): يحيط. مصحف.

(٢) في (أ): وتنطوي.

(٣) في (أ): من.

(٤) في (أ): فعل هنا. وفي (ب): الثلاثة معان.

(٥) في (ب): الرابع.



تفسير سورة النساء



ومن سورة النساء

(٤) سألت عن قول الله سبحانه: «وَإِنْ مِنْ أَقْلَى الْكِتَبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِيهِ...» (الناد: ١٥٩) الآية؟

وهذا فإخبار عن عيسى بن مرريم صل الله عليه، وعن أهل الكتاب الذين كفروا به من اليهود والنصارى، وقد قيل: إنه صل الله عليه^(١) حي إلى ساعة الناس هذه^(٢)، وإنه يصلى وراء المهدى^(٣)، ويظهر ويأمر وينهى، ويؤمن به جميع أهل

(١) سقط من (ب): صل الله عليه.

(٢) أخرج عبد بن حميد، وأبي المنذر، عن شهير بن حوشب في قوله: «وَإِنْ مِنْ أَقْلَى الْكِتَبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِيهِ...» عن محمد بن علي بن أبي طالب هو ابن الحنفية، قال: ليس من أهل الكتاب أحد إلا أنه لما لاحكه يضربون وجهه ودببه، ثم يقال: يا عدو الله إن عيسى روح الله وكلمه، كتب على الله وزعمت أنه الله، إن عيسى لم يمت وإنه رفع إلى السماء، وهو نازل قبل أن تقوم الساعة فلا يبقى يهودي ولا نصراني إلا آمن به.

وأخرج ابن جرير، عن الحسن^(٤) «وَإِنْ مِنْ أَقْلَى الْكِتَبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِيهِ...» قال: قبل موته عيسى، والله إنه الآن حي عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون.
وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن، أن رجلاً سأله عن قوله: «وَإِنْ مِنْ أَقْلَى الْكِتَبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِيهِ...» قال: قبل موته عيسى، وإن الله رفع إليه عيسى، وهو باعثه قبل يوم القيمة مقاماً، يومئذ البر والفارج، الدر المثور/٢-٧٣٤-٧٣٥

(٣) قال ابن حجر المishي: وأخرج الطبراني مرفوعاً: بلغت المهدى عليه السلام وقد نزل عيسى بن مرريم عليه السلام كلما يقتصر من شهره الماء، فيقول المهدى عليه السلام: تقدم فصل بالناس، فيقول: إنما أقيمت الصلاة لك، فيصل خلف رجل من ولدي، الحديث.
قال: وفي صحيح ابن حبان في إمام المهدى عليه السلام نحوه، الصواعق المحرقة/٩٨.

الكتاب^(١)، ثم يموت من بعد ذلك عليه السلام.

وفي كنز العمال ١٨٧/٧ بلفظ: مَا الَّذِي يُصْلِي عَيْسَى بْنَ مُرِيمَ خَلْفَهُ، قَالَ: أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمَ فِي كِتَابِ الْمَهْدِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَذَكَرَ الْمَنْاوِيُّ أَيْضًا فِي فِيهِ الْقَدِيرِ ٦/١٧ فِي الْمَنْ، وَقَالَ فِي الشَّرْحِ بَعْدَ لَفْظَهُ: «خَلْفَهُ» فَإِنَّهُ يَنْزَلُ عَنْ صَلَةِ الصَّبْعِ عَلَى الْمَارَةِ الْيَسَاءِ، شَرْقِيَّ دَمْشَقَ، فَيَجِدُ الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ يَرِيدُ الصَّلَاةَ فَيَحْسُنُ بِهِ فَيَأْخُرُ لِيَقْدِمَ فَيَقْدِمُ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَصْلِي خَلْفَهُ.

وَأَخْرَجَ أَحَدُ بْنِ حَنْبَلٍ ٣٤٥/٣ عَنْ جَابِرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا تَرَاوِلُ طَائِفَةً مِّنْ أَمْيَانِكُمْ يَقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ الظَّاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزَلُ عَيْسَى بْنَ مُرِيمَ فَيَقُولُ: أَمْرِيْهُمْ: تَعَالَ صَلِّ فَيَقُولُ: لَا غُنْ يَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرِيْكُمْ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ، وَهُوَ أَيْضًا فِي ٣٨٤/٣ بِطَرْيَقٍ آخَرَ.

وَأَخْرَجَ أَحَدٌ أَيْضًا ٣٦٧/٣ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يَخْرُجُ الدِّجَالُ فِي خَفْفَةِ مِنَ الدِّينِ وَإِدَبَارِ مِنَ الْعِلْمِ ... إِلَى أَنْ قَالَ: فَإِذَا هُمْ بِعَيْسَى بْنَ مُرِيمَ فَتَقَامُ الصَّلَاةُ فَيَقَالُ لَهُ: تَقْدِمْ يَارَوْحُ اللَّهِ، فَيَقُولُ: لِيَقْدِمَ إِمَامَكُمْ فَلِيُصْلِي بَعْضَهُمْ ... الْحَدِيثُ.

وَيَوْمَدُ هَذَا الْمَعْنَى مَا فِي صَحِيفَ الْبَخَارِيِّ فِي كِتَابِ بَدْءِ الْمُخْلَقَاتِ فِي بَابِ نَزْوَلِ عَيْسَى بْنَ مُرِيمَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَسْنَدَهُ عَنْ نَافِعِ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةِ الْأَنْصَارِيِّ إِنَّ أَبَا هَرِيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ أَتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مُرِيمٍ فِيْكُمْ وَإِمَامَكُمْ مِنْكُمْ، وَقَدْ رَوَاهُ سَلَّمَ أَيْضًا فِي صَحِيفَةِ كِتَابِ الْإِيَّانِ بَابِ بَيَانِ نَزْوَلِ عَيْسَى، وَأَخْرَجَهُ أَحَدٌ أَيْضًا ٢/٣٣٦.

(١) أَخْرَجَ أَبُو شِيَّةَ، وَعَبْدُ بْنِ حِيدَ، وَالْبَخَارِيُّ، وَسَلَّمَ، عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي تَفْسِي بِهِ لَيُوشَكُنَّ أَنْ يَنْزَلَ نِيْكُمْ ابْنُ مُرِيمٍ حَكِيمًا عَدْلًا، فَيَكْرِسُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَتَرَيْرَ، وَيَرْضُعُ الْمَزَرِيَّةَ، وَيَفِيْضُ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبِلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ خَرَابًا مِّنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هَرِيرَةَ: وَاقْرَأُوا إِنْ شَتَمْ ﴿وَلَدَنِّيْنَ أَكْلَ الْكَتَبِ إِلَّا لَيَنْزَلَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْلَدِهِ﴾، مَوْتُ عَيْسَى بْنَ مُرِيمٍ، ثُمَّ يَعْدِيْهَا أَبُو هَرِيرَةَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ.

وَتَوْقِيْمُ الْأَقْيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ كَهْدَنًا (٢).

وَأَخْرَجَ أَبُو مَرْدُوْيَهُ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يُوشَكُنَّ أَنْ يَنْزَلَ نِيْكُمْ ابْنُ مُرِيمٍ حَكِيمًا عَدْلًا، يَقْتُلُ الدِّجَالَ، يَقْتُلُ الْخَتَرَيْرَ، يَكْرِسُ الصَّلِيبَ، وَيَرْضُعُ الْمَزَرِيَّةَ، وَيَفِيْضُ الْمَالَ، وَتَكُونُ السَّجْدَةُ وَاحِدَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَاقْرَأُوا إِنْ شَتَمْ ﴿وَلَدَنِّيْنَ أَكْلَ الْكَتَبِ إِلَّا لَيَنْزَلَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْلَدِهِ﴾، مَوْتُ عَيْسَى بْنَ مُرِيمٍ، ثُمَّ يَعْدِيْهَا أَبُو هَرِيرَةَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ».

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾^(١)، فهو: شهيد عليهم بما ألقى إليهم وأمرهم به، وأدلى إليهم من كتاب الله وأمره ونهيه، فخالفوا إلى غيره وكفروا به، وما يشهد به عليهم يوم القيمة صل الله عليه فيها أدى إليهم من الله سبحانه، من ذكر محمد صل الله عليه والتبشير به، والإخبار بصفته ووقته، وما أمرهم به عن الله من طاعة، فخالفوا ذلك كله وصاروا إلى ضده، من الكفر بنبيه^(٢)، ف بذلك يشهد عليهم المسيح صلوات الله عليه يوم القيمة: إني قد أمرتكم بأمر الله فكفرتم، وأوقتنكم على الحق فخالفتم.

٤٤) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿لَا تَقْرِبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْذِهُ سُكْرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَعْتَسِلُوا﴾^(٣) [الإسراء: ٩]

فالسكر الذي نهى عن الصلاة معه وفيه، فهو: سكر النوم وغلبه وغضبانه لعقل من يتزل به، فنهى الله^(٤) المؤمنين عن الصلاة حتى يزول عنهم اسم النوم، ويصيروا إلى حد المتيقظين من الأنام، وترجع إليهم عقوتهم فيعرفون ما يقولون، وما يقرأون^(٥) في الصلاة فيفعلون.

واخرج أحد، وابن جرير، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صل الله عليه وآله وسلم: «يتزل عيسى بن مریم عليه السلام، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويجمع له الصلاة، ويعطي المال حتى لا يقبل، ويضع المراج، ويتزل الروحاء فيحيي منها أو يهصر أو يجمعنها. قال: وتلا أبو هريرة: «تَلَدَّ بَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَتَقَبَّلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا»^(٦) قال أبو هريرة: «يؤمن به قبل موته عيسى». الدر المثور / ٢ . ٧٣٥

(١) سقط من (ب): بنبيه.

(٢) سقط من (ب): الله.

(٣) في (ب): ما يقرأون وما يقولون.

وأما قوله: **﴿وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرٍ سَيِّلٌ﴾** فعابر السبيل: مجيز الطريق من أبناء السبيل، الذين قد وقع عليهم اسم السفر، وجاز لهم عند الله عز وجل القصر^(١).

٤٦) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَحْكِيمًا﴾** [الإسراء: ٩]

ومعنى قوله: **﴿كَلَمٌ﴾** فهو: القى في أذن موسى عليه السلام ما ألقى من الكلام، ولم يكن بيته وبين موسى رسول كما كان بيته وبين سائر الأنبياء، وإنما كان من الله خلق الكلام، وليقاعده في أذن موسى عليه السلام، فلما أن كان ذلك كذلك، قال: **﴿وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَحْكِيمًا﴾**، إذ لم يكن بيته وبينه رسول، ولم يكن المؤدي الكلام إلى موسى إلا الله سبحانه، فجاز إذ كان ذلك كذلك، أن يقول: **﴿وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَحْكِيمًا﴾**، إذ لم يكن بيته وبينه مؤدي غير الله سبحانه، ولا مُسمى^(٢) سواه.

٤٧) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿وَكَلِمَتَهُ أَقْنَهَا إِلَى مَرِيمَ﴾** [الإسراء: ١٧]

إنما ألقاها على لسان روحه إليها، وهي^(٣) التبشير بعيسي صل الله عليه، ومعنى الكلمة نهي: الحكم من الله سبحانه لها بعيسي، وأن يجعله في بطنتها من غير ذكر، فسأله كلمته، إذ كان بقضائه وقدره، وإيجاده وفعله، فعيسي صل الله عليه كلامته، وكلمه نهي: فعله وفطرته وقضاؤه وجِلَّه وعموله وأمره، الذي ألقاه في مريم وخلقه، وأوجده في الرحم من غير نطفة بذكر، ولا مداناة من ذكر، فتعالى الله العلي الأعلى، الفعال لما يشاء.

(١) في (أ): الفرض. مصححة.

(٢) في (ب): وبين موسى مؤدي غيره ولا يسمع.

(٣) في (أ): وهو.

٤٨) وعن قول الله تبارك وتعالى: **﴿يُؤْتَيْنُونَ بِالْجِبْرِ وَالظُّلْمُوتِ﴾** (الساه: ٥١)؟

فقال: الجبر هو كل ما صد عن أمر الله وأهلاً عن دينه، والطاغوت فهو: كل ما أطغى وجَبَتْ عن دين الله، وحل أحداً من عباد الله على معصية الله، من طواغيت جبارية أرضه، وملائين كفرة عباده.

٤٩) وسألته عن قول الله سبحانه عز وجل: **﴿فَلَا وَرِثْتُكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ لَا يَعْدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا إِنَّمَا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** (الساه: ٥٢)؟

يقول سبحانه لنبيه صل الله عليه وآله وسلم: خبراً له عن أصحابه، مقيساً بنفسه، أن أصحابه لا يؤمنون على حقيقة الإيمان، حتى يردوا إليه عليه السلام ما تшاجروا فيه، وهو ما اختلفوا فيه، ثم يرضوا بحكمه في ذلك، ولا يجدوا في صدورهم شيئاً فيه، ولا غضباً منه، **﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** أي: ينفذوا حكمه ويسلموا له، ويرضوا به ولا يردوه.

٥٠) وإن سأله عن قول الله تبارك وتعالى: **﴿كُلُّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَأْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لَيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾** (الساه: ٥٣)

فقال: كيف يعذب الله جلوداً لم تعصه كلها نضج منها جلد بُدل جلد غيره؟

قلنا له: إن الله عدل لا يجور، ولا يعذب إلا من عصاه، ولم يكن ليعذب جلوداً لم تعصه بذنبٍ من قد عصاه، وأنى يكون ذلك؟! وهو يقول سبحانه: **﴿وَلَا تَزِرُ وَازْرَةٌ بِزَرَ أَخْرَى﴾** (الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، الزمر: ٧)، وإنما الجلود التي يبدل

الله^(١) هي الجلود التي عصت، وفي النار أولاً أحرقت^(٢)، وإنما معنى قوله: **﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾** أي: رددنا خلقها وأحياناها^(٣) بعد مماتها، وصورناها جلوداً بعد إحراقها، وهي هي بعينها، تحرق وتترد وتترق وتترد، كما كانت أولاً عند مماتها، ودخولها في أجdanها، تمزقت^(٤) وبللت، واضمحلت وفنيت، ثم ردت فعدلت، وخلقت خلقاً جديداً بعد امتحاقها، وإنما معنى قوله سبحانه: **﴿بَدَّلَنَا﴾**، يريد: غير الصفة التي كانت عليها، وهي هي على حالمها، فتبدل وتنتقل وتتغير وهي في أنفسها، ومثلها في ذلك: كمثل رطل من فضة صنعت كوزا^(٥)، ثم كسرت فجعلت^(٦) حلباً، ثم كسرت فصنعت نعلاً، ثم كسرت فرجعت^(٧) عقوداً، فالفضة هي الفضة بعينها، وأنت تبدلها في الصور والحالات، وتقللها إلى ما تريده من الصناعات، فهي كوز مرة، وهي حلٌ تارة، فعلى هذا يخرج معنى ما ذكر الله من تبدل جلود العباد، فتبارك الواحد ذو الأياد^(٨).

(١) في (ب): تبدل هي.

(٢) في (ب): حرقت.

(٣) في (أ): وأجساماً. مصحفة.

(٤) في (أ): تمزقت.

(٥) في (أ): كوزا.

(٦) سقط من (أ): فجعلت.

(٧) في (ب): فجعلت.

(٨) سقط من (ب): فتبارك الواحد ذو الأياد.

٥١) وسألت عن قول الله سبحانه: «وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَحْكِيمًا» (السـاء: ١١١)، فقلت: كيف كان الكلام من الله عز وجل لموسى عليه السلام؟ وما معنى قوله: «تَحْكِيمًا»؟

واعلم - هداك الله - أن الله تبارك وتعالى لم يوح إلى أحد من الأنبياء إلا على لسان الملك الكريم جبريل عليه السلام، وكذلك إلى موسى صل الله عليه، فقد كان منه الإيمان إليه على لسان جبريل، حتى كان في هذا الوقت الذي ذكره الله جل جلاله، عن أن يحربه قوله أو بناته، فكان من الله إليه ما ذكره الله سبحانه من الكلام له عليه السلام.

وكان معنى ذلك أن الله سبحانه خلق له كلاماً في الشجرة سمعه موسى بإذنه، كما كان يسمع ما يأتي به الملك إليه من وحي ربه، فكان فهم موسى - وسماعه لذلك الكلام الذي شاء الله إسماعه إياه، لما أراد من كرامته واجتبائه - كفهمه لما به كان يأتيه جبريل عن الله من وحيه سواه. فلما أن لم يكن بين الله سبحانه وبين موسى صل الله عليه - لهذا الكلام المخلوق في الشجرة - مُؤْدِي يُؤديه إليه، كما كان يكون فعله في غيره مما ينزله عليه، جاز أن يقول: «وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَحْكِيمًا»، يريد: أسمع موسى وأبلغه ما كان يريد من الكلام والوحى إسماعاً، بلا مؤد للذلك إليه. فلما أن لم يكن بين الله وبين موسى مؤد للكلام إلى موسى - وكان المترقب بجعل الكلام وفعله وخلقه على ما سمعه موسى من البيان، والكافية والتبيان - قال الله سبحانه: «وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَحْكِيمًا»، معنى «تَحْكِيمًا»، هو: تأكيد للإخبار منه عز وجل بما كان من عجيب فعله، وعظيم قدرته، وظاهر برهانه، وما أزاد موسى به بصيرة إلى بصيرته، من خلقه لكلام ينطق من غير لسان، كما ينطق به ذروا اللهوات والأدوات، واللسان والآلات.

فهذا معنى قوله: **«تَبَكَّلُمًا»**، لا كما يقول به الجاهلون، وينسب إلى الله
الضالون، من تشبيهه خلقه، وتسبِّب الكلام إليه على طريق التكلم به، كما يعتقدون
من كلام الآدميين، ويعرفون من كلام المخلوقين، تعالى عن ذلك أرحم الراحمين!
وجل أن يكون كذلك رب العالمين!!





تفسير سورة المائدة



ومن سورة المائدة

٥٢) وسألت عن قول الله سبحانه: «لِكُلِّ جَعْلَنَا مِنْكُمْ شِرْعَةٌ وَمِنْهَاجٌ» [الآية: ٤٤]، قلت: ما الشريعة وما المنهاج، وما الجعل في الشريعة؟

هي: الفرائض المفروضات، والأحكام المعمولات، الأمور الخلق بفعلهن، والمحكم عليهم بأداء فرضهن، والمنهج فهو: الطريق الواضح الداَل على ما ذكرنا من الشريعة، الناطقة بها^(١) السنة المتّبعة، والجعل فلا يكون إلا فعلاً لله تبارك وتعالى. من ذلك ما جعل من الليل والنهر، وذلك في قوله: «وَجَعَلْنَا أَلَيْلَ وَالنَّهَارَ ظَاهِرَتِينَ» [الإسراء: ١٢]، وقوله: «وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَخْفُوظًا» [الآية: ٣٢]، يريده: جعلنا و فعلنا، وقدرنا ورفعتنا، وقد يكون الجعل من الله، على طريق الفرض والحكم، مثل قوله: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ» [الحج: ٧٨]، يريده: ما حكم عليكم في دينكم بصدق من أمركم، ولا كلفكم إلا دون طاقتكم.

٥٣) وسألت عن قول الله سبحانه: «مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَاطِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَارِمٍ» [الآية: ١٠٣]

فالبحيرة: هي النافقة تتجوّل خمسة أبطن، فإن تجت^(٢) في الخامس سقا، أهدوه للقوام على آهاتهم من الأصنام، وإن تجت قلوصا استحيوها وخلوا عن أمها،

(١) في المخطوطتين: لها. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) لي (ب): لإن كان الخامس.

وشرموا أنفها وسموها بحيرة، ثم لم ^(١) يتتفعوا منها بلبن ولا وبر، ولم يجعلوها إلا في البطحاء، ولم يميزوا لها وبرا إلا ذرروه في الرياح ^(٢).

وأما السابة فكانوا يسيرون من أموالهم ما شاءوا، على طريق الشكر لله، إن كان غالبا لهم ^(٣) قدم، أو مريضا فشفي، ويسمون ذلك سالية، ويُجْعَلُ فلا يُجمِّعُ حمى ^(٤)، ولا يمنع ماء.

والوصيلة فهي: من النعم، وهي الشاة إذا ولدت خستة بطون أيضا، فكان الخامس جدياً أهدروه لخدام الأصنام، وإن كان ^(٥) عناق استحبوها، فإن تؤمّت فولدت جدياً وعنقاً، تركوا الجدي واستحبواه، وقالوا قد وصلته أخته ^(٦)، فلا يجوز عندهم ذبحه، وهذه العناق عندهم وهي الوصيلة، لما وصلت من أخيها.

وأما الحام فهو: الجمل يرسل في الإبل، فيضرب عشر سنين، فإذا ضرب عشر سنين، ولختت أولاده وضررت في الإبل، (قالوا: هذا قد حمى ظهره فلا يجوز عندهم بعد ذلك أن يعملوا عليه شيئاً) ^(٧) ولا يخربجوه في دية، ولا يستعن به في نازلة، ويسمونه حامية، ويخلون سبليه، ثم لا يُجمِّعُ حمى، ولا يمنع ماء. وكان الذي

(١) في (ب): ولم.

(٢) في (ب): مع الرياح.

(٣) سقط من (أ): لم.

(٤) سقط من (أ): حما.

(٥) في (أ): كانت.

(٦) في (ب): ووصلت أخاهما.

(٧) سقط من (ب): ما بين القوسين.

سن لهم ذلك وجعله، فاتبعوه في ذلك، قصي بن كلاب^(١).

(١) أخرج البخاري، ومسلم، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، والستاني، وابن جرير، وابن المتن، وأبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة، التي يمنع درها للطraigيٰت ولا يحملها أحد من الناس، والساية: كانوا يسيرون لأفنهم لا يحمل عليها شيء». قال: وقال أبو هريرة: قال رسول الله صل الله عليه وآله وسلم: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر ثقبة في النار، كان أول من سب السوابت»، قال ابن المسيب: والوصيلة، الناقة البكر تذكر في أول ناج الإبل ثم تنسى بعد بأنثى، وكانت يسيرونها للطraigيٰت إن وصلت إحداها بالآخر لليس بينها ذكر، والخامن: فتح الإبل، يضرب الفراب المعدود، فإذا قضى ضرائب ودعوه للطraigيٰت واعفوه من الحمل فلم يحمل شيء»، وسمعه: الخامن.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والحكيم الترمذى في نوادر الأصول، وابن جرير، وابن المتن، وأبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن أبي الأحوص، عن أبيه قال: أتيت رسول الله صل الله عليه وآله وسلم في خلقان من الثباب، فقال لي: هل لك من مال؟ قلت: نعم. قال: من أي المال؟ قلت: من كل المال، من الإبل والقنم والخيل والرقين. قال: فإذا أتاك الله مالا فلأنه عليك، ثم قال: تنتح إيلك رأفة آذانها؟ قلت: نعم، وهل تنتح الإبل إلا كذلك؟ قال: فلملئك تأخذ موس فتقطع آذان طلاقة منها وتقول: هذه بصر، وتشق آذان طلاقة منها وتقول: هذه الصرم، قلت: نعم. قال: فلا تعمل، إن كل ما أتاك الله لك حل، ثم قال: «ما جعل الله من بحيرة ولا سابة ولا وصيلة ولا حام» قال أبو الأحوص: أما البحيرة فهي: التي يجدهن عن آذانها، فلا تنفع أمرأه ولا بناته ولا أحد من أهل بيته بصورتها، ولا أبصارها، ولا أشعارها، ولا أبايتها، فإذا ماتت اشتراكاً فيها، وأما السابة فهي: التي يسيرون لأفنهم. وأما الوصيلة: فالشاة تلد ستة أطنان، وتلد السابع جديها وعنقا، فيقولون: قد وصلت فلا يتبخرونها، ولا تضرب، ولا تمنع منها وردد على حوض، وإذا ماتت كانوا فيها سواه. والخامن: من الإبل إذا أدرك له عشرة من صلبه كلها تضرب حتى ظهره فسمي الخامن، فلا يتضمن له بور، ولا ينحر، ولا يركب له ظهر، فإذا مات كانوا فيه سواه.

وأخرج ابن جرير، وابن المتن، وأبي حاتم، إذا انتجت خمسة أطنان نظروا إلى الخامس، فإن كان ذكرًا ذبحه فأكله الرجال دون النساء، وإن كانت أنثى جدعوا آذانها. فاقلوا: هذه بحيرة، وأما السابة: فكانوا يسيرون من أنعامهم لأفنهم لا يركبون لها ظهرا، ولا يحملون لها لبنا، ولا يميزون لها ويرا، ولا يحملون عليها

٤٤) وسألت عن قول الله سبحانه: «وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقَرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الظُّنُوتَ» (الآية: ٩١٠).

فهو لاءً قوم من بني إسرائيل مسخوا حين عتوا^(١) واجزوا، فجعلوا صوراً ما ذكر الله جل جلاله، عن أن يحربه قوله أو يناله، من القردة والخنازير، فجعل الله لهم، هو: تحويلة لصورهم، وإحلاله لنعمة الله سبحانه بهم^(٢)، على ما كان من فعلهم، وما استوجبوا بجرائمهم.

وأما قوله: «وَعَبَدَ الظُّنُوتَ» فإنها هو منه على التقديم والتأخير، أراد سبحانه: «هَلْ أَتَتُكُمْ بِشَرٍ مِّنْ ذَلِكَ مَشْوِيَّةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضِيبٌ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقَرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الظُّنُوتَ» (الآية: ٦٠)، فجعلها في اللفظ مؤخرة وهي في المعنى مقدمة، وفعل الطاغوت فليس من فعل الله، لأن الطاغوت هو ما أطغى من الفعل، وأفسد من العمل^(٣)، وخالف من^(٤) الحق، وجنب عن الصدق.

شيئاً. وأما الوصيلة: فالشاة، إذا اتتبت سبعة أبطأ نظروا السابع، فإن كان ذكراً أو أنثى وهو بيت، اشترك فيه الرجال دون النساء، وإن كانت أنثى استحبوها، وإن كان ذكراً وأنثى في بطن استحبواها، وقالوا: وصلته أخته فحرمته علينا. وأما الخام: فالفحول من الإبل إذا ولد لولنه قالوا: هي هذا ظهره فلا يحملون عليه شيئاً، ولا يبزرون له ويرا، ولا يتمتعونه من حي رعي، ولا من حوض يشرب منه، وإن كان الحوض لغير صاحبه. الدر المثور ٣/٢١١-٢١٢.

(١) في (أ): مسخوا عن عتوا.

(٢) في (أ): هم.

(٣) في (ب): العقل.

(٤) سقط من (أ): من.

٥٥) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿فِيمَا نَقْضُهُمْ مِّثْقَلُهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيبَةً يُحَرِّقُونَ الْكَلَمَ عَنْ مَوَاضِيعِهِ وَتَسْوَأْ حَظًا مِّمَّا ذَكَرُوا بِهِ﴾** [الأنفال: ١٣]

قال: معنى قوله: **﴿فِيمَا نَقْضُهُمْ مِّثْقَلُهُمْ﴾** هو: فبنقضهم مثاقهم لعنهم إذ نقضوه وتركتوه، و **﴿مَا﴾** هاهنا: فإنها هي صلة للكلام لا أصل لها في هذا الموضوع. والعرب تزيد **(ما)** و**(لا)** في كلامها وهي لا تريدهما، ولا أصل لها في الكلام، وهذا كثير في لغة العرب موجود.

٥٦) وسألته عن قوله الله سبحانه: **﴿بِتَائِبَهَا الَّذِينَ ظَاهَرُوا لَا يُحِلُّوا شَعْرَبَرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرُ الْحَرَامُ وَلَا أَهْدَى وَلَا أَقْلَبَدَ وَلَا مَاتِينَ أَبْيَتَ الْحَرَام﴾** [السجدة: ٢٢]

قال: هذا نهي من الله سبحانه للمؤمنين أن يجعلوا شيئاً مما حرم الله من هذا الأشياء، والشعار فهي: الإبل التي تشعر عند الإحرام، وإشعارها فهو: شق أسمتها، والمدي فهو: ما أهداء المحرمون إلى مكة، والقلائد فهي: الإبل أيضاً المقليدة التي يقلدها الحاج بعد إحرامهم، **﴿وَلَا مَاتِينَ أَبْيَتَ الْحَرَام﴾** فهو: الفاقدون له المتوجهون نحوه، من حاج كان أو معتمر، فهو الله تبارك وتعالى عن إباحة ما ذكر، والشهر الحرام الذي حرم الله فيه عليهم القتال، ومعنى **﴿الشَّهْرُ الْحَرَام﴾** فهو: الأشهر الحرام، فقال: **﴿الشَّهْرُ الْحَرَام﴾** وهو يزيد الشهور، كما قال: **﴿بِتَائِبَهَا إِلَّا نَسِنُ مَا غَرَّكَ بِرِبَّكَ الْكَرِيمِ﴾** [الانفطار: ٦]، وهو يزيد الناس، والأشهر الحرام التي نهوا عن الإحداث فيها، فهي: ذو القعدة، ذو الحجة، وعمر، ورجب، وهن اللواتي ذكر الله تبارك وتعالى حين يقول: **﴿بِتَائِبَهَا أَرْبَعَةُ حَرَامٍ﴾**

(المرجع: ٣٦)، وهذا كان من قبل ظهور محمد عليه السلام، وحتى هذه الشهور فواجب
إلى يوم القيمة، ولكل عقى أن يقاتل فيهن على الحق وبالحق، وإنما مُنعوا من القتال
فيهن ذا كان قاتل فتنة وعصبية وباطل، فأمروا بإجلال هذا الأشهر عن المكافحة
بباطل على باطل.





تفسير سورة الأنعام



وَمِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ

٥٧) قلت فمعنى قوله: **﴿فَلَمَّا رَأَهَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾** [الأنعام: ٢٧] و كذلك قوله في النجم والشمس حين قال: **﴿هَذَا رَبِّي هَذَا أَخْبَرُ﴾** [الأنعام: ٢٨]

قال: معنى ذلك منه صلن الله عليه وأله وسلم هو على معنى الذم لهم، والعيب لفعلهم، يريد: أهذا ربى الذي يزول، ويتنقل ويتحول؟! وهو على معنى الاستفهام، وذلك موجود في القرآن، من [ذلك] قوله سبحانه: **﴿لَا أَقْسِمُ بَيْتَ مِنْ أَقْيَمَةِ﴾** [الإيات: ١]، ومعنى **«لَا أَقْسِمُ»** فهو: لا أقسم نظر الألف وهو يريد لها، ومن ذلك قوله في سورة المنافقين: **﴿فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخْرَجْتَنِي إِلَى أَجْلِ قَرِيبٍ فَأَصْدِقُ وَأَسْكُنْ مِنَ الْأَصْلِحِينَ﴾** [المنافقون: ١٠]، ومعنى **«لَوْلَا أَخْرَجْتَنِي»** هو: لو أخرجنني.

وفي ذلك ما يقول الشاعر:

بِسِيرْ جَدُودَ لَا فَضَحْتَمْ أَبَاكُمْ وَسَالَتْمَ وَالْخَيلَ تَدَسْ شَكِيمَهَا^(١)
فَقَالَ: لَا فَضَحْتَمْ أَبَاكُمْ، وَأَرَادَ: فَضَحْتَمْ أَبَاكُمْ، فَأَدْخَلَ الْأَلْفَ هُوَ وَلَا يَرِيدُهَا
صَلَةً فِي الْكَلَامِ.

ومن ذلك قول الله سبحانه في يومن صلوات الله عليه: **﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ الْأَلْفِ أَوْ يَزِيدُونَ﴾** [الصالات: ١٤٧]، ومعناها: ويزيدون، فطرح الألف وهو يريد لها،

(١) سبق تصربيه.

وأثبها في الشيء وهو لا يريدها، ومن ذلك ما قال شاعر العرب:
 نزلتم منزل الأضياف منا فعجلنا القرى أن تشمونا^(١)

فقال: أن تشمونا، وإنما أراد: لأن لا تشمونا، ولا نُذم، فجاز ذلك من قوله في العربية والبيان، فعل هذا يخرج معنى قول إبراهيم صلوات الله عليه: **«هَذَا رَبِّي»** [الأنعام: ٧٦].

٥٨) وسألته عن قول الله سبحانه: **«وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ»** [الأنعام: ٧٦، الزمر: ١١، الشورى: ٦]، قلت: أو ليس قد كان صلٰ الله عليه وكيلًا عليهم، وماموراً لهم
 . وجاهداً لمن عندَ منهم؟

فقال: معنى **«وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ»** أي: ما أنت على إخلاص ضمائرهم بوكيل، إذ أنت غير عالم بذلك ولا محيط به، وإنما أنت وكيل على ظاهرهم، معامل لهم عليه، فاما الصغير فالله الحافظ له عليهم، والعالم به منهم، وإنما^(٢) كلفناك ما تقدر على القيام به، ولم تكلفك ما لا تستطيع^(٣)، مما لا تقدر عليه من علم ضمائرهم، لو فعلنا ذلك بك لكلفناك إذاً شرًا، ولا فرضاً علينا عليك عسر، إلا اتسع كيف يئن في أول الآية وفي وسطها^(٤)، ما قلنا من أنه سبحانه الحافظ لسرائرهم، المعامل لهم عليها دون نبيه، وذلك قوله: **«وَآذَدِينَ أَتَخْدُوا مِنْ دُونِهِ أَزْلِكَاء»** [الزمر: ٣، الشورى: ٦]، في السرائر، وأعطيوك يا محمد غير ذلك في الظاهر، الله يحفظ ذلك

(١) سبق تحريره.

(٢) في (ب): فإنما.

(٣) في (ب): لم تستطع.

(٤) في (ب): وسط الآية.

عَلَيْهِمْ وَيَعْلَمُهُمْ مِنْهُمْ، إِذَا لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ مِنْ فَعَلَهُمْ، حَتَّى يُجَازِيَهُمْ عَلَيْهِ عَنْكَ^(۱) فِي يَوْمٍ حَسْرَهُمْ، وَيَبْدِي عَلَيْهِمْ^(۲) فَضَائِعَ مَا كَانَ مِنْ ضَمَائِرِهِمْ.

۵۹) وَسَأَلَتْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ: «وَأَنْزَلَ شَاءَ اللَّهُ لَجَمِيعِهِمْ عَلَى آثَمِهِمْ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ»^(۳) (الآيات: ۴۲۰)

الجواب في ذلك: أن هذا إخبار من الله تبارك وتعالى لنبيه عليه السلام عن الاقتدار على ما يشاء من خلقه، وأن ارادته فيهم نافذة، ومشيته ماضية، وأنه لو جعلهم لم يجب ثواب ثاب، ولا عقاب على معايب، والله بريء عن جبر الخلق على المقصبة، وإن خراجهم من طاعة.

۶۰) وَسَأَلَتْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ: «إِنَّمَا يَسْتَحِيْبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ»^(۴) (الآيات: ۳۶)

فقلت: ما معنى دعاء من لا يسمع؟

المعنى في «يَسْمَعُونَ» هو: يطعون وينبذون ما يأتينهم به من ربهم، فيستبررون بنور الله وينتدون، لا أنهم صم لا يسمعون، ألا ترى كيف يقول العرب من كان منها ذا عصيان: لا تسمع يا هذا قول فلان، فإنه ناصح^(۵) شقيق، حريص عليك رفيق، تريده: اقبل قوله وصر^(۶) إليه، ولا تخالفن بعملك عليه.

۶۱) وَسَأَلَتْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ: «وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِمَا بَيَّنَنَا صَمَّ وَكُنْكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ - سَبْحَانَهُ - يُضْلِلُهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(۷) (الآيات: ۴۲۹)

(۱) سقط من (أ): هنك.

(۲) سقط من (ب): عليهم.

(۳) سقط من (ب): ناصح.

(۴) في (أ): قبل قوله وتصير.

وهذا - يرحمك الله - فمثُلَّ مثُلَّهُ اللَّهُ^(١) وضربيه لهم، إذ كانوا عن آياته معرضين، وعن قبول ما أمروا به صادين، فأخبر سبحانه أنهم في ترك الاستماع للحق، وعن^(٢) قبول ما جاء به نبيه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصدق، وقد يرون ما يأتى به^(٣) من البراهين والدلائل والعلامات، كالقسم البكم الذين لا يسمعون، ولا يعقلون فيأتمرون، ألا ترى أنَّ العَرَبَ يقولُ لَمْ يَسْمَعْ وَيَسْتَمِعْ^(٤) ويقبلُ مَا يُؤْمَرُ به فيتضاعفُ ما أنت إلَّا أَصْنَمْ، وتقولُ: فَلَمَّا أَصْنَمْتُكُمْ عَمَّا يُلْقَى إِلَيْهِ، إِنَّ كَانَ حَدِيدَ السَّمْعِ، تَرِيدُ بِذَلِكَ: قَلَةُ الْإِتِّهَارِ بِهَا يُؤْمَرُ، وطُولُ الْغَفْلَةِ عَمَّا مِنْ يُجُذَّرُ.

وأما قوله: «في الظُّلْمَتِ»، فهي: ظلمات الكفر والعصيان، والبعد من الواحد ذي الجلال والسلطان.

وأما قوله: «مَنْ يَشَا اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَنْ يُضْلِلُهُ عَلَىٰ صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ»، فقد تقدم منا شرح^(٥) معنى إرادته لإضلال الضاللين، وهذا ينبع من اهتدى من المهتدين، ومعنى الضلال والهدى هما: كمعناه فيما^(٦) تقدم أولاً من موضعه من هذا الكتاب.^(٧)

٦٢ وسألت عن قول الله سبحانه: «فَمَنْ يَرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيهِ يَشْرَحَ صَدَرَهُ لِلْإِسْلَمِ وَمَنْ يَرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَعْكُلُ صَدَرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا حَانَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ» (الأنعام: ٩٢-٩٥).

(١) سقط من (ب): مثل الله.

(٢) سقط من (أ): وعن.

(٣) سقط من (أ): به.

(٤) في (ب): لم لا يسمع ويقبل.

(٥) في (ب): فبيان شرح معنى ...

(٦) في (ب): فيما يأتى.

(٧) سقط من (أ): في موضعه من هذا الكتاب.

فمعنی قوله^(۱): **﴿يَسْتَرَحُ صَدْرَهُ﴾** فهو: يوفق ويُسدِّد وينور الحق له وفيه، (ويهدِيه ويعينه على طاعته)^(۲)، حتى يتضاعف فيه المدى، ويدخله معرفة^(۳) التقوى، ولا يكون ذلك إلا من قبل من الله سبحانه المدى^(۴) المبتداً، (فإذا أطاع العبد الله وأتَّخَ بأمره)، وانتهى عن نبيه، وقبل ذلك شرح الله صدره، وأعانه على نبيه^(۵)، فزاده عند قبوله له هدى، كما قال: **﴿وَالَّذِينَ آهَنَّهُ زَادَهُمْ هُدًى وَأَتَّهُمْ تَقْوَتُهُمْ﴾** (عد: ۱۷)، فهذا معنى الشرح من الله لصدره من آمن به واتقاء، (وأما تضيق الصدر الذي ذكر الله سبحانه أنه يفعله بعده، فإنما ذلك خذلان من الله لأهل المعاصي، على ما يكون من جرأتهم على الله عز وجل، وإقدامهم على معاصيه، فإذا حادوا الله وخالقوه، وبإظهار المعصية باليته، خذلهم وتبرأ منهم، فعدموا التوفيق فضاقت صدورهم، واحتللت عليهم أمرهم، بما استجلبو في معصيتهم، جزاء على فعلهم، قال الله سبحانه: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقْتُمُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا يَأْنَسُهُمْ﴾** (الرعد: ۱۱)، والله تعالى فليس يظلم عبده، ولا يخربهم من طاعته، ولا يدخلهم في معصيته، بل طريق الرشد هداهم، وسبيل نجاتهم آتاهم، كما قال عز وجل: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْشَهُمْ بِظَلَمِهِنَّ﴾** (يونس: ۱۴)، فلو كان الظلم بقضاء من الله ما قال: **﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْشَهُمْ بِظَلَمِهِنَّ﴾**، ولكن الظلم منهم لأنفسهم، والتعدي بأفعالهم، والله يريء من أعمالهم.

ومن الدليل على أن أفعال المخلوقين منهم، ما يذكر الله سبحانه عن الظالم

(۱) في (ب): قال عبد بن يحيى بن الحسين... وليس في (ا) شيء من هذا.

(۲) سقط من (ا): ما بين القوسين.

(۳) في (ب): معرفة.

(۴) في (ب): من الله إلا من قبل أمر الله سبحانه المدى.

(۵) سقط من (ب): ما بين القوسين.

إذ يقول: «وَتَرَمَ بَعْضُ الظَّالِمِ عَلَى يَدِهِ يَقُولُ يَلْتَشِنِي أَتَحْدُثُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا»، يَرْتَلُنِي لَتَشِنِي لَمَّا أَتَحْدُثُ فُلَاثًا حَلِيلًا، «لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الدِّرْجَاتِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَسَخَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَنِ خَدُولًا» (الفرغان: ٢٧-٢٩)، فافتر على نفسه، واعترف به من فعله، وينبه إلى قرينه، وبال مجرد له، والمائع من طاعة ربها، وفي ذلك ما يذكر الله سبحانه عن موسى عليه السلام، إذ يقول: «فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَذَّرٌ مُضِلٌّ مُبِينٌ» (القصص: ١٥)، ولو كان فعل موسى صلي الله عليه من الله، لقال: هذا من قضاء ربها، ولم يقل: «هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»، لأن ما تضى الله به فليس هو من الشيطان، ولم ينسب إلى الله ذي العزة والسلطان.

وكيف ينسب إلى الله سبحانه ما ليس من فعله! لقدر القاتلون بذلك على الله، وقالوا بهتانا مبينا، وفي ذلك ما يقول الله سبحانه: «إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَيَّتُمُوهَا أَنْتُمْ وَإِبْرَاهِيمُ حَمْدًا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنْ يَتَبَعُونَ إِلَّا الْقَلنَ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى» (النجم: ٢٣)، فأخبر عز وجل عنهم أنهم يتبعون الظن وهو الانس، ولو كان منه ذلك بقضاء عليهم وتقدير، لكان من عنده، ولم يقل يتبعون إلا الظن وما تهوى الانس، وكيف يتبع هو نفسه من قد منع من فعله، وإنما هو يتقلب في قضاء ربها، والله سبحانه فلا يقول إلا الحق، فهل يحمل لسلم أن ينسب فعلهم الذي نسبه الله إليهم، ويرى نفسه منه إلى الله. فإن قال بذلك قاتل فقد رد كتاب الله وعانته، وخالف حكمه، تعالى الله عما يقول البطلون علو كبارا.

ومن الدليل على أن أفعال العباد منهم اختياراً، وتعديا على أنفسهم، ما قال الله سبحانه: «وَيَنْدِرُ الَّذِينَ قَاتَلُوا أَتَحْدَثُ اللَّهَ وَلَدًا هُمْ مَا أَهْمُ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبْنَاهُمْ كَبَرْتَ حَكْلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَنْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَدِبَا»

(الكهف: ٤٥-٤٦)، فلو كانت هذه الكلمة حقاً لله وقضاء قضى به عليهم، ما نفاهما عن نفسه، ولا أكذبهم فيها، كما لم ينفع عز وجل عن نفسه خلق السماوات والأرضين، وخلق جميع المخلوقين، فلما كانت أفعالاً المخلوقين وكلامهم، وظلمهم لنفسهم منهم، نسبها الله إليهم، وذمهم فيها، وعاقبهم عليها، جزاء على فعلهم، كما قال سبحانه: **﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِّلْعَبْدِ﴾** [آل عمران: ١٨٢].

وأما جعله لصدر الفاسق ضيقاً حرجاً، فهو: بالخذلان منه له، وترك التوفيق والتسديد، وبها يزيد أولياءه في كل يوم برهاناً، من الحجة النيرة والبيان، بما يقيم لهم به حقهم، ويثبت لهم به دعوتهم، فكلما زاد الله أولياءه نوراً وظهور حجة، ازدادت صدور أعدائه حرجاً بذلك وضيقاً، فهذا معنى جعله لصدر عدوه ضيقاً حرجاً^(١).

(١٣) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿مَلَ مَنْتَرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمْ آتَنَاكُمْ... إِلَى قَوْلِهِ: لَمَرَّتْكُنَّ إِمَّاتِتِ مِنْ قَبْلِهِ﴾** [الأنعام: ١٥٨]

قال: معنى^(٢) إثبات الملائكة فهو: حضورها لقبض أرواحهم عند الموت، ومعنى قوله: **﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبِّكُمْ﴾** فهو: يأتي حكم ربكم عليهم بذلك، ومعنى قوله: **﴿أَوْ يَأْتِيَ بَقْضُ مَا يَرِكُمْ﴾** يقول: يأتيهم بعض آيات الله وغيره وانتقامه لأهل معصيته، والأيات فكتيرة، منها: الجوع، ومنها: العطش، ومنها: ذهاب الأموال، ومنها: نزول بعض نعمه عليهم من هلاكة أو غيرها، ومنها: تسليط بعضهم على

(١) سقط من (١): ما بين القوسين.

(٢) كمل الآية: **﴿... أَوْ يَأْتِيَ رَبِّكُمْ أَوْ يَأْتِيَ بَقْضُ مَا يَرِكُمْ يَأْتِيَ بَقْضُ مَا يَرِكُمْ لَا يَنْتَعِثُ لَقْسُ إِيمَّاثُهَا...﴾**.

(٣) سقط من (١): معنى.

بعض، وذلك قوله سبحانه: **﴿وَمَنْهَا لَكَ نُورٌ أَيُّ بَعْضَ الْفَلَيلِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [الإمام: ١٢٩]، وما أشبه ذلك من آيات الله ونفعه وفعاليه، بمن اجرا عليه من خلقه.

٦٤) وسألته عن قول الله سبحانه: **﴿لَهُ مَا أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَخْسَنَ وَتَقْصِيدًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِعِلْمِهِ يُلْقَاهُ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾** [الإمام: ٩١٥٤]

قال: معنى قوله: **﴿مَا أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا﴾** يقول: أتباه التوراة تماما، لإنحسانا إليه الأول، من إرسالنا له إلى فرعون وملاته بالأيات، والدلائل والعلامات، فأخبر^(١) سبحانه أنه قد أتم له كل إحسان كان منه إليه، بما أطعه من الكتاب، ومعنى **﴿عَلَى الَّذِي أَخْسَنَ﴾** فهو: تماما للذي أحسنا به أولا، فقادت **﴿عَلَى﴾** مقام **﴿اللام﴾** إذ هي من أخواتها^(٢) من حروف الصفات، ومعنى **﴿وَتَقْصِيدًا﴾** فهو: تبينا لك كل شيء افترضه عليهم، فأخبر أن الكتاب الذي آتاه موسى صل الله عليه وهو التوراة، تبين كل شيء افترضه على أهلها، مما أمرهم به ونهاهم عنه.



(١) في (ب): فأخبره.

(٢) سقط من (ب): من أخواتها.



تفسير سورة الأعراف





تفسير سورة الرعد

ومن سورة الرعد

١٠٤) وسألت عن قول الله سبحانه: «وَلَوْ أَنَّ فَرْءَانًا سُيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمْ بِهِ الْمَوْتَنِيُّ - ثم قال: - بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا» [الرعد: ٢١].
فقلت: ما معنى هذا وهو لا يجري في نظمك؟

فاما قول ذي الجلال «وَلَوْ أَنَّ فَرْءَانًا سُيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ» فإنما يريد: لو أنا جعلنا فرءانا تسير به الجبال المرسية، أو تقطع به الأرض المدحية، أو تنطلق به الجثث الفانية، والمتزقة في الأحداث البالية، لكان هذا القرآن، الذي نزله الرحمن، على عمد المصطفى، وأميته المرتفع، فطرح سبحانه: لكان هذا القرآن. لعلمه بفهم المخاطبين، بما نزل في القرآن الملين، إذ^(١) كان ذلك في لغة العرب الذي نزل عليهما، وجعل وحيا باقياً أبداً فيها، وشأن العرب أبداً الاختصار، فيما تنصه وتذكره من الأخبار، ومثل هذا وشبهه، موجود في كتاب الله ووحيه، من ذلك قوله: «وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ» [البر: ٩٣] فقال: العجل، والعجل فالقلوب^(٢) لا تشربه، وإنما أراد سبحانه إجلاله وحبه، أراد: وأشربوا في قلوبهم حب العجل، فطرح لاختصار وعلم المخاطب الحب، وأثبت العجل، وقال في ذلك الشاعر:
الآن سقيت أسود حالكا الأبجي من ذا الشراب الأبجلي^(٣)
قال: سقيت أسود حالكا، والأسد لا يشرب، وإنما أراد سقيت سم أسود

(١) في (١): إنما.

(٢) في (١): والقلوب.

(٣) سبق تصربيه.

حالكما، وهذا فكثير في اللسان، موجود في اللغة والبيان، وفي غير ذلك ما نزل الله من القرآن، وعلى ذلك مخرج قول الله: **﴿أَوْ كُلُّمِ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾** ثم ابتدأ فأخبر أن له الأمر جيماً، في كل الأشياء، إظهاراً منه لقدرتة، واحتجاجاً على برئته، وتبيننا لهم لمحته.

١٠٥ وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿وَمَا تَغْبِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَدَّادُ﴾** [الرعد: ٨]

غرضها هو: ما ينقص منها، مما هو فيها من الأولاد دون غيرها، وزيايتها فهو: ما يحدث فيها ومنها.

١٠٦ وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَأَلَتْ أُودِيَّاٌ**
يُقَدِّرُهَا فَأَخْتَمَ الْسَّيْلَ زَبَدًا رَأِيْسًا وَمَمَّا يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ... إِلَى
قُولِهِ لِلَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْحُسْنَى﴾ [الرعد: ١٧-١٨]؟

فقال: هذا مثل ضربه الله للحق والباطل، فجعل الباطل كزيد السيل يذهب فلا يقي، وجعل الحق كالذى يقي ما يقوده مما يحمله^(١) السيل من الخطب، ويأتى به من عيدان الأشجار التي يتضى بها، ويعودونه في تسوية الخلية وغيرها، ومعنى قوله: **﴿يُقَدِّرُهَا﴾** فهو: على قدرها، وما تحتمل من الماء وما يسعها منه، ومعنى قوله: **﴿زَبَدًا رَأِيْسًا﴾** فهو: زبدا متتفاخا مجتمعما متکافنا^(٢)، وكذلك تسمى العرب كل متتفاخ: مجتمعوا متکافنا راينا.



(١) كمال الآية: **... فِي النَّارِ آتَيْنَاهُ حِلْبَةً أَوْ مَنْجَعَ زَبَدَ مُنْثَلَّةً كَذَلِكَ يَنْضِرُ اللَّهُ الْحَقُّ وَالْبَطْلُ فَإِنَّمَا الْبَذُورُ تَنْدَعُ بِحَنَّةٍ وَإِنَّمَا يَتَضَعُ النَّاسُ فَيَتَكَبَّرُونَ الْأَرْضُ كَذَلِكَ يَنْقُرُ اللَّهُ الْأَنْتَلَ وَالْجَنَّةَ**.

(٢) في (أ): يحمل.

(٣) في (ب): متکافنا.



تفسير سورة إبراهيم



وَمِنْ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ

١٠٧) وَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ: «أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفَّرُوا وَأَحْلَوْا قُرْبَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ»؟ (إِبْرَاهِيمٌ: ٢٨)

فَقَالَ: هُمْ قَوْمٌ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَكَفَرُوا أَنْعَمَ اللَّهُ لَمْ يَشْكُرُوهُ، وَبَدَلُوا مَكَانَ الشُّكْرِ كُفَّرًا، فَاتَّبَعُوهُمْ بِكُفْرِهِمْ عَلَى ذَلِكَ، فَهَلَكُوا كُلَّهُمْ بِأَسْبَابِ رُؤُسَانِهِمْ.

١٠٨) وَسَأَلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءَتُ»؟ (إِبْرَاهِيمٌ: ٤٨)

تَأْوِيلُ **«تُبَدَّلُ»** هُوَ: تُغَيِّرُ، وَتَغْيِيرُهَا هُوَ: نَفَفَ مَا عَلَى وَجْهِهَا مِنِ الْجِبالِ، وَبِعِشْرَةِ مَا فِيهَا مِنِ الْقِبُورِ، وَبِعِثْرَةِ الْقِبُولِ فَهُوَ: إِخْرَاجُ مَا فِيهَا مِنِ الْمَوْتَىِ، وَرَدْهُمْ بَعْدَ الْفَنَاءِ أَجْسَاماً وَاحْيَاءً، وَتَسْوِيَةِ تَفاوتِهَا وَدَكَّاهَا دَكَّاً، كَمَا قَالَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْأَعُلُّ: **«يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ...»** إِلَى آخرِ الْأَيَّةِ، وَتَبَدِيلُ حَالَاهُ: تَسْوِيَةِ خَلْقَهَا، وَعَدْلِ مَتْفَاقَوْتِهَا، وَقْشَعُ أَوْسَاخَهَا، وَتَجْدِيدُ بِهِجَنَّهَا، وَاسْتَوْاءُ أَقْطَارَهَا، حَتَّى تَكُونَ الْأَرْضُ مَسْتَوْيَةٌ فِي حِيَاءٍ^(١)، مَعْتَدِلَةُ الْأَرْجَاءِ، لَا تَفَاقَتْ فِيهَا وَلَا اخْتِلَافُ، بَلْ تَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كُلَّهَا عَلَى غَایَةِ الْاِسْتَوْاءِ وَالْإِتْلَافِ، لَا يَرِى شَيْءًا مِنْ آلَةِ الدُّنْيَا فِيهَا وَلَا أَثْرٌ فَعْلٌ مِنْ أَفْاعِيلِ الدَّهْرِ عَلَيْهَا، فَهَذَا تَبَدِيلُهَا وَتَغْيِيرُهَا. وَكَذَلِكَ تَبَدِيلُ السَّهَوَاتِ فَهُوَ: رَدُّ اللَّهِ لَهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الْإِبْتِدَاءِ، ثُمَّ يَرْدِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ

(١) الفِيَحَاءُ: الْوَاسِعَةُ.

اليوم من الإستواء من بعد أن تصير كالمهل، والمهل فهو: شيء يكون كالدهن يخرج من صفو القطران، فذكر الرحمن أنها تكون في يوم الدين كالمهل السائل، بعد التجسم المايل، وهو قوله: **﴿يَوْمَ تَأْتِي الْمَسَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾** (الدخان: ١٠)، يزيد: أنها تعود إلى ما كانت عليه من الدخان، ثم ترد السماوات مطبقات^(١)، كما خلقت من الدخان أولاً سماوات مقدرات بعمولات، تبيناً منه سبحانه لقدرته، وإظهاراً لنفاذ أمره فيها افطره من فطرته.

فهذا معنى ما ذكره الله من تبدل الأرض والسماء، لا أنه يذهب بها ويخلق سواها من غيرها.

وإنما تبدلها لها وتغييره: نقلها من حال إلى حال، والأصل واحد مستقيم، غير فان ولا معذوم.

مثل ذلك: مثل خلخال من ذهب أو فضة كثير؛ فصير خلخالاً أوسع منه قدرة؛ فكان قد بدل خلقته، وغيرت صيغته، ونقلت حالته من حال إلى حال، ومن مثال إلى مثال، فبدل تصويره وأصل فضته ثابت لم يبدل ولم يغير، وإنما غير منها خلقها وتقديرها، وصورتها وتمثيلها، والأصل ثابت قائم، موجود من العدم سالم.

وكذلك تبدل ما يبدل من الحديد؛ فيكون أولاً سيفاً، ثم يرد خنجرأ، ثم يجعل الخنجر سكيناً، ثم تنقل السكين فتجعل أوتاداً وسككاً، وهو ينقل من حال إلى حال، وهو الحديد الأول لم يتغير ولم يبدل، وإنما التغيير منه تصاويره وتقاديره، ونقل أحواله ومقاديره، فهو الحديث الثابت يجعل مرة سيفاً كما ذكرنا، ويقلب ثانية

(١) يعني: طباقاً.

صنفًا من الصنوف التي ذكرنا، فهو وإن تغيرت أحواله، واختلفت معمولاته، فهي الجديدة المعروفة، الأولية الأصلية المفهومة.

وكذلك ما ذكر رب العالمين؛ في تبديل السماوات والأرضين؛ فهو نقله لها من حالة في التصوير إلى حالة، ومن صفة في التقدير إلى صفة، وهن في أصلهم اللواتي كن، لم يبدل أصلهم ولم يجعل، ولم ينقل عما كان ولم يزل، فافهم ما أجبناك به فيما عنك سألت، وفسرناه لك فيما شرحت وقلت.





تفسير سورة الحجر

ومن سورة الحجر

(١٠٩) وسألت عن قول الله سبحانه: «كَذَلِكَ نَسْلَكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١﴾»
[الحجر: ١٢]

فهو: يدخله وبيته في قلوبهم حتى يوقنوا به، وتبينه في قلوبهم فهو: بالحجج
النيرة البالغة، التي نزطا مع نبيه صل الله عليه، حتى يثبت بها الحق عليهم، وبتشهد
عقورهم أنه حق، فإذا كابروا بعد ثبات الحق نزل بهم العذاب، وذلك قوله سبحانه:
«لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ»، وأما قوله: «وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢﴾» [الحجر: ١٣] فهو:
منهاجمهم وسيطهم، والمعنى الذي هلكوا به فهو: التكذيب بآيات الله.

(١١٠) وسألته عن قول الله سبحانه: «كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٣﴾ أَلَدِينَ
جَعَلُوا الْفَرْءَانَ عِصِّيًّا ﴿٤﴾» [الحجر: ٩١-٩٠]

قال: معنى قوله: «كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ» يريد: أنا ننزل بهؤلاء من
اللعنة والفضيحة، والحكم بالكفر، والوعيد بالنار في الآخرة، من بعد المتك لم في
الدنيا، مثل ما أنزلنا بالمقسمين، فقامت «عَلَى» مقام (الباء)، والمقسمون فهم:
الذين كانوا يقتسمون بالأذلام من قريش وأتباعها، وهؤلاء الذين مُثُلوا
بالمقسمين، فهم من عصى الله ورسوله وبغي وطغى، من عصى بعد أولئك وأساء،
واجترأ على الله ورسوله، واستهزا بيديه، وأحسب - والله أعلم - أنهم النفر الذين

استهزوا بأمر الله ويرسوله في غزوة تبوك، وهم الذين ^(١) قالوا: **﴿إِنَّمَا حَكَّا
تَخْوُضُ وَنَلْعَبُ﴾** [الغة: ١٥]، فأذن لهم الله وأنزل فيهم: **﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَة
الْكُفَّارِ﴾** [الغة: ٧٤]، فدعاهم بذلك كافرين، ومعنى قوله: **﴿أَلَدِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ
عِصْبَيْنَ﴾** فهي كلمة كانت قريش تقولها، وتهزّوا فيها بالنبي صل الله عليه وأله
وسلم وبالقرآن، كانوا ^(٢) إذا قرأ عليهم القرآن ووعظهم، قالوا يغضنا بقرائته،
فيقلبون العظام ضادا، استهزاء وعبثا وجراة على الله وكفرا، فأخبر الله سبحانه بما
أنزل عليهم وفيهم من السخط والغضب، وأبدا ^(٣) من فضحيتهم، وأطلع عليه
نبيهم من سرهم، وأنزل فيهم هذا العيب في القرآن، فهذا معنى قوله: **﴿كَمَا أَنْزَلْنَا
عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾**.

(١١) وسألته عن قول الله سبحانه: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَاهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَّا
مَسْتُونٍ ﴾** **وَالْجَانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلٍ مِّنْ نَارِ الْسُّمُومِ﴾** [الحجر: ٩٤-٩٥]

فقال: الصلصال هو: الطين اليابس الذي يتصلصل، ويتقعر إذا أصاب بعضه
بعضا، والحمّا المستون فهو: الطين المتغير اللون والรبيع، يقول سبحانه: خلقنا
الإنسان من طين هذه خلقته، وأما الجان فهم الجن، فذكر سبحانه ^(٤) أنه خلقهم من
نار السوم، ونار السوم فهي: مارج النار، ومارجها فهو: اللهب المتقطع في الهواء،
الذي يتفصل ويخرج من لسان النار عند تأججها. ومعنى قوله: **﴿الْسُّمُومُ﴾** فهو:

(١) سقط من (أ): وهم الذين.

(٢) في (ب): كان.

(٣) في (ب): فأبدا.

(٤) سقط من (ب): سبحانه.

السائل المسوم، والسموم فهو: الذي فيه التلف لمن قاربه وداته، لما فيه من الحر والإحرق، ومن ذلك اشتق للريح التي تضرب بمثل النار اسم السموم، فسميت: سموماً، اشتق لها هذا^(١) الاسم من نار السموم، لما فيها من الأذى، والحرارة والقذاء، حتى ربيا قتلت من تصيبه هذه الريح - ريح السموم - فأهلتك.

(١١٢) وسألته عن قول الله سبحانه: **﴿وَأَرْسَلْنَا الْرِّيحَ لَوْقَحَ فَانْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْذَلْنَا لَهُ بِخَرْبَزِينَ﴾** [الحجر: ٢٢]

قال: معنى قوله: **﴿وَأَرْسَلْنَا الْرِّيحَ﴾** فهو: رفعت^(٢) السحاب وأفلته، ومعنى **﴿لَوْقَحَ﴾** فهي^(٣): القوية ذات السلطان الشديد، المنفذة ما تريده، والعرب تسيي كلها لند لقاح^(٤)، تقول: لقد لقح فلان ما يريد، أي: أنفذه وأمضاه، فلما أن كانت السحاب منفذة لما أمرت به، سمعت لواقع، ومعنى قوله: **﴿بِخَرْبَزِينَ﴾** أي: لست^(٥) له بحافظين، ولا مسكنين في الأرض، ولو لا لزوم الله له، وإنما إيه في الأرض، وخزنه إيه لكم في بطنهما، إذاً لا أصبح غوراً، ولما وجد إذاً في الأرض منه شيء.

(١١٣) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نَنْهَا لَمْعَ إِلَّا يَقْدِرُ مَقْلُومِهِ﴾** [الحجر: ٢١]

معنى ذلك: إنه ليس من شيء إلا وهو مقدر عليه، يفعل ما يشاء ويحيط

(١) سقط من (١): هنا.

(٢) في (١): **﴿الرِّيح﴾** لرفعت.

(٣) في (٢): فهو.

(٤) كذا في المخطوطتين.

(٥) في (٣): أي: يريد لست.

للخلق من أرزاقه كلها ي يريد، وإنه لا يعجزه ولا يمتنع منه شيء، وعنه أصل كل شيء وفرعه، والإمداد لمن يشاء ما يشاء، وأنه لو شاء لبسط للخلق كلها لم يجبنون، وأعطاهم أضعاف ما يريدون، لكنه سبحانه يتزل بقدر معلوم في الحكمة، والتقدير الحسن الذين لا يصلح خلقه غيره، ولا ينفع فيهم ولا يغنيهم سواه، ولا يلزم عنهم كل اللزوم فيهلكوا ويسموتوا، ولا يسط لهم كل البسط فياشروا^(١) ويفسدوا.

١١٤) وسألني عن قول الله سبحانه: «وَإِنَّهُمَا لَيُؤْمِنُ مُؤْمِنِينَ»^(٢) [الحجر: ٧٩]؟

فقلت: هما قريتان أهلكتنا ودمرتنا لما طفتا وعصتا، فكانتا على طريق قريش في الرحلتين، رحلة الشتاء والصيف، والإمام فهو: الطريق الواضح، والأعلام التي يستدل بها على مسالكها ومياديها^(٣)، فذكر الله أمرها احتجاجاً على من خالفه من يفعل كفعلهما، من عصيان ربها، ومخالفة خالقه، فقال: «وَإِنَّهُمَا لَيُؤْمِنُ مُؤْمِنِينَ» ترونها، وتزرون في كل رجلة آثار قدرتنا عليهما، وأخذنا لها بباباً كان منها من البعي والعصيان، مثل ما أنتم عليه من خالفة الرحمن... .



(١) من الأثر، وهو البطر.

(٢) في (١): يستدل بها على مسالكها ومياديها.



تفسير سورة النحل

وَمِنْ سُورَةِ النَّحْل

١١٥) وَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ: «وَمِنْ نَعْرَتِ النَّحْلِ وَالْأَعْنَبِ يَتَخَذَّلُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَعَقَّلُونَ»^(أ) [النَّحْل: ٣٧]؟

فَقَالَ: هَذَا إِخْبَارٌ مِّنَ اللَّهِ تَبارِكُ وَتَعَالَى عَنْ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ نَعْرَاتِ الْأَشْجَارِ، الَّتِي^(١) يَتَخَذَّلُونَ مِنْهَا^(٢) الْأَرْزَاقَ وَيَدْخُرُونَهَا، مِنَ التَّمْرِ وَالزَّيْبِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْحَبَوبِ، الَّتِي هِيَ مَعِيشَةُهُمْ وَحْيَاهُمْ، وَيَتَخَذَّلُونَ مِنْهَا أَيْضًا السَّكَرَ الَّذِي يَاهِمُ عَنْهُ وَحَرَمَهُ عَلَيْهِمْ، فَوَقَفُوا مِنْهُمْ كُفَّارٌ كُفَّارٌ مِّنْ فَعْلِ ذَلِكِ لِنَعْمَهِ، إِذْ صَرَفُوا رِزْقَهُمْ فِي السَّكَرِ الَّذِي حَرَمَهُ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ فِيهَا جَعْلٌ^(٣)، وَفَعَلُوا مِنْ حَسَنِ رِزْقِهِ لَهُمْ، وَجَيْلَ فَعْلِهِ بِهِمْ، وَانْخَادَهُمْ لِهِ سَكَرًا، وَصَرَفُوهُمْ لِهِ عَنِ الطَّاعَةِ إِلَى الْمُعْصِيَةِ، لِآيَةِ لَقْوْمٍ يَعْقَلُونَ.

١١٦) وَسَأَلَتْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ: «قَاتَلُوكُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْكُمْ مَنْ جَهََّتْ عَلَيْهِ الْأَصْلَلَةُ»^(أ) [النَّحْل: ٣٨]؟

الجوابُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ^(٤) اللَّهُ سَبَّحَانَهُ قَدْ هَدَى كُلَّ الْخَلْقِ إِلَى الْهُدَى الْمُبْدَأِ، فَمِنْهُمْ

(١) فِي (أ): الْذِي.

(٢) فِي (أ): مِنْهُ.

(٣) فِي (ب): فَعْلٌ.

(٤) فِي (ب): الْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ ...

من قَبْلَ الْمَدِي فَحَقَّتْ لَهُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْزِيَادَةُ فِي هَذَا^(١) وَالتَّوْفِيقُ وَالْتَّسْدِيدُ فِي أَفْعَالِهِ، وَمِنْهُمْ مِنْ أَبْنَى الْمَدِي فَحَقَّ عَلَيْهِ الْفَضْلَالُ بِفَعْلِهِ، وَوَجْبُ عَلَيْهِ الْخَذْلَانُ بِكَسْبِ يَدِهِ، حَتَّى حَقٌّ عَلَيْهِ الْخَذْلَانُ مِنْ رَبِّهِ، فَالْخَذْلَانُ مِنْ اللَّهِ تَبارُكُ وَتَعَالَى نَازِلٌ بِهِ، وَالْفَضْلَالُ فَمَنْ نَفْسَهُ لَا مِنْ رَبِّهِ.

(١٦) وَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مُمْلُوكًا لَا يَقْدِيرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ زَرَقْنَاهُ مِثْا زَرَقْنَا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفَقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا ... إِلَى قَوْلِهِ: وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(٢) (الحل: ٧٦-٧٥).

فَقَالَ: هَذَا مِثْلُ ضَرِبِهِ اللَّهِ لِأَهْلِ الشَّكِّ وَالْأَرْتِيَابِ، مَنْ كَانَ يَعْدُ الْأَصْنَامَ مِنْ دُونَ اللَّهِ، فَأَخْبَرَهُ اللَّهُ أَنَّ مِثْلَ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الشَّكِّ فِي اللَّهِ، وَالْعِبَادَةُ لِمَنْ دُونَ اللَّهِ كَهْذَا الْمَثَلِ، وَإِنَّهَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونَ اللَّهِ كَهْذَا الْفَسِيفِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ».

وَكَذَلِكَ ضَرَبَ مِثْلُ هَذَا الْعَبْدِ الْأَبْكَمِ الَّذِي لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، فَجَعَلَهُ شَبَهًا لِأَصْنَامِهِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونَ اللَّهِ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ مِثَلًا لِلْحَقِّ.

(١٧) وَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: «وَلَقَدْ تَعْلَمْتُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ إِسْكَانٌ أَلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا إِسْكَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ»^(٣) (الحل: ١٠٣).

فَقَالَ: كَانَتْ قُرِيشٍ وَمِنْ مَعْهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) فِي (١): هَذَا.

(٢) كِبَالُ الْأَبْيَنِ: «... هَلْ مُسْتَوِنَ الْخَنْدَلِيُّ بْنُ أَسْخَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٤) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِجَنْنِيْنِ أَخْنَعَنَا أَنَّهُمْ لَا يَقْدِيرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمَوْسَعُ عَلَى مَوْلَاهُ أَبْنَتَنَا بِرَوْجَهُ لَا يَنْأِيْ بِخَيْرٍ. هَلْ مُسْتَوِنٍ هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْمُعْدِلِ ...».

عليه وأله وسلم، ويقولون إن رجلاً كان ينزل بالطائف أعمى اللسان يعلم النبي صل الله عليه وأله وسلم ما يأتي به عن الله^(١)، فأكذبهم الله واحتاج عليهم، وبين نفيحتهم بما ذكر من عجمة الذي يلحدون إليه أنه يُعْلَم النبي صل الله عليه، فـ«إِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ»، يقول: هذا القرآن الذي جاء به والذكر عن الله محمد صل الله عليه وأله وسلم، بلسان العربي المبين لا بلسان العجم.

(١١٩) وسألت عن قول الله سبحانه: «وَاللَّهُ فَعَلَ بِقَضَائِهِ عَلَىٰ بَعْضِ فِي الرِّزْقِ فَمَا أَذِلُّ الَّذِينَ فُضِلُواٰ بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكُوكُمْ فَهُمْ فِي سَوَاءٍ أَفَيْنِعَمُ اللَّهُ بِمَا جَحَدُونَ»^(٢) (الحل: ٧١).

قال: هذا إخبار من الله تبارك وتعالى لانبساط رزقه لعباده، وتفضيل من فضل فيه بالسعة والإتساع، وأن الذين فضلاوا بالرزق غير مستطعيم أن يرزقوا ما ملكت أنفاسهم، ولا أن يردو لهم خيراً، وأنهم في الرزق سواء (يريد سبحانه بقوله: «فَهُمْ فِي سَوَاءٍ» أي: في احتلال الرزق إلى أنفسهم)^(٣) المالك والمملوك، كلهم لا يقدر

(١) أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه بسنده ضعيف، عن ابن عباس قال: كان رسول الله صل الله عليه وأله وسلم يعلم قيناً يمكناً اسمه ببلعام، وكان عجمي اللسان. فكان المشركون يرون رسول الله صل الله عليه وأله وسلم يدخل عليه وينخر من عنده، فقالوا: إنما يعلمه ببلعام، فأنزل الله «وَلَقَدْ تَعْلَمَ أَهْمَنَّهُمُ الْقُلُوبُ إِنَّمَا يُعْلَمُهُ بَشَرٌ...» الآية.

وأخرج ابن جرير، عن عكرمة قال: كان النبي صل الله عليه وأله وسلم يقرئ غلاماً لبني المغيرة أجمعياً، يقال له: مقيس. وانزل الله «وَلَقَدْ تَعْلَمَ أَهْمَنَّهُمُ الْقُلُوبُ...» الآية. الدر المثمر ١٤٧/٥.

(٢) سقط من (١): ما بين القوسين.

أن يرزق نفسه، إذ كانوا كلهم لا ينتون زرعاً، ولا يملكون في الأرض نوى، ولا ينزلون علينا، ولا يملكون أنعاماً، فلما أن كانوا كذلك في الضعف عما ذكرنا، كان المالك والملوك في احتلال الرزق إلى نفسه من دون الله سواه.

(١٢٠) وسألته عن قول الله سبحانه: «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَقْبِيُّهُ ظِلَّلَهُ عَنِ الْآيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ لَا يُرِيدُونَ^(١)» [الحل: ٩]؟

قال: هذا إخبار من الله سبحانه عن عظيم الآية التي جعل، وكثير دلائله التي أنزل، في الصلاة، من تفيتها بالغدو والأصال، فيكون القمر بالغدو شرقاً وبالعشى غرباً^(٢)، يتقلب بقدرة الله وبها^(٣) جعل من مسیر الشمس في فلكها، وتقلبها بقدرة الله في حورها^(٤)، ومعنى «سُجَّدًا» فهو: مُسجداً^(٥) لمن اعتبر به (من المؤمنين، وعقل ما فيه من آيات رب العالمين)^(٦)، وقد تقدم شرح^(٧) سجود الأشياء في غير هذه المسألة، ومعنى «ذَبِرُونَ» فهو: صاغرون مضطرون بما في الذي^(٨) أسردهم من الحجج له والدلائل عليه، لا يجدون بدا من الإقرار به والمعرفة له.

قال المادی إلى الحق صلوات الله عليه. سأله ابني محمد رضي الله عنه عن هذا المسائل فأحییت أن أثبّتها في هذا الكتاب.

(١) في (ب): بالعشى غرباً.

(٢) في (أ): فيها.

(٣) الحور: الرجع.

(٤) في (ب): سجداً.

(٥) سقط من (ب): ما بين القوسين.

(٦) في (ب): وقد تقدم شرح السجود في سورة البقرة.

(٧) في (ب) فهو: صاغرون لما في...

(١٢١) وسألت عن قول الله سبحانه: «وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَيَّ النَّحْلَ ... إِلَى قَوْلِهِ فَأَسْلَكَى سُبْلَ رَبِّكِ ذَلِكَ» [النحل: ٦٩-٦٨] ^(١) ، قال: كيف كان وحيه إليها؟

فقلت له: الوحي يخرج على وجوه أربعة:

منهن: وحي إلهام، وإلقاء في القلوب من ذي الجلال والإكرام، مثل ما ذكر عن النبي عليه السلام أنه سأله جبريل الروح الأمين، فقال: كيف تأخذ الوحي من رب العالمين؟ قال: آخذنه من إسرافيل. قال: فكيف يأخذنه إسرافيل؟ قال: يأخذنه من ملك فرقه. قال: فكيف يأخذنه ^(٢) الملك؟ قال: يلقى في قلبه إلقاء، ويلهمه إلهاما. وعلى ذلك يخرج معنى الوحي إلى النحل، ألمها إلهاما ما ذكر أنه إلقاء إليها.

والمعنى الثاني: فوحيه إلى أنبيائه المصطفين، بالمشافهة والمكالمة لهم من الملائكة المقربين، وذلك قوله: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْنَا نُوحٌ ... إِلَى قَوْلِهِ دَارِدَ زَبُورًا» ^(٣) [النمل: ١٢٣].

والوجه الثالث فهو: الجعل والتقدير، للصلاح والتدبير، وذلك قوله: «فَقَضَنَاهُنَّ سَيِّعَ سَمَوَاتٍ فِي بَرَمَاتٍ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَنْزَهَا ...» [النمل: ١٢] إلى آخر الآية.

والوجه الرابع: فوحي الله عز وجل فيها يراه الأنبياء عليهم السلام في منامهم،

(١) كمال الآية: «... أَنْ أَتُحِيدُ مِنَ الْجِبَالِ بَيْوَاتٍ وَبَيْنَ الشُّجَرِ وَمَا يَغْرِبُونَ ۚ إِنَّمَا كُلُّ مِنْ كُلِّ الْمُرْسَاتِ...».

(٢) في (١): باخلمه من.

(٣) كمال الآية: «... وَالْأَذْيَقُونَ مِنْ بَعْلِيهِ، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ فَإِسْتَعْبَلَ فَإِسْتَخْرَقَ فَيَقْرُبَ وَالْأَسْبَاطُ وَعِصَمَى وَالْكُورَبَ فَمُؤْشَسَ وَهَرُونَ وَسُلَيْمَانُ وَهَاتَنَا...».

من ذلك قول إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما السلام: «بَنْيَنِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَدْجِنُكَ» (الصادرات: ١٠٢)، فكان في ذلك وحي من الله وأمر، والدليل على ذلك قول إسماعيل: «بَتَأْبِتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمِنُ سَجَدْنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٣﴾»، فدل بذلك على أنه وحي من الله وأمر، وما قيل وروي في وحي الله إلى أم موسى أنه كان في المنام أربته^(١)، فإن يكن ذلك كذلك، فهو: داخل في ذلك، وإن لم يكن ذلك كان من الله سبحانه إلهاماً لهمها إيه، فذلك ما يشك فيه بأن الله على كل شيء قادر، ولا أحسب - والله أعلم - إلا أنه كان وحياً في منامها، لأنَّه عز وجل يقول: «بَأَخْذُهُ عَدُوَّتِي وَعَدُوَّتِ لَدُّهُ» (طه: ٢٩)، وهذا القول فلا يكون إلهاماً، إلا أنه خبر وقصص وقول، وإنما يلهم من الأشياء ما كان فعلاً يدرك بالعقل، وغريب بالمعقول^(٢).

(١٢٢) [سألت] عن قول الله: «مَنْ سَخَّرَ بِاللَّهِ مِنْ يَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَسْرَهُ وَقَلَّبَهُ مُطْمِئِنٌ بِإِلَيْيْمَنِ» (النساء: ١٠٦)؟

قال: الإكراه بالقول، وفي القول لا في الفعل، وهذه نزلت في عمار بن ياسر وصحابه^(٣).

(١) في (أ): أورته. وفي (ب): أورته. لعلهما مصححتان.

(٢) في (ب): وغريب المعقول.

(٣) أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس قال: «لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يهاجر إلى المدينة، قال لأصحابه: تفرقوا عني، فمن كانت به قوة فليتأخر إلى آخر الليل، ومن لم تكن به قوة فلينذهب في أول الليل، فإذا سمعتم بي قد استقررت بي الأرض، فالحقوا بي، فأصبح بلا الموزن وخياب وعيار وجارية من قريش كانت أسلمت، فأصبحوا يمكثون فأخذهم المشركون وأبو جهل، فعرضوا على بلاط أن يكتف فاني، فجعلوا يضعون درعاً من حديد في الشمس ثم يلبسونها إيه، فإذا أليسوا إيه قال: أحد.. أحد.. وأما خياب، فجعلوا يبرونه في الشوك، وأما عمار فقال لهم كلمة أعجبتهم تقية، وأما الجارية فوتدها أبو جهل أربعة أو تاد ثم مدها فادخل

١٢٣) و[سئل] عن قول الله: «وَعَلِمْتُ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ»^(١) [الحل: ١٦]؟
 فقال: العلامات فهي الدلالات من كل شيء، من دليل على الله، أو دليل على
 دين الله، أو دليل على سبيل من السبل، «وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» والنجم هو:
 النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر والطرق والسبل، ومن الاهتداء بالنجوم أيضا
 هو: الاهتداء إلى معرفة الله تبارك وتعالى، بما في النجوم من أثر صنعه، والدليل على
 قدرته ووحدانيته.

١٢٤) وسأله ابنه أبو القاسم أعزه الله عن قول الله سبحانه: «إِذْ أَدْعُ إِلَيَّ سَبِيلَ رَبِّكَ
 بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَنَدِهِمْ بِإِلَيْتِي هِيَ أَخْسَنُ»^(٢) [الحل: ٢٥]؟

الجريدة في قبلها حتى قتلها، ثم خلوا عن بلال وخياب وعمار، فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وأله وسلم فأخبروه بذلك الذي كان من أمرهم، واشتد على عمار الذي كان تكلم به. فقال له رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم: كيف كان قلبك حين قلت الذي قلت، أكان من شرحا بالذي قلت أم لا؟ قال: لا. قال: وأنزل الله «إِلَّا مَنْ أَسْفَرَهُ وَقَلْبُهُ مَطْمَئِنٌ بِإِلَيْتِي».

وأخرج عبد الرزاق، وابن سعد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم وصحده،
 والبيهقي في الدلائل من طريق أبي عية بن محمد بن عمار، عن أبيه قال: أخذ المشركون عمار بن
 ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وأله وسلم وذكر آثمرتهم بغيره، ثم تركوه فلما أتى
 رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم قال: ما ورآك شيء؟ قال: شر ما تركت حتى نلت منه
 وذكرت آثمرتهم بغيره. قال: كيف تحدى قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان. قال: إن عادوا فعد. فنزلت
 «إِلَّا مَنْ أَسْفَرَهُ وَقَلْبُهُ مَطْمَئِنٌ بِإِلَيْتِي».

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، عن أبي مالك في قوله: «إِلَّا مَنْ أَسْفَرَهُ وَقَلْبُهُ
 مَطْمَئِنٌ بِإِلَيْتِي» قال: نزلت في عمار بن ياسر.

وأخرج ابن أبي شيبة، عن الحكم «إِلَّا مَنْ أَسْفَرَهُ وَقَلْبُهُ مَطْمَئِنٌ بِإِلَيْتِي» قال: نزلت في عمار.
 الدر المختار / ٥ - ١٧٠

وعن قوله: **﴿فَإِذَا أَلْدِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَذَّرَةٌ كَانَهُ وَلِيٌ حَمِيمٌ﴾**

[فصل: ٩]

فقال: يأمر نبيه عليه السلام أن يدعوا إلى الله، وإلى الإيمان به وبكتبه ورسله، والسبيل: اتباع الحق **﴿بِالْحِكْمَةِ﴾** أي: بالقول الحسن، **﴿وَالْمَوْعِظَةِ﴾** أي: بالتحفيض، و**﴿الْحَسَنَةِ﴾** أي: الرفقة، **﴿وَجَنِيدُهُمْ﴾** أي: في وقت المعاشرة بالرفق، والقول الجميل، و**﴿بِالَّتِي هِيَ أَخْسَنُ﴾** الذين في القول وفي المخاطبة، فإنك إذا فعلت بهم ذلك، صار العدو لك مثل الولي، والولي: المحب، والمحب هو: القريب، يقول سبحانه: يصير عدوك مثل قريبك المحب لك، إذا فعلت له الجميل.





تفسير سورة الإسراء



وَمِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ

١٢٥) وَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ: «وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بِمِنْتَهِيَّ»

﴿الإسراء: ١٠﴾

فَقَالَ: الْعَصَمُ الَّتِي تَلْفَ مَا يَأْنَكُونَ، وَمِنْهَا: الْبَدْ الْبَيْضَاءُ، وَهِيَ قَوْلُهُ: «وَأَدْخِلْ بَذْكَرَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بِبَيْضَاءِ مِنْ عَنْتَرْ سُوْرَةً» ﴿الْأَنْجَلِي: ١٢﴾، وَمِنْهَا: الْكَلَامُ الَّذِي سُمِعَ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَمِنْهَا: الْكَلَامُ الَّذِي سُمِعَ مِنَ النَّارِ.

١٢٦) قَلْتُ: وَمَا سُمِعَ مِنْهَا؟

قَالَ: قَوْلُ اللَّهِ فِي كَابِهِ: «فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ يُورِكَ مَنْ فِي الْنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿الْأَنْجَلِي: ٨﴾» ﴿الْأَنْجَلِي: ٨﴾

١٢٧) قَلْتُ فِيهَا^(١) مَعْنَى قَوْلِهِ: «أَنْ يُورِكَ مَنْ فِي الْنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا» ﴿الْأَنْجَلِي: ٨﴾

قَالَ: أَمَا قَوْلُهُ: «مَنْ فِي الْنَّارِ» فَإِنَّا أَرَادْ بِذَلِكَ: مَا سُمِعَ مِنَ الْكَلَامِ فِي النَّارِ، وَأَمَا قَوْلُهُ: «وَمَنْ حَوْلَهَا» ﴿الْأَنْجَلِي: ٨﴾، فَهُوَ: مَنْ حَضَرَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَوْلَ النَّارِ.

وَمِنْهَا: الْحَجَرُ الَّتِي كَانَ يَحْمِلُهَا عَلَى حَمَارٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَكَانَ حَجَراً مَلْمَلَةً لَا صَدْعٌ فِيهَا، فَكَانَ إِذَا احْتَاجَ إِلَى الْمَاءِ ضَرَبَهَا بِالْعَصَمِ فَانجَسَطَ بِالْعَيْنَيْنِ، ثُمَّ يَدْفَنُهَا فَيَخْرُجُ الْمَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبِهَا، فَإِذَا اسْتَغْنَى هُوَ وَأَصْحَابُهُ أَخْرَجَهَا فَرَجَعَتْ عَلَى حَالِهَا، أَوْلًا، ثُمَّ حَلَّهَا مَعَهُ.

(١) فِي (١): وَمَا.

ومنها: البحر الذي ضربه بالعصا فانفلق حتى سار في وسطه هو وأصحابه، بأمر الله سبحانه، حتى خرج آخر أصحابه، ودخل آخر أصحاب فرعون تباعاً لوسى وقومه، فأغرق الله فرعون وقومه، ونجانيه عليه السلام والمؤمنين.

ومنها: طور سيناء، وقد قيل - والله أعلم - إن من الآيات التي آتاه الله: الجراد، والقبل، والضفادع، والدم^(١)، ولا ندري ما صحة ذلك، غير أن الصحيح من الآيات ما ذكرت لك أولاً، وهو^(٢) يسْنَةٌ تير.

١٢٨) وسألته عن قول الله سبحانه: «وَأَسْتَفِرُكُمْ مِنْ أَسْتَفَرْتُكُمْ بِصَوْتِكُمْ
وَأَجِلْتُ عَلَيْهِمْ بَخِيلَكُمْ وَرَجْلَكُمْ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِنْهُمْ وَمَا
يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا»^(٣) [الإسراء: ٩٤].

فقال: هذه كلها أمثال ضربها الله، لأن ثم خيلاً ولا رجالاً^(٤)، والعرب يقول بعضها لبعض إذا اختلفت، أو تماحقت^(٥) أو تناظرت، قالت لمن لا خيل له ولا رجال: أجلب علينا^(٦) بخيلك ورجلك، تزيد: اجهد علينا بغاية جهلك، وابلغ فينا

(١) أخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق، عن ابن عباس رضي الله عنها في قوله: «وَلَقَدْ مَاتَتِنَا مُوسَى تَسْعَ مَاتَتِنَتِ بَيْتَنَتِ» قال: اليد والعصا والطوفان والجراد والقبل والضفادع والدم والسنين ونقص من الثمار.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله عنها في قوله: «تَسْعَ مَاتَتِنَتِ بَيْتَنَتِ» قال: يده وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقبل والضفادع والدم. الدر المثور ٥/٣٤٣-٣٤٤.

(٢) سقط من (١): هو.

(٣) في (ب): خيلاً ولا ركاباً. وفي (أ): خيل ولا رجال. مصحفة.

(٤) في (ب): وتماجحت.

(٥) في (أ): عليهم.

أقصى^(١) طاقتك، فعل ذلك يخرج معنى قول الله: «وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِعَيْلِكَ وَرَجِلِكَ»، أي^(٢): اجهذ عليهم بغاية جهلك.
وأما قوله: «أَسْتَفِرُّز» فهو: اخندع.

(١٢٩) وسألته عن قول الله سبحانه: «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِمَّا بَعْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أَزْلِي بِأَسِ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خَلْنَ الْتَّيَارِ وَخَارَ وَعْدًا مُقْعُلاً»
﴿الإسراء: ٥﴾

قال: هذا إخبار من الله عز وجل لبني إسرائيل بما يكون، وما ينزل من النقم بالظالمين منهم، ومعنى: «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِمَّا» فهو: أول العذابين، وهي وقعة تنزل بهم وما نال منهم^(٣)، ومعنى «بَعْنَا» هو: خلتنا بينهم وبينكم^(٤).

(١٣٠) وسألته عن قول الله سبحانه: «إِنَّ أَخْسَثْ أَخْسَثْ لِأَنْفِسِكُمْ مَا عَلَّوْتُمْ تَشْيِرًا»
﴿الإسراء: ٧﴾

قال: هذا إخبار من الله بأن كل فعل كان من أحد من الخلق، فهو: له وعليه، من خير أو شر، لا يحيط بذلك نفسه، ولا يشرك فيه غيره، وأما قوله: «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ» فهو: آخر الميعادين، وهي الكوة الثانية الأخيرة من المرتين، وهو فتح

(١) في (أ): أبلغ ثنا. وسقط من (ب): أقصى.

(٢) في (أ): وذلك أي. زيادة لا معنى لها.

(٣) سقط من (ب): ما بين القوسين.

(٤) سقط من (ب): وبينكم.

(٥) كمال الآية: «وَإِنْ أَتَيْتُمْ ثُلَّهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لَيُسْلُّمُوا وَجْهُوكُمْ وَلَيَنْخَلُوا أَلْسُنْجَةَ حَسْنًا فَلَمْ يَلْتَهُوا أَوْلَ مَرَّةٍ وَلَيُتَبَرَّأُوا».

بيت المقدس الذي فُتح بعد النبي صل الله عليه وآله وسلم، وطرب الإسرائيلين الروم منه^(١) وسأوا وجههم بذلك، ومعنى: **﴿يُتَبَرُّو مَا عَلَّتْ﴾** فهو: يتبروا عزهم الذي بنوه، وجعلوه وأمسوه^(٢).

(١٣١) وسألته عن قول الله سبحانه: **﴿فَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَئِيكَ أَحْاطَ بِالثَّاسِ... إِلَى قَوْلِهِ طَعْنَيْنَا كَبِيرًا﴾** (الإسراء: ٦٠)^(٣)

قال: معنى قوله: **﴿أَحْاطَ بِالثَّاسِ﴾** فهو: أحاط بعلم أخبارهم، وعلم ضمائركم^(٤).

ومعنى قوله: **﴿وَمَا جَعَلْنَا الْرُّءُوبِيَّا الَّتِي أَرْتَنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلثَّاسِ﴾** (الإسراء: ٦٠) ومعنى **﴿أَرْتَنَاكَ﴾** فهي: التي أخبرناك بها وأعلمناك، وهو ما وعده من فتح مكة، وقد قيل: فتح خير^(٥). والفتنة فهو: ما كان من سؤالم وتقاضيهم لنبيهم^(٦) ما

(١) في (أ) و(ب): فُتح بعد النبي صل الله عليه وآله وسلم، فتحه على عليه السلام فطرد الإسرائيليون الروم. وفتح على عليه السلام ليت المقدس مشكل، لأنه لم يرد ذلك في التاريخ، ولذلك لم يتبه الشرقي في المصايف، بل النص فيه كما أثبته هنا. والله أعلم.

(٢) في (أ): وأسلمو، مصحفة.

(٣) كما في الآية: **﴿وَمَا جَعَلْنَا الْرُّءُوبِيَّا الَّتِي أَرْتَنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلثَّاسِ وَالشَّجَرَةِ الْمَلْمُونَةِ فِي الْقَرْزَانِ وَنُخْرِقُهُمْ فَمَا يَرِدُهُمْ﴾**.

(٤) في (أ): صغيرهم، مصحفة.

(٥) أخر الفرمي، وعبد بن حميد، وابن حجر، وابن المنذر، والبيهقي في الدلال، عن مجاهد قال: رأى رسول الله صل الله عليه وآله وسلم وهو بالحدبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين مخلفين رؤوسهم ومصربيهم، فلما نحر المدي بالحدبية قال له أصحابك أين رؤياك يا رسول الله؟ فأنزل

وعدهم الله من الفتح على لسان نبيه، فكانوا يتقاضونه ذلك، ويقولون له^(١): يا رسول الله قلت لنا كذا، ووعدتنا بالفتح، وقد أبطأ ذلك، وكان صل الله عليه يقول: لم أوقت لكم موتنا^(٢)، ولم أذكر لكم وقتنا، وإنما وعدتكم أمراً وستصلون إليه^(٣)،

الله ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الْأَرْبَيَا بِالْحَقِّ﴾ ... إلى قوله: ﴿فَمَسَكَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَسْكِينًا فَيَهُ﴾ فرجعوا ففتحوا خير، ثم اعتمر بعد ذلك فكان تصدق رواه في السنة المقبلة.
 وأخرج ابن جرير، عن ابن زيد رضي الله عنه في قوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الْأَرْبَيَا بِالْحَقِّ﴾ ... إلى آخر الآية. قال: قال النبي صل الله عليه وآله وسلم لهم: «إني قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام علقين رؤوسكم ومقصريين»، فلما نزلت بالحديثة ولم يدخل ذلك العام طعن المافقون في ذلك، فقال الله ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الْأَرْبَيَا بِالْحَقِّ﴾ ... إلى قوله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾، أي: لم أره أنه يدخله هذا العام، وليركون ذلك، ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ قال: رده لمكان من بين أظهرهم من المؤمنين والمؤمنات وأخره ليدخل الله في رحمته من بناء عن يريد الله أن يهديه، ﴿فَمَسَكَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَسْكِينًا فَيَهُ﴾.

قال: خير حين رجعوا من الحديثة فتحها الله عليهم، فقسمها على أهل الحديثة كلهم إلا رجالاً واحداً من الأصحاب يقال له: أبو دجانة سياك بن خرشة، كان قد شهد الحديثة وغاب عن خبر.
 الدر المثمر ٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩.

(١) سقط من (١): لنبيهم.

(٢) سقط من (١): له.

(٣) في (١): وقتنا.

(٤) أخرج البخاري من حديث طويل في صالح الحديثة برقم (٢٥٢٩)... «كَيْمَنْ مُمْكَنْ لَكَلِيلَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلَ بْنَ شَهْلَلَيْنَ بْنَ عَمْرِو بْنَ شَهْلَلَيْنَ فِي قَبْرِهِ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَشْقَلِ تَكَّهَ حَتَّى رَسَّ بَيْتَهُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْبِبِينَ فَقَالَ شَهْلَلَيْنَ مَذَا يَمْتَهِنُ أَوْلَ مَا أَقَبَيْتَ عَلَيْهِ أَنْ تَرَدَّ إِلَيْنَا فَقَالَ اللَّهُمَّ صَلَّ اللَّهُمَّ عَلَيْ وَسَلَّمَ إِنَّا لَمْ نَقْبَلْ الْجَنَابَ بَعْدُ فَالْقَوْلَةَ إِذَا أَصَابَنَا عَلَى شَيْءٍ أَهْبَدَنَا فَقَالَ اللَّهُمَّ صَلَّ اللَّهُمَّ عَلَيْ وَسَلَّمَ تَأْجِزْنَا لِيْ قَالَ مَا أَنَا بِشَجَرَةِ لَكَ قَالَ بَلْ فَاعْفُنِيْ قَالَ مَا أَنَا بِيَقْبَلِيْ قَالَ مِنْكُرَّ بَلْ قَدْ أَجْزَنَاهُ لَكَ قَالَ أَبُو جَنْدَلَ أَيْ مَبْشِرَ الْمُشْبِبِينَ أَرْدَ إِلَيْهِ الْمُشْبِبِينَ وَقَدْ جَنَّثْ مُسْتَبِنَ الْأَكْرَوْنَ مَا قَدْ أَبْيَثَ وَكَانَ قَدْ

فكان تأخير الموعد بالفتح فتنة للناس، بما كان يقع في قلوبهم من استبطاء الفتح، وكان في قلوب المنافقين أن رسول الله صلى الله عليه لم يصدقهم، فهذا معنى ما ذكر الله من الفتنة في هذا الموضوع، من المؤمن والكافر. «والشجرة الملعونة في القرآن» وهي^(٣): بنوا أمية^(٣).

عذّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا قَالَ قَالَ مُعْرُبُ بْنُ الْخَطَّابِ ثَأْتِيَّتِي إِلَيْكُمْ تَسْلِمُ فَقُلْتُ أَنْتَ ثَأْتِي إِلَيْكُمْ سَعْيًا قَالَ بَلَى فَقُلْتُ أَنَا نَسَأَ عَلَى الْأَبْطَالِ قَالَ بَلَى فَقُلْتُ فَلِمَ تُعْنِي الدِّيَنَ فِي وِسْتَانِ إِذَا قَاتَلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَلَكُنْتُ أَنْفُسِي وَمُؤْمِنِي مِنْ أَنْتَ فَقُلْتُ أَوْتَيْتَنِي فَكُنْتَ مُحَمَّدًا أَنَا ثَانِي الْأَنْتَ فَقَطَرَفْتُ بِهِ قَالَ بَلَى فَأَخْبَرْتُكَ أَنَا ثَالِثُ الْأَنْتَ قَالَ فَلِمَ لَا قَاتَلَ فَإِنْكَ آتِيَ وَمَعْرُوفٌ بِهِ».

ورواه البيوطاني في الدر المثمر ٧/٢٧٥ وقال: أخرج عبد الرزاق، وأحد، وعبد بن حميد، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر.

وقال ابن هشام: حدثنا أبو عبيدة: أن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم قال له لما قدم المدينة: ألم قتل يا رسول الله: إنك تدخل مكة أمينة؟ قال: بل، أقتل لكم من عامي هذا؟ قالوا: لا، قال: فهو كما قال لي جبريل عليه السلام. سيرة ابن هشام ٤/٣٤١.

(١) في (ب): فهم.

(٢) أخرج الترمذى عن سفيحة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الخلافة في أميٍّ ثلاثة سنٍّ، ثم ملك بعد ذلك) ثم قال لي سفيحة: أمسك عليك خلافة أبي بكر، ثم قال وخلافة عمر، وخلافة عثمان، ثم قال أمسك على فوجدناها ثلاثة سنٍّ. قال سعيد فقلت له: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، قال كذب بنو الزرقان، بل هم ملوك من شر الملوك). حفة الأحوذى شرح جامع الترمذى ٦/٤٧٦ (٤٣٢٦). والزرقاو: امرأة من أمراءات بني أمية. وأخرج أبو داود في سنٍّ ٢/٦٦٤٦ (٤٤٤٦).

وأخرج ابن أبي حاتم، عن يعل بن مرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم: (أربت بني أمية على منابر الأرض، وسيملكونكم، فتجددونهم أرباب سوء). واهتم رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم لذلك: فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْأَرْضَ مِنْ أَنْتَ أَنْتَكَ إِلَيْنَا إِنْتَ لِنَاسٍ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صل الله عليه وآله وسلم قال: ((رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر، كأئم قردة)). وأنزل الله في ذلك ﴿ وَمَا جَعْلْتُ لِرَبِّنِي أَلْقَى أَنْتَكَ إِلَيْقَةً لِلثَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ ﴾. يعني الحكم ولده.

وأخرج ابن مardonيه، عن عائشة رضي الله عنها: أنها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله صل الله عليه وآله وسلم يقول: لا يك وجدك (إنكم الشجرة الملعونة في القرآن).

وعن الأسود، قلت لعائشة: لا تتعجبين لرجل من الطلقاء ينزع أصحاب محمد الخلاة؟ قالت: وما يعجبني هو سلطان الله، يوتى البر، والفاجر، قد ملك مصر. سير أعلام البلاء

٩٥/٣

وعن أبي ذر قال سمعت رسول الله صل الله عليه وآله وسلم يقول: إذا بلنت بتوأم أمية أربعين المتذدوا عباد الله خولا، ومال الله خلا، وكتاب الله دخلا. أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٧٩/٤، وذكره في كنز العمال ٣٩، وقال: ومال الله دخلا، وقال أخرجه ابن عساكر.

وعن أبي بربعة الأسلمي قال: كان أبغض الأحياء إلى رسول الله صل الله عليه وآله وسلم بتوأم، وبنو حنيفة، وتنيف. أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٨٠/٤. وقال هنا حديث صحيح على شرط الشيوخ. وذكره المishi أيضا في جممه ١٠/٧١. وقال: رواه أبو يعل.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صل الله عليه وآله وسلم: إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أهلي قتلاً وتشريداً، وإن أشد قوتنا لنا ببغضاً بتوأم، وبنو حنيفة، وبنو عزروم. أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٨٧/٤. وقال هنا حديث صحيح الاستاذ. وذكره التقي في كنز العمال ٦/٤٠. وقال: أخرجه نعيم بن حداد في الفتن.

عن بحالة قال: قلت لعمران بن حصين: حدثني عن أبغض الناس إلى رسول الله صل الله عليه وآله وسلم، قال: تكتم على حتى أموت؟ قلت: نعم. قال: بتوأم، وتنيف، وبنو حنيفة. قال أخرجه نعيم بن حداد في الفتن. كنز العمال ٦/٦٨.

عن أبي هشان النهدي عن عمran بن حصين قال: توفي رسول الله صل الله عليه وآله وسلم وهو يبغض ثلاث قبائل، بتوأم حنيفة، وبنو عزروم، وبنو أمية، قال: رواه هشام بن حسان عن عمran بن حصين. حلبة الأولياء، لأبي نعيم ٦/٢٩٣.

ومن على عليه السلام في قوله: ((لم تر إلى الذين بدروا نعمة الله كفر)). قال: هما الأنجران من قريش، بتوأم، وبنو حنيفة، فلما بتوأم حنيفة قطع الله دابرهم يوم بدر، وأما بتوأم نعمة ففتحوا إلى

حين. كثر العمال ١/٢٥٢. قال أخرجه ابن حجر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني في الجامع الصغير.

وذكره السيرطي أيضاً في الدر المثمر في تفسير الآية في سورة إبراهيم، وقال أخرج الطبراني في الأوسط، والحاكم وصححه، قال: وأخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام أنه سئل عن (الذين بدلوا نعم الله كفراً). قال: بنو آمية، وبنو غزوره رمعت أبي جهل.

وذكره المتفق أيضاً به في كثر العمال ١/٢٥٢. وقال: أخرجه ابن مردويه عن علي عليه السلام. وعن ابن مسعود قال: إن لكل دين آلة وآفة هذا الدين بنو آمية. كثر العمال ٧/١٤٢. قال: أخرجه نعيم بن حاد في الفتن.

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنما رأيت في منامي كان بي الحكم بن العاص يتزرون على منبره كما يتزرون القردة. أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٤٨٠. قال: فما زلت التي صلى الله عليه وآله وسلم مستجعماً ضاحكاً حتى توفي. قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيوخ.

وذكره المتفق باختلاف سير. كثر العمال ٦/٤٠. وقال: أخرجه أبو يعل وآلبيه في الدلال عن أبي هريرة وفي (ص ٩٠). وقال: أخرجه البيهقي في الدلال، وابن عساكر وفي (ص ٩٠) ثانية. وقال: أخرجه أبو يعل، وابن عساكر.

وفي ذيل تفسير قوله تعالى في تفسير الفخر الرازي الكبير: «وَمَا جَعَلْنَا الْأُرْثَنَى أَلْيَنِي أَنْتَنَكِ إِلَّا بِشَنَّةِ لِلثَّاسِ وَالشَّجَرَةِ الْمَلْمُونَةِ فِي الْقُرْبَانِ». في سورة بني إسرائيل قال: واختلعوا في هذه الشجرة. إلى أن قال: القول الثاني. قال ابن عباس: الشجرة بنو آمية. يعني الحكم بن أبي العاص. قال: ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام أن ولد مروان يتذاللون منبره، فقص رؤياه على أبي بكر وعمر وقد خلا في بيته معهما، فلما تفرقوا سمع رسول الله الحكم يخبر برقبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاشتد ذلك عليه، واتهم عمر في إنشاء سره، ثم ظهر أن الحكم كان يستمع إليهم فنفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - إلى أن قال: وما يؤكد هذا التأويل قول عائشة مروان: لعن الله أباك وأنت في صلبه فلأت بعض من لعنة الله.

وفي ذيل تفسير قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الْأُرْثَنَى أَلْيَنِي أَنْتَنَكِ إِلَّا بِشَنَّةِ لِلثَّاسِ وَالشَّجَرَةِ الْمَلْمُونَةِ فِي الْقُرْبَانِ». في سورة الإسرى من تفسير السيوطي الدر المثمر. قال: وأخرج ابن أبي

حاتم عن ابن عمر أن النبي صل الله عليه وآله وسلم قال: رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأئم القردة وأنزل الله في ذلك ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَرْبَعَنَا أَثْقَلَ أَنْتَنَا إِلَّا فَتَنَّنَا لِكُلِّ أَشْجَرَةِ الْمَلْمُونَ﴾. يعني الحكم وولده.

وقال أيضاً: وأخرج ابن مردويه عن عائشة أنها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله صل الله عليه وآله وسلم يقول لأبيك وجدك: إنكم الشجرة الملعونة.

وعن عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أني التي صل الله عليه وآله وسلم فدعوا له فأدخل عليه مرwan بن الحكم فقال: هو الوزغ بن الوزغ الملعون ابن الملعون. أخرجه الحكم في المستدرك ٤٧٩/٤ قال: هذا حديث صحيح الأستاد.

وعن محمد بن زياد قال: لما بات معاوية لابنه يزيد قال مروان: سته أبي بكر وعمر. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سته هرقل وقيصر. فقال: أنزل الله فيك ﴿وَالَّذِي قَالَ لِزَوْلَيْتَهُ أَنِّي لَكُنْ﴾. الآية. قال: بلغ عائشة فقالت: كذب وافه ما هو به ولكن رسول الله صل الله عليه وآله وسلم لعن أبي مروان ومروان في صلبه. فمروان قصص من لعنة الله عز وجل. أخرجه الحكم في المستدرك ٤٨١/٤. قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيفين.

وذكره السيوطي أيضاً في الدر المثور في تفسير قوله تعالى: (والذي قال لوالديه أنت لكما). في سورة الأحقاف. وقال: أخرجه عبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، عن محمد بن زياد. وقال: فغضض من لعنة الله.

وعن عمرو بن مزة الجبهي - وكانت له صحابة - إن الحكم بن أبي العاص استاذن على النبي صل الله عليه وآله وسلم فعرف النبي صل الله عليه وآله وسلم صوره وكلامه، فقال: إننا لا نعلم لعنة الله تعالى من يخرج من صلبه، إلا المؤمن منهم وقليل ما هم، يشرعون في الدنيا ويعرضون في الآخرة، ذو مكر وخديعة، يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق. أخرجه الحكم في المستدرك ٤٨١/٤. قال: هذا حديث صحيح الأستاد.

وذكرة المقني، وقال: أخرجه أبو يحيى، والطبراني، والبيهقي، وابن عساكر. كنز العمال ٦/٨٩. وعن عبد الله بن الزبير أن رسول الله صل الله عليه وآله وسلم لعن الحكم وولده. المستدرك ٤٨١/٤، قال: هذا حديث صحيح الأستاد.

نم قال: ليعلم طالب العلم أن هذا باب لم أذكر فيه ثلث ما روي، وأن أول الفتن في هذه الأمة فتنهم، ولم يعنني فيما يبني وبين الله تعالى أن أخلي الكتاب من ذكرهم.

وفي كنز العمال ٦ / ٩٠ ذكر حديثاً عن يحيى النخعي قال: فيه فقضب الحسن عليه السلام وقال له - يعني لمروان - أقليت: أهل بيته ملعونون فواهه لقد لعنتك الله على لسان نبيه صل الله عليه وأله وسلم، وأؤتيت في صلب أبيك.. قال: آخر جه ابن سعد، وأبي بيل، وابن عساكر.

وعن زهير بن الأرقم قال: كان الحكم بن أبي العاص مجلس إلى رسول الله صل الله عليه وأله وسلم، ويقل حديثه إلى قريش فلمعنه رسول الله صل الله عليه وأله وسلم، وما يخرج من صلبه إلى يوم القيمة. كنز العمال ٦ / ٩٠. قال: آخر جه ابن عساكر.

وعن عبد الله بن الزبير قال وهو على المنبر: ورب هذا البيت الحرام والبلد الحرام إن الحكم بن أبي العاص وولده ملعونون على لسان محمد صل الله عليه وأله وسلم. كنز العمال ٦ / ٩٠. قال: آخر جه ابن عساكر.

وعن ابن الزبير أنه قال وهو يطوف بالكمبة: ورب هذه الية لعن رسول الله صل الله عليه وأله وسلم الحكم وما ولد. كنز العمال ٦ / ٩٠. قال: آخر جه ابن عساكر.

وعن عبد الله بن عمرو قال: كنا جلوساً عند النبي صل الله عليه وأله وسلم، وقد ذهب عمرو بن العاص يليس ثيابه ليتحققني فقال ونحن عنده: ليدخلن عليكم رجل لعين، فواهه ما زلت وجلاً خارجاً وداخلاً حتى دخل فلان - يعني الحكم - الميسي في مجمعه ١١٢. قال: رواه أحد.

وعن حلام بن جذل الغفاري قال: سمعت أبا ذر جندب بن جنادة الغفاري يقول: سمعت رسول الله صل الله عليه وأله وسلم يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثة رجالاً أخذدوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دغلاً. قال حلام فأنكر ذلك على أبي ذر فشهد على بن أبي طالب عليه السلام، أنى سمعت رسول الله صل الله عليه وأله وسلم يقول: ما أطلت الخضراء، ولا أثنت الغباء، على ذي لجة أصدق من أبي ذر، وأشهد أن رسول الله صل الله عليه وأله وسلم قاله. آخر جه الحاكم في المستدرك ٤ / ٤٧٩.

وفي كنز العمال ٦ / ٣٩: إذا بلغ بنو الحكم ثلاثة رجالاً أخذدوا مال الله بينهم دولاً، وعباد الله خولاً، وكتاب الله دغلاً، فإذا بلغوا تاسعة وتسعين وأربعيناة كان هلاكهم أسرع من لرك ثمرة.. قال: آخر جه الطبراني، والبيهقي عن معاوية وابن عباس.

وذكره بسهو أبسط. /٤١. فقال: عن ابن موهب أن معاوية بنتا هو جالس وعنه ابن عباس إذ دخل عليهم مروان بن الحكم في حاجة فقال: اقض حاجتي يا أمير المؤمنين، فواه إن مؤمني لعظيمة، وإن أبو عشرة وعم عشرة وأخور عشرة، فلما أذير قال معاوية لابن عباس: أما تعلم أن رسول الله صل الله عليه وآله وسلم قال: إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً، اخذلوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، وكابده دخلاً، فإذا بلغوا تسعه وتسعين وأربعين، كان هلاكم أسرع من لوك التمرة، وفي لفظ لوك تمرة.

قال ابن عباس: اللهم نعم، ثم إن مروان رد عبد الملك إلى معاوية في حاجة فلما أذير عبد الملك قال معاوية: أشدك باهـ يا بن عباس أما تعلم أن رسول الله صل الله عليه وآله وسلم، ذكر هذا فقال: أبـ الجبارـة الأربعـة؟ قال: اللهم نعم، قال: أخرجه البيهـي في الدلـالـ، وابـ عـاسـكـ.

وفي كنز العمال ٦/٣٩: إن هذا سـيـخـالـفـ كتاب الله وـسـتـهـ نـيـهـ، وـسـيـخـرـجـ من صـلـبـهـ فـنـ يـلـغـ دـخـانـهـ السـيـاهـ، وـيـعـضـكـ يـوـمـ شـيـعـتـهـ - يعني الحكم بن أبي العاص - قال: أخرجه النـارـ قـطـنـيـ، في الأفراد عن ابن عمر، وذكره في ص ٤٠، وقال: أخرجه الطبراني عن ابن عمر.

وفي ص ٩٠ بـسـهـوـ أـبـسـطـ، فقال: عن ابن عمر قال: هجرت الرواح إلى رسول الله صل الله عليه وآله وسلم فـجـاهـ أبوـ الحـسنـ، فقالـ لهـ رسولـ اللهـ صـلـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ: أـدـنـ فـلـمـ يـزـلـ يـدـنـيـ حـتـىـ التـقـ أـنـيـ فـيـنـيـ النـبـيـ صـلـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ يـأـكـلـ رـأـسـ كـافـرـ قـالـ فـدـغـ الحـكـمـ بـسـيـفـ الـبـابـ فقالـ لـعـلـيـ السـلـامـ: أـذـعـ فـقـدـ كـيـ تـقـادـ الشـاةـ إـلـىـ حـبـالـهـ، فـإـذـاـ عـلـيـ السـلـامـ يـدـخـلـ الحـكـمـ بـنـ أبيـ العاصـ آـخـذـاـ يـاـذـنـهـ لـهـ زـنـةـ حـتـىـ أـرـقـهـ بـيـنـ يـدـيـ النـبـيـ صـلـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ، فـلـعـنـهـ نـبـيـ اللهـ صـلـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ ثـلـاثـاـمـ قـالـ: أـحـلـ نـاحـيـةـ حـتـىـ رـاحـ إـلـيـ قـوـمـ مـنـ الـمـهاـجـرـيـنـ ثـمـ دـعـاـهـ بـفـلـمـهـ ثـمـ قـالـ: إـنـ هـنـاـ سـيـخـالـفـ كتابـ اللهـ وـسـتـهـ نـيـهـ صـلـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ، وـسـيـخـرـجـ منـ صـلـبـهـ فـنـ يـلـغـ دـخـانـهـ السـيـاهـ، فقالـ نـاسـ مـنـ الـقـوـمـ: هـوـ أـقـلـ وـأـذـلـ مـنـ أـنـ يـكـونـ هـذـهـ مـنـهـ، فقالـ: بـلـ وـيـعـضـكـ يـوـمـ شـيـعـتـهـ، قالـ أـخـرـجـ النـارـ قـطـنـيـ فيـ الأـفـرـادـ، وـابـ عـاسـكـ.

وعن حمرو بن يحيى بن عمر بن سعيد، قال: أخبرني جدي، قال: كنت جالساً مع أبي هريرة في مسجد النبي صل الله عليه وآله وسلم بالمدينة، وعمنا مروان، قال: أبـ هـرـيـرـةـ سـمـعـ الصـادـقـ الـمـصـدـوقـ يـقـرـولـ: هـلـكـةـ أـمـتـيـ عـلـيـ يـدـيـ غـلـمـةـ مـنـ قـرـيـشـ، فقالـ مـرـوـانـ: لـعـنةـ اللهـ عـلـيـهـ غـلـمـةـ. فقالـ أـبـ هـرـيـرـةـ: لـوـ شـتـ أـقـولـ بـنـيـ فـلـانـ وـبـنـيـ فـلـانـ لـفـعـلـتـ. فـكـتـ أـخـرـجـ مـعـ جـدـيـ الـبـنـيـ

(١٣٢) وسالت عن قول الله عز وجل: «وَإِذَا أَرْدَنَا أَنْ تُهْلِكَ قَرْبَةً أَمْرَنَا مُتَرَفِّيهَا فَقَسَّرُوا فِيهَا فَحَقٌّ عَلَيْهَا الْقُرْولُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا» (الاسراء: ١٦)؟

مروان حين ملكوا بالشام فإذا رأهم غلبتا أحدهما قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم، قلت: أنت أعلم. صحيح البخاري ٦٤٩/٢٥٨٩.

يقول الشارح ابن حجر المسقلاني في فتح الباري: ٨، ٧، ١٣: إن أبي هريرة كان يمشي في السوق ويقول: اللهم لا تدركني ستة سين ولامارة الصيابان.

قال الشارح: وفي هذا إشارة إلى أن أول الأغليمة كان سنة ستين، وهو كذلك فإن يزيد بن معاوية استخلف فيها وبقي للسنة (٦٤) هـ، فمات ثم ولد معاوية، ومات بعد أشهر. وقال الشارح أيضاً: إن أول هؤلاء الغلبة يزيد كما دل عليه قوله أبي هريرة سنة ستين ولامارة الصيابان. ثم قال الشارح: تتبه، يتعجب من لعن مروان النملة المذكورين مع أن الظاهر أنهم من ولد، فكان الله تعالى أجرى ذلك على لسانه ليكون أشد في الحجة عليهم، لعلهم يتعظون، وقد وردت أحاديث في لعن الحكم والد مروان وما ولد. آخر جها الطبراني، وغيره، غالباً في مقال ومعضها جيد.

وفي الصواعق المحرقة لابن حجر (ص ١٣٤): ومات - يعني يزيد ابن معاوية - سنة أربع وستين لكن عن ولد شاب صالح عهد إليه فاستمر مريضاً إلى أن مات ولم يخرج إلى الناس ولا صل بهم، ولا أدخل نفسه في شيء من الأمور، وكانت مدة خلافته أربعين يوماً، وقيل: شهرين، وقيل: ثلاثة أشهر، ومات عن إحدى وعشرين سنة، وقيل: عشرين، قال: ومن صلاحه الظاهر أنه لما ولد صعد المنبر فقال: إن هذه الخلافة حبل الله، وإن جدي معاوية نازع الأمر أهله، ومن هو أحق به منه على بن أبي طالب عليه السلام، وركب يكم ما تعلمون حتى أتته منته، فصار في قبره رهيناً بمنوريه، ثم قلد أبي الأمر وكان غير أهل له، ونازع ابن بنت رسول الله صل الله عليه وأله وسلم، فقضى عمره وانته عقبه، وصار في قبره رهيناً بمنوريه، ثم بكى وقال: من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه، وبؤس منقبله، وقد قتل عترة رسول الله صل الله عليه وأله وسلم، وأباح الحمر، وخرب الكعبة، ولم أذق حلاوة الخلافة فلا أقتله مراوريها، فشأنكم أمركم، والله لئن كانت الدنيا خيراً فقد نلنا منها حطلاً، ولكن كانت شرّاً تكتفي ذريّة أبي سفيان ما أصابوا منها، قال: ثم تَبَّعَ في منزله حتى مات بعد أربعين يوماً كما مر، فرحمه الله أنصف من أبيه، وعرف الأمر لأهله. أقول: بل وأنصف من أبيه وجده، جميعاً فلا تغفل، ولابن حجر هذا كتاب يحامي فيه عن معاوية بن أبي سفيان.

قوله: «وَإِذَا أَرْدَنَا أَنْ تُهْلِكَ» فهو: إخبار منه أنه لا يريد إهلاك قرية إلا من بعد العصيان منها له، والمخالفة لأمره، قوله: «أَمْرَنَا مُتَرْفِيَّهَا فَقَسَّوْا فِيهَا» يقول: أمرناهم بالطاعة، فأتوا بالفسق والمعصية، فحق عليهم القول مما وهو الحكم منه بمواقعه الوعيد لهم، ووقع العذاب عليهم، «فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا» يريد: أهلها لا جدرها وأبيتها.

(١٣٣) سالت أكرمك الله عن قول الله سبحانه: «فَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسْتَحْيِي
بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» (الإسراء: ٤٤)؟

واعلم أن معنى هذا وأحسن ما يقول في فهمنا، أن الله تبارك وتعالى أراد بذلك: أنه ليس من شيء، إلا وفيه من أثر صنته وتدبره، ما يدل على جاعله ومصوريه، ويوجب له سبحانه على من عرف أثر صنته فيه التسبيح والتهليل، والإقرار بالوحدانية والتجليل، عند تفكير المتكلّم، واعتبار المعتبر، بما يرى من عجائب فعله جل جلاله، فيما خلق من عروق الأشجار الضاربة في الثراء، وفروعها الباسقة في الهواء، وما يكون منها من ثمار مختلفة بيّنة، فإذا نظر إلى أثر تدبير الجبار فيها أيقن بالصنعة، وإذا أيقن بالصنعة أيقن بالصانع، وإذا استدل على الصانع ثبت معرفته في قلبه، ورسخت وحدانيته في صدره، فإذا ثبتت المعرفة في قلب المعتبر، وصحت في جوارح الناظر، نطق لسانه بالتسبيح جاعل الأشياء، وظهرت منه العبادة لصانعها.

ن هذا معنى: «فَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسْتَحْيِي بِحَمْدِهِ»، لما كان في الأشياء كلها الدليل على جاعلها، وفي الدليل على جاعلها ما يوجب الإقرار به، وفي الإقرار به ما يوجب ذكره بما هو أهل من التقديس والتجليل، والتسبيح والمعرفة، والإقرار لقدرتها، جاز أن يقال: «يُسْتَحْيِي»، إذ كان بسيه التسبيح من المسْبَح، المستدل على

ربه بما يَبْيَّن لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِّنْ أَثْرِ صُنْعَتِهِ، فَقَالَ: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَيِّحُ بِحَمْدِهِ»، وَهُوَ يَعْنِي بِالْسَّيْحَةِ: تَسْبِيحُ الْمُسْبِحِينَ، لِسَبِّ أَثْرِ الصُّنْعِ مِنَ الْمُتَبَرِّينَ بِذَلِكَ، فَجَازَ ذَلِكَ إِذَا كَانَ بِسَبِّ أَثْرِ الصُّنْعِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَكَانَ التَّسْبِيحُ فِيهَا مِنَ الْمُسْبِحِينَ، الْمُقْرِّبِينَ بِاللَّهِ الْمُعْرِفِينَ، وَمَا التَّسْبِيحُ إِلَّا كَوْنُ اللَّهِ: «رَبِّنَا لَهُمْ أَعْتَنَاهُمْ» (الْأَنْجَلِي: ٤)، فَلَيْسَ اللَّهُ يَزِينُ لَا حَدَّ قَبِيحاً، وَلَكِنْ لَا كَانَ سَبِّ زَرْنَةِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ اللَّهِ خَلْقًا وَجْعَلَهُ، وَكَانَ مِنَ الْإِمَلَاءِ لِلْفَاسِقِينَ، وَالْأَخِيرُ الَّذِي بِهِ تَزَيَّنَتْ أَعْهَلُهُمْ، جَازَ أَنْ يَقُولَ: «رَبِّنَا» وَلَمْ يَزِينْ لَهُمْ سَبِحَانَهُ قَبِيحاً مِّنْ فَعْلِهِمْ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ سَبِحَانَهُ: «وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَقْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا» (الْكَهْفُ: ٢٨)، فَلَيْسَ اللَّهُ سَبِحَانَهُ يُعْنِلُ قَلْبَ أَحَدٍ عَنْ ذِكْرِهِ، وَلَا يَصْرُفُهُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَلَكِنْ لَا أَنْ كَانَ مِنَ سَبِحَانِهِ تَرَكَ الْمَاجَلَةَ لِلْمُسِيءِ، عَلَى فَعْلِهِ، وَالْأَخِيرُ لَهُ فِي أَجْلِهِ، جَازَ أَنْ يَقُولَ: «أَغْفَقْنَا»، إِذَا كَانَتِ الْغَفْلَةُ هِيَ الْإِعْرَاضُ، وَالْتَّرَكُ لِلْحَقِّ وَالتَّوْبَةِ وَالْإِنْتَابَةِ، فَجَازَ مِنْ قِبَلِ إِمَلَاءِ اللَّهِ وَتَأْخِيرِهِ لِلْمُسِيءِ الْمُذَنِّبِ أَنْ يَقُولَ: «أَغْفَقْنَا»، عَلَى بُجَازِ الْكَلَامِ.

وَمُثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، يُعْرَفُهُ ذُو الْفَهْمِ وَالْبَيْانِ.

وَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ وَلَدٍ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَسَئَلَ الْقَرِيْبَةَ الَّتِي كَعَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلَنَا فِيهَا» (بِرْسَفَ: ٨٢)، فَقَالَ: الْقَرِيْبَةُ، وَالْعِيْرَةُ فَإِنَّهَا هِيَ الْبَيْوتُ وَالدُّورُ، وَلَيْسَ الْبَيْوتُ وَالدُّورُ ثُسَّالٌ، وَإِنَّا أَرَادَ أَهْلَ الْقَرِيْبَةِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ سَبِّ الْأَهْلِ، وَالْأَهْلِ مِنْ سَبِيهَا، فَجَازَ ذَلِكَ فِي الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: سَلِ الْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلَنَا فِيهَا، وَالْعِيْرَةُ فَإِنَّهَا هِيَ الْجَمَالُ الْمَحْمَلُ، وَلَيْسَ الْجَمَالُ ثُسَّالٌ، وَلَا تَغْيِبُ وَلَا تَشْهُدُ، وَإِنَّا أَرَادُوا: أَهْلَ الْجَمَالِ وَأَرْبَابَ الْحَمْوَلَةِ، فَقَالُوا: سَلِ الْعِيْرَ، وَإِنَّا أَرَادُوا أَهْلَهَا.

ف كذلك قوله سبحانه: «وَإِن مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَيِّحُ بِحَمْدِهِ»، يزيد: وإن من شيء إلا وهو يوجب التسبيح على من اعتبر ونظر، وفكرا في أثر صنع الله بما فيه، فجاز أن يقال: «وَإِن مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَيِّحُ بِحَمْدِهِ»، لما أن كان أثر الصنع فيه موجبا للتسبيح لصانعه، على المعتبرين من عباده.

فاما قوله: «وَلَكِنَّ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ»، فهو ذم لم يعتبر ويستدل بأثر الصنع في الأشياء، فقال: «وَلَكِنَّ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ»، يزيد: لا يفهمن ما به من أثر الصنع فيها، الذي يوجب التسبيح للصانع والإجلال والتوقير. فكان ذلك ذمأً لمن لا يعتبر ولا يتفكر، ولا يحسن التمييز في أثر صنع الله، فيعلم بأثر صنعه ما يستدل به على قدرته، ويُصح لربه ما يحب لعرفته، من توحيده والإقرار بربوبيته.

واما قوله: «وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدُانِ» (الرحمن: ٦)، فقد قال بعض العلماء: إن معنى السجود: سجود ظلال الأشياء، ووقوعها على الأرض. وقال بعضهم: إن هذا على المثل، يقول: إنه لو كان في شيء من الأشياء، من الفهم والتمييز مثل ما جعل الله في الأدميين والشياطين، والملائكة المقربين، إذا لعنة الله كل شيء وسبحه بأكثر من عبادة الأدميين وتسبحهم.

فجعل هذا مثلا، كما قال سبحانه: «إِنَّا عَرَضْنَا الْآمَانَةَ عَلَى الْمُتَّوَّتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ...» (الأحزاب: ٧٢) الآية، أراد تبارك وتعالى: أنه لو كان في السماوات والأرض والجبال من الفهم والتمييز ما في الأدميين، ثم عرض عليها ما عرض على الأدميين من حل الأمانات التي قيل لها الأدميون، لأشفقت السماوات والأرض والجبال من حلها، ولما قامت بها يقوم به الأدمي من نقضها، مع ما في الأمانة من الخطير، وعظيم الأمر، على من لم يزدها على حقها، ويقم بها على صدقها.

والأمانة على صنوف شتى، ومنها: قول الحق وفعله، ومنها: أداء الشهادة على وجهها، ومنها: أداء الحقوق إلى أهلها، من الأنبياء المرسلين، والأئمة الماديين، ومنها: الودائع من الأموال وغيرها.

ومنها: العقول التي قال الله تبارك وتعالى فيها، وفيها عظم من خطورها، وأجل من أمرها: **﴿يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَقْرَبُوا إِلَيَّ مَقْدُودٌ﴾** (الإنسان: ١).

فكليما ذكرنا فهو أمانة عند العالمين، واجب عليهم تأيتها عند رب العالمين.

وأحسن ما أرى - والله أعلم وأحكם - في تأويل قوله سبحانه: **﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدُانِ﴾** (الرّون: ٦)، أنه أراد بقول: **﴿يَسْجُدُانِ﴾**، ومعنى **﴿يَسْجُدُانِ﴾** فهو: لما فيه من التدبر، وأثر الصنع والتقدير، الله الواحد القدير، فإذا رأى المعتبرون المؤمنون ما فيه من جليل صنع الله، وعظيم جعله لها، وما سخر لها وجعلها عليه، من جوّلان النجم في الأفلاك، تارة مصدعاً وتارة منحدراً، وتارة طالعاً وتارة آفلأً، تقديرأً من العزيز العليم، لما أراد من الدلالة على الدهور والأزمان، والدلالة على عدد الشهور والسنين والأيام للإنسان، فإذا رأى ذلك كله مسلم تقي، أو معتبر مهتد، سجد له بالمعرفة والإيقان، واستدل عليه سبحانه بذلك الصنع في كل شأن، فَعَبَدَه عِبَادَةً عارف مقر، عالم غير منكر، فسجد له متذلاًًا عارفاً، مستدلاًًا عليه سبحانه بما أبصر من الدلائل في النجوم عليه.

وكذلك حال الشجر وما فيه من عجائب الصنع والتدبر، وما ركبه الله سبحانه عليه من التقدير، في ألوان ثمارها وطعمها، واختلاف ألوانها، وهي تسقى بياء واحد، وتكون في أرض واحدة، كما قال الله سبحانه: **﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعَةٌ مُّتَجَزِّرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَبٍ وَرَزْعٍ وَنَحْيلٍ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ**

وَاحِدٌ وَنُقْصَلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿١﴾ (الرعد: ١)، فكل ذلك من اختلافها، دليل على قدرة جاعلها، ووحدانية فاطرها.

فهذا أحسن المعانى عندي - والله أعلم وأحكام - في **﴿يَسْجُدُان﴾**، أنه يسجد من أثر الصنع فيها، وأثر القدرة في تقديرها، كل مؤمن عارف بالله، مقر بصنع الله وحكمته، ويستدل عليه بأثر قدرته.

فافهم ما به قلنا في قوله: **﴿يَسْجُدُان﴾**، وتفكر فيها شرحنا ومير قولنا، يَنْ لَك
في الصواب، ويزح عنك فيه الشك والإرباب.





تفسير سورة الكهف

ومن سورة الكهف

(١٣٤) وسألته عن قول الله سبحانه: «وَمَأْتَنَا سَيِّئًا هُنَّ حَتَّى إِذَا بَلَغُ مَطْلَعَ الْشَّمْسِ ... إِلَى قَوْلِهِ: بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا» [الكهف: ٩١-٨٩] ^(١)

قال: يقول لم نجعل لهم ما جعلنا لغيرهم، من الكنان والبيوت واللباس، وهؤلاء قوم في مطلع الشمس في طرف الأرض، ومعنى قوله: «أَحْكَمْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا» فهو: إيقاؤه من وراء هؤلاء القوم فيما لم يصله ^(٢) من الأرض.

(١٣٥) وسألت عن قول الله سبحانه: «سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كُلُّهُمْ فَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ رَجُلًا بِالْقَيْبِ فَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَّثَامِنُهُمْ كُلُّهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ» [الكهف: ٢٢] ^(٣)

وهذا أمر ^(٤) لم يطلع الله عز وجل عليه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، لأنَّه لم يكن يحتاج إلى علمه، ولم يفترض الله على أحد من العباد علمه ولم يتبعده به، فلستنا نحتاج لتوكيل ما كفينا منه ^(٥)، وقد تفَحَّم في ذلك غيرنا بغير معرفة، ولا نحب أن

(١) كمال الآيات: «... وَجَنَّعَا شَطْلَعَ عَلَى قَزْمٍ لَذَنْجَلَ لَهُمْ بَنْ دُونِهَا سِتَّا كَذِيلَكَ وَذَنَ أَحْنَفَا...».

(٢) في (ب): يطاء.

(٣) في (ب): الأمر.

(٤) في (ب): نبه.

تتحمّل ندم فيه ولا نحمد، والله أعلم بذلك وأحكام.

فأمّا القليل الذي ذكر الله أنّهم يعلّمونهم، فإنّها هم قليل من عرف خرّجهم وعدهم، ووقت ما خرّجوا من القرية هاربين، وأتوا في ذلك اليوم إلى الكهف منحزرين، وليس القليل العالم بهم بعد استيقاظهم من رقادتهم، وإنّما القليل الذين علّموهم قبل رقادتهم وعند خروجهم من قريتهم، وقد نهى الله سبحانه عنه عن المماراة في عدتهم، والقول في ذلك بما لم يطلع عليه، وما تُبَيَّنَ عنـه صلـ الله عـلـيهـ وـآلهـ وـسـلمـ فـنـحـنـ عـنـهـ مـنـهـيـوـنـ، وـمـاـ أـمـرـ بـرـكـهـ فـيـهـ^(١) فـالـخـلـقـ بـذـلـكـ مـأـمـوـرـوـنـ، لـاـ يـسـعـهـمـ التـحـمـمـ فـيـ شـبـهـ^(٢)، وـلـاـ يـجـلـ لـهـ الـبـحـثـ عـمـاـ أـمـرـواـ بـرـكـهـ، إـذـ لـيـسـ مـعـ أـحـدـ مـنـ الـأـوـلـيـنـ وـالـآـخـرـيـنـ مـنـ يـقـيـنـ مـعـرـفـةـ، وـلـاـ يـتـكـلـمـ فـيـهـ أـحـدـ إـلـاـ بـمـحـالـ، وـشـبـهـ^(٣) لـاـ يـسـعـ النـظـرـ فـيـهـ، وـلـاـ يـجـوزـ الـاجـتـراءـ عـلـيـهـ.

(١٣٦) وسألت عن قول الله سبحانه، وتعالى عن كل شأن شأنه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَحَبَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقَرَا فَإِن تَدْعُهُمْ إِلَىٰ أَهْدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوْ إِذَا أَبْدَأُ^(٤)﴾ [الكهف: ٥٧]، فقلت: إن قال قائل (من المجرة أو تكلم متكلم فقال: إن الله جعل على قلوبهم أكتة حتى لا يفهموه، وفي آذانهم وقارا حتى لا يسمعوا)^(٥)، وإن ذلك من فعل الله بهم ليشقّيهم!!؟

وليس ذلك لعمره^(٦) كذلك! ولو كان الله الذي حجب قلوبهم وآذانهم عن

(١) في (ب): فيهـ.

(٢) في (ب): شـبـهـ.

(٣) في (أ): بـمـحـالـ وـبـاطـلـ وـشـبـهـ.

(٤) سقط من (ب): ما بين القوسين.

(٥) سقط من (ب): لعمرهـ.

ذلك، لم يبعث الرسول إليهم ! ولم يجتمع ببرهانه عليهم ! وكانوا عنده بتركهم ذلك معدورين، وكانوا على ذلك مثابين، إذ هم لما أرسل إليهم به غير مستطعين، وقد قال الله سبحانه: **﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾** [البقرة: ٢٨٦]، وقال: **﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا أَتَاهَا﴾** [الطلاق: ٧]. فكيف يكلفهم الإتيار، وقد أحجب قلوبهم عن الاعتبار، فتعالى الله عن ذلك العزيز الجبار، بل معنى قوله جل جلاله ذلك هو: إنكار عليهم لقوفهم الذي قالوا حين دعاهم الرسول إلى الحق، وترك ما هم عليه من الباطل والفسق، فقالوا له استهزاء وعبثًا: **﴿وَقَالُوا أَقْلُوْنَا فِي أَحْكَمَتِنَا تَذَعَّرْنَا إِلَيْهِ وَفِي أَذَانِنَا وَقَرْ وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنْنَا عَمِيلُونَ﴾** [الأنفال: ٤]، فقال الله سبحانه لنبيه صل الله عليه وآله وسلم، يمحكي قوله، ويرد كذبهم عليهم ^(١): **﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَحْكَمَتِنَا﴾** [الكهف: ٧]، يريد سبحانه: أثنا جعلنا على قلوبهم أكنة كما قالوا؟! وفي آذانهم وقرا كما ذكروا؟! بل الزور في ذلك قالوا، وبالباطل تكلموا.

فأراد بذلك معنى الإنكار عليهم، والتکذيب لهم والتقرير بكتابهم، وتوقف نسبهم صل الله عليه وآله وسلم على باطل قوله، وجليل ما أنروا به من عالمهم، فقال: **﴿إِنَّا﴾** وهو يريد: أثنا، فطرح الألف استخفاها لها، والقرآن فعربي، إلى النور والحق عادي، والعرب تطرح الألف من كلامها وهي تريدها، فيخرج لفظ ^(٢) الكلام لفظ إخبار ونفي، وهو تقرير وإيجاب، وتتبتها وهي لا تريدها، فيخرج لفظ الكلام لفظ شك، ومعناه: معنى خبر وإيجاب ^(٣)، في كل ما جاءت به من الأسباب.

(١) في (أ): عليهم فقال.

(٢) سقط من (ب): لفظ.

(٣) في (ب): والمعنى معنى [إيجاب].

من ذلك قول الله سبحانه: **«لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ»** (الباءات: ١)، وقوله: **«لَا أَقْسِمُ بِهَنْدَا الْبَلَدِ»** (البلد: ١)، فقال: **«لَا أَقْسِمُ»** وإنما أراد: لا أقسم، فخرج الآلف منها فخرج لفظ نفي، وهي قسم وإيجاب، وقال في عبده ونبيه يونس صل الله عليه: **«وَأَرْسَلْنَا إِلَيْنَا مِائَةً أَلْفِيْ أُوْزِيْدُونَ لِيَقُولُ»** (السافات: ١٤٧)، فأثبتت الآلف وهو لا يزيدوها، فخرج لفظ الكلام لفظ ^(١) شك، ومعنى: إيجاب وخبر، أراد سبحانه وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون على مائة ألف، فأراد بقوله: **«إِنَّا جَعَلْنَا»** التقرير لهم والتوفيق لنبيه على تكذيبهم ^(٢)، لا ما يقول الجاهلون إن خبر عن فعله بهم، لا ترى كيف يدل آخر الآية على أولها، من قوله: **«وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىْ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبْدَأْتَهُمْ»**، يقول: فإن ^(٣) كان الأمر على ما يقولون، وكنا قد فعلنا بهم شيئاً ^(٤) مما يذكرون، فلئن أرسلناك تدعوهם إلى المدى، وتزجرهم ^(٥) على الردى، لو كانوا كذلك، وكنا فعلنا بهم شيئاً من ذلك، ثم دعوهما إلى المدى فلم يطقو أن يهتدوا إذا أبدوا. إلا تسمع قوله: **«وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىْ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبْدَأْتَهُمْ»**، فقال: إذاً، يريد: إن كان ما يقولون علينا، مما ذكروا أنه على أبصارهم وأساعتهم وقلوبهم فعلاً ^(٦) مما بهم، فلن يهتدوا إذا أبدوا، كنا متعناهم بذلك عن الانتداء، فكيف نرسلك إلى من لا يستطيع أن يهتدى، ولا

(١) سقط من (أ): لفظ.

(٢) في (ب): كذبهم.

(٣) في (ب): إن.

(٤) سقط من (ب): شيئاً.

(٥) في (ب): أو تزجرهم.

(٦) فعلاً: منصوب لأنه مفعول مطلق.

يُفْلِحُ وَلَا يُقْتَدِي، هَذَا مَا لَا يَفْعَلُهُ بَكُ وَلَا يَهْمُ أَحَدٌ مِنْ الْخَلْقِ الْمُخْلُوقِينَ ! فَكَيْفَ
بِالله ذِي الْقُدْرَةِ أَرْحَمُ الرَّاحِينَ !!

(١٢٧) وَسَأَلَتْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَ اُغْلَمًا فَتَقْتَلَهُ ﴾ (الْكَهْفُ: ٧٤)
فَقَلَتْ: يَا اسْتَحْقَاقَ الْفَلَامِ الْقَتْلِ؟ وَقَلَتْ: إِنْ قَالَتِ الْمُجْرِبَةُ: إِنَّمَا اسْتَحْقَاقُ
الْقَتْلِ بِعِلْمِ اللَّهِ بِعَاقِبَةِ أُمْرِهِ، فَكَذَلِكَ (١) اسْتَحْقَاقُ الْكَافِرِ الْعَذَابِ بِعِلْمِ اللَّهِ لَا
بِأَعْلَمِ؟

فَسَبَّحَانُ مَنْ لَا يَعْذِبُ أَحَدًا لَا يَقْتَلُ وَلَا غَيْرُهُ مِنَ الْعَذَابِ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ فَعْلَمَهُ
لِسْبَبِ يَسْتَحْقَاقِهِ بِذَلِكَ كَائِنًا مَا كَانَ مِنَ الْأَسْبَابِ (٢)، وَأَمَّا الْفَلَامُ فَإِنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي
الشَّابَ الْبَالِغَ: غَلَامًا، وَتُخْتَارُ ذَلِكَ لِغَةٍ وَكَلَامًا، وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْفَلَامُ
الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضْرُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ غَلَامًا، قَدْ جَرَتْ عَلَيْهِ الْأَحْكَامُ وَالْأَدَابُ، فَقَتَلَهُ بِأَمْرِ
فَعْلَمِ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَوْجَبَ الْقَتْلَ عَلَى الْفَلَامِ فِيهِ، مَعَ مَا كَانَ فِيهِ (٣)، مِنْ سُوءِ
فَعْلَمِ وَرَأْيِهِ، وَنِيَّتِهِ فِي أَبْوِيهِ.

(١٢٨) وَسَأَلَتْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ: ﴿ لَا يَسْتَطِيُونَ سَمْعًا ﴾ (الْكَهْفُ: ١٠١)؟
فَهَذَا مِنْ اللَّهِ عَلَى طَرِيقِ الذَّمِ لَهُمْ، وَالْعِيبُ لِفَعْلِهِمْ، أَخْبَرَ سَبَّحَانَهُ أَنْ صَدَوْدِهِمْ
عَنِ الْمَنْتَهَا، وَقَلْةُ سَمْعِهِمْ لَهُ، فَعَالَ كَفَاعَالَ مِنْ لَا يَسْتَطِيُونَ سَمْعاً، وَالسَّمْعُ هَاهُنَا هُوَ:
الطَّاعَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، كَفْلَةٌ (٤) سَمْعٌ مِنْ لَا يَسْتَطِيُونَ طَاعَةً وَلَا سَمْعاً.

(١) فِي (١): وَكَذَلِكَ.

(٢) فِي (١): الْأَشْيَا، وَلَعِلَ الصَّرَابِ مَا أَبْتَثَ، وَسَقَطَ مِنْ (بِ): مِنَ الْأَسْبَابِ.

(٣) سَقَطَ مِنْ (١): فِي.

(٤) فِي (بِ): كَفُولَهُ، مَصْحَفَهُ.

١٣٩) سالت عن قول الله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَؤْيِّدًا﴾ (الكهف: ٥٢) فالمرفق فهو: الملائكة التي أويقنتهم، بمعنى ما قدموا من عملهم، وهو العذاب الذي صير لهم الله إليه، وأويقنتهم فيه، فشغلتهم مرافق الملائكة عن إخواتهم الفسقة، فهذا معنى ﴿مَؤْيِّدًا﴾.





تفسير سورة مریم



ومن سورة مرثية

(١٤٠) وسألته عن قول الله سبحانه، فيما يذكر عن نبيه ذكري عليه السلام: «فَإِنِّي حِفْتُ الْمَوْلَى مِنْ وَرَاءِي وَحَكَائِتُ أَمْرَتِي عَاقِرًا» (سورة: ٥٥؛ رقم: ٩).

قال: المولى فهم: العصبة الوارثون، قوله: «حِفْتُ» فهو: خفتهم على دينك أن يغطلك من بعدي، ويرفضوه بعد وفاتي، ولا يقومون بها أو صبتي به وأمرتني^(١)، فسأل ربه أن يهب له عقبا ولذا ذakra، يرثه حكمته وعلمه، ويرث حكمة آباه وأجداده آل يعقوب، فأجابه الله، فوهب له يحيى صل الله عليهما. ومعنى قوله: «حَكَائِتُ أَمْرَتِي عَاقِرًا»، فالعاقر^(٢): التي لا تلد.

(١٤١) وسألته عن قول الله سبحانه: «وَحَنَّاثًا مِنْ لَدُنَّا وَرَحْكَةً وَحَكَانَ تَقِيًّا» (سورة: ١٣؛ رقم: ٦).

قال: معنى قوله: «وَحَنَّاثًا مِنْ لَدُنَّا» هو: رحة وتحتنا عليك، ومعنى تحنن^(٣) فهو: تعطف^(٤) ورحمة، وإجابة وكرامة، «وَرَحْكَةً» فهو: زاكيا طاهرا، والتقي^(٥) فهو: المؤمن الخائف^(٦) لله التقي، ومعنى قوله: «مِنْ لَدُنَّا» من قيلنا وعندنا ومتنا.

(١) في (ب): أو صبتي وأمرتني به.

(٢) في (أ): والعاقر.

(٣) في (ب): حطفا.

(٤) سقط من (أ): الخائف.

(١٤٢) وسأله عن قول الله سبحانه: **﴿سَكَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُّدُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَذَادًا﴾** [مریم: ٩٧٩]

فقال: معنى **«سَكَلَّا»** فهو: بل، وهي كلمة تستعملها العرب فيها توجيه على أنفسها، ومعنى **«سَنَكْتُبُ»** فهو: سنحفظ ما يقولون ونخصبه، حتى نوقيه يوم القيمة عليه، ومعنى قوله: **«وَنَمُّدُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَذَادًا»** فهو: تمدد له من الإملاء مذا طويلاً، فسمى الإملاء هاهنا عذاباً، إذ كان إملاؤه له بها^(١) يزداد به إثماً، ويكتب^(٢) له عذاباً في الآخرة وخزيها، فلما أن كان الإملاء سبباً للعذاب، جاز أن يقول: **«وَنَمُّدُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَذَادًا»**.

(١٤٣) وسأله عن قول الله سبحانه: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُؤَزِّعُهُمْ أَرْجًا﴾** [مریم: ٩٨٣]

فقال: الإرسال من الله للشياطين على الكافرين هو: التخلية بينهم وبينهم، وترك الدفع لهم عنهم، ومعنى **«تُؤَزِّعُهُمْ أَرْجًا»** فهو: تخزيهم إخزاء، بما يكون منهم إليهم من الإطغاء، الذي به يصلون إلى عذاب الهون، والأرج فهوا كل ما كان من طريق الخزي والصغار، والهلكة والاذعار.

(١٤٤) وسأله عن قول الله سبحانه: **﴿وَسَخَمَ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْبٍ هُمْ أَحَسَّ أَنَّا وَرِئَاتًا﴾** [مریم: ٩٧٤]

(١) في (ب): لا.

(٢) في (ب): ويكتب.

يقول: نعمه ورياشا، والآيات ما يتفق به من الفرش والألة، وما يحتاج^(١) إليه،
الخلق في منازهم وديارهم. ومعنى **﴿رَءَى﴾** فهو: نعمة ومنظر، يقول: أحسن
منظراً، وأهيأ خلقاً منهم.

٤٤) وَسَأَلَتْ عن قول الله سبحانه: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَلَىٰ الْكُفَّارِينَ تَوْزِعُهُمْ أَرْبَاعًا فَلَا تَنْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّا نَعْذِذُ لَهُمْ عَذَابًا﴾**
(مر: ٨٢-٨٣)، فقلت: ما الحجّة في ذلك عليهم، ولم يعذبهم إذ كان هو المرسل لهم؟

فمعنى الإرسال من أرحم الراحرين، لمن ذكر أنه أرسله من الشياطين هو:
التخلية من الشياطين، والكفرة الفاسقين، وترك الحول بينهم وبينهم، لأن الله لا
يوقع الخذلان بأحد من عصاه من الإنسان، إلا من بعد تركه للطاعة والتقوى
والإيمان، ومن رفع عنه التوفيق والإحسان، وقع عليه ولزمه الخذلان، فاذته
الشياطين، **﴿وَمَنْ يَكُنْ أَشَدُ الشَّيْطَانَ لَهُ قَرِيبًا فَسَاءَ قَرِيبًا﴾** (البس: ٢٨)، والأز^(٢)
من الشيطان فهو: الإغواء والوسوسة للكافرين والتليلة من دلاه، أو قعده بغرور فيما
يريد. وهو من إدلة الدلو لهم فيها يكون به عذابهم يوم الدين.

فهذا معنى إرسال الله للشياطين، لا ما يتورهم عليه من ضعف من الجاهلين^(٣).

(١) في (أ)، (ب): يحتاجون. وما أثبت اجتهاد.

(٢) في (أ): والأذى. مصححة.

(٣) في (ب): **﴿أَلَرَرَأَتِي أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَلَى الْكُفَّارِينَ تَوْزِعُهُمْ أَرْبَاعًا﴾** قال: الإرسال من الله للشياطين
على الكافرين هو: التخلية بينهم وبينهم، وترك الدفع لهم بينهم. ومعنى **﴿تَوْزِعُهُمْ﴾** فهو: يجزيهم
أحزانه بما يكون منهم من الإطفاء، الذي به يصلون إلى عذاب المون. والأز فهو: كل ما كان من
طريق المخزي والصغار، والملائكة والإذعارات.

(٤٦) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿كَتَبْهُ عِصْمَهُ﴾، و﴿حَم﴾، و﴿الْرَّ﴾، وما أشبه ذلك من أول سور؟

واعلم - أعاننا الله وإياك على طاعته - أن هذه الأحرف أحرف لم يتبع الله أحداً فيها بأكثر من الإقرار بها، كَنَّ^(١) الله تفسيرها عن نبيه فضلاً عن غيره، ولو أطلع عليها نبيه، لاطلع عليها وصيه، ولو أطلع عليها وصيه، إذاً لعرفها علماء أهل بيته، فلما أنا^(٢) لم نجد ذلك مفسراً عن رسول الله عليه السلام، ولا اللغة المستدل بها، علمنا أن هذه الأحرف لم يكلف الله تفسيرها، إذ ترك اطلاع نبيه عليها^(٣)، غير أنه قد تكلم متكلمون، وخطب خابطون، بغير معرفة، ولا بصيرة نافية، تکمّلها منهم وعمني، فأنكرنا ذلك من فعلمهم، وكرهناه من عملهم، فحسبنا إن فزنا أن نقع في ما أنكرنا، ونصير إلى ما أنكرنا، فتركنا المنكر عندنا، لما بان من الصواب لدينا، فسأل الله العون على طاعته، والقيام بواجب حقه.

قول الله تبارك وتعالى: ﴿حَم﴾ حرف لم يتبع الله أحداً بعلمه، ليس فيه فرض من الله على عباده، ﴿الْكِتَبِ الْمُتَنَعِّثِ﴾ [الزخرف: ٢، الدخان: ٢]، فهو: كتاب محمد المبين، معنى المبين: بين الحق وبين الباطل.



(١) في (أ): كَنَّ. وكتب فوقها (كَنَّ) مصحفة. والصواب ما أثبت. والمعنى: أخفى.

(٢) في (أ): أن. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) أخرج ابن المنذر، وأبو الشيخ بن حبان في التفسير، عن داود بن أبي هند قال: كت أسأل الشعبي عن فواتح السور قال: يا داود إن لكل كتاب سراً، وإن سر هذا القرآن فواتح السور، فدعها وسَلْ عَيَا بِدَالِكَ الدر المثور ٥٩/١.



تفسير سورة طه



ومن سورة طه

(١٤٧) وسألته عن قول الله سبحانه، فبما يذكر عن نبيه موسى صل الله عليه، قال:

﴿قَالَ فَمَا حَطَبُكَ يَسْتَمِرُ ؟ ... إِلَى قَوْلِهِ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾

[ط: ٩٥-٩٧] (١)

فقال: هذه مخاطبة من موسى صل الله عليه للسامري، الذي أهلكبني إسرائيل من بعد موسى، ومعنى قول السامري: «بَصَرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ» ي يريد: رأيت ما لم يروا، ومعنى «فَتَقْبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثْرِ الرَّسُولِ» فهي: قبضة تراب من أثر جبريل، رمى بها السامري في الذهب الذي جمعه، ثم عمله عجلان، فدخل الشيطان في العجل فخار هم، فقال السامري ما قال من الكفر بسبب العجل، إلى أنه إله بنى إسرائيل، فهذا الذي سُؤلَتْ له نفسه، ووسر له به الشيطان، فقال له موسى صل الله عليه: «أَذْهَبْ قِيرَتَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولُ لَا مِسَاسٌ» ي يريد موسى صل الله عليه: إنك تستطيع بما جعل الله فيك من الاستطاعة أن تقول: ذلك، لا أنه أمره ^(١) به، والم SAS فهي: المصادفة والمعاشرة، فأخبره صل الله عليه أنه يستطيع أن يقول إن أراد أن لا يحل بكم، أن يسلم بعضاً لكم على بعض، ولا يعاشر بعضاً بما جعل الله فيه من الاستطاعة على ذلك، فقال صل الله عليه: أنت تقدر أن تقول ذا وتفعله لو أردت، وتعن منه لو شئت، وهو شيء بين

(١) كمال الآية: «قَالَ بَصَرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَتَقْبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثْرِ الرَّسُولِ فَتَبَدَّلَتْ لَكَ سُؤْلَتْ لِي نَسْفِي ^(٢) قَالَ فَأَذْهَبْ قِيرَتَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولُ لَا مِسَاسٌ فَإِنَّ لَكَ مَزْعِدًا لَنْ شَخْلَفَةً وَأَنْظِرْ إِلَيْكَ الْهَمَّ الَّذِي طَلَّتْ عَلَيْهِ عَاصِفَةً لَنْ خَرَقَتْهُ لَنْ نَسِيفَةً».

(٢) في (ب): أمر به.

الناس من أحس ما يكون من العمل، الذي يعرفونه ويفهمونه بينهم، فكيف لا تقدر أن تأمرهم بها لا يفعلونه من عبادة هذا العجل، الذي جعله إلها، فطلت عليه عاكفا، ومعنى **«ظلتَ عَلَيْهِ»** فهو: ظلت له عابدا، **«عَاصِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ»** يقول: لنطرحنه في النار حتى يذوب ويختنق، **«لَمَّا لَتَسْقَنَّهُ فِي الْأَيْمَةِ نَسْقَنَا»**. وإنما أراد بإحراقه صل الله أن يخبر السامي ومن أطاعه، أن هذا شيء ذليل يحرق وينسف في البحر، فكيف يجوز أن يكون من يفعل به هذا ولا يتصر للخلق إلها؟! هذا لا يكون أبدا، ولا يتوهمه إلا غير ذي هدى !!

(١٤٨) وسألت عن قول الله تبارك وتعالى هارون وموسى عليهما السلام: **«أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۚ قَوْلًا لَمْ قَوْلًا لَتَبَّأْ لَعْنَهُ يَتَنَحَّكُ أَوْ يَعْتَشِنِي ۚ**» [٤٢: ٤٤-٤٥]، فقال: ما معنى قوله: **«لَعْنَهُ»**? ولعله لا يقع إلا شاك، لا يحيط بما يريد علمه؟!

قلنا له^(١): جهلك باللغة دلاك في جور الجهالة، ألا ترى أن العرب، يقول قائلها لغلامه: خذ هذه الدنانير، عساك أن تشتري بها طعاما لنا، ويقول: خذ هذا الطعام عساك أن تأكله، وهو يعلم إذا ذهب بالدنانير أن يشتري بها طعاما أنه سيشتريه، وأنه إذا أخذ الطعام أنه سياكله، فقال: لعل، وهو يعلم أنه سيفعل، فعل ذلك يخرج معنى قول الله **«لَعْنَهُ»** في لغة العرب^(٢).



(١) في (أ): فيقال. وظنن عندها بما أثبتت ولمله الصواب.

(٢) سقط من (ب): هذا السؤال والجواب.



تفسير سورة الأنبياء



ومن سورة الأنبياء

(١٤٩) وسأله عن قول الله سبحانه: **﴿وَذَا الْتُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْنِضِيًّا فَلَمْ يَأْنِ أَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾** [الآيات: ٨٧]

قال: أما ذو التون فهو: يونس، وأما التون فهو: الحوت، وأما قوله: **﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْنِضِيًّا﴾**، فإنما كان ذهابه غضبا على قومه، واستعجلًا منه دون أمر ربه^(١)، لا كما

(١) أخرج ابن جرير، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن ابن عباس في قوله: **﴿وَذَا الْتُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْنِضِيًّا﴾** يقول: غضب على قومه **﴿وَذَا الْتُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْنِضِيًّا﴾** يقول: أن لن تقضي عليه عقوبة ولا بلاء فيما صنع بقومه في غضبه عليهم وفرازه. قال: وعقربيه أخذ التون إيه. وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن الفصحاكي في قوله: **﴿وَذَا الْتُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْنِضِيًّا﴾** قال: مغاصب القومه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن ابن عباس رضي الله عنها في قوله: **﴿فَلَمْ يَأْنِ أَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾** قال: ظن أن لن ياخذه العذاب الذي أصابه. وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: **﴿فَلَمْ يَأْنِ أَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾** قال: ظن أن لن نعاقبه بذلك.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن عطية في قوله: **﴿فَلَمْ يَأْنِ أَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾** قال: أن لن تقضي عليه.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن الفصحاكي في قوله: **﴿فَلَمْ يَأْنِ أَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾** يقول: ظن أن الله لن يقضى عليه عقوبة ولا بلاء في غضبه الذي غضب على قومه وفرقه إياهم.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله عنها قال: لما يonus قومه أرخن الله إليه أن العذاب يصبعهم فقال لهم، فقالوا: ما كلب يونس ولصبعنا العذاب، فتمالوا حتى نخرج سخال كل شيء فنجملها مع أولادنا لعل الله أن يرحمهم. فأنخرجو الشاء مع الرولدان، وأنخرجو الإبل مع

فصلتها، وأخرجوا البقر مع عجاجيلها، وأخرجوا النثم مع سخالما فجعلوه أمامهم، وأقبل العذاب ... فلما رأوه جاؤوا إلى الله ودعوا، ويكن النساء والولدان، ودرخت الإبل وفصلتها، وخارت البقر وعجاجيلها، وتنت النثم وسخالما، فرحمهم الله نصرف ذلك العذاب عنهم، وغضب يونس فقال: كنبت، فهو قوله: «إِذْ دَهَبَ مُغَنِّطِي» نمضي إلى البحر، وقوم رست سفيتهم فقال: أحلوني معكم فحملوه، فأخرج الجمل فابرا أن يقولوه منه فقال: إذاً أخرج عنكم. فأقبلوه، فلما جلت السفينة في البحر أخذتهم البحر والأمواج، فقال لهم يونس: اطربونني تنجو. قالوا: بل نمسك تنجو. قال: فسامحوني - يعني: قارعني - فسامحوه ثلاثة فرقت على القرعة، فأوحى على سمكة يقال لها: النجم، من البحر الأخرس، أن «شق البحار حتى تأخذني يونس، فليس بونس لك رزقا ولكن يطنك له سجن، فلا تخديني له جلدا ولا تكرري له عطلي»، فجاءت حتى استقبلت السفينة، فقارعوه الثالثة فرقت على القرعة فاتحتم الماء، فالقتمه السمكة فشقت به البحار حتى انتهت به إلى البحر الأخرس. الدر المثمر ٥ / ٦٦٥ - ٦٦٧.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وأحد في الزهد وعبد بن حيد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن بونس عليه السلام كان وعد قومه العذاب، وأخبرهم أنه يأتיהם إلى ثلاثة أيام، ففرقوا بين كل والدة وولدها، ثم خرجوا، فجاءوا إلى الله، واستغفروا، فكفت الله عنهم العذاب، وغدا بونس عليه السلام يتضرع العذاب، فلم يرب شيئا، وكان من كذب ولم يكن له بيتة قبل. فانطلق مغاضبا، حتى أتى قوما في سفينة، فحملوه وعرفوه، فلما دخل السفينة ركبت، والسفينة تسير بعينها وشملا، فقال: ما بال سفيتكم؟ قالوا: ما ندري أ قال: ولكنني أدرى. إن فيها عبادا أبقى من ربها، وإنها والله لا تسير حتى تلقوه، قالوا: أما أنت والله يا نبى الله فلا نلقيك. فقال لهم بونس عليه السلام: افترعوا فمن قرع فليقع، فاقترعوا فقرعوا بونس عليه السلام ثلاث مرات، فوقع قود وكل به الحوت، فلما وقع ابتلعه، فأموري به إلى قرار الأرض، فسمع بونس عليه السلام تسبح الحصى «فَكَانَتِي فِي الْأَطْلَسِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْ شَهَدْتَ إِنِّي حَكَمْتُ بِنَّ الْأَطْلَسِ» [الأيات: ٨٧]، قال: ظلمة يطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، قال: «فَتَبَلَّهَ بِالْأَسْلَ، وَقَوَّيْتَهُ» [٩]، قال: كهينة الفرج المعروط الذي ليس عليه ريش، وأثبت الله عليه شجرة من يقطعن، فكان يستظل بها ويصيغ منها. الدر المثمر ٧ / ١٢٣ - ١٢٤.

يقول الجهلة الكاذبون على أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم^(١)، من قوله: إن يonus خرج مغاضباً لربه، وليس يجوز ذلك على أنبياء الله صلوات الله عليهم، وإنما كان ذلك كما ذكرت لك من غضبه على قومه، ومقارنته لهم واستعجاله دون أمر رب، وهو قوله سبحانه لمحمد صل الله عليه وآله وسلم: **﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُرُوتِ﴾** [القلم: ٤٨]، وهو يonus، يقول: لا تعجل كمحله، واصبر لأمر رب طاعتي ولا استعجل كاستعجاله، فهذا معنى قوله: **﴿إِذْ دَهَبَ مُغَاضِبًا﴾**، وقوله: **﴿فَقَطَنَ أَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾**، أراد بذلك من قوله: **﴿فَقَطَنَ﴾** أي: أنظن أن لن نقدر عليه؟ وهذا على^(٢) معنى الاستفهام، ويمكن حلها على لفظ المعني، ومعنى **﴿نَقْدِرَ﴾** أي: نضيق، كما في قوله تعالى: **﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رَزْقَهُ﴾** [النور: ١٦]، لم يكن ظن ذلك صل الله عليه، وهذا مما احتججنا به في الألف، التي تطرحها العرب وهي تحتاج إلى إثباتها، وتثبتها في موضع وإن لم تفتح لها، مثل قوله: **﴿لَا أَقْسِمُ﴾** [القيمة: ١، البلد: ١]، وإنما أراد: ألا أقسم، وقوله: **﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾** [الفرقان: ١٨٤]، وإنما أراد: على الذين لا يطيقونه فدية، فطرح الألف وهو يريدها.

ومن ذلك قول الشاعر:

نزلتم منزل الأضياف منا فعجلنا القمرى أن تشتمونا^(٣)
 وإنما أراد: لأن لا تشتمونا، فطرح الألف واللام وهو يريدها^(٤)، ومثل هذا كثير في الكتاب، وهي حروف الصفات.

(١) سقط من (أ): صلوات الله عليهم.

(٢) سقط من (أ): على.

(٣) سبق تحريره.

(٤) في (أ): الألف وهو يريدها. وسقط من (ب): وهو يريدها.

فلم يار يونس عليه السلام في السفينة، وركب أهلها واستقلت بهم، وطابت الريح لهم، أرسل الله حوتا فحبس السفينة فلم تحيز، فعلم القوم عند احتباسها أنها لم تخبس بهم، إلا بأمر من الله قد نزل بهم، فشاروا القوم بينهم، وتراجعوا القول في أمرهم، وما قد نزل بهم وأشفقوا، فقال لهم يونس: يا قوم أنا صاحب العصية، وسيبيني حبت بكم السفينة، فإن أمكنكم أن تخربوني^(١) إلى الساحل فافعلوا، وإن لم يمكنكم ذلك فالقوفي في البحر وامضوا، فقال بعضهم: هذا صاحبنا، وقد لزمنا من صحبه ما يلزم الصاحب لصاحبه، وليس يشبهنا^(٢) أن نلقى في البحر، فتلتف فيه على أيدينا، ونسلم نحن، ولكن هلموا نستهم، فمن وقع عليه السهم ألقيناه في البحر، فتساهم القوم فوق السهم على يونس، ثم أعادوا ثانية فوق السهم عليه، ثم أعادوا ثالثة فوق السهم على يونس، فرمى بنفسه البحر، فالتقىه الحوت ومعنى في البحر، فكان يونس عليه السلام ينظر إلى عجائب البحر من بطئ الحوت، وجرت سفينة القوم بهم.

قال: ولبث يونس في بطئ الحوت ما شاء الله من ذلك، فأسمط^(٣) شعره وجلدته، حتى يقي لحمه، ومنع الله منه الموت، فلما علم الله توبته، وقد نادى بالitoryة «أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي حَنَّتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾» [الإيات: ٨٧] فاستجاب الله^(٤) له وقبل توبته، ورحم فاقته، وأرسل ملكا من الملائكة، فساق ذلك الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر، فألقى يونس من بطنه، وقد ذهب شعره

(١) في (أ): تخربوا.

(٢) يعني: يحسن بنا.

(٣) أي: ذهب وتفش.

(٤) سقط من (ب): الله.

وجلده، وذهب قوته، فرد الله^(١) جسمه على ما كان عليه أولاً، من تمام صورته، وحسن تقويمه، وأنبت الله له شجرة اليقطين - وهي الدبا - فكان يأكلها، فلما اشتدت قوته، واطمأن من خوفه وإشفاقه، أرسله الله إلى قومه، وكانوا في ثلاث قرى، فمضى إلى أول قرية فدعاهم إلى الله وإلى دينه، فأجابه نصفهم أو أكثر من النصف، وعصاه الباقون فسار بين أطاعه إلى العصاة لأمره، فحملهم عليهم وقاتلهم فقتلهم وأبادهم، ثم سار إلى القرية الثانية فدعا أهلها وأعذر إليهم وأنذرهم، فأجابه منهم طائفة، فحمل المطبع على العاصي فقتلهم وأبادهم، ثم سار إلى القرية الثالثة، وكانت أعظم القرى وأشدتها بأساً ومنعة، فدعاهم إلى الله وأعذر إليهم وأنذرهم وحذرهم ما حل بآخواتهم، فلم يجدهم أحد واستعصموا على كفرهم، فسار إليهم وخرجوا إليه، فحاربهم فلم يقدر عليهم، فلما كان بعد وقت، وعلم الله منه الصبر على ما أمره به من طاعته، والإعذار إلى خلقه، أمر الله جبريل صلوات الله عليه فطرح بينهم ناراً، ثم أرسل الله الرياح فأذرت النار عليهم، وعلى منازلهم ورجالهم، فأحرقهم جميعاً ودمتهم، فهذا ما سألت عنه من خبر يونس عليه السلام.

١٥٠) وسألته عن قول الله سبحانه: «فَلَمَّا أَخْسِرُوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكَضُونَ ﴿١﴾ لَا تَرْكَضُوا وَأَرْجِعُوكُمْ إِلَى مَا أَنْزَقْنَا فِيهِ وَمَسْكِكُمْ لَنَلَكُنْ تُشْلُونَ ﴿٢﴾» الآيات: [١٢-١٣]؟

فقال: هذا إخبار من الله بما كان من الكافرين المجترئين^(٢) عليه، عند نزول

(١) في (أ): الله عليه...

(٢) في (ب): المجرمين. مصححة.

العذاب عليهم، وأنهم لما أيقنوا به هربوا^(١) من القرية، وولوا مدبرين في الأرض هاربين، فأخبرهم الله أنهم^(٢) لن يطni عنهم ركضهم ولا هربهم، وأن العذاب يلحقهم وبأخذهم، فقال: «أَرْجِعُوكُمْ إِلَى مَا أَتَرْفَقْتُمْ فِيهِ»، يزيد: ارجعوا إلى الأموال والنعم التي أترفقتكم وأطفقتكم وأشرتكم، وللمساكن التي ضنست بمقارتها، وعصيتم رسلينا، وتركتم الجهاد في سبيل الله، عبة لها، وتونقا^(٣) إليها، «أَنَّكُمْ شَتَّلُونَ» يقول: لعلكم توقفون على ما كتمن تنكرون وتدفون، وبه تكشفون، من نزول العذاب عليكم، إذ قد نظرت وهو^(٤) عياناً، وأبصرت وهو صراح.

١٥١) وسألته عن قول الله تبارك وتعالى: «وَتَبَلُّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً فِي الْأَيَّامِ تُرْجَعُونَ»^(٥) (الآيات: ٣٥-٣٦)

قال: معنى قوله: «أَنْبَلُوكُمْ» هو: نمتحنكم، فنتظركيف صبركم على المحنة.

قلت: فما الشر الذي امتحن الله به المؤمنين؟

قال: أشياء كثيرة، منها: موت الآباء والأولاد، وفرق الأحبة والأولاد، ومثل ما يأتي من عند الله من التوازل على جميع العباد، فمن صبر على ذلك جازاه الله عليه، ومن جزع وأعرض لم يغنم ذلك عنه، وكان عند الله مائوماً معاقباً.

١٥٢) وسألت عن قول الله سبحانه: «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَئْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ»^(٦) (الآيات: ٩٨-٩٩)

(١) في (ب): وهربوا.

(٢) في (ب): أنه.

(٣) في (ب): وتونقا، مصححة.

(٤) في (ب): رأيسوه.

نهذا إخبار من الله سبحانه أن كل مَنْ عَبَدَ مِنْ دون الله أحداً، وكان المعبود من دون الله راضياً بذلك من فعل العابدين، فإنه ومن يعبده حصب جهنم، و«حَصَبُ جَهَنَّمَ» هو: حطبهما ووقدوها.

﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ يريده: أنتم إليها صاثرون، وفيها داخلون. والعبادة فقد تكون على معنيين: ف منها: عبادة ربوية.

ومنها: عبادة سمع وطاعة واستقامة من المأمور لأمر الأمر.

فأما عبادة الربوية فهو: مثل من قد عبد النجوم، وعبد المسيح وعبد العزيز، وعبد اللات والعزى، وودا وسواها ويفوت ويعوق ونسرا^(١)، فهو لا يعبدهم من بعدهم عبادة ربوية، يتذذلونهم آلة من دون الله، يتقررون بعبادتهم في قوهم إلى الله، ولا يعبدون الله إجلالاً - زعموا - وإعظاماً من أن يعبدوه، فاتخذوا هؤلاء أرباباً من دون الله، يعبدونهم لكرهم، وضلالهم وغיהם وإفكهم.

وعبادة الطاعة والاستقامة، مثل عبادة من أطاع إبليس، فنهاهم الله عز وجل

(١) أخرج ابن جرير، وأبن المنذر، عن ابن عباس «لَا تَنْذِلْنَا إِلَيْكُوكُلَّ نَذِلَّنَا وَلَا سُرْكُوكُلَّ سُرِّوكُوكُلَّ يَنْجُوكُوكُلَّ يَمْجُوكُوكُلَّ وَكَنْكَرُوكُوكُلَّ»، قال: هذه أصنام كانت تعبد في زمن نوح.

وأخرج البخاري، وأبن المنذر، وأبن مردويه، عن ابن عباس قال: صارت الأصنام والأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ودة فكانت لكتب بدومة الجندل، وأما سراعة فكانت لذيل، وأما نسر فكانت لخمير لآل ذي الكلاح، وكانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أرسى الشيطان إلى قرمهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنساباً وسموها بأسمائهم، فجعلوا قلماً تبعد حتى إذ هلك أولئك ونُسخ العلم عبدت. الدر المثور ٨/٢٩٣.

عن عبادته، وهي: عن طاعته، وذلك قوله سبحانه ^(١): **﴿أَلَمْ أَعْهَدُ إِلَيْكُمْ بَيْتَنِي
هَذَا أَنَّ لَا تَعْبُدُوا الْشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُذَّابٌ مُّبِينٌ ﴾** وَإِنْ آتَيْنَاكُمْ هَذَا صِرَاطًا
شَرِيفًا ^(٢) [س: ٦٠-٦١]. والشيطان - لعنه الله - لم يعبد أحد من الناس عبادة
ربوبية، وإنما عبادتهم له فيما نهاهم الله عنه في الطاعة له فيما يأمر به ويوسوس لهم،
وذلك معنى قول الله سبحانه هاهنا: **﴿وَإِنْ آتَيْنَاكُمْ نَّيْرًا ﴾** ي يريد: أطيعوني ولا تطيعوا
إبليس اللعين. فهذا ^(٣) معنى قوله، وما سالت عنه من قول الله: **﴿إِنْكُمْ وَمَا
تَعْبُدُونَ مِنْ ذُرْتِ اللَّهُ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَأَرْدُونَ ﴾** [الآلية: ٩٨].

١٥٢) سالت عن قول الله سبحانه: **﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّئَةَ الْحُسْنَى
أُوذِنِكَ عَنْهَا مَبْعَدُونَ ﴾** [الآلية: ٩١-٩٢]

(معنى قوله سبحانه: **﴿سَبَقَتْ لَهُمْ مِّئَةَ الْحُسْنَى﴾**) ^(٤) هو: وجوب لهم منا
الحكم بالحسنى في دار الدنيا، وتقدم لهم منا في حياتهم الدنيا ووجوب الوعد
بالحسنى، والحسنى فهي: الشواب والرحمة، ووجوب المغفرة، ورفع الدرجة،
﴿أُوذِنِكَ عَنْهَا مَبْعَدُونَ﴾، يخبر أن هؤلاء الذين قد وجوب لهم من الله في الدنيا ما
وجوب من الحسنى عنها مبعدون، وهي النار نعمود بالله من النار.

والذين سبق لهم هذا من الله في حياتهم، ووجوب لهم منه الوعد الصادق في
دنياهم وأخرتهم ^(٥)، فهم المؤمنون بالله والعارفون به، المثبتون لعدله وتوحيده،

(١) سقط من (ب): سبحانه.

(٢) سقط من (ب): فهذا...

(٣) سقط من (ب): ما بين الفرسين.

(٤) في (ب): والذين سبق لهم من الله هنا في الدنيا والأخر فهم...

القائلون يصدقون وعده ووعيده، والعارفون يفضلون الجهاد في سبيله، الموالون^(١) لأولئك، والمعادون لأعدائهم، المؤدون لجميع فرائضه، القائمون بطاعته، التاركون لعصيته، المستقيمون على واضح سبيله، رحمة الله ورضوانه عليهم^(٢)، ونسأله أن يجعلنا في حكمه كذلك، وأن يرزقنا برحمته ذلك، وأن يفعل بنا ما يفعل بأولئك، إنه ولِّي حيد.

١٥٤) وسئل عن قوله تبارك وتعالى: **﴿أَوْلَمْ يَرَ أَلَّدِينَ كَفَرُواً أَنَّ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَكَانَا رَبَّنَا فَتَفَتَّهُمَا﴾** [الإسراء: ٢٠] فقال: كيف كانتا مرتقبتين وما الرتق، وكيف فُتقتا وما الفتق؟

قيل له: إن الله تبارك وتعالى الخالق لكل شيء، والمصور له والمدير، خلق الماء والماء والنار والرياح، فابتدع هذه الأشياء الأربعية ابتداعاً، وانتزع تكوين تصويرها انتزاعاً، من غير ما أصل كان موجوداً مع الواحد الرحمن، بل هو الواحد الأحد، الموجد لكل جيد ما يوجد، فخلق تبارك وتعالى هذه الأشياء طبائع مختلفة، متضادة غير ممتدة، فجعلها أصولاً لكل ما خلق وبراً^(٣)، وهذا المعنى الذي به تكلمنا ذكر ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه لنا قال: فلما أن خلق الله تبارك وتعالى الماء والرياح أوحى إلى الرياح بأن تصفق وتبيح غوارب الماء وأمواجها، فتهيجت أمواجها، وزعزعت ساكنته، فازتدت غواربها فتراكم زبده، وعظم أمرها، ثم أوحى إلى النار فأحرقت ذلك الزبد، فثار منه دخان، فصعد الماء، وفقي حرقة الزبد، فخلق الله السماوات من ذلك الدخان، كما قال سبحانه: **﴿لَمَّا**

(١) في (أ): المؤلون.

(٢) سقط من (ب): رحمة الله ورضوانه عليهم. وسقط ما بعده.

(٣) هذه نظرية الطبائع الأربع، أو أصول الأشياء وهي كما ذكر: الماء والماء والنار والرياح.

أَسْتَوْيَ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ أَتَيْتَا طَرْعَةً أَوْ كَرْمًا فَقَالَتْ
أَتَيْتَا طَبَاعِينَ^(١) » (صلت: ١١١).

فقد يمكن أن يكون معنى قوله: «فَتَقْتَنَتْهُمَا» فهو: ميزناهما من أصل واحد، وخلقناهما فجعلنا السماء من دخان ذلك الشيء، والأرض من حائلته، فهذا عندي أحسن ما أرى فيه من القول، والله سبحانه أعلم، وبذلك جل جلاله أحکم، ولا أنوهم أنه يصح في قوله^(٢) خلاف هذا، يثبت على المطالبة، ويمكن في الماظرة، (ويمتنع على من رام إفساده من الفساد، وبين رشه إن شاء الله لمن أراد الرشاد^(٣)).

(١) قال الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: أنشأ الخلق إنشاء، وأبتدأه ابتداء، بلا رؤية أجاثها، ولا تجربة استفادتها، ولا حرفة أحدثتها، ولا هامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولاتم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها، وألزمها أشباعها، علىَّها قبل ابتدائهما، محظيا بحدودها وانتهاها، عارفا بفترانها وأحناها. ثم أنشأ - سبحانه - فتن الأجراء، وشق الأرجاء، وسكاكن الهواء، فأجرى فيها ما مثلاطياً تيارها، متراكماً زخاره. حلَّ على متن الريح العاصفة، والزعزع الفاسقة، فأمرها بردده، وسلطها على شده، وقرنها إلى حده. الهواء من تحتها فنيق، والماء من فوقها دقيق. ثم أنشأ سبحانه ريجاً اعتقم مهبها، وأداماً مربها، وأعصف عبرها، وأبعد منتها، فامرها بتصفيق الماء الزخار، وإثارة موج البحر، فمخضته خض السقا، وعصفت به عصفها بالفضاء. ترد أوله إلى آخره، وساججه إلى مائه، حتى عب عبابه، ورمي بالزيرد ركامه، فرفقه في هواء منتفق، وجو منتفق، فسوى منه سبع سموات، جعل سفلاهن مرجاً مكفوغاً، وعلياهن سقفاً محفرظاً، وسمكاً مرفوعاً، بغير عمد يدعها، ولا دمار ينظمها. ثم زينها بزينة الكواكب، وضياء الشواقب، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً، وقمراً منيران في ذلك دائراً، وسفف سائر، ورقيم ماء. نهج البلاغة (١.١). / ٤٠ - ٤١.

(٢) في (ب): يصح قوله.

(٣) سقط من (ب): ما بين القوسين.

١٥٥) وسئل صلوات الله عليه عن قول الله سبحانه: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الإسراء: ١٠٠].

قال: أولئك المتجبرون على الله، الفراعنة والطواويق، والكافرة والعفاريت، الذين أضلوا عباد الله، واتخذوهم^(١) خولا، واستولوهם على عبادتهم، بزخرف الدنيا، والعبادة ها هنا فهي: ^(٢) الطاعة، فأخبر الله أنه من مات من أولئك فإنهم^(٣) خالدون في جهنم، لهم فيها زفير، والزفير فهو: التأوه والرجوع والكرب في التأمل للعذاب، قوله: ^(٤) «وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ» فإنها هو: لا يسمعون صوت بشارة، كما يشير المؤمنون، ولا صوتا لهم فيه سرور، ولا فرح ولا خير، فاما سمعهم في جهنم فحديد، وبلا ظهر في كل يوم فجديد.



(١) في (١): واتخذوه.

(٢) في (١): هي.

(٣) في (١): إيم.

(٤) في (١): هؤلاء.



تفسير سورة الحج

ومن سورة الحج

(١٥٦) سألت عن قول الله سبحانه: «وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّئَةً تَعْدُونَ» (الحج: ٤٧)

المعنى في ذلك: فهو إخبار من الله سبحانه عن نفاذ قدرته، وإمساك مشيته، وسرعة فعله، يخبر سبحانه أنه يُنفَذُ في يوم واحد ما ينفذه جميع الخلق إذا اعتنوا عليه في ألف سنة من حاسبة المحاسبين، وتوقف الموقفين على ما تقدم من أعمالهم في دنياهم وحياتهم.

فهذا معنى ما عنه سالت من قول الله سبحانه: «وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّئَاتَ عَدُونَ».

(١٥٧) سألته عن قول الله سبحانه: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا وَإِذَا تَمَنَّى أَقْرَى الْشَّيْطَانُ فِي أَمْبِيلِهِ فَيُنَسِّخَ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ لَمَّا بُحْكِمَ اللَّهُ مَا يَتَمَّمَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (الحج: ٤٨)

قال: معنى قوله: «إِذَا تَمَنَّى» فهو: إذا قرأ.

ومعنى أمنيته فهي: قراءته.

ومعنى إلقاء الشيطان: وسوسته التي يشغل بها القارئ حتى تختلط عليه قراءته. ومعنى نسخ الله لما يلقي الشيطان فهو: إذهابه له من قلب القارئ بعد وقوعه فيه،

وشغله به، (حتى يفرغ القلب لقراءته، ويرجع إلى ما كان في بُدُّ أمره)^(١).

ومعنى **﴿بُحْكِمَ اللَّهُ أَبَيْتِهِ﴾** فهو: يبتها في قلوب أولياءه.

١٥٨) وسألة عن قول الله سبحانه: **«أَنْ لَنْ يَنْصُرْهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلَيَمْدُدْهُ بِسَبِّ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعَ فَلَيَنْظُرْ هَلْ يُدْعِهِنَّ كَيْدَهُ مَا يَعْيَطُ** ﴿١٤﴾

[الحج: ١٤]

فقال: يريد سبحانه بذلك التوفيق لمن كان شاكاً في نصر الله لنبيه، وإعلامهم أنه لا يغنى كيدهم في نبي الله شيئاً، فضرب لهم هذا المثل، يقول: من كان شاكاً في أمره، حاسداً له مفتاظاً عليه، فليمدد بسبب إلى السماء إن قدر على ذلك، **﴿ثُمَّ لِيَقْطَعَ﴾**، ومعنى **﴿لِيَقْطَعَ﴾** فهو: يتقدّم ما قدر عليه من كيده لرسول الله صلى الله عليه وأله وسلم، ثم لينظر هل يذهب ذلك الفعل إن قدر عليه، وهذا الكيد الذي يكيد به رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم ما يغطيه من أمر النبي صلى الله عليه وأله وسلم ويغمه، ولن يقدر لو فعل ذلك، فأئن له^(٢) على إذهاب شيء مما يغطيه من أمر رسول الله^(٣) صلى الله عليه وأله وسلم! إذ السبب الذي غاظه منه هو من الله سبحانه، عطاه لنبيه وكرامة وإحساناً منه إليه ورحمة، فلن يزيله كيد كائد، ولا عناد معاند.

١٥٩) [سألت] عن قول الله تبارك وتعالى: **﴿وَيَقْرِئُ مُعَطَّلَةً وَقَصْرَ مَشِيدَ﴾**

[الحج: ٤٤]

(١) سقط من (ب): ما بين القوسين.

(٢) في (أ): ونانه.

(٣) في (أ): رسوله.

قال: البتر والقصر في اليمن في أرض السهل، في موضع عمار بن ياسر، قال أحد بن بريه في موضع يقال له: هكر^(١).

قال عيسى بن الحسين صلوات الله عليه: إن قال أحد من أهل الفضلال، وأهل الزبغ في المقال، من الملحدين الفسقة الجهال، فقال: حَبْرُونَا^(٢) عن قول الله تبارك وتعالى: «يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلُكُمْ فَاتَّسَمُوا لَهُ ... إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌّ عَزِيزٌ»^(٣) [الحج: ٧٤-٧٥] كيف ذكر الله هاهنا مثلاً ثم^(٤) لم يأتا به؟!

(١) قال في هامش (١): نكحة: أحد بن عبد الله من قهاء وعليه الزيدية، والذي أحفظه: محمد بن برية، وكان مقتلياً بثأفات، وقتلته الحسين بن القاسم !!! وهو القائل للمعيد، وهو رجل خرج من الديار المصرية وتوجه إلى اليمن، وأطاعه كثير من أهله، ودخل إلى صنعاء في عشرة آلاف من هداياه وغيرهم، فقال للمعيد: يا مولاً [ي] نحن بقرب هاد فلان حركت بنا في حرثه والأعلمن حكم ذلك عنه سلم اللحجي، وإن لم يكن مصححاً فلعله آخره. وهكر المذكور يبلاد عدن، وهو من مساكن ملوك حمير، وفيه يقول بعضهم:

وَمَا هَكَرَ مِنْ دِيَارِ الْمُلُوكِ بِدِيَارِ هُرَانِ وَلَا الْأَهْجَرِ

ثُمَّ متقرلة يخط السيد العلامة صارم الدين إبراهيم بن عبد الوزير رحمه الله.

أقول: وقد ذكره الحسن عبد الحمداني في صفة جزيرة العرب والإكيليل، قال عققه: وهكر في الشرق الجنوبي من مدينة ذمار بمسافة نصف مرحلة، وتصف نساء هكر بالجهال حتى اليوم. قال أمره القيس:

مَا خَسِيَّانِ مِنْ طَبَاءِ تَبَالَةٍ عَلَى جَوَذِرِينِ أَوْ كَبْعَضِ دَمِ هَكَرِ
صَفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ / ١٥٢

(٢) الآياتان: «يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلُكُمْ فَاتَّسَمُوا لَهُ ... إِنَّ اللَّهَ لَنِ
يَلْفُظُ أَذْنَابَهَا وَلَوْ تَجْتَنَّهُوا لَهُ وَإِنَّ مَنْتَهُمْ أَدْهَمَ أَذْنَابَهُ
لَا يَسْتَقْدِرُهُمْ بِئْتَهُمْ أَذْنَابَهُ شَيْئاً لَا يَسْتَقْدِرُهُمْ بِئْتَهُمْ أَذْنَابَهُ
وَالْمُقْتَلُوبُ»^(٥) [ما قاتلوا الله حقاً فلديه إن الله لغوي عزيز]^(٦).

(٣) في (١): لذكر مثلاً ...

قيل للكافر الملحد: إن المثل لم يضر به^(١) فيأتي به، وإنها تَبَرُّ عن جهل مَنْ ضربه، وهم الذين ضربوا الله الأمثال، وجعلوا له الأنداد^(٢)، وعبدوا من دونه الأصنام، فأخبر سبحانه عن تلك الأصنام^(٣)، التي جعلت له مثلاً، وغُيِّدت مع الله، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُنْيَا اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ﴾ ثم قال: ﴿ضَعُفَ الظَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾^(٤)، يريد تبارك وتعالى: ضعف وجهل^(٥)، وسخف فلم يعقل من طلب من غير الله طلبه، وأشرك مع الله غيره في العبادة، قوله: ﴿ضَعُفَ الظَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ فمعنى: ضعف المطلوب إليه والمرغوب^(٦) إليه والمعبد دون الله عن أن يعطي سائله، وأن يجازي بخير^(٧) عابده، أو يقضى له حاجته، لعجزه عن ذلك، وقللت أن يكون كذلك.



(١) في (١): يضرب.

(٢) في (١): هُنَّ أَنْدَادًا.

(٣) سقط من (١): فأخبر سبحانه عن تلك الأصنام.

(٤) سقط من (١): وجهل.

(٥) في (١): إِلَيْهِ الْمَرْغُوب.

(٦) سقط من (١): بخير.



تفسير سورة المؤمنون



وَمِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ

(١٦٠) وَسَأَلَتْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَحَانَهُ، وَتَعَالَى عَنْ كُلِّ شَانِ شَانَهُ: **«وَلَهُمْ أَعْتَدْنَا مِنْ دُرْنِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَنِيمُونَ»** (المومن: ٦٣)؟

وَذَلِكَ إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ، بِأَنَّهُمْ أَعْمَالًا مِنَ الْفَسْقِ، وَالْغَيِّ وَالْبَاطِلِ
وَالْعَنْدِ عَنِ الْحَقِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَفِيهِ دَهْرٌ مِنْ يَكْمَهُونَ، وَبِهَا عَمَّا
يَدْعُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ مُشْتَغَلُونَ، وَيَنْتَزُونَ مَا أَدْبَرُونَ (١).

(١٦١) وَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَحَانَهُ: **«فَذَلِكَ كَاتَبَ إِيمَانَنِي تُتَلَى عَلَيْكُمْ فَنَكْسَتْهُ عَلَى أَقْبِلِكُمْ تَنَكِصُونَ مُشْتَكِبِينَ بِهِ سَرِيرًا تَهْجِرُونَ»** (المومن: ٦٤-٦٥)؟

فَقَالَ: مَعْنَى قَوْلِهِ: **«تَنَكِصُونَ»**: تَرْجِعُونَ وَتَدْبِرُونَ عَنْ قَوْلِ (١) الْحَقِّ،
وَمَعْنَى **«سَرِيرًا تَهْجِرُونَ»**: فَهُوَ لِيَلَّا، لَأَنَّ السَّمَرَ هُوَ حَدِيثُ اللَّيلِ، يَقُولُ: كَتَمْ
تَسْرُونَ بِالْكَذْبِ وَدَفَعْ الْحَقِّ، **«تَهْجِرُونَ»**: فَهُوَ تَهْذِنُونَ وَتَكْلِمُونَ بِمَا لَا تَعْلَمُونَ.
(١٦٢) وَإِنْ سَأَلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَحَانَهُ: **«أَوْلَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَرِقُونَ»** (المومن: ٦٦)، فَقَالَ: كَيْفَ يَسْقِي الشَّيْءَ مَنْ فَعَلَهُ؟

(١) ذُكِرَ فِي (١) هذِينِ السَّوَالَيْنِ. فَقَالَ: وَسَأَلَتْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَحَانَهُ: **«فَأَنْتَ أَنْتَهُدْنَاهُ** (١)؟

وَهُنَّهُمُ الْمُسَأَلَةُ قَدْ أَجَابَ فِيهَا أَبُو الْحَسِينُ بِإِجَابَتِهِ مِنَ السَّوَالِ، وَلَيْسَ لِحَاجَةِ فِي ذَلِكَ إِلَى تَكْرَارِ قَوْلِ أَحَدٍ.

وَسَأَلَتْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَحَانَهُ: **«وَكَانَ أَثْرَأُكُو قَدْرًا مَقْدَرْتُهُ** (٢)

وَقَدْ أَجَابَ أَبُو الْحَسِينِ فِيهَا سَأَلَتْ، مِنَ الْقَدْرِ فِي هَذَا وَغَيْرِهِ، بِمَا فِيهِ كَفَايَةٌ وَشَفَاءٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى.

(٢) فِي (بِ): قَوْلٍ.

قيل له: المعنى في ذلك أنه أراد وهم بها إلى الله سابقون، وذلك قوله سبحانه: **«وَالسَّيِّقُونَ الْمُتَّبِعُونَ أَوْتَلِكَ الْمُقْرَبُونَ** ^(١) (رواية: ١٠-١١) وحرف الصفات يعاقب بعضها بعضاً، فقامت اللام مقام الباء، ومثل ذلك في كتاب الله كثير غير قليل ^(٢)، من ذلك قول الله تبارك وتعالى: **«وَلَا صَلَبَنَّكُمْ فِي جَدُوعِ الْأَنْخَلِ** ^(٣) [٧١] ب يريد: على جدوع النخل ^(٤)، وفي ذلك ما يقول القائل:

لقد نلتَ أمراً لم تكن لتناله ولكن لنفضل الله مانلت ذلك

فقال: لنفضل الله، وإنما أراد بفضل الله، فقامت ^(٥) اللام مقام الباء.

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَلِيقَاتِ﴾ ^(٦) [المرتوب: ١٤]

قيل له: لا خالق إلا الله تبارك وتعالى، ولا موجود غيره، والعرب فقد تسمى العامل: خالقاً، من ذلك ما يقول الشاعر:

حروب دعت من الجميع وفرقت كما فرقت صدر الأديم الخوالق ^(٧)

وقال أيضاً:

ولأنبت نفري ما خلقت ويعفن الناس يخلق ثم لا يفري ^(٨)

والشاهد لذلك من كتاب الله سبحانه، قوله: **«وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾** ^(٩) [التكوير: ١٧].



(١) سقط من (ب): غير قليل.

(٢) سقط من (أ): يريد على جدوع النخل.

(٣) في (ب): مقام.

(٤) في (أ): خوالقه. لم أقف على هذا البيت.

(٥) سقط هذا البيت من (ب). وهذا البيت من تصييدة لزهير بن أبي سلمى. انظر ديوانه / ٢٧.



تفسير سورة النور



أبي حمزة

ومن سورة النور

١٦٤) وسأله عن قول الله سبحانه: «وَقُلْ لِلّهُمَّ إِنَّكَ يَعْظِضُنَّ مِنْ أَنْصَرِهِنَّ ...
إِلَى قُولِهِ: لَعَلَّكُمْ تَتَفَلَّحُونَ» ^(١) (النور: ٣١).

قال: الغض للبصر ^(٢) هو ألا ترفع بصرها إلى من لا يجوز لها النظر إليه، وحفظ الفرج هو: حفظها عنها حرم الله عليها، وما ظهر من الزينة ^(٣) فهو: ما لا بد منه من ^(٤) الكحل والخاتم، فهذا ما لا يقدرون ^(٥) أن يسترن، والضرب بالثغر على الجيوب فهو ^(٦): إدخاء الحمر على الوجه، حتى تبلغ الصدور، وتستر الوجه كلها، والثغر فهي: المكان.

(١) كمال الآية: «... وَجَنَاحَتِنَّ فِرْجَهُنَّ وَلَا يَبْدِئُنَّ زِينَتِهِنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَعَزْرَتِهِنَّ بَعْزِرَمَنَّ عَلَى جَيْوِهِنَّ وَلَا يَبْدِئُنَّ زِينَتِهِنَّ إِلَّا يَغْوِيَهُنَّ أَوْ مَا يَأْتِيهِنَّ أَوْ أَنْتَسِيَهُنَّ أَوْ أَنْتَ وَيَغْوِيَهُنَّ أَوْ جَيْوِهِنَّ أَوْ بَيْنَ جَيْوِهِنَّ أَوْ بَيْنَ لَحْزِهِنَّ أَوْ بَيْنَهُنَّ أَوْ بَيْنَهُنَّ أَوْ مَنْكَتَتْ أَنْتَهُنَّ أَوْ الشَّيْعَتْ غَيْرَ أَذْلِيَّ الْأَرْبَيَّةِ مِنْ آتِيَخَالَ أَوْ آطِنَتِ الدَّيَّنَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْزَتِ أَنْسَاءِ وَلَا يَضْرِبُنَّ يَارْجِلَيْنَ لِيَقْلُمَ مَا يَخْفِيَنَ مِنْ زِينَهُنَّ وَتُؤْبِرُ إِلَى اللَّهِ جَمِيعَ الْمُؤْمِنَاتِ...».

(٢) في (ب): من البصر.

(٣) في (أ): وإظهارهن الزينة.

(٤) في (ب): مثل الكحل.

(٥) في (أ): يقدرون.

(٦) في (أ): وهو.

وأما قوله: **﴿أَوِ نِسَاءٌ هُنَّ مُلْتَهِنَّ﴾** فيقول: أهل ملتهن من النساء المسلمات، دون^(١) الذميات والشركات، وهذه الآية تحرم على المسلمة إظهار زيتها والتبذل للذمية.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ﴾ فهن: الذميات المملوکات، فيقول: لا جناح عليها أن تبديها للذمية، إذا كانت مملوکتها، دون الحرة منهن، **﴿أَوِ الْتَّيَعِنُ غَيْرُ أَذْلِيٍّ لِلْأَرْتِيَةِ مِنَ الْرِّجَالِ﴾** فقد قيل: إنهم العنانة الذين لا يأتون النساء، ولا يقدرون عليهن، ولا يرغبون فيهن، ولا لهم أرب في مجتمعهن، **﴿وَالطِّفْلُ﴾** فهو: الصغير من الغلبان، ابن الحسن والست والسبع، **﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهِرُوا عَلَى عَزَّزَتِ النِّسَاءِ﴾** فهم: الذين لم يعلموا ما يكون بين الرجال والنساء، ولم يفهموا ذلك ولم يقفوا عليه بعد. والضرب بالأرجل الذي نهين عنه فقال: كان النساء المترجات في الجاهلية يفعلنه، حتى يتحشش^(٢) الخل، ويتصلصل الخلاخل^(٣) في أرجلهن، فيسمع الرجال فيعلمون أن في أرجلهن حليا، فأمر الله سبحانه^(٤) المؤمنات ألا يفعلن من ذلك (ما كان تفعله المترحلقات^(٥)) للرجال، المترجات لذلك من الحال^(٦).

(١) في (ب): لا من.

(٢) في (أ): ويتحسس الخل وتصلصل.

(٣) في (ب): الخلاخل.

(٤) سقط من (أ): سبحانه.

(٥) زهق الشيء: ملئه.

(٦) سقط من (ب): ما بين القوسين.

١٦٥) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿بِأَيْمَانِهَا أَلَدِينَ إِمْتُوا لِيَسْتَدِينُكُمُ الَّذِينَ مَلَكْتُ أَيْمَنَكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ... إِلَى قَوْلِهِ: وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكْيَمٌ﴾ [النور: ٥٨] ^(١)

قال: هذا إخبار من الله للMuslimين وتأديب، فامر بأن يستاذن - في هذه الأوقات على الرجال وأزواجهم، إذا خلوا بين ^(٢) في منازلهن - من ساه ما ملكت الآيات، والذين لم يبلغوا الحلم، وما ملكت الآيات فهن: الإمام، ﴿لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ فهو الذي لم يبلغ من كان يدخل المنازل من الصبيان والأولاد ^(٣) وغيرهم، في هذه الثلاثة الأوقات، وذلك أن المسلمين كانوا يختارون الماجمعة والمدانة لنسائهم في هذه الثلاثة الأوقات، ليكون غسلهم مع وقت الطهور للصلوة، ولأوقات الصلاة، فكره الله سبحانه عليهم الدخول على الرجل ومرأته، في هذه الثلاثة الأوقات بلا أذن، لما لا يؤمن من المحروم ومن الدخول على الزوجين في مدانة وغضيان، وأطلق للإمام والصبيان الدخول بغير أذن في غير هذه الأوقات، التي كانوا يختارون الماجمعة فيها، والمدانة للنساء.

١٦٦) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَيَدْرُأُونَعْنَاهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشَكَّدْ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَمْكُنَ لَمِنَ الْكَافِرِ... وَالْخَمِسَةَ أَنْ عَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّابِرِينَ... وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَأْبَ

(١) كمال الآية: ﴿فَلَكُمْ مِنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَمِنْ تَهْضِمْنَ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ الظُّهُورِ وَمِنْ تَغْدِيرِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ فَلَكُمْ عَزْرَتْ لِكُمْ تِسْعَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْتَدْنَ طَرُوشَ عَلَيْكُمْ بَعْتَدْكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذِيلَكَ بَعْنَ اللَّهِ أَكْمَ الْأَنْتَهِيَّةِ﴾

(٢) في (أ): فيهن. وفي (ب): وبين. لعلها مصحفاتان، وما أثبت اجتهاد.

(٣) في (أ): من الصبيان من ...

حَكِيمٌ ① - ثم قال: - **إِنَّ أَلَّدِينَ** [الور: ٨-١١] فقلت: ليس هذا جواب لولا، إنما جوابها لكان ولقد، فكيف العمل في هذا المعنى؟

فهذا رحم الله المعنى فيه كالمعنى في قوله: **«وَلَئِنْ أَنْ قُرِئَ إِنَّا سُبِّيْرَتْ بِهِ أَلْجِيْلُ»** سواء سواء، أراد سبحانه: لولا فضله ورحمته لكان له ولرسوله في ذلك حكم يسوى ما حكم ^(١) به اللسان عليكم ^(٢) ، من الأحكام التي تكون تكاللاً من كان كذلك منكم، ولكن بفضله ورحمته عفا عنكم، وتفضل بالستر عليكم.

١٦٧) وسألت عن قول الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه: **«فَكَانُوْهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا**» [الور: ٣٣] فقلت: ما الخير؟

وهم العبد والإماء ^(٣) الذين يطلبون الكتابة **فَيَكَابِيْنُونَ**، إذا علم فيهم خير، والخير فهو: الدين والتقوى، والوفاء والإعفاء والورع والاحتداء، لا ما يقول غيرنا من أنه المال، ويقيسون ذلك بقول ^(٤) الله: **«إِنْ تَرَكْ خَيْرًا آتَوْ نُصْبَيْهَا»** [القمر: ١٨٠]، وليس ذلك كذلك، وإن اشتبه في اللفظ فهو: خالف في المعنى، وكيف يكون ذلك هو المال؟! وما العبد لسيده، وهو لو علم بمال عبده فأخذه، لكان ذلك له، فكيف يبينه نفسه، يقال هو له دونه؟! لا تستمع كيف يقول: **«مِنْ مَالِ اللَّهِ أَلَّدِيْتُمْ إِنَّكُمْ**» [الور: ٣٣]، يريد: من ماله الذي جعله في أيديكم لهم من الصدقات، قال الله سبحانه: **«إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفَقَارِءِ وَالْمُسْكِيْنِ وَالْعَتَيْلِيْنَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَمَةِ**

(١) في (ب): ما حكمه.

(٢) سقط من (أ): عليكم.

(٣) سقط من (أ): والإماء.

(٤) في (أ): لقول.

ثُلُبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَرِيمَنَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴿الزمر: ٦٠﴾، والرقاب: فهم الماكثون المذكورون في الصدقات، المفروض لهم ثمن ما جبى من تلك الجبايات، إلا أن لا يكون منهم من يستعين في مكاتبته، ولا يجد الإمام ذلك في ولاته، فيصرف جزءهم في أحق الأصناف السبعة الباقية.

فأما ما يقول العامة: من أن المأمور بأن يؤتوكهم من مال الله مَنْ كاتب عبده، فإنه يجب أن يطرح عنه جزأً مما عليه، فليس ذلك بشيء، وليس على من باع شيئاً ورضي المشتري بما ابتعى واشترى، وضع دارهم مما عليه، بعد [أن] افترقا ومضى عليه وبه الشراء.

فاما من لم تؤمن بواقه وشره، ولم يرج رشده وخيره، فلا تجوز مكاتبته ولا عنته، لأن في ذلك له راحة من الملك القاسير له عن كثير من فعال العاصين، ومتى تخلصت رقبته من الرق تزايد في فعال الفاجرين، وتفرغ لمعاونة الظالمين، ومعاندة رب العالمين، وكان من أغنته ومن كاتبه معينا له على معاصيه، لما أطلق من حاله وأسلس من عنانه، وقد علم بفجوره وعصيانته.

(١٦٨) وسألت عن قول الله سبحانه: **«وَمَنْ لَمْ يَعْجَلْ أَلَّهُ لَهُ شُورَاً قَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ** ﴿النور: ٤٠﴾؟

النور هاهنا فهو: زيادة الله للمهتدين هدى في هداهم، وما يقتبسهم الله سبحانه من تقواهم، فأخبر سبحانه أن من لم يقبل الهدى المبتدأ، لم يجعل له نورا، بزيادة في الهدى، فالذين لم يجعل الله لهم نورا فهم الذين لم يقبلوا هدى الله ودينه، وهم المستوجبون للخذلان، المتكهبون في الضلال، وهم الذين ذكر الله عز وجل أنه لم يجعل لهم نورا.

١٦٩) وسأله عن قول الله سبحانه: «وَالَّذِينَ يَتَّخُذُونَ الْكِتَبَ مِثَّا مَلَكَتْ أَيْمَنَتُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَإِنْ تُوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ أَلَّدِي أَتَشْكُمْ» [الزمر: ٢٣]، فقال: من المأمورون بأن يوتوهم من مال الله الذي آتاهم؟

فقلت: (قد قال غيرنا: إنهم المكابيرون لهم من ساداتهم، وإنه واجب عليهم أن يطرحوا عنهم ربع ما كاتبوا لهم عليه، وليس قولنا - والله الحمد - فيه كفر لهم فيه، لأن الله تبارك وتعالى لم يلزم البائع من بعد رضا المشتري، أن يضع من الشمن درهماً، إذا لم يكن للبائع على المشتري شرط جائز^(١)، بل ألزم المكاتب أداء ما كتب عليه، وجعله في يسير ذلك إن عجز عنه ملوكاً مسترقاً.

وكيف يكون بعجزه عن قليل ما تراضياً عليه عبداً ملوكاً! وتكون الرضيعة من ذلك للمكاتب على المكابيرون فرض؟!

فهذا يا بني ما لا يقبله عقلٌ عاقل، ولا يقول به من الناس إلا جاهل، وإنما أمر الله بإيتائهم من ماله ولاءً الأمر من خلقه، الأئمة الهاشميون، والصفوة من الخلق المطهرين، أمرهم أن يوتوهم مما جعل لهم في أيديهم من ثمين الصدقات، فلقد دل على ذلك من قولنا سبحانه ببيان الدلالات، حين يقول سبحانه: «إِنَّمَا أَصَدَقُتُ لِلْفَقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَمَلِيَّنَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةِ فُلُوْبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ» [آل عمران: ٦٠]، والرقب فهم من^(٢) أمر الله بإعطائهم وإيتائهم من مال الله الذي آتى، أمر لهم^(٣).

وقوله: «أَتَشْكُمْ» فمعناها: أجراء على أيديكم لهم، وجعلكم المستخرجين

(١) في (أ): شرطاً جازوا، وما أثبت اجتهاد.

(٢) في (أ): فيها يدبوا. مصحفة، وكتب فوتها (كذا)، وما أثبت اجتهاد، والله أعلم بالصواب.

(٣) كذا في: (أ). وسقط من (ب): ما بين القوسين.

له من غيركم، لأنه أعطاهم إياه كما أعطاهم غيره من الأشياء، مثل جزء الرسول، من حسن^(١) الغنائم، الذي جعل أمره إلى الإمام، يحكم فيه بأمره وبها يراه من الأحكام، ويأكل ويشرب وينكح فيه، ويركب ويلبس وينتكل في كل أموره عليه، ومثل نصيبه في الفيء، ومثل ذلك^(٢): ما جعل له مما أجل عنده المحاربون، من غير أن يجعل عليهم المؤمنون، فكل ما ذكرنا من ذلك، فللإمام أكله والانتفاع^(٣) به.

وأما ما ذكر الله من الصدقات، اللواتي أمر الأئمة بأخذها من ذوي^(٤) المقدرات، وجعلها في الرقاب وغيرها من الشهانية الأصناف المعروفات، فلا يحل لإمام المسلمين، ولا لأهل بيته أجمعين، فيها أكل ولا شرب ولا مناكح^(٥)، ولا صرف درهم منها في شيء من المصالح، فلذلك وبه قلنا إن بينما جعله لهم رزقا، وبين ما جعله الله على أيديهم وأمرهم بالتسليم إلى غيرهم فرقا.

١٧٠) وسألت حفظك الله عن قول الله سبحانه: **«فَذَّبَّعْلَمُ مَا أَنْشَأَ عَلَيْهِ»**
 (الزمر: ٦١)، فقال: أليس قد علم الله ما هو كائن قبل أن يكون؟

الجواب في ذلك أن معنى قوله: **«فَذَّبَّعْلَمُ مَا أَنْشَأَ عَلَيْهِ»** أي: قد يعلم ما أنت منه، وقوله: قد علم ما يكون قبل أن يكون، فذلك الله تبارك وتعالى هو العالم بنفسه، القادر بنفسه، ثم قلت: إن قال قائل، أو عارض معارض، فقال: فإذا كان ذلك كذلك، فأخبرونا عن الخلق أهم متصرفون في الذات؟ أم الذات متصرفة في الخلق؟ إذ هو العالم بنفسه، وليس ثمة عالم وعلمه؟

(١) في (أ): وحسن.

(٢) سقط من (ب): ذلك.

(٣) في (أ): وكل ما ذكر من ذلك وشرحنا للإمام أكله والانتفاع.

(٤) في (أ): فري.

(٥) في (ب): شرب ولا غير ذلك من المنالع.

الحججة في ذلك أن يقال له: إن الخلق ليسوا متصرفين في علم الله، وإنما هم ^(١) متصرفون في معلومات الله، والعلم عبّط بهم، وهم يتصرفون في معلوم إلى معلوم، وكلهم غير خارج مما وقع عليه علم الله، مما كان أو يكون، فما كان من تصرف الخلق في أفعالهم التي هي معلومات الله، فقد جاءت على ما علم الله، من اختيار خلقه لل فعل الذي تصرفوا فيه، فكل ما تصرف فيه الخلق من أفعالهم فهو: باختيارهم فعلوه، وهو ^(٢) والاختيار يدخلهم فيه، وأفعالهم هذه الله معلومات، بإحاطة الله سبحانه بها، وعلم الله فلم يخرجهم من شيء معلوم، ولم يدخلهم في معلوم، وإنما وقع علم الله على اختيارهم، وعلى صور آخر أمرهم، فأحاط بكل الأشياء خبراً، ولم يدخلهم بعلمه في شيء جبراً.

فأفهم ما يتصرف الخلق فيه من معلومات الله، وأعلم أن الخلق لا يتصرفون في علمه، لأن ^(٣) العلم خلاف تصرف الخلق، وتصرف الخلق خلاف العلم، وإنما يتصرف الخلق في أفعالهم، وأفعالهم هي معلومات الله، فافهم الفرق بين المعلوم والعلم، ^{يَبْرُئُ لَكَ مَا فِيهِ التَّصْرِيفُ مِنْ أَفْعَالِ الْخَلْقِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ}.

ثم قلت: إن قال المعارض لنا: أليس قد علم الله أن فرعون يعصي ولا يطيع، فلئيم أرسل إليه موسى وهارون؟! وكذلك إلى غيره من الجبارية والفراعنة، قد أرسل إليهم الرسل وهو يعلم أنهم لا يطيعون؟!

الجواب في ذلك، أن يقال له: قد علم الله أنهم لا يطيعون، ولم يعلم أنهم لا يقدرون ^(٤)، على أن يطيعوا، وعلم أنهم سيعصون، ولم يعلم أنهم لا يقدرون ^(٥) على

(١) في (١): هو، مصححة.

(٢) كذلك في (١).

(٣) هذه الكلمة مكتنا في (١): (لاترا) ولعلها مصححة، والصواب ما أثبت.

(٤) في (١): كتب فوق هذا: بل علم أنهم يقدرون.

(٥) في (١): كتب فوق هذا: بل هم يقدرون.

الطاعة، وقد علم سبحانه أنهم لو أرادوا الطاعة أطاعوا، كما علم أنهم سيؤثرون المعصية على الطاعة، فلم يكن سبحانه ليعاقبهم على ما لم يفعلوا من المعصية، ولم يكن ليذنبهم قبل أن تثبت عليهم الحجة، فبعث الرسلين يدعون إلى طاعة الله وترك معصيته، من هو^(١) قادر على أن يطيع، وعلى أن يترك المعصية، لو أرادوا، لما جعل فيهم على ذلك كله من الاستطاعة الثابتة فيهم، **﴿لَيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْتِنَا وَتَحْمَلُنَا حَسْنَىٰ عَنْ بَيْتِنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلَيْهِمْ﴾** [الأنفال: ٤٢].

ثم قلت: إن قال المعارض: هل كان فرعون يقدر أن يخرج مما قد علمه الله؟

قيل له: أيها المعارض [قد] أجبناك في أول المسألة بجواب هذا الكلام، إذ أعلمتك أن علم الله إلينا وقع على ما يكون منهم من الاختيار، الذي لا يكون منهم أبداً غيره، من الاختيار لأحد الأمرين، فعلم سبحانه ما يؤثرون وما يختارون، وما عليه يختارون، فأحاط علمه باختيارهم الذي هو معلوم له، وهو فعلهم لا فعله، وصنعهم لا صنعه، فمثل العلم كالدار والدار فيها بيوت، والبيوت فيها أبواب، فهو: يتقل في بيتهما، ولم يخرج منها، كذلك العلم يحيط باختيار العبيد، وبصيور أمرهم، وأخر اختيارهم، وهم يتقللون من فعائم^(٢) في معلوم إلى معلوم، والعلم غير المعلوم، كما البيوت التي في الدار غير سور الدار المحيط بها، فالخلق في المعلوم متصرفون لا في العلم، تعالى الله عما يقول الملحدون أوصاف الجاهلون !!

١٧١) وإن سألا عن قول الله: **﴿بِرَزْقٍ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [البر: ٢٨]، فقال: أليس قد يحاسبهم في الآخرة، ويسألم عما أنفقوا من أموالهم فيه، فما معنى قوله: **﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**، وهو يحاسبهم، ويسألم عما يؤتيمهم !؟

(١) في (أ): معصيتهم. وفي (أ): من هو. وكتب فوقها (كلما). ولعلها مصحفة.

(٢) في (أ): بفاحلهم.

قيل له: إن المحاسبة فيه لهم، ليست تكون على إنفاق نفس تلك الأموال التي رزقهم، وإنما يحاسبهم على ما اكتسبوه و فعلوه وما كنزوه^(١) بها وبأسبابها لا عليها هي في أنفسها، إلا ترى أنه إنما يحاسب من صرف رزق الله في الحرام دون الحلال، لا من صرف رزقه في الحلال دون الحرام، ولو كانت المحاسبة منه تقع على الأموال أنفسها، لكن الحساب يقع على المتفق لها في الطاعة، والمتفق لها في المعصية، فعن صرف رزق الله فيها له رزقه إياه، كان غير محاسب له^(٢) عليه، ألا تسمع كيف يقول الله سبحانه، لبيه سليمان عليه السلام: «هَذَا عَطَّلَنَا فَأَتَيْنَاهُ أَوْ أَمْبَكَ يَعْتِيرُ حِسَابَنَا»^(٣) [من: ٣٩]، يقول: غير مسؤول ولا محاسب.

وقد يخرج معنى قوله: «يَعْتِيرُ حِسَابَنَا» على معنى آخر، رزقة فمن يرزق من عباده، ليس من^(٤) شيء عنده مجموع، معد لذلك مصنوع، يخرج منه أجزاء محسوبة من أجزاء، وينتهي منه أجزاء فاضلة عن أجزاء، فأخبر أن رزقة من سعة لا تحصى، وأنه إذا شاء أن يعطي عبادة أعطي، ولو كان يرزق من شيء مجموع لكان أرزاقه تتضمن، إذ أصلها الذي يخرج منها منه تتضمن بخروجها عنه، فببارك^(٥) الله رب العالمين، وتقدس أكرم الأكرمين.

(١) في (أ): ما اكتسبوا و فعلوا وما كنزوه.

(٢) في (أ): كان له غير محاسب له.

(٣) في (أ): ليس على من.

(٤) في (أ): تبارك.



تفسير سورة الفرقان



وَمِنْ سُورَةِ الْفُرْقَان

١٧٢) وَسَأَلَتْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَحَانَهُ: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾
[الْجَلْ: ٢٠، الْفُرْقَان: ٣]

الجواب في ذلك: أن هذا إخبار من الله سبحانه أن كل ما يعبد الكافرون من دونه، لا يخلقون شيئاً والله خالقه وخالق من عبد، فيخبر سبحانه بضعف من كان كذلك وضلاله، إذ هو يعبد مخلوقاً مثله ويترك عبادة الخالق الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

١٧٣) وَسَأَلَتْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَحَانَهُ: ﴿وَسَخَدَ لَكَ جَعَلْنَا لِكُنْ ثَيْبَيْ عَدُوا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الْفُرْقَان: ٤٢]

والجملة هنا فهو: الحكم من الله على الأنبياء، بعدارة أهل الفسق والردي، من المجرمين، الكفرة العاصين، لا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالَّتِي مِنْ الْأَخْرِ يُؤْمِنُونَ مِنْ حَادَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَرَحْمَانُهُ وَأَبَاهُمُ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [الْجَاجَة: ٢٢]، فكيف بالأفضل من النبئين صلوات الله عليهم أجمعين؟! ومن حرم موآدته، فقد جعلت وفرضت معاداته ومتناقضاته.

١٧٤) [وَسَلَلَ] عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَتَوَمَ بَعْضُ الظَّالِمِينَ عَلَى بَنَتِهِ يَقُولُ بِنَائِنِي آتَيْخَدْتُ مَعَ الرَّئِسُولِ سَيِّدَهُ بِنَوَائِنِي لَيَتَشَبَّهَ لَمَّا تَحِدَّ ثَلَاثَ حَلِيلَاتِهِ﴾ [الْفُرْقَان: ٢٨-٢٧]

فقال: القاتل هذا والعاض على يديه، هو من قصر في اتباع الرسول، والتخاذل
الوسائل إلى الله معه بالطاعة له، وأما قوله: **﴿لَيَتَّبِعَنِي لَمَّا أَتَخَذَ ثُلَاثًا حَلِيلًا﴾**
فقلان هو: كل من صدَّه عن سبيل [الله] فأطاعه، أو أمره بمعصية الله فاتبعه، من
الفراعنة الضالين، والطفاة المغونين.





تفسير سورة النمل



ومن سورة التل

١٧٥) سأله عن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبُّهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٤]، فقلت ما معنى تزيين الله عز وجل لهم، وما خرجه؟ ..

ومعنى تزيينه سبحانه: ترك المراجلة بالعقوبة لهم، والأخذ بأكظامهم ^(١) عند معصيتهم، فكان تزيين الله لهم تأخير المفاصدة ^(٢) بالقلم، كذلك تقول العرب في خطابتها بعضها البعض، إذا أخطأ أحدهم على الآخر مراراً فلم يجازه، قال له: الذنب لي لا لك، أنا أفسدتك، وزينت لك عملك بتركك المكافأة لك على قبيح فعلك، حتى ظنت أنه حسن جائز، وهذا معنى التزيين من الله عز وجل، ومنعى ﴿يَعْمَلُونَ﴾ أي: يتغيرون وينحيطون، ويمرجون في ضلالهم، ولا يتنهون من غفلتهم.

١٧٦) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْرَةَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [النحل: ٢٥]

فقال: الخبر فهو: السر والغيب، الذي لا يستخرج علمه إلا الله، ولا يطلع على مكنون سره غيره.

(١) الكظم: خرج النَّفَسُ، الحلق.

(٢) المفاصدة: الأخذ على غرة.

١٧٧) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِنَاهِيَتَنَا فَهُمْ مُشْلِمُونَ﴾ [الزلزال: ٨١].

ويعناها: إن نسمع بأياتنا، عندما تلقى في آذانهم من^(١) وحياناً، وتتلذ عليهم من وعدنا ووعينا، إلا من يؤمن بها، ويصدق بما يتلو من وحيها من المسلمين، فاما من ضل عن الحق والهدى، ونجب عن الصدق واتبع الهوى، أو كان بذلك كافراً، وفي دين الله فاجرًا، فلا يستمع ما نأمره ونهاء^(٢) عنه، والسمع هاهنا فهو: الطاعة والقبول، لما جاء به عن الله^(٣) الرسول. ومن الحجة على أن السمع هو الطاعة، ما يقول الله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَاتُلُوا سَمِعُنا وَأَطْعَنُوا وَاسْمَعُوا وَأَنْظَرْنَا لَكُمْ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمْ وَلَكِنْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ يُكَفِّرُهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٦].



(١) سقط من (ب): من.

(٢) في (ب): يسمع ما يأمره وينهاه.

(٣) سقط من (أ): اهـ.



تفسير سورة القصص

ومن سورة القصص

١٧٨) وسألت عن قوله سبحانه: **﴿نُودِيَ مِنْ شَطْنِيَ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَرَّكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَسْمُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** (القصص: ٣٠)

معنى **«من شطني الْوادِ الْأَيْمَنِ»** فهو: جانب الوادي الأيمن، **«في الْبَقْعَةِ الْمُبَرَّكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ»** فهو: وسطها وفرعها، وحيث كانت النار تتقد ونتائج منها، **«أَنْ يَسْمُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ»** هذا كلام خلقه الله ناطقا عن النار، فسمعه موسى عليه السلام، فلم يكن بين الله وبين موسى مُؤْدِ (١) للكلام، وإنما كان الكلام من الله سبحانه خلقا وإيجادا، فسمعه موسى صل الله عليه.

١٧٩) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَخْبَتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾** (القصص: ٥٦)

معنى ذلك: أن الله سبحانه يخبر نبيه أنه لن يستطيع أن يغير قلب أحد على المدى، حتى يجعل باطن أمره كظاهره (٢)، ثم أخبر سبحانه أنه يقدر على ذلك، غير أنه لا يفعله بأحد جبرا، وإن كان عليه قادرًا، (لما ذكرنا وفسرنا من حكمه في تلك المسألة الأولى، وذلك معنى عن تكراره هاهنا) (٣).



(١) في (أ): موسى بشر مودي.

(٢) في (ب): كظاهر أمره.

(٣) سقط من (ب): ما بين القوسين.



تفسير سورة العنكبوت



ومن سورة العنكبوت

١٨٠) وسألته عن قول الله سبحانه: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ إِيمَانًا بِاللَّهِ ... إِلَى
قوله: في صُدُورِ الْعَلَمِينَ ﴿٤﴾» [المكروت: ١٠٠] (١)

فقال: هذا إخبار من الله عن من يقول بلسانه إنه مؤمن، فإذا نزل به خوف من
أعداء الله رجع عن قوله، واستسلم في أيدي أعداء الله، فأخبر الله سبحانه بجهله
وكفره، ونفاقه في كل أمره، وأنه لا يعقل ما بين عذاب الله وفتنة الناس، وفي أولئك،
ومن كان من الخلق كذلك، ما يقول الله سبحانه: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ
حَرْفٍ» [الحج: ١١] إلى آخر الآية (٢).

١٨١) وسألت عن قول الله سبحانه: «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ تَضَرِّبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا
إِلَّا الْعَلَمِينَ ﴿١٢﴾» [المكروت: ١٢]

والأمثال فهي: ما ضرب الله لعباده من الأمثال في كتابه، مثل قوله: «مَثَلُ

(١) كمال الآية: «فَإِذَا أُوذِيَ الْأَنْجَلُ بِشَتَّى النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلِنِعْمَةٍ حَمَدَ اللَّهَ مِنْ بِنِكَ تَبَوَّلُونَ
إِنَّكُمْ مَنْكُمْ أَوْلَئِنَّ اللَّهَ بِأَعْلَمِ بِهِ». (٢) كمال الآية: «فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْسَأَ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ شَرٌّ أَنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَسِيرَ الْأَنْجَلِ
رَأْأَزْرَهُ دَلِيلَكَ هُوَ الْحُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿٥﴾».

ثُورِمْ كَمِشْكَرَة... إِلَى قَوْلِهِ: وَاللَّهِ يَكْلُلُ شَيْءاً عَلِيمَةً **(١)**، وَمِثْلُ
قَوْلِهِ: أَبَوْدُ أَخَذْتُمْ أَنْ تَكُونُتَ لَهُ جَنَّةً مِنْ تُحِيلٍ وَأَعْتَابٍ... إِلَى قَوْلِهِ:
لَعَلَّكُمْ تَفَكَّرُونَ **(٢)**، وَمِثْلُ قَوْلِهِ: فَسَرَّبَ لَكُمْ شَنَّاكَ مِنْ
أَنْشِكَمْ... إِلَى قَوْلِهِ: لِقَوْرِمْ يَعْقِلُونَ **(٣)**، وَغَيْرُ ذَلِكَ مَا يَطْوُلُ **(٤)**
شَرْحَهُ، وَيَكْثُرُ فِي الْكِتَابِ ذِكْرُهُ، وَذَلِكَ فَلَا يَعْلَمُهُ وَلَا يَعْقِلُهُ إِلَّا الْعَالَمُونَ بِغَامِضِهَا،
الرَّاسِخُونَ فِي تَفْسِيرِهَا، وَمَنْ عَقَلَهَا بِالْعِلْمِ بِهَا كَانَ فِيهِ أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ وَالرَّجُوعُ إِلَى
حُكْمِهَا، وَتَصْدِيقُ لِكُلِّ مَا فِيهَا.



(١) كِيلُ الْآيَةِ **»... فِيهَا يَصِنَاعُ الْمُعْتَابُ فِي رُجَاحَةِ الْإِرْجَاحَةِ كَائِنَهَا كَمِشْكَرَةُ دُرَى ثُورِمْ مِنْ شَجَرَةِ مِيشَرَكَةِ زَيْنُوْرِهِ لَا شَرْقَهُ وَلَا غَرْبَهُ بِكَادُ زَيْنَهَا بَضِيَّهُ؛ وَلَوْ لَمْ تَنْتَسِّهَ زَلَّ ثُورِهِ عَلَى ثُورِهِ بَهْيَى اللَّهِ ثُورِمْ، مِنْ بَشَاءِ لَفَظِ اللَّهِ الْأَمْتَلَ لِلَّهَسِ...«.**

(٢) كِيلُ الْآيَةِ **»... تَخْرِي مِنْ تَحْيَهَا أَلَّاهَرُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الْأَثَرَاتِ رَأْسَاهَا أَكْبَرُ وَلَهُ دُرَى ثَعَنَّاهَا فَأَصَابَهَا أَقْصَارُ فِيهَا تَأْخِرَتْ كَدَلِكَ بَهْيَى اللَّهِ لَسْمُ الْآيَتِ...«.**

(٣) كِيلُ الْآيَةِ **»... مَلَ لَكُمْ مِنْ شَاءَتْ أَنْشَكَمْ مِنْ شَرْكَاهِ فِي سَارَزْنَكَمْ فَأَنْشَزِيْهُ سَرَاهَ تَخَافُونَهُمْ كَجِيْنَكَمْ أَنْشَكَمْ حَكَدِلِكَ تَقْعِيلَ الْآيَتِ...«.**

(٤) فِي (١): ذَلِكَ مَا فِي الْكِتَابِ يَطْوُلُ ...



تفسير سورة الروم



ومن سورة الروم

١٨٢) وسألته عن قول الله سبحانه: «وَهُوَ الَّذِي يَبْدِئُ الْخَلْقَ لَمْ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَفْوَتُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْكِلَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... إِلَى قَوْلِهِ: نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَقْرَئُونَ»^(١) [الروم: ٢٨-٢٧].

قال: معنى قوله: «وَهُوَ أَفْوَتُ عَلَيْهِ» يخبر تبارك وتعالى أن من عمل شيئاً وابتدعه، فأعاده إلى الصورة التي ابتدعها مرة ثانية، أهون عليه من إبدائه، واختراعها أولاً، وإنما هذا مثل ضربه الله للخلق ما يقللونه ويفهمونه من أعمالهم، لا أن شيئاً يمتنع على الله، ولا أن شيئاً أصعب عليه من شيء، «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْءاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَتَكُونُ»^(٢) [بس: ٨٢].

فاما قوله: «مَلَكُمْ تِنْ مَا مَلَكْتُمْ أَنْتُنَّكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَكُمْ فَأَنْتُنَّ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُوهُمْ كَجِيلَتِكُمْ أَنْشَكُمْ»^(٣) [الروم: ٢٨]، فإنما هذا مثل مثله الله للخلق، يريد سبحانه: إن كان يجوز أن تكونوا أنتم وماليككم في أموالكم وفيها رُزقتموه سواء، أمركم وأمرهم، وإرادتكم وإرادتهم، حتى تخافوهם في أموالكم فيما تنفرون، وتقبضون وتبسطون، كما يخاف بعضكم ببعض في ماله، فقد يجوز أن تكونوا

(١) كمال الآيات: «وَهُوَ الْغَنِيرُ الْحَكِيمُ هَرَبَ لَكُمْ مِنْ أَنْشَكُمْ مَلَكُمْ تِنْ مَا مَلَكْتُمْ أَنْتُنَّكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَكُمْ فَأَنْتُنَّ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُوهُمْ كَجِيلَتِكُمْ أَنْشَكُمْ حَدَّلَكُمْ».

سواء، شركاء لسيدمكم في خلقه وعباده وملكه، وإن كان لا يجوز هذا أن يكون العبد والسيد سواء في مال سيده، فلن يكون أحد منكم له شريكًا في عباده، ولا أمره ولا ملكه.





تفسير سورة لقمان



ومن سورة لقمان

(١٨٣) وَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثُ
لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بَعْتَرِ عِلْمٍ وَيُتَخَذَّلَهَا هُرُوفًا أَوْ لَتِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَمْعِنْ
؟» (القمان: ٦)

فقال: هذا إخبار من الله تبارك وتعالى عن من يشتري له الحديث، ولو الحديث فهو: الغناه واللاماهي كلها، من شطرنج أو نرد أو وتر يضرب به، أو شيء من الملاهي التي حرمتها الله على عباده ^(١)، ومعنى «يَشْتَرِي» فهو: يختار ويؤثر

(١) أخرج الفريابي، وابن جرير، وابن مردويه، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثُ» قال: باطل الحديث. وهو الغناه وتحوه. وأخرج البخاري في الأدب المفرد، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في سننه، عن ابن عباس رضي الله عنهما «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثُ» قال: هو الغناه وأشباهه.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصحمه، والبيهقي في شب الإيمان، عن أبي الصهباء قال: سألت عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه عن قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثُ» قال: هو - والله - الغناه.

وأخرج ابن أبي الدنيا، وابن جرير، عن شعيب بن يسار قال: سألت عكرمة رضي الله عنه عن «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثُ» قال: هو الغناه.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر، عن مجاهد رضي الله عنه «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثُ» قال: هو الغناه، وكل لعب له.

ويجتبي هذا اللهو على غيره من الخير **﴿لِيُضْلِلَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾**، معناه: يشغل ويشغل بذلك نفسه وعباد الله، عما سوى اللهو من سبل الله، وسبله فهي: طاعته، واتباع مرضاته، فأخبر الله سبحانه أن من الناس من يؤثر الشر على الخير، يطلب بذلك التلهي والطرب في أرض الله، بما يصده وغيره عن سبيل الله.

١٨٤) وسأله عن قول الله سبحانه: «وَلَا تُصَاغِرْ خَدْكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحَّاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ عَجْنَاحٍ فَخُورٍ» (القانون: ١٨:؟)

قال: هذه وصية من لقمان رحمة الله عليه لابنه، يأمره ألا يصادر خدمة الناس، ومعنى «تصاعر خذلك» فهو: تُعرض بوجهك عن الناس، وتُصفح لهم خدك^(٣)، وتصرعه لهم استخفافاً بهم، وإعراضًا عنهم، (عند إقبالهم عليك ومسائلتهم لك)^(٤)، فامرء أن يقبل بوجهه^(٥) إليهم، ويُبسط وجهه لهم، ولا يعرض به عنهم، وهذا فعال يفعله جبارنة الأرض بالناس ومتكبروهم، إذا أقبل الناس إليهم

وأخرج ابن أبي الدنيا من طريق حبيب بن أبي ثابت، عن إبراهيم رضي الله عنه «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْتَرِي لَهُؤُلَاكُلِّهِدْبِيْتِ» قال: هو الغنا، وقال عباد رضي الله عنه: هو هر الحديث.
وأخرج ابن أبي حاتم، عن عطاء الخراساني رضي الله عنه «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْتَرِي لَهُؤُلَاكُلِّهِدْبِيْتِ» قال: الغنا والباطل.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن الحسن رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُلْهِي**
الْقَوْمَ الْمُكْدَبِ﴾ في الغناء والمزامير. الدر المثور ٤/٥٠٥ - ٥٠٦.

(١) في (ب): ولا تصفع.

(٢) سقط من (ب): ما بين القوسين.

(٣) في (ب): وأمره أن يقبل إليهم.

وعليهم، أعرضوا بوجوههم عنهم، وأعطوهم خدودهم،^(١) فكلموهم وخدودهم مصعرة عنهم، ومعنى مصعرة^(٢) فهي: ملوية^(٣) منحرفة، ومعنى «ولَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحَثًا» فهو: لا تمش في الأرض أثراً، وبطراً ساهياً لاهياً، وامش فيها متذلاً لله متتصغراً متفكراً ناظراً في أثر صنع الله فيها متبراً، ولا تكن عند مشيك فيها عن ذلك معرضًا، ولا له تاركاً.

١٨٥) وسألته عن قول الله سبحانه: «الَّذِي تَرَأَى أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ... إِلَى قَوْلِهِ: وَلَا يَكُنْ مُّبِينٌ ﴿الْقَاتَلَ﴾ [٢٠] ^(٤)؟

فقال: معنى «سَخَّرَ لَكُمْ» فهو: جعل وقدر لكم، ما في السماء من المتألق، من الأمطار والشمس والقمر والنجوم في دورانها مرة، وغروبها مرة، وطلعها مرات أخرى، وما في الأرض مما سخره وقدرها، وجعله من معايشها ومتناها، وما جعل الله سبحانه من الخيرات لبني آدم، فهذا معنى «سَخَّرَ لَكُمْ»، ومعنى «أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً»، فهو: أكثر لكم من نعمه وعطائه ومنه ظاهرة، والظاهرة من^(٥) ذلك ما ظهر وعلم، وأبصر بالعين وفهم.

والباطنة فهو: ما لا^(٦) يرى بالعين، ولا يعرف سبيه، مما يوليه الله عباده، لا

(١) سقط من (ب): وأعطوهم خدودهم.

(٢) في (ب): معرضة.

(٣) في (ب): معرضة: فهي ملوبة.

(٤) كمال الآية: «... وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُخَدِّلُ إِلَيْهِ مُؤْمِنَوْلَا مُهَدِّي ...».

(٥) في (ب): فالظاهر من ذلك. وفي (أ): في ذلك.

(٦) في (ب): فما لا.

يُوقف عليه بحاسة، ولا يعلم إلا بالمعرفة بالله والإيمان، من دفع نوازل الشرور عن العباد في آن الليل والنهار، وما يصرف عنهم من البلوى، ويفيقهم من آفات الدنيا، وهم لا يعقلون ذلك ولا يفهمونه، (ولا تأت رؤيه بحاسة من حواسه فيفهمونه)^(١)، والله يفعله لهم من حيث لا يعلمون، ويتولى الصنع لهم فيه وهم غافلون.

ثم أخبر سبحانه بخبر من يجادل في الله بغير علم، فهي^(٢): مجادلة الجهال للعلماء في أمر الله، ومعارضتهم له^(٣) فيما لا يعقلونه من قول الله^(٤)، فيخطئون أكثر مما يصيرون، ويأثمون ولا يزجرون، إذ كانوا في أمر الله يحكمون، وينطقون بما لا يعرفونه ولا يعقلونه، فهم^(٥) يخطئون فيه بجهالتهم، ويتكلمون فيه بمحالهم^(٦)، يثبتون ما نفي الله، وينفون ما يثبت الله، ويحكمون بغير حكم الله، ويجعلون العلماء بالله، ويزعمون أن الصواب في خطأ قولهم، وأن الخطأ ما جاء به العلماء، فذمهم على ذلك تبارك وتعالى وأخبر بجهالهم، وسوء نظرهم لأنفسهم.



(١) سقط من (ب): مابين القوسين.

(٢) سقط من (ب): فهي.

(٣) في (أ): لهم.

(٤) سقط من (أ): من قول الله.

(٥) في (أ): وهم.

(٦) في (أ): بمجادلتهم.



تفسير سورة السجدة



ومن سورة السجدة

١٨٦) وسأله عن قول الله سبحانه: **﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَتَرَمَّلْ كَانَ مِقْدَارَهُ أَلْفَ سَنَةٍ تِسْعَأَتَعْدُونَ﴾** (السجدة: ٢).

فقال: معنى **﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ﴾** فهو: ينفذ ما يريده من الأمور، من السماء إلى الأرض، مع جبريل صل الله عليه، إلى أنبيائه عليهم السلام في أرضه، ثم يرجع جبريل إليه من بعد إنفاذ ما أمر به إليه، في مقدار يوم، فيقطع في مقدار ذلك اليوم، ما لو كان ميسوطاً في الأرض لم يقطعه العالمون في مسيرة ألف سنة، ومنعنى قوله: **﴿يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾** فهو: يصير إلى الموضع الذي بعث منه، وهو محل جبريل وموضعه الذي يرجع إليه جبريل راجعاً، فبارك الله الذي ليس كمثله شيء، ولا يشبهه شيء، ولا يؤبه مكان دون مكان^(١)، ولا تخرب عليه نواتب الأزمان، البعيد في دُنُوهُ، والداني في عُلوهُ، لا تخلو منه المواقع والأمكنة، ولا ينقصه طول الدهور^(٢) والأزمنة، وهو بالمرصاد للعبيد، وهو أقرب إلى كل عبد من حبل الوريد.

١٨٧) وسأله عن قول الله سبحانه: **﴿وَلَتَرَى بِئْرَاتٍ إِذَا أَلْمَحْرُومُونَ تَاکِسُوا رُءُوسَهُمْ عِنْدَ رَيْهُمْ رَئَنَا أَبْصَرَنَا وَسَمِعَنَا فَأَرْجَعْنَا تَعْمَلَ صَلِحًا إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾** (السجدة: ١٢).

(١) سقط من (أ): مكان.

(٢) في (أ): الدهر.

فقال: هذا خبر من الله سبحانه عما يكون من المجرمين في يوم الدين، من تنكيس رؤوسهم يوم الحشر وقت النشر عند الحساب، وتنكيس الرؤوس فهو: فعل يفعله النادر التحسر الموقن بالعقاب، المؤمن من التواب، المستسلم البلس، ومعنى **«عِنْدَ رَبِّهِمْ»** فهو: عند المصير إلى آخرتهم، والوقوف بين يدي خالقهم، ومعنى **«أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا»** أي: أبصرنا ما كنا نكذب به بالمعاينة، وسمعنا بكل ما كنا نُخْبِرُ به، فجاء كل ما كنا نسمع من قولك وقول أنيائك، على ما كنا نسمع سواء سوء.

قولهم **«فَارْجِعُنَا»** يريدون أي: ردنا^(١) إلى الدنيا، حتى نعمل غير الذي كنا نعمل، إذ كان عملنا في الدنيا أولاً بوراء، وهو اليوم إذ قد عاينا فقد أصبح عندنا معلوماً مخبوراً، **«إِنَّا مُوقِنُونَ»** يقولون^(٢): إننا اليوم بكل ما كنا نكذب به من قبل مؤمنون، إذ قد رأينا عياناً، وواعتناه إيقاناً.

١٨٨) وسألت عن قول الله سبحانه: **«قُلْ يَتَوَفَّنُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُسْكِلَ يَكُنْ»** [السجدة: ١١]

المعنى في ذلك^(٣): أن توفي ملك الموت لمن يتوفى هو بأمر الله، فملك الموت يقبض النفس والله يخرجها من البدن، وما كان من ملك الموت فإنها هو بالله ومن الله، وبإذنه وأمره وتقديره له وحكمه، وتقوية ملك الموت على ذلك في خلقه، ومعنى **«وُسْكِلَ يَكُنْ»** فهو: أمر بقبض أنفسكم.

(١) في (ب): أردنا.

(٢) في (أ): يقول.

(٣) في (أ): الجواب في ذلك.

١٨٩) وسألت عن قول الله سبحانه: **«وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ مُّذَمِّنَهَا»**

(السجدة: ١٣)

وكذلك الله تبارك وتعالى يخبر عن قدرته، ويخبر أنه قادر على ذلك، والمعنى: أنه لو أراد أن يجير الخلق على الاهتمام، ويدخلهم كلهم الطاعة والهدى، بالقرر لهم فيه^(١) جبراً، والجبر لهم في ذلك قراراً، لفعل سبحانه بهم ذلك، حتى يكونوا في جميع الأمور^(٢) كذلك، غير أنه سبحانه لم يرد إدخالهم في طاعته^(٣) وهذه جبراً، ولم يرد إخراجهم من معاصيه جل جلاله قراراً، بل أمرهم سبحانه تخييراً، ونهام تحذيراً، وكلهم يسيراً، وأعطاهم على قليل كثيراً، أراد أن يطيعوه مختارين بالإختيار^(٤) لا بالجبر لهم، وكذلك معاصيهم بالإختيار منهم كانت فيهم ومنهم، لا بقضاء شيء من ذلك سبحانه عليهم، حكماً من الحكيم الرحمن، ورأفة منه في ذلك لكل إنسان، وغيبزاً منه بذلك بين أهل الطاعة والعصيان، ليستحق كلُّ باختياره جزاء فعله، وليجد ما قدم من خير أو شر باختياره^(٥) غداً عند ربِّه، قطعاً منه جل جلاله، عن أن يحويه قوله أوبيناله، لحجج خلقه عنه، **«إِنَّهُمْ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَلَا هُنَّ مِنْ حَمَدٍ عَنْ بَيْنَ أَيْمَانِكُمْ وَلَا يَمْنَانِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعُ عَلِيمٌ**» [الأشraf: ١٢].

١٩٠) [وستل] عن: **«النَّعَذَابُ الْأَذَقَى»** [السجدة: ٢١]

(١) في (ب): منه.

(٢) في (ب): ولكنوا في. وفي (أ): جميع الأمر.

(٣) في (أ): طاعتهم. لعلها مصحفة.

(٤) في (أ): بالإحسان. مصحفة.

(٥) في (أ): وليجد خيراً من قدم من خير.. ..

فقال هو: عذاب الدنيا، بما يكون فيها من حلول نقمـة، من أي النقمـة كانت، من جوع أو خـاقة أو سيف، والعذاب الأكـبر فهو: عذاب النار في الآخرة ويشـن المصـير.





تفسير سورة الأحزاب



ومن سورة الأحزاب

(١٩١) سأله عن قول الله سبحانه: **﴿بِسْمِهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَخْلَقْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي أَتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكْتُ بِمِيرَكَ مِنْ أَنَّهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَبَّنَاتُ عَمَّلَكَ وَبَنَاتُ عَمَّتِكَ وَبَنَاتُ خَالِكَ وَبَنَاتُ خَالِتِكَ الَّتِي هَاجَرَنَّ مَعَكَ وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلَّهِ... إِلَى قَوْلِهِ: عَلَيْمًا حَلِيمًا﴾** [الأحزاب: ٥٠-٥١] ^(١)

فقال: هذه ميمونة الهمالية وهبت نفسها للنبي صل الله عليه وآله ^(٢)، فأجاز الله ذلك له من دون المؤمنين، وجعلها خاصة له وخاصة من دون المسلمين.

ومعنى قوله: **﴿تُرْجِي﴾** فهو: ترك وتقسي من شت ^(٣) منها، **﴿وَتُشْرِقِي﴾**
﴿إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ يقول: تدعوا وتخلو بمن أحبت منها، وذلك أن الله أمره أن

(١) كيل الآية: **﴿... إِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَسْتَكْحِهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُنْيَانَا فَرَضَنَا عَلَيْهِنَّ فَنَأْرَبُوهُمْ وَنَمَلَّكُتُ أَنْتَهُنْ لِعَيْلَانَهُ مَكْوُنَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَسَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا رَبِيعًا﴾** ^(٤) ترجي من شتاء ينهن وتشريق إليك من شفاء ومن تنتهي من عزتك فلا جناح عليك بذلك أذن أن تقر أغيبهن ولا يجزئ ترجي تنتهي بما ذاتهن سلمهن والله يعلم ما في ثلثيكم وسكن الله ...

(٢) أخرج ابن جرير، عن ابن عباس رضي الله عنهما **﴿وَأَمْرَأَ مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلَّهِ﴾** قال: هي ميمونة بنت الحمراء.

وأخرج عبد الرزاق، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المطر، عن عكرمة رضي الله عنه قال: وهبت ميمونة بنت الحمراء نفسها للنبي صل الله عليه وآله وسلم. الدر المختار / ٦٣١.

(٣) سقط من (ب): من شت، بقول.

ينحيهن كلهم عنه إلى دار معتزلة عنه، ويكون هو في دار على حدة، فإذا أراد منهن واحدة أرسل لها فدعاهما، وإن لم يرد واحدة أرجاها، وكان ذلك أحب إليهم، وأقر لأعينهم، من أن يغشى واحدة إلى متزلاها، أكثر ما يغشى منازلهم، فترفه الله سبحانه ^(١) ما فيه الرشاد له ولهم.

١٩٢) وسألته عن قول الله سبحانه: **﴿أَدْعُوكُمْ لِأَبْيَاهُمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَقْلِمُوا أَبْيَاهُمْ عَفْوُرًا رَّجِيمًا﴾** [الإسراء: ٤٠]؟

هذه ^(٢) نزلت في من كان يربى صبياً ويتباها، ^(٣) كانوا يدعونهم بهم إلى من يتباهم، ويذرون آباءهم، فيقولون: فلان بن فلان، فيدعونه إلى من رباه ويتباها، فنهاهم الله عن ذلك، ثم قال: **﴿هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾** فأدعوههم إخواناً وموالياً، ولا تدعوه أبناء، ومعنى **﴿هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾** يريد هو: أعدل عند الله، ثم أعلم سبحانه أنه لا إثم عليهم فيما أخطئوا به من ذلك، ومعنى **﴿أَخْطَأْتُمْ﴾** فهو: جهلتكم الحكم من الله فيه، فالآن بعد أن ثبتم فمن فعله فقد تعمده، ومن تعمده ياء بإسمه، إذ قد نهاه رباه عن فعله.

(١) سقط من (ب): سبحانه.

(٢) كمال الآية: **﴿... تُلْحِظُنَّكُمْ فِي الْأَيْمَنِ وَمُؤْلِكُمْ وَلَنَسْ عَلَيْكُمْ جَنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَنَكِنْ مَا تَنْهَيْتُ فَلَوْكُمْ وَسْكَانَ اللَّهُ ...﴾**

(٣) في (أ): فقد هذه.

(٤) في (ب): ويتباها.

(١٩٣) وسأله عن قول الله سبحانه: ﴿الَّتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ... إِلَى قَوْلِهِ: كَانَ ذَلِكَ فِي الْحِكْمَةِ مَسْطُورًا﴾ (الأحزاب: ٦)؟^(١)

قال: هذا تأكيد من الله سبحانه لحق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وتعظيم منه لقدره، فجعل الله نبيه صلى الله عليه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأحق ببعضهم من بعض، وكذلك قوله: ﴿وَأَرَوْجُدُ أَنفُسَهُمْ﴾، فعل هذا المعنى يخرج، وفي هذه الآية من تأكيد تحريرهن على غير النبي غاية ما يكون من التحرير، فأراد بها تحريرهن على كل مسلم بالحكم، إذ كان المسلم في الحكم من أبنائهم، ثم رجع الخبر إلى أولي الأرحام المسلمين^(٢)، فجعلهم أولى بعقد نكاح حرماتهم، ووراثة أمواهم من غيرهم من أحفادهم، وذلك أنه كان يخالف بعض المؤمنين ببعض، فإذا حالفه على المعاشرة والمعاصرة، انتسب بعضهم إلى بعض، وتوارثوا فيما بينهم كما يوارث الناسون، فأنزل الله هذه الآية يخبر أن أولي الأرحام أولى بالموارثة والمعاصرة، من يخالف من المؤمنين والماهجرين، ثم قال: ﴿إِلَّا أَنْ تَقْعُلُوا إِلَى أُولَئِكُمْ مُّقْرُوفُهُمْ﴾ والأولياء هاهننا: فهم المحالفون، يقول: لا يأس أن توصوا لهم بعض الوصية، فاما أن تتوسا لهم بما شرطتم عند محالفتهم لكم من شروط الجاهلية، في الموارثة والمعاصرة فلا، أولوا الأرحام أولى بذلك وأحق، وحكم الله أ Ferdinand من حكمكم^(٣) في ذلك وأصدق، ومعنى ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْحِكْمَةِ مَسْطُورًا﴾، يقول: كان في حكم الكتاب من الله مثبتاً واجباً.

(١) كمال الآية: ﴿... وَأَرَوْجُدُ أَنفُسَهُمْ وَأَرَوْلُوا الْأَرْخَافَ بِتَضْطُّعِهِمْ أَوْلَى بِتَضْطُّعِهِمْ فِي حِكْمَتِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَقْعُلُوا إِلَى أُولَئِكُمْ مُّقْرُوفُهُمْ...﴾.

(٢) في (ب): والسلمين.

(٣) في (أ): حكمهم.

١٩٤) وسألته عن قول الله سبحانه: **﴿يَنِسَاءَ الَّتِي لَسْتُنَحْأَدِ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَنْقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضُنَنِ بِالْقُولِ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾** [الأحزاب: ٣٢]

فقال: هذا تأديب من الله سبحانه لنساء نبيه، كرامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحياطة من الله له في حرمته، وأمرهن أن لا يخضعن بالقول، والخضع فهو: الكلام الذين الذي يقع فيه المزاح والمعابثة بين النساء والرجال، فأمرهن ألا يفعلن ذلك كما يفعله غيرهن، **﴿فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾**، يقول: يطمع فيكن بما يطمع به في غيركن من المنكر، والمرض فهو: الفسق. والقول المعروف الذي أمرن به، فهو: القول الحسن لمن خاطبهن أو كلمهن، الذي ليس فيه خضوع يطمع به الفاسق، ولا سبب يطمعن به المنافق.

١٩٥) وسألته عن قول الله سبحانه: **﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِ الْحُكُمْ ... إِلَى قَوْلِهِ يُكَلِّ شَيْءٍ عَلَيْمًا﴾** [الأحزاب: ٤٠]

فقال: كان النبي صلى الله عليه قد روى زيد بن حارثة وغذاه وتبناه، كما كانوا يفعلوا أولاً، فكانوا يسمونه قبل الإسلام: زيد بن محمد، وفي طرف من الإسلام، حتى كان من أمر زينب بنت جحش مرأة زيد ما كان^(١)، من تزويج الله نبيه إليها، فقبلت قريش: تزوج محمد مرأة ابنه، فأنزل الله سبحانه في ذلك ما تسمع، ينفي أن يكون من روى ابنا من لم يلد ولم يرضع، يثبت نسبة، أو تحريم على المربي له زوجته، وأمرهم بما أمرهم في الآية الأولى، من أن يدعوهم لأبائهم، فحرم عليهم أن يدعوهم إلى من يربوهم ويتباهم.

(١) كمال الآية: **«... وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَحَاتِمَ الْبَرِّيْثَنْ وَسَخَانَ اللَّهَ ...»**.

(٢) في (ب): جحش ما كان مرأة زيد.

١٩٦) وسأله عن قوله سبحانه: **﴿بِتَائِلَهَا الَّذِينَ ءاَسْوَلُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءادُوا مُوسَى فَبِرَاءَ اللَّهُ مِثَاقُ الْرُّؤْسَ وَسَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِئْهَا﴾** [الأحزاب: ٦٩]

قال: هذا نهي من الله سبحانه عن ذمة الأنبياء، والاجتراء عليهم في سب من الأسباب أو معنى، وقد قيل: إن الذين آدوا موسى صل الله عليه، هم الذين قالوا: ساحران تظاهرا، فنسبوا إليه وإلى أخيه السحر، فبرأه الله من ذلك بما أفلح من حجته، وأظهر من حقه، عند تلطف عصاه إفك السحرة، وإبطال الله لسحرهم، وتبنته لنضحيتهم، وقد قيل: إنه السامراني ومن تبعه على دينه من خاصته، حين عمل العجل وقال لبني إسرائيل: **﴿فَقَاتَلُوا هَذَا إِنَّهُمْ كُفَّارٌ إِنَّ اللَّهَ مُوسَى﴾** [طه: ٨٨]، فبرأه الله من ذلك عند من اخترع، بما أظهر موسى في العجل من التمزق والنسف له في اليم، فكلا المعنين حسن، إذ كان كلا الفريقين له موزنياً، والأخر أحستها عندي في المعنى، إذ كان أهله من قبل كفرهم بموسى مؤمنين، ولرب العالمين عابدين.

ثم ذكروا في موسى ما ذكروا، من بعد معرفتهم بالحق، وبعدهم من الكفر والفسق، فنهى الله المؤمنين أن يفعلوا ك فعل أولئك الإسرائلين في الأذى لمحمد صل الله عليه وآله وسلم، في أي وجوه الأذى كان، ثم أخبر ذو الجلال والإكرام، أن موسى عليه السلام: **﴿سَكَانٌ عِنْدَ اللَّهِ وَجِئْهَا﴾**، ومعنى وجيه فهو: كريم معظم مقدم.

١٩٧) وسأله عن قول الله سبحانه: **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالنَّجَابِ فَأَبَيْتَ أَنْ يَحْمِلُنَّهَا وَأَشْفَقْنَاهُنَّهَا وَحَمَلَهَا إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾** [الأحزاب: ٧٢]

قال: هذا مثل مثله الله تبارك وتعالى، يريد سبحانه: أنا لو جعلنا في السماوات

والارض تميزاً وفهـا يفهمـن^(١) به قدر الأمانة، ثم عرضتـ عليهمـ الأمانة لأبيـنـها وأشـفـقـنـ منهاـ، وـمعـنى عـرـضـ الأمـانـةـ عـلـيـهـنـ، فـهـوـ التـكـلـيفـ لـحـمـلـ مـوـتـقـهاـ، يـقـولـ: لـوـ كـلـفـناـهـنـ حلـ وـثـاقـ الأمـانـةـ، لـأـشـفـقـنـ مـنـ تـقـضـهاـ، وأـشـفـقـنـ مـنـ خـيـانـةـ ماـ فـيـهاـ، وـلـمـ يـفـعـلـ بـعـدـ الـعـرـفـةـ وـالـتـمـيـزـ لـهـ، مـاـ يـفـعـلـهـ الـإـنـسـانـ مـنـ الـإـقـادـمـ عـلـىـ تـقـضـهاـ، وـالـغـدـرـ بـمـؤـكـدـاتـ موـاـيـقـهاـ، وـحـلـ إـنـهـاـ، وـجـلـيلـ سـخـطـ اللهـ فـيـهاـ، **«إـنـدـ كـانـ ظـلـمـاً جـهـولاً»**، فـهـوـ: حلـ إـثـمـ الـغـدـرـ بـهـاـ، وـالـإـرـتكـابـ لـسـخـطـ اللهـ فـيـهاـ، **«إـنـدـ كـانـ ظـلـمـاً جـهـولاً»**، يـقـولـ: إـنـ الـإـنـسـانـ ظـلـومـ لـنـفـسـهـ جـهـولـ فـيـ الـإـقـادـمـ عـلـىـ مـعـاصـيـ اللهـ، بـيـاـ عـلـيـهـ فـيـ ذـلـكـ عـنـدـ اللهـ.

١٩٨) وـسـأـلـ عـنـ قـوـلـ اللهـ: **«إـنـا عـرـضـنـا الـأـمـانـةـ عـلـىـ الـسـمـنـاتـ وـالـأـرـضـ وـالـجـيـالـ فـأـبـيـتـ أـنـ يـعـمـلـنـهاـ وـأـشـفـقـنـ مـنـهاـ وـحـمـلـنـهاـ إـلـىـ إـنـسـانـ إـنـدـ كـانـ ظـلـمـاً جـهـولاً»** ﴿٧٢﴾ (الـأـحـرـابـ).

هـذـاـ مـثـلـ اللـهـ تـبارـكـ وـتـعـالـ، يـرـيدـ سـبـحـانـهـ: أـنـ لـوـ جـعـلـنـاـ فـيـ السـهـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ تـمـيزـاـ وـفـهـاـ تـفـهـمـ بـهـ قـدـرـ الـأـمـانـةـ، ثـمـ عـرـضـتـ عـلـيـهـنـ الـأـمـانـةـ لـأـبـيـنـهاـ وأـشـفـقـنـ منهاـ، وـمـعـنى عـرـضـ الـأـمـانـةـ عـلـيـهـنـ فـهـوـ التـكـلـيفـ لـحـمـلـ مـوـتـقـهاـ، يـقـولـ: لـوـ كـلـفـناـهـنـ حلـ وـثـاقـ الـأـمـانـةـ، لـأـشـفـقـنـ مـنـ تـقـضـهاـ، وأـشـفـقـنـ مـنـ خـيـانـةـ ماـ فـيـهاـ، وـلـمـ يـفـعـلـ بـعـدـ الـعـرـفـةـ وـالـتـمـيـزـ لـهـ، مـاـ يـفـعـلـهـ الـإـنـسـانـ مـنـ الـإـقـادـمـ عـلـىـ تـقـضـهاـ، وـالـغـدـرـ بـمـؤـكـدـاتـ موـاـيـقـهاـ، وـحـلـ إـنـهـاـ، وـجـلـيلـ سـخـطـ اللهـ فـيـهاـ، **«إـنـدـ كـانـ ظـلـمـاً جـهـولاً»** يـقـولـ: إـنـ الـإـنـسـانـ ظـلـومـ لـنـفـسـهـ، جـهـولـ فـيـ الـإـقـادـمـ عـلـىـ مـعـاصـيـ اللهـ، بـيـاـ عـلـيـهـ فـيـ ذـلـكـ عـنـدـ اللهـ.

قـالـ: قـدـ يـخـرـجـ مـعـنىـ هـذـاـ عـلـىـ طـرـيقـ الـمـثـلـ، إـنـ لـوـ كـانـ فـيـ السـهـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ

(١) فـيـ (بـ): تـفـهـمـ.

والجبار من الفهم والعقل والتميز والمعرفة ما في الإنسان، لأشفقن من حل إثم الأمانة وتَقْلِيدها.

والأمانة فهي: أمانة الله التي استردها خلقه، وعقدها في رقابهم من أداء حقه، والقيام بأمره، وأخذ الحق وإعطائه.

ومن ذلك أمانات الخلق فيما بينهم، وما يتظاللون به ويجترأون على الله به، فيما يقول لو كان في السماوات والأرض والجبار من التمييز ما في الإنسان، لأشفقن مما تقلده الإنسان، فدخل فيه من أداء الأمانة، والجرأة على الظلم فيها والتقلد لها.





تفسير سورة سباء



ومن سورة سبا

١٩٩) وسألته عن قول الله سبحانه: **«وَالَّذِينَ سَعَوْنَى ءَايَتِنَا مُعْجِزِينَ أَذَلِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ رِّجْزِ الْيَمِنِ»** [سبا: ٥]؟

قال: معنى **«سَعَوْنَى ءَايَتِنَا»** فهو: ^(١) طغوا ^(٢) عليها وكذبوا بها، فهذا سعيهم فيها. ومعنى **«مُعْجِزِينَ»** فهو: مضادين محاذين، ولما أمروا به من الطاعة مخالفين، والرجز فهو: نقم الله واخزاوه، وما يُحَلُّ ^(٣) بأعدائه، فيقول: لم عذاب من انتقام الله أليم، والأليم فهو: الشديد العظيم.

٢٠٠) وسألته عن قول الله سبحانه: **«وَلَقَدْ ءَايَتِنَا ذَارِدًا مِّنْ قَضَائِكُمْ يَنْجِيَالَ أَقْبَى مَعْدَةً وَالطَّيْرَ وَالنَّالَ الْحَدِيدَ»** [سبا: ٦]

قال: معنى **«مِنْ قَضَائِكُمْ»** ^(٤) فهو: نبوتنا التي آتيناه إياها ووحينا، وما جعلنا في الجبال والطير من التأويلا في الجبال، ومقاربة الطير له، وما ألتانا له من الحديد، وما علمناه من عمل السابقات، وهديناه له من التقدير في السرد، حتى عمل جتنا تقيه البأس، وتقل عنده حد بغاة الناس، ومعنى **«أَقْبَى مَعْدَةً»** فهو: ما جعل الله في الجبال من ذلك، وركبها عليه من التركيب كانت كذلك، وهو الصوت الذي يحيي

(١) في (أ): هو.

(٢) في (أ): هو طغوا. وفي (ب): فهو سعوا. ولذلك النص منها.

(٣) في (ب): يحمله.

(٤) في (أ) و(ب): **«فَضْلًا مَنَا»**. والصواب المكس، لأنه يفسر الآية السابقة.

المصوّت من الجبال والاصداح، إذا كان الرجل بين الجبال ونادى ^(١) بشيء أو تكلم به، أو يتهم الجبال بالرد عليه بمثله، ويقال: إن هذا الذي يكون من ^(٢) الجبال من التأليب، وهو الذي تسميه العرب أيضا الصدى، شيء لم يكن قبل داود عليه السلام، وأن الله جعله في ذلك الوقت في الجبال، وقدره لكرامة داود ثم أبقاء إلى اليوم فيها، ليكون ذلك ^(٣) ذكر ما أكرم الله به داود، والله أعلم بذلك وأحكم.

ومعنى قوله: **«وَالظِّيرُ»** فهو: رَدٌ على الأمر، ومعنى أمره الطير فهو: إلهامه إليها ما أراد من مقاربة داود، واحتواشها له ^(٤) وكينزتها قربه، كل طير يصوت بصوته، الذي جعله الله ^(٥) له، مع صوت داود صل الله عليه ^(٦)، فكان داود يبكي ويدعو الله ويناجيه ويناديه، والجبال فتاوب وترد بمثل صوته وكلامه عليه، والطير تضوّت من حوليه، حتى بلغ صل الله عليه إرادته من رضي ربه، وإخلاص التوبة إلى خالقه، ورجوع كرامة الله إليه، وحلوها من الله سبحانه لديه.

«وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ» فمعنى إلاته الحديد له، فهي: خاصة كان الله خصه بها، فكان الحديد يلين له ^(٧) كما يلين الشمع بلا نار، ولم يكن الحديد يلين لأحد قبله إلا بالنار، فلأنَّ له هو بلا نار، فهذا معنى **«وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ»**.

(١) في (أ): الجبلين نادى.

(٢) في (أ): في.

(٣) سقط من (ب): ذلك.

(٤) في (أ): احتواشها عليها.

(٥) سقط من (ب): الله.

(٦) في (ب): عليه السلام.

(٧) سقط من (أ): يلين له.

ثم هذه لعمل السابقات، والسابقات فهي: الدروع الطوال السابرات^(١)، **﴿وَقَدِيرٌ فِي الْأَسْرَدِ﴾** [سما: ١١]، معناه: قادر في تأليف الخلق، بعده إلى بعض، وتسويته وتقدير تباه وسفره، فكان صل الله عليه أول من عمل الدروع، وهدي إلى عملها، ووُفق لتقديرها.

٢٠١ وسائله عن قول الله سبحانه: **﴿وَلِسْلَمَتْنَاهُ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ ... إِلَى قَوْلِهِ: وَقَلِيلٌ مِّنْ عِكَادِيَ الْفَكُورُ﴾** [سما: ١٢-١٣]^(٢)

قال: هذا ذكر من الله سبحانه لما أعطى سليمان صل الله عليه، من تسخير الريح له، واتساعها بأمره، وسيرها^(٣) به وبمن أراد، شهراً في غدوتها، وشهراً في روحتها، فكانت تسير كذلك به، تحمله ومن أحب من عسكره، **﴿وَأَسْلَنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ﴾** أي^(٤): أذينا له عين القطر، والقطر فهو: النحاس، فأذابه الله وأخرجه، ومكث منه وسهله، حتى كان يعمل منه كما يريد، تماثيل وجفان، وغير ذلك من آلات الصُّرُف^(٥).

ثم أخبر بها سخر له من طاعة الجن، وأمرهم به من اتباع أمر سليمان، فكانوا

(١) السابرات، قال ابن منظور: وفي حديث حبيب بن أبي ثابت: رأيت على ابن عباس ثوباً سابرياً أشتف ما ورامة، كل رقيق عندهم، سابري، والأصل في الدروع السابرة مشتقة إلى سابر، لسان العرب، مادة سير.

(٢) كمال الآيات: **﴿... وَرَوَاهُوا شَهْرٌ وَأَسْلَنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَبَيْنَ الْجِنِّينَ مَنْ يَقْتَلُ سَخْنَ مَذَبَّهِ يَمْدَدِنَ رَيْدَهُ وَمَنْ يَنْعِزْ مِنْهُمْ هُنَّ أَمْرَنَا ثَلِيقَةٌ مِّنْ عَذَابِ الْشَّعِيرِ ﴿يَقْتَلُونَ لَهُ مَا يَنْتَهُ مِنْ شَعِيرَةٍ وَتَمْتَلِئُ وَجْهَانُ كَالْجَوَابِ وَلَدُورِ رَأْسِهِتُ أَقْتَلُوا إِلَّا دَاؤُهُ شَكَرًا ...﴾.**

(٣) ن (١): وسيرها.

(٤) سقط من (١): أي.

(٥) الصُّرُف بالضم: نحاس يعمل منه أواني.

يعملون له كلما^(١) ذكر الله، مما كان يأمرهم به، ثم أخبر أن من عصى الله بمعصية سليمان منهم فزاغ، أذاقه الله العذاب الذي أوجبه على العصاة منهم، «يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ تَحْرِبٍ»، والمحاريب فهن^(٢): محاريب المساجد وبناؤها، «وَتَسْبِيلٌ» والتهائل وهي: التهائل التي كانت الشياطين تعملها لسليمان عليه السلام، مثل له كلما أراد من الصُّفُرِ والزجاج والحجارة وغير ذلك، مثل^(٣) ما مثلت من صرح صاحبة وسبأ، وأشياء كثيرة معروفة، وهي اليوم ظاهرة موجودة في الدنيا، بالشامات وبمصر وفي بيت المقدس^(٤).

والجفان وهي: هذه الجفان المعروفة، التي يكون فيها الماء والطعام، فكانت تحتتها له من الصخور، وتعملها من الصفر، على ما ذكر الله من العظم والكبر، «كَالْجَوَابِ»، والجواب وهي: الحفر الكبار، تسمى العرب الحفرة الكبيرة: جوبة من الأرض وفي الأرض، والجواب وهي: جمع الجوبة الواحدة، «وَقَدُورٌ رَّاسِيَّةٌ» فالقدور هن: البرام التي يطبع فيها، فكانت تعملها من الصفر، على غاية ما يكون من العظم، حتى كانت راسيات، والراسيات وهي: التي لا يعركتها إلّا الخلق الكبير^(٥)، فهي لتقلها راسية على أرضها، ثابتة في مكانها، قائمة بأثني عشر منها، مفرعة فيها، يوقد النار من تحتها ومن حولها، إذا أريد أن يطبع شيء فيها، فلباثها مكانها

(١) في (أ): كما.

(٢) في (ب): وهي.

(٣) في (أ): ومثل.

(٤) وهذا يعني أنه لا إشكال في وجود التهائل القديمة من حجر أو شجر أو نحاس أو غير ذلك من الأشياء، حتى ولو كانت تأخذ أنساناً واحدة، سبياً وقد ثبت الترجيد ولم يعد هناك خطر منها بعد الترجيد، ويشوش على المسلمين فكرهم وكذلك ألعاب الأطفال التي تصنع على إشكال الحيوانات وغيرها.

(٥) في (أ): الكثيرة.

سبت: راسيات، إذ كانت في المكان لنقلها متروكات، **﴿أَعْمَلُوا إِنَّمَا ذَوِي دَمْرَةٍ شُكْرًا﴾** يقول: اعملوا الله شكرًا على ما أعطاكم، وخصكم ^(١) به دون غيركم وأولادكم **﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِي أَشْكُرُ﴾**، يقول: قليل من عبادي من إذا أنعمت عليه بنعمه من نعمي كان شاكراً فيها لي، أو قاتنا بها يحب فيها من حقي، فلا تكونوا في ذلك، كمن ذمناه ^(٢) بقلة الشكر من أولئك.

٤٠٢) وسئلته عن قول الله سبحانه: **﴿فَلَمَّا قُضِيَتِنَا عَلَيْهِ الْمُنْزَتُ مَا ذَهَمَ عَلَىٰ مُنْزَتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْخُلُ مِنْ سَائِهٖ﴾** [سـ١١: ٤٣]

قال: معنى **«قضيتنا»** هو: أوقعنا عليه الموت، **«إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ»** فهي: الأرضية التي تأكل العيدان حتى تكسرها، فأخبر أنه لما أن قضى على الموت، لم يدل ^(٣) الشياطين ولا الأدميين على أنه ميت عليه السلام إلا هذه الدابة، التي أكلت منهاته حتى انقطعت سقطت، فلما سقطت خرت جثة ساقطة، لأنها كانت إلى النساء مستندة، وعليها ^(٤) متکية، فلما انقطعت النساء سقطت الجثة، فتبيّنت الجن عند ذلك أنهم لو كانوا يعلمون شيئاً من الغيب، لعلموا بمورته فلم يلبثوا في العذاب، من العمل والكدر مذ مات إلى أن خر، حين قطعت الدابة منهاته، والمرأة في العصا التي كان متکناً عليها، قاتنا إليها مستنداً من الجدار إليها، قد وضعتها في

(١) في (ب): وحكيمكم، مصحفة.

(٢) في (أ): ذمها.

(٣) كما في الآية: **«... فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَلْقَبُوهُنَّ لَيْلَوْا لِلْعَذَابِ الْأَلْهَمِينَ»**.

(٤) في (أ): تدل.

(٥) في (ب): عليها.

صدره، وشد علیها بکفہ، وهو قائم في عربابه، ثابت في مقامه، فأناه الموت وهو على تلك الحال، فلم يزل حتى كان ما ذكر من الخبر عنه ذو العزة والجلال.

٢٠٣) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿فَلَمْ يَرَبِّيْ بَنْسُطَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (س:٢٦)؟

قال: معنى ﴿بَنْسُطَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ هو: يوسع على من يشاء في رزقه، ﴿وَيَقْدِرُ﴾ فهو: يقدر لمن يشاء مقدار رزقه وقوته، ما^(١) يسط له من السعة في الرزق، والرزق فهو:^(٢) المال، ما يسط لغيره تدبیرا منه سبحانه وتقديرأ، ولطفا منه للكل وتدبیرا، وكل قد فعل به من ذلك ما هو خير له، وأصلح في المعان كلها، عاجلها وآجلها.

٢٠٤) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿فَالَّذِيْأَ سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونَهُمْ بِلَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّةَ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُّؤْمِنُونَ﴾ (س:١١)؟

قال: هذا إخبار من الله سبحانه عن من أطاع الشياطين في الدنيا، واتبعهم وجرى في إرادتهم، وإفك وساوسهم، فأخبر أنهم يتغرون من ذلك في الآخرة، ويزعم أنه كان يتولى الله دونهم، فاكذب الله قوله، وأخبر أنهم كانوا يعبدون الجن من دون الله، وعبادتهم للجن فهي: طاعتهم لهم، وطاعتهم لهم فهو: اتبعهم لوساوسهم، وقبولهم لما كانت الشياطين توسم به لهم، لأن من أطاع شيئاً فقد عبده، لأن أفضل العبادة الطاعة لله، كانت عبادة العابد لله^(٣) أو لغيره سبحانه، من

(١) في (أ): لا.

(٢) سقط من (ب): والرزق فهو: .

(٣) في (أ): له.

الإنس والشياطين، ومعنى **«أَخْتَرُهُمْ بِهِمْ شُرِّمُورَتْ»** فهو: مصدقون، لأن الإيمان هو التصديق، لأن^(١) من صدق شيئاً فقد آمن به، ومن أنكره^(٢) فقد كفر به.

٢٠٥) وسألته عن قول الله سبحانه: **«وَكَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْنَارَ مَا أَتَيْتَهُمْ فَكَذَبُوا رُسُلِيْ فَكَيْفَ كَانَ تَكْبِيرُهُمْ؟»** [س:٤٥]

قال: هذا إخبار من الله تبارك وتعالى، لنبيه صل الله عليه وآله وسلم، بما كان من كان قبل قريش، من بعث إليه الرسل فكذب، كما كذبت قريش، فنزل بهم من نعم الله ما نزل بهم، فأخبر سبحانه بذلك^(٣) عنهم، تحربها وإعذاراً وإنذاراً إلى قريش، ليحدروها ما نزل بغيرهم قبل أن ينزل بهم، فاما^(٤) قوله: **«وَمَا بَلَغُوا مِعْنَارَ مَا أَتَيْتَهُمْ»** فإنما يريد بذلك: بأن قريشاً لم تصل في المقدرة والجلدة، وسعة الأموال والطاعة. معشار ماؤتي الذين أخذوا بتكذيب رسليهم، معنى **«فَكَيْفَ كَانَ تَكْبِيرُهُمْ؟»** يقول: كيف كان تغييري عليهم، وأخذني لهم على فعلهم.

٢٠٦) وسألته عن قول الله سبحانه: **«فَلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**

قال: معنى **«جَاءَ الْحَقُّ»** فهو: وقع الحق، وحق الوعد، **«وَمَا يُبَدِّي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ»** يقول: ما يبدى الباطل أمراً ينفع أهله، في شيء من أمرهم، **«وَمَا يُعِيدُ»** يقول: لا يعود نفعه عليهم، ولا ضرره على عدوهم.

(١) سقط من (١): لأن.

(٢) في (١): انكر.

(٣) في (١): بذلك سبحانه.

(٤) في (ب): وأما.

٢٠٧) وسألته عن قول الله سبحانه: **﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ ... إِلَى قَوْلِهِ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾** [سورة العنكبوت: ١٦-١٩]

قال: هنا جتنا مأرب، كانتا كما ذكرهما الله، فكفر أهلها^(١) أنتعنه فأذهبها، وأبدلهم مكانها^(٢) ما ذكر من هذا الخmut والأثل والسدر، والخmut فهو: ألفاف الشجر والشوك، والأثل فهو: هذا الأثل المعروف الذي يسمى: الظرفاء، والسدر معروف يسميه أهل اليمن: علوبها.

و**﴿سَيْلَ الْعَرْمِ﴾** فهو: السيل الغالب الشديد الكثير، أرسله على الجتتين فقلماها واحتمل حجارتها، وإنما سمي: العرم، لأنه اشتق له من العramaة، والعرامة فهي: الصعوبة في الشيء والاتعب لما داناه، فلما أتعب السيل ما داناه، شبّهه^(٣) بذلك، فقيل: سيل العرم، لشدة بأسه، وتعب ما يلقى منه الشجر وغيره، والقرى التي يورك فيها فهي: قرى الشام بيت المقدس، وقد كان منهم ما ذكر الله سبحانه من سوا لهم وطلبتهم بعد ما بينهم، فصاروا يطلبون المرافق التي كانت حاضرة في جتهم على بعد منهم، والقرى الظاهرة التي بينهم وبين الأرض المباركة، فهي هذه القرى والمتأهل والمدن التي بينهم وبين الشام، وتزيقه لهم فهو: ما كان من خروج أهلها بعد خرابها إلى آفاق البلاد، وقد قيل: إن بقيتهم اليوم بجبال^(٤) طيء وتلك التواحي.



(١) كمال الآيات: **﴿... وَنَذَّلْنَاهُمْ بِجَنَاحَتِهِمْ حَتَّنَنْدَقَنْ دَوْقَنْ أَسْكَلْ خَنْطَ وَأَنْلَ وَشَنْ وَبَنْ سِنْرَ قَلْلِ بَنْ دَالِكَ جَرَّنْتَهُمْ بِسَا كَفَرُوا وَمَلَ نَجْرَى إِلَى الْكَفُورِ﴾** وجعلنا أباً لهم وحقن القرى التي بنَرَحَنْتَا فيها قرَى ظهرة وقد رأينا فيها آلسَّيْرَ سِرُّوا فيها لَيَالِي وأيَامًا ؛ اسْبَعَنْ **﴿فَقَالُوا رَبُّنَا بَنِيدَ بَنِينْ أَسْقَارِنَا وَظَلَّمُوا أَنْفَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرْفَنْهُمْ كُلُّ مُسَرِّقٍ إِنَّ دَالِكَ لَأَبَتِ...﴾**.

(٢) في (ب): ذكر الله فكفر أهلها.

(٣) في (أ): مكانها.

(٤) في (أ): شبهه.

(٥) في (أ): بجبال.



تفسير سورة فاطر



ومن سورة فاطر

٢٠٨) وسألته عن قول الله سبحانه: **﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ تَدِيرًا مَا زَادُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۚ ... إِلَى قَوْلِهِ: وَلَنْ تَجِدَ لِسْتَ أَلَّا تَحْوِيلًا﴾** [١٢-٤٢] ^(١)

قال: معنى **﴿هُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سَنَّ الْأَوَّلِينَ﴾** يقول: هل ينظر صاحب المكر ^(٢)، والمعصية ^(٣) العلی، إلا أن يأتيه ما أثاء الأولين، الذين كانوا فيما كانوا فيه من ^(٤) المعاصي، من إحلال النقم بهم، وإزالة النعم عنهم، فهذه ^(٥) سنة الأولين، وهذه سنة الله التي لا يوجد لها تحويل ولا تبدل، يريد حكم الله الذي حكم به في الأولين، وسته في أهل المعاصي منهم، من إزالة النقم عليهم، وهذا شيء لا يحول من أهل المعاصي والذنوب، فكان ذلك من الله في الزمان الأول على صنوف فيمن عصاه، وهو اليوم في أمة محمد صلى الله عليه وآله على صنوف آخر، تنزل بمن عصى منهم، وتخل بمن ^(٦) اجترى على ربه، فكان العذاب في الأولين يكون بالمسخ والقذف والخفف والرجز، وهو في أمه محمد عليه السلام، بالجروح والملائكة والخروف، والسيف والقتل والملوت، ثم يضطرهم إلى عذاب النار وبئس المصير.

(١) الآية: **﴿أَتَسْكِنُهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُنَكِّرُ أَلَّا يَعْلَمُونَ الْكُرُّ أَلَّا يَعْلَمُونَ إِلَّا سَنَّ الْأَوَّلِينَ لَنْ تَجِدَ لِسْتَ أَلَّا تَحْوِيلًا﴾**.

(٢) في (١): فيه الأولون من.

(٣) في (١): لهذا.

(٤) في (١): من.

٢٠٩) وسألته عن قول الله سبحانه: «ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْتَكُونَ مِنْ قُطْمَرٍ» ^(١) [ناطر: ١٣]

قال: هذا إخبار من الله سبحانه بأن الأمر كله والحكم له وبه، وأن كل من يدعوا من دونه لا يملك قطمير، والقطمير فهو: الأمر الصغير الحقير، الذي لا يكون له وزن، وهو مثل النغير والفتيل، وقد قيل: إنه أيسر منها وأخف، فأخبر سبحانه أنهم لا يملكون من الأمر شيئاً، لا نصراً لأولئك منهم، ولا عوناً ولا تغريجاً عنهم، ولا عوناً يقاوم بهذا القطمير فضلاً عن غيره، فهذا معنى ما ذكر الله من القطمير ومثله.

٢١٠) وسألته عن قول الله سبحانه: «وَمَا يَسْقُى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرَ ... وَلَا الظَّلْمَنْتُ وَلَا النُّورُ ... إِلَى قَوْلِهِ: وَمَا أَنْتَ يُسْمِعُ مَنْ فِي الْقُبُورِ» ^(٢) [ناطر: ١٩-٢٢]

قال: هذا مثال ضربها الله عز وجل للحق والباطل، والدين والكفر، فجعل الباطل والمبطل كالاعمى والظلمات، والحرور والأموات، وجعل الحق والمحقق كالبصير والنور، والظل والأحياء، ليعتبر بذلك المعتبرون، ويميز بين ذلك الميزون. وأما قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ» فهو: إثبات لقدرته تبارك وتعالى على ما يشاء.

(١) كمال الآية: «بُرُوجُ الْأَيْلَلِ بِالشَّهَارِ تُرْلُجُ الْكَهَازِ بِالْأَيْلَلِ وَسَخَرَ الْمُؤْسَنَ وَالْقَمَرَ حَلَّ بَخْرِي لِأَجْلِ مُشَقَّى ...».

(٢) كمال الآيات: «... وَلَا أَنْطَلُ وَلَا أَنْزَرُو ... وَمَا يَسْقُى الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ...».

واما قوله: **«وَمَا أَنْتَ بِمُسْتَبِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ»** فإنها هذا مثل الله به الكافرين، أنهم في الإعراض وقلة الاستئماع والقبول كأهل القبور.

٢١١) وسئلته عن قول الله سبحانه: **«فَمَ أَوْرَثْنَا أَكْتَبَ الدِّينَ أَصْطَفَنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِيهِ ...»** (فاطر: ٢٢) ^(١) إلى آخر الآية؟

قال: هم آل رسول صل الله عليه وأله المؤمنين منهم، فهم صفة الله وخيرته، باختياره سبحانه لأبيهم محمد صل الله وعل آله، فأورثوا الكتاب، وجعل فيهم من بعد الإسرائيلين، تفضلا من الله عليهم، وإكراما بذلك لهم، ثم ميزهم وأخبر الخلق بأخبارهم، ووصفهم لهم بصفاتهم، لكن لا يبقى للخلق عليه حجة فيهم، ولأن لا يحمل أحد سواية ^(٢) مسيئهم على محسنه، ولا يطعن طاعن على مؤمنهم بفسق فاسقهم، فقال: **«فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِيهِ»** وهو فاسق آل محمد، **«وَمِنْهُمْ سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ»** وهم أهل الدين والورع والعلم منهم، أئمة الحلال والحرام، وأهل الورع والإسلام.

«وَمِنْهُمْ سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ»، فهم أئمة آل محمد الطاهرون، أهل السيف المجاهدون، الذين نصبو أنفسهم لله، وباينوا بالحق في ذات الله، وأخافوا أعداء الله وخافوهم، وواجهدوا في سبيل الله من عنة عنهم، وحكموا بكتاب الله وسنة نبيه، وضرروا بالسيف من عنة عن دينه، فكملت فيهم صفات الأنمة، فوجبت طاعتهم على الأنمة، حجة على العالمين، ونعمه منه على المتعين، ونقمته في الدنيا والآخرة على المخالفين، **«إِيَّهُمْ لَكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْتِهِ وَخَلَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ**

(١) كمال الآية: **«... وَمِنْهُمْ مُفْتَحِيدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكُمُ الْأَعْلَمُ وَالْأَفْضَلُ الْكَيْدُونُ»**.

(٢) أي: سيدة ...

لَكُمْ بِعِلْمٍ^(١)» [الآفاق: ٤٢]، «بِإِذْنِ اللَّهِ^(٢)» يقول: بحكم الله وأمره له، بما قام فيه السابق إليه من طاعته، «ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» يقول: الفضل له الكبير العظيم، في ما أورثناهم من الكتاب الكريم.

٢١٢) و[مثل] عن قوله: «بَرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ» [فاطر: ٩] قال: معنى «بَرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ» أي: يكون الرجل واحداً، ثم يكونوا من بعد ذلك خمسة أو ستة أو أكثر من ذلك، وهذه الزيادة التي ذكر الله تبارك وتعالى.



(١) كما في الآية: «إِذَا نَسِمْ بِالْمَدْرَةِ الدُّنْيَا وَعُمْ بِالْمَدْرَةِ الْفَضْرَى وَأَرْسَبْ أَسْقَلْ بِسَكْمٍ وَلَزْ ثَوَاعِدْ ثَمَّ لَا خَلَقْ شَدِّي أَلْبَعَنْدِ وَلَكِنْ لِتَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرَ احْكَامَ مَقْعُولًا...».



تفسير سورة يس



ومن سورة يس

٢١٣) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَانًا فِيهِ إِلَى الآذْقَانِ ... إِلَى قَوْلِهِ: فَهُمْ لَا يُبَصِّرُونَ﴾ [يس: ٩-٨] ^(١)

فقال: هذا رد من الله سبحانه عليهم، وإكذاب لهم في قوله، حين: ﴿فَالْأُولُوْبَسْتَافِيْ أَحَسِنَةِ مِئَاتِ دُعَوْنَاتِ إِلَيْهِ ...﴾ [نصت: ٦] ^(٢) إلى آخر الآية، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صل الله عليه هذه الآية، يريد: إننا جعلنا في أعناقهم أغلالاً! وجعلنا من بين أيديهم سداً! كما قالوا وكما ذكروا أن على قلوبهم أكتة، وفي آذانهم وقرا، هذا ما لم نفعله بهم، ولم نجعله على قلوبهم، وكذلك في قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَيْهِمْ أَحَسَنَةَ أَنْ يَقْنَعُوهُ وَقَرِئَ عَذَابَهُمْ وَقَرِئَ﴾ ^(٣) يريد: إننا جعلنا ذلك بهم كما قالوا! هذا ما لم يكن منا فيهم، ولم نحكم به عليهم.

ثم قال: ﴿وَإِنْ تَتَعَمَّدُ إِلَى الْهَدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبْدَلْنَا لَهُمْ﴾ [الكهف: ٥٧] يقول: إن كنا فعلنا هذا بهم، فلن يستطيعوا أن يخرجوا منه إلى المدى، ولن يطيقوا دخولاً إذا في هدى ^(٤)، فلِمَ أرسلناك إليهم؟ وأمرناك بدعائهم؟ لو كنا فعلنا ذلك

(١) كمال الآيات: ﴿... فَهُمْ بُلْهَيْرُونَ﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَنِي أَنْبِيَاءِهِمْ سَدًا فَيَنْ خَفِيَهُ سَدًا ثَأْغِيْرَتْهُمْ...﴾.

(٢) كمال الآية: ﴿... وَرَقِيَّ دَادِيَّنَا وَقَرِيَّ وَمِنْ أَبْنِيَنَا وَتَرِيَكَ حِجَابَ لَنَأْغْمَلَ إِنْشَا عَمِيلُونَ﴾.

(٣) في (١): هنا.

بهم !! هذا إِذَا مِنْ أَعْبَثْ وَاسْهَزَ، وَأَمْرُ مَا^(١) إِيَّاكَ لِخَالِبَةِ لَنَا، وَأَمْرُ مَا لَكَ بِالدُّعَاءِ
لَمْ إِلَى خَلَافِ إِرَادَتِنَا، وَتَكْلِيفُ مَا لَكَ وَلَمْ خَلَافُ مَا يَسْتَطِعُونَ، وَأَمْرُ مَا لَهُمْ بِهَا
لَا يَنْالُونَ، فَتَعْلَى عَنْ ذَلِكَ عَلُوًا كَبِيرًا، وَتَقْدِيسُ تَقدِيسًا عَظِيمًا^(٢).

٢١٤) وَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبَحَانَهُ: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقْرٍ لَهَا... إِلَى
قَوْلِهِ: كَالْعَرْجُونَ الْقَدِيمِ»^(٣) (بِسْ: ٢٨-٢٩)؟

فَقَالَ: قَوْلُهُ: «لِمُسْتَقْرٍ لَهَا» هُوَ: إِلَى مُسْتَقْرَهَا، وَمَعْنَى مُسْتَقْرَهَا الَّذِي
تَحْرِي إِلَيْهِ فَهُوَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ. «ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»^(٤)
يَقُولُ: تَدْبِيرُهُ فِي الشَّمْسِ وَفَعْلُهُ فِي قَطْعَهَا لِفُلُكَهَا، وَجَرِيَّهَا مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ وَفَوْقَهَا،
«وَالْقَمَرُ قَدْرُنَّهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعَرْجُونَ الْقَدِيمِ» يَقُولُ: دِبْرَنَا وَقَدْرَنَا
عَلَى ذَلِكَ، وَجَعَلْنَاهُ حَتَّى صَارَ يَكُونُ مَرَةً صَغِيرًا وَمَرَةً كَبِيرًا^(٥)، بِتَقْدِيرِنَا وَتَدْبِيرِنَا،
وَمَا جَعَلْنَا فِيهِ مِنْ أَثْرٍ حَكَمْنَا^(٦)، «حَتَّى عَادَ» يَقُولُ: حَتَّى صَارَ مِنْ بَعْدِ الْكَبِيرِ، إِلَى
شَبَهِ الْعَرْجُونِ الْقَدِيمِ، وَالْعَرْجُونُ فَهُوَ: الْعُودُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ ثَمَرُ النَّخْلِ، يَكُونُ
مَعْوِجاً مِنْحِنَا^(٧) كَانْحَنَاهُ الْمَلَلَ فِي آخِرِ شَهْرِهِ، فَنَبَّهَ اتْحَنَاهُ الْمَلَلَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ
كَالْعَرْجُونِ الْمَنْحِنِيِّ الْقَدِيمِ، وَالْقَدِيمُ فَهُوَ: الْعَتِيقُ، فَأَخْبَرَ سَبَحَانَهُ بِأَثْرِ تَدْبِيرِهِ فِيهِ،
حَتَّى عَادَ كَمَا ذَكَرَ.

(١) في (ب): وَحْكَمْنَا، مَصْحَفَة.

(٢) سَقطَ مِنْ (ب): وَتَقْدِيسُ تَقدِيسًا عَظِيمًا.

(٣) كِمالُ الْآيَاتِ: «... ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» وَالْقَمَرُ قَدْرُنَّهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ...».

(٤) في (ب): كَبِيرًا وَمَرَةً صَغِيرًا.

(٥) في (ب): وَحْكَمْنَا.

(٦) في (ب): عَنْهَا.

٢١٥) وسألت عن قول الله سبحانه: «وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَالِيَّةً لَعَلَّهُمْ يُنَصَّرُونَ ﴿٦﴾ لَا يَسْتَطِعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنُدٌ خَاضِرُونَ ﴿٧﴾» (بٰس: ٧٥-٧٤)

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه بخطأ المشركين في أنفسهم، واتخاذهم من دونه ما لا يضرهم ^(١) ولا ينفعهم، وجعلهم لهم آلة يعبدونهم من دون إلههم، ثم أخبر أنهم لا ينضرهم، ولا يستطيعوا ذلك فيهם ولا في أنفسهم، ثم قال: «وَهُمْ لَهُمْ جُنُدٌ خَاضِرُونَ» يقول: الآلة التي يعبدونها من دون الله لا تنفعهم ولا تضرهم، في شيء من أمرهم، وهم مع ذلك للألة «جُنُدٌ خَاضِرُونَ» يقول: يجتمعون على عبادتهم، وعلى التذليل والخشوع لهم، كخشوع الجنود لملوكهم، فشبّه اجتماعهم على آلهتهم، وعبادتها من دون ربها باجتماع الجنود لملوكهم، فسماهم بفعلهم وتذللهم وتخشعهم للألة: جندا، وهم لا يجدون عندهم مع ذلك مقدرة ولا نفعا.

٢١٦) وسألت عن قول الله سبحانه: «فَسَبَّحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨﴾» (بٰس: ٨٣)

فقال: معنى قوله: «فَسَبَّحَنَ» يقول هو: جَلٌ وعَظُمٌ، وتقديس وكرم، «الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ» فهو: الله، بيده كل شيء وأزمهها، وقدرته جارية عليها بأسرها.

٢١٧) وسألت عن قول الله: «لَقَدْ حَنَّ الْقَرْلُ عَلَى أَخْتِرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ... إِلَى أَمْ لَمْشَدِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾» (بٰس: ١٠-٧)

(١) في (١): يضرهم.

فالقول الذي حق على الفاسقين، فهو: وعید الله وما حکم به على العاصي من العذاب المهين، يقول: قد أحق عليهم وعيدهما ما اكتسبوه من معاصي الله، ومعنى قوله: **«حقٌ»**^(١) فهو: وجب ووقع، وصح عليهم فعل يدفع، بإدخالهم لأنفسهم في العصيان، وما به يحق عليهم القول من عذاب التيران، وقوله: **«فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**» فأخبار منه سبحانه لرسوله صل الله عليه وآله وسلم باختيارهم لما هم عليه من كفرهم، وأنهم لا يتركون ما هم عليهم من شركهم، لا أن الله فعل ذلك بهم، ولا أدخل شيئاً من كفرهم عليهم.

وأما قول سبحانه: **«إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْتِقَاهُمْ أَغْلَنِكَلًا فِيهِ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْسَمُحُونَ**^(٢)

فقد تقدم شرح مثلها، والقول في هذه كالقول فيها.

وأما قوله: **«وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**^(٣)

فهذا أيضاً فأخبار من الله لنبيه صل الله عليه وآله وسلم عن اختيارهم للكفر، وصدتهم عن الهدى والإيمان، وأنهم لا يؤمنون ولو أكثر من الإنذار، وأطال من الإعذار، لما قد غلب عليهم من الحمية والجهل، وداخلهم من الحسد والدغل، لا أن الله أحدث ذلك فيهم، ولا قضاه سبحانه عليهم.



(١) في (١): أحق.



تفسير سورة الصافات



ومن سورة الصافات

(٢١٨) وسألته عن قول الله تبارك وتعالى في إبراهيم صلوات الله عليه: **﴿فَنَظَرَ نَظَرَةً فِي الْجُجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾** (الصافات: ٨٩-٨٨)

قال: معنى ذلك: إن قومه كانوا يعبدون النجوم السبعية، فلما نظر إلى جهنهم، وما هم عليه من عبادتهم، لما هو غلوق مربوب، يدخل عليهم الزيادة والقصاص، وأنه آفل زائل، متقل حائل، فقال: **﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾**، ومعنى قوله: **﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾** أي: سقيم القلب لما أنتم عليه من عبادة هذه المخلوقات المحدثات، وانصرافكم عن الله في كل الحالات، وقلة نظركم وتذيركم وفكركم في عظمة خالقكم، وجهلكم في عبادة أصنامكم، واجتنابكم عن طاعة ربكم وإلهكم، وخالق هذه التي تبددون.

ونظره في النجوم: فإنها هو ذكره وتذيره، فيها هم عليهم من عبادتهم، وقلة بصرهم ^(١) لأنفسهم، لا كما يقول الجاحلون: من أنه كان منجباً، وأنه كان يستعمل النجوم ويحسب بها، وليس كذلك ^(٢) ولا يجوز على نبي الله شيء من ذلك.

(٢١٩) وسألته عن قول الله سبحانه: **﴿وَالصَّافَّتِ صَافَّتٌ فَالزَّجَّارَاتِ زَجَّارٌ فَالثَّانِيَاتِ دَحْتَرٌ﴾** (الصافات: ٣-١)

(١) في المخطوط: وإنصاركم. لعلها مصححة ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في المخطوط: تصرهم. لعلها مصححة.

(٣) في المخطوط: ذلك. وما أثبت اجتهاد.

قال: الصّافات فهي: الملائكة، وذلك قوله سبحانه: «وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُصَانُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَتَّحُونَ» (الصالات: ١١١-١١٥)، ومعنى صّافات فهو: وقوف صفوفاً لله عابدون، و«أَرْجِرَاتْ زَجْرًا» (فَقَاتَ الرِّجَرَاتْ) فهي: الملائكة أيضاً، الزّاجرات للخلق عن معاصي الله الخالق، بما تنزل به من أمر الله ونهيه، ومؤكّدات فرضه^(١)، (فَقَاتَ النَّائِيَّاتْ دَخْرًا) فهن: الملائكة أيضاً التي تتلو وحي الله على أنبيائه، وتنزل بزواجه آياته لأنبيائه.

٢٢٠) وسألته عن قول الله سبحانه: «فَاتَّسْتَغْنِيهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقَنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَأَرْبِبْ» (الصالات: ١١١)

قال: معنى «أَسْتَغْنِيهِمْ» فهو: سُلْهُم «أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقَنَا» يقول: من الملائكة والجن، وغير ذلك من خلقنا، يريد: أن الذي خلق من الملائكة والجن وغير ذلك، من خلقناهم أشد خلقاً، وأعظم أمراء، وألين في المقدرة من خلق الإنس، ثم أخبر سبحانه بالذى خلق منه الإنس^(٢)، من هذا الطين اللازم، واللازم^(٣) فهو: الطين العنك الشديد الملتصق.

٢٢١) وسألته عن قول الله سبحانه: و«أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَّسِعُ لَهُنَّا قَاتُلُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَا عَنِ الْيَمِينِ فَأَتَوْا بِلَمَّا تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» (الصالات: ٢٧-٢٩)

قال: هذا إخبار من الله سبحانه عن تساؤل أهل النار وتلاوهم، قال التابعون للمتبوعين: بل «كُنْتُمْ تَأْتُونَا عَنِ الْيَمِينِ»، ومعنى (تَأْتُونَا عَنِ

(١) في (ب): فراغته.

(٢) في (ب): الإنسان.

(٣) سقط من (أ): واللازم.

آتَيْمِينَ) فهُوَ تأثُورُنَا عن الْأَمْرِ الْمَعْوُنِ الْمَبَارَكِ، الَّذِي فِيهِ لَوْ اتَّبَعْنَا إِلَيْمِنَ وَالنَّجَاهَ، كَسْتَمْ تأثُورُنَا دُونَهُ، أَيْ تغْوِيَتَنَا فِي تَرْكِهِ، فَهَذَا مَعْنَى إِتَّيَاهُمْ لِيَاهُمْ عَنْهُ، أَيْ دُونَهُ يَصْرُفُوهُمْ مِنْهُ، وَيَنْأُونَ بِهِمْ عَنْهُ، قَالَ: **الْمُتَّبِعُونَ**^(١) لِلْمُتَّابِعِينَ **فَبِلَّ لَمَّا تَكُونُوا مُتَّمِمِينَ**) أَيْ: لَمْ تَكُونُوا مُهَتَّدِينَ، وَلَا بِالَّذِي كَذَبْنَا بِهِ مُصَدِّقِينَ.

(٢٢٢) وَسَالَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ: **فِي طَافِ عَلَيْهِمْ يَكَاسِ مِنْ مَعْيِنٍ**^(٢) **يَبْصَرُهُمْ**^(٣) **لَدَّةً لِلشَّرِّيْنِ**^(٤) **لَا فِيهَا عَزَلٌ**^(٥) **وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ**^(٦)) (الصَّادَات: ٤٧-٤٥)

وَالْمَعْيِنُ هَاهُنَا فِيهِ: خَرُّ الْجَنَّةِ الْمَبَارَكَةِ الْطَّيِّبَةِ، **لَدَّةً لِلشَّرِّيْنِ** يَصُفُّ حَسْنَهَا وَصَفَاهَا، وَيَخْبُرُ أَهْنَا يَبْصَرُهَا كُلُّ مَنْ شَرِبَهَا، وَيُسْتَطِيبُ طَعْمَهَا، **لَا فِيهَا عَزَلٌ** يَقُولُ: لَا فِيهَا أَمْرٌ يَغْتَالُ عَوْرَلَمِ، وَلَا يَزِيلُ أَفْهَامَهُمْ، وَلَا يَضْعِفُ أَبْدَانَهُمْ، بَلْ هِيَ تُشَدُّ أَعْضَاهُمْ، وَتُخْسِنُ حَالَمِ، ثُمَّ أَخْبُرُ أَهْنَمْ لَا يَنْزَفُونَ عَنْهَا، وَالْتَّرْفُ فَهُوَ: مَا يَنْزَلُ بِشَرَابٍ^(٧) الْخَمْرُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْقَيْمَنِ النَّرْبِعِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنَ الْفَضَائِحِ الشَّنِيعَةِ، وَالْأَمْرُوْرِ الْقَبِيْحَةِ، فَأَخْبُرُ^(٨) سَبْحَانَهُ أَنْ خَرَّ الْآخِرَةِ بِرَبِّهِ مِنْ كُلِّ غُولٍ وَبِلَاءِ، أَوْ آفَةٍ أَوْ رَدَى^(٩).

(٢٢٣) وَسَالَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ: **فَقَالَ قَاتِلٌ مَتَّهِمٌ إِنِّي كَانَ لِي قَرِيبٌ**^(١٠) **يَقُولُ أَوْنَكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ**^(١١) ... إِلَى قَوْلِهِ: **فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ**^(١٢)) (الصَّادَات: ٥٥-٥٤)

(١) في (ب): المُتَّبِعُونَ.

(٢) في (ب): بِشَارِبِ خَرِ الدُّنْيَا.

(٣) في (ب): فَأَخْبَرْنَا.

(٤) في (ب): وَرَدَى.

(٥) كِمالُ الْأَيَّاتِ: **فَ... أَوْدَأْتَنَا رَسْكًا ثَرَابًا وَعَطَّلَنَا أَوْنَتَنَا لَتَبَيَّنَنَّ**^(١٣) **فَإِنَّ هَلَّ أَشَمَّ مُثْلِمُنَّ**^(١٤) **فَأَنْكَلَعَ قَرَاءَهُ...**

قال: هذا إخبار من الله سبحانه عن (^(١) غبر)، يريد خبراً عنها كان فيه أهل الدنيا، من الكفر والتكذيب، فأخبر عن هذا الخبر أن المؤمن سيقول هذا القول، يخبر به عن قرينه، الذي كان يصدّه عن التصديق بوعده، وبعثه خلقه من قبورهم بعد موتهم وزوالهم، فأخبر أنه كان يقول: أنت لتصدق بما يقول به محمد، من أنك تبعث بعد موتك! هذا ما لا يكون، لن تبعث بعد الموت ولن تدان، ومعنى تдан فهو: نجازى على أعمالنا ونحاسب، فكان المؤمن مصدقاً بما كذب به الكافر، غير مطين له في قوله، ثم ذكره في الآخرة، فاحب أن يدرى أين صار، فأطلعه الله على أمره، وأراه موضع عمله من النار، وسوء القرار والدار، وذلك قوله عز وجل: «فَأَطْلَعَ فِرَاءَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ» قالَ اللَّهُ إِنِّي كَدَّ لَثَرَدِينَ ﴿٦٥﴾ [الصافات: ٦٥-٦٦] يقول: كدت أن علمني بما كنت تغويني به في الدنيا، وتأمرني أن أكفر بربِّي، فلولا رحمة الله لي لكنت من المحضرين في العذاب معك، غير أن رحمة الله تحليصي مما أوقعت فيه نفسك، إذ كنت بوعيد الله من المكذبين، وكنت أنا بوعيده من المصديقين.

(٢٢٤) وسألته عن قول الله سبحانه: «وَإِنِّي أَيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ» أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَدْرُونَ أَحْسَنَ الْخَلِيلِينَ ﴿٢٣﴾ [الصافات: ١٢٣-١٢٥]؟

قال: وإياس (^(٢)) صل الله عليه نبي مرسل، عاتب قومه وزجرهم عن عبادة هذا الصنم، الذي يعبدون من دون الله، الذي اسمه بعل، فقال صل الله عليه: «أَتَدْعُونَ بَعْلًا» أي: صنمكم هذا، فمعنى «تَدْعُونَ» هو: تعبدون وتطيعون هذا

(١) في (ب): من.

(٢) في (أ): فكان إياس.

المعبود من دون الله، الذي لا ينفع ولا يضر، تدعونه^(١) إلها لكم، «وَتَذَرُّونَ أَحْسَنَ الْخَلِيقَيْنَ»، الذي هو رب العالمين، الله إله الأولين والآخرين، ومعنى قوله: «أَحْسَنَ الْخَلِيقَيْنَ» فهو: أحسن الفاعلين والصانعين. والعرب تسمى كل من فعل شيئاً خالقه، تقول: خلق فلان ثوباً، أي: خيطه، وخلق فلان^(٢) جداراً، أي: بناء، وفي ذلك ما يقول الشاعر:

ولأنْتَ تفري ما خلقت ويع
ض النّاس يخلق ثم لا يفرِي
يريد: يعلم ثم لا يتم.

٢٢٥) وسألته عن قول الله سبحانه: «فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿٦﴾ مَا أَنْشَمْتَ عَيْنَيْهِ بِقَسْبَيْنِ ﴿٧﴾ ... إِلَى قَوْلِهِ: إِنَّا لَنَخْنُ أَمْسَكَيْهِنَّ ﴿٨﴾» [الصافات: ١١١-١١٢]^(٣)

قال: هذا من الملائكة صلوات الله عليهم تخبر الأدميين أنهم وما^(٤) يعبدون، مما هم عليه فاتئن لمن يفتنتون، فأخبرت أنهم لا يفتنتون في دينهم، أي: لا يدخلون معهم، فأخبرت عليها السلام: أنه لا يطعهم على شركهم، ولا يدخل معهم في عبادة غير الله ربهم، إلا من هو^(٥) شريك في الضلال والعذاب معهم.

ثم أخبرت أنها صلوات الله عليها وجميع الخلق لهم «مَقَامٌ مَّقْلُومٌ»،

(١) في (ب): بدعرته.

(٢) سقط من (ب): فلان.

(٣) كمال الآيات: «... إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَنَاحِيْمَ ﴿٩﴾ وَتَبَّأْلَ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّقْلُومٌ ﴿١٠﴾ إِنَّا لَنَخْنُ أَمْسَكَيْهِنَّ ﴿١١﴾...».

(٤) في (أ): ما.

(٥) سقط من (أ): هو.

أي: موقف وعشر مفهوم، يحشر فيه الخلق من ملك أو جن أو إنسى، ثم أخبرت أنهم هم الصَّافون وهم المسبحون، ومعنى «الصَّافون» فهم: الوقوف صفوفاً صفونا^(١) في عبادة الله يجتهدون، وعلى طاعته بالتسبيح والتهليل والتكبير، والتعظيم والتقديس، يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

٤٢٦) وسألت عن قول الله سبحانه: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾»

[الصافات: ٩٦]

فالذى عنى بذلك سبحانه فهو: الحجارة التي ينحوتونها^(٢) أصناماً، ويعملونها لهم آلة، وما أشبه ذلك من الأنصاب التي يعبدونها، فهذا معنى «وَمَا تَعْمَلُونَ»، فالله خلقهم ويفعلهم، ولم يخلق سبحانه فعلهم، والمفعول فهو: الصنم الذي ينحوتونه من الحجارة، وفعلهم فهو: الحركة التي كانت منهم، من الرفع والوضع والتحت، فالله خلق الحجر الذي عملوه صنماً، ولم يخلق الفعل الذي كان منهم في نحت الحجر.



(١) سقط من (١): صفونا.

(٢) في المخطوط: ينحوتها.



تفسير سورة (ص)



ومن سورة ص

(٢٢٧) قال أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن إساعيل: سألت إمام المسلمين في عصره يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إساعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه وعل آبائه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: **﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَالْقِنَّا عَلَىٰ كُرْسِيهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾** (ص: ٣٤)؟

فقال: معنى قوله: **﴿فَتَنَّا﴾** يقول: امتحنا، وإنما كان ذلك من أجل ما سأله ملكة سبا من طلبها، حين طلبت منه قرباناً فقرّبه^(١) على ما كانت تفعل وتعيرف من قدّيم فعلها، فسألته صل الله عليه أن يأذن لها في بقرة تقرّبها، فلم يجدها، ثم سأله شاة، فكره ذلك عليها، ثم سأله طيراً، فأعلمها أن ذلك لا يحل لها، فوقعـتـ في صدرها جرادة، فقالت له^(٢): فهـذـ الـجـرـادـةـ إـذـنـ لـيـ فـيـهـ، فـتـوـهـ وـظـنـ^(٣) أنهاـ عـمـاـ لاـ إـنـمـاـ عـلـيـهـ فـيـهـ، إـذـ كـانـ مـاـ لـاـ تـقـعـ عـلـيـهـ ذـكـاـةـ، فـسـكـتـ عـنـهـ وـلـمـ يـمـنـعـهـ عـنـ ذـلـكـ، فـقطـعـتـ رـأـسـ الـجـرـادـةـ وـأـضـمـرـتـ أـنـاـ قـرـبـانـ، فـلـمـ خـرـجـ صـلـ اللهـ عـلـيـهـ يـرـيدـ أـنـ يـتـطـهـرـ^(٤) عـلـىـ جـانـبـ الـبـحـرـ، نـزـعـ خـاتـمـهـ مـنـ يـدـهـ وـكـانـ لـاـ يـتـطـهـرـ حـتـىـ يـنـزـعـ الـخـاتـمـ مـنـ يـدـهـ - وهذا الواجب على كل متّهـرـ، إـذـ أـرـادـ أـنـ يـتـطـهـرـ مـنـ جـنـابـةـ أوـ غـيرـهـ، لـصـلـاتـهـ، أـنـ

(١) في (ج): تقرب به.

(٢) سقط من (ب): له.

(٣) في (أ): فظن.

(٤) سقط من (ب): يريد أن يتطهـرـ.

ينزع خاتمه أو يدبره في إصبعه، حتى يصل الماء إلى البشر الذي يكون تحته، وينتني من الدرن ما حوله - فلما نزع الخاتم من يده، ومضى لظهوره، خرج حوت من البحر، فابتلع الخاتم وذهب في البحر، فلما فرغ سليمان من ظهوره، نظر إلى الموضع الذي كان وضع فيه خاتمه فلم يقدر عليه، فعلم أن ذلك لسب^(١) قد أحدثه، وأن الله سبحانه أراد بذلك قتنه، فدعا الريح فلم تجبه، ثم دعا الجن فلم تجبه، لما ذهب عنه^(٢) الخاتم، وإنما كان الخاتم سبباً من الله قد جعله فيه، وبه كان يطاع، فعلم سليمان أن العقوبة قد وقعت به، وواثب العفريت الملعون على سريره عند ذلك، وهو ملكه، فكان^(٣) يتكلم على شبه كلام سليمان عليه السلام، وهو من وراء حجاب لا يظهر ولا يُرى له شخص، ودعا فلم تجبه إلا^(٤) الإنس، ومضى سليمان باكيأ نادماً على فعله^(٥)، وجعل يتباع الصيادين على سواحل البحر، يخدمهم ويعينهم وهم^(٦) لا يعرفونه ولا يعلمون أنه سليمان، فأقام على ذلك وقتاً اختلف فيه الرواية، فقال بعضهم: أقام أربعين يوماً، وقال آخرون: بل مكث خمسين يوماً، وقال قوم: سبعين يوماً، وهو أكثر ما قيل فيه^(٧)، فجعل يتباعهم ويعمل معهم، ويعطونه في كل يوم حوتين، فيبيع أحدهما فيشتري به خبزاً، ويشوى الآخر فيأكله، فلما علم الله منه التوبة والرجوع، والإئابة والخposure، أراد أن يرد عليه نعمته،

(١) في (ب): بسب.

(٢) سقط من (ب): عنه.

(٣) في (أ): وكان.

(٤) سقط من (ب): إلا.

(٥) في (ب): ما فعله.

(٦) في (أ): فهم.

(٧) في (ج): وهذا. سقط من (أ): قيل.

فانصرف ذلك اليوم ومعه الحوتان اللذان عمل بهما في يومه ذلك، فشق بطن أحد هما على ما كان يفعل، فإذا الخاتم قد خرج من بطن الحوت، فعرفه عند ذلك، فأخذه وشكر الله، وحمده على ما أولاه، ثم دعا الريح فأجابت، وكان قد أبعد عن بلده، فأمر الريح فاحتملته من ساعته إلى موضعه، وهرب اللعين العفريت لما رأه.

وقال بعض الرواة: إنه قد كان حبسه ورد الله على نبيه ملكه، ورجع إلى ما كان الله قد أعطاه، فدعا الطير والجن والريح فأجابت، ودام نعمته^(١).

(١) أخرج عبد بن حميد، وابن المتن، وابن أبي حاتم، عن علی بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بينما سليمان بن داود جالساً على شاطئ البحر، وهو يبعث بخاته إذ سقط منه في البحر، وكان ملكه في البحر، فانطلق وخلف شيطاناً في أهلها، فأنى عجوزاً، فأوى إليها، فقالت له المجوز: إن شئت أن تطلق فطلب وأكثرك عمل البيت، وإن شئت أن تكتفي عمل البيت وانطلق فالتس. قال: فانطلق بالتس، فأنى قوماً يصيدون السمك، فجلس عليهم، فبذنو سكّات، فانطلق بين حتى أتى المجوز، فأخذت تصلحه، فشقت بطن سمكة، فإذا فيها الخاتم، فأخذته وقالت لسليمان عليه السلام: ما هذا؟ فأخذ سليمان عليه السلام، فلبسه، فأقبلت إليه الشياطين، والإنس، والجن، والطير، والوحش، وهرب الشيطان الذي خلف في أهلهم فأنى جزيرة في البحر، فبعث إليه الشياطين فقالوا: لا تقدر عليه أنه يريد عيناً في جزيرة في البحر في سبعة أيام، ولا تقدر عليه حتى يسكت. قال: فصب له في تلك العين خراً، فأقبل فشرب فسكت، فأوروه الخاتم فقال: سمعاً وطاعة، فأورته سليمان عليه السلام، ثم بعث به إلى جبل، فذكروا أنه جبل الدخان، فالدخان الذي يرون من نفسه، والماء الذي يخرج من الجبل بوله.

. وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن الحسن «وَأَنْقَبَنَا عَلَى كُتُبِنَا، جَسَداً» قال: هو الشيطان. دخل سليمان عليه السلام الحرام، فوضع خاتمه عند امرأة من أوقيانوس في نفسه، فأنماها الشيطان، فتمثل لها على صورة سليمان عليه السلام، فأخذ الخاتم منها، فلما خرج سليمان عليه السلام أنماها فقال لها: هاتي الخاتم. فقالت: قد دفعته إليك. قال: ما فعلت..! هرب سليمان عليه السلام وجلس الشيطان على ملكه، وانطلق سليمان عليه السلام هارباً في الأرض يضع ورق الشجر . حسرين ليلة، فأنكر بنو إسرائيل أمر الشيطان، فقال بعضهم لبعض: هل تذكرون من أمر ملوككم ما ذكر عليه؟ قالوا: نعم. قال: أما لقد هلك ملوككم أنتم العامة، وأما قد هلك ملوككم، فقالوا: والله إن

عندكم من هذا الخبر، نسأوه عبكم، فاسألوهن، فإن كن أنكرن ما أنكرنا فقد ابتلينا. فسألوهم،
فقلن: أي والله لقد أنكرنا.

فلما انقضت مدة انتلاق سليمان عليه السلام حتى أتي ساحل البحر، فوجد صيادين يصيدون السمك، فصادوا سمكاً كثيراً غلبهم بعضه، فألقوه فاتاهم سليمان عليه السلام، فاستطعمهم، فأعطوه تلك الحيتان، قال: لا بل أطعموني من هذا، فأبوا، فقال: أطعمونى فاني سليمان، فوثب إليه بعضهم بالعصا فضربه غضباً لسليمان، فاتى إلى تلك الحيتان التي أثروا، فأخذ منها حوتين، فانتطلق بهما إلى البحر، فضلها فشق بطن أحدهما، فإذا فيه الخام، فأخذته فجعله في يده، فعاد في ملكه، فجاءه الصيادون يبصرون إليه فقال لهم: لقد كنت استطعمتكم فلم تطعموني، فلم أظلمكم إذ اهتموني، ولم أهدكم إذا كبرتم عنوني.

وأخرج عبد بن حميد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان سليمان عليه السلام إذا دخل الخلاء أعطى خاتمه أحب نسائه إليه، فإذا هو قد خرج وقد وضع له وضوء فدفع خاتمه إلى امرأته، فثبت ما شاهد الله.

وخرج عليها شيطان في صورة سليمان، غدقت الخام إليه، فخفاقي درعاً به، فالقاء في البحر، فاللتقت سمكة، فخرج سليمان عليه السلام على امرأته، فسألاه الخام قالت: قد دفعته إليك، فعلم سليمان عليه السلام أنه قد ابتلى، فخرج وترك ملكه، ولزم البحر، فجعل يموج، فاتى يوماً على صيادين قد صادوا سمكاً بالأمس فنبذوه، صرداوا يومهم سمكاً فهو بين أيديهم، فقام عليهم سليمان عليه السلام فقال: أطعموني بارك الله فيكم، فاتى ابن سيل، فلم يلتفتوا إليه، ثم عاد فقال لهم مثل ذلك، فرفع رجل منهم رأسه إليه فقال: انت ذلك السمك فخذ منه سمكة، فاتأه سليمان عليه السلام فأخذ منه أدنى سمكة، فلما أخذتها إذا فيها ريح، فاتى بها البحر، فضلها وشق بطنها فإذا هو بخاتمه، فحمد الله وأخذه فتحتم به، ونطقت كل شيء، كان حوله من جنوده، وفرع الصيادون لذلك، فقاموا إليه، وحيل بينهم ولم يصلوا إليه، ورد الله إليه ملكه.

وأخرج ابن جرير، عن النبي رضي الله عنه في قوله: «وَالْقَيْنَاتُ عَلَى كُرْتِسِيِّهِ جَدَّاً» قال: الشيطان، حين جلس على كرسيه أربعين يوماً، كان لسليمان عليه السلام مائة امرأة، وكانت امرأة منهين يقال لها: جرادة، وهي آخر نسائه عنده، وأمنهن، وكان إذا أجبت أو أتت حاجة تزعزع خاتمه، ولم يأتين عليه أحداً من الناس غيرها، فجاءته يوماً من الأيام فقالت: إن أخي بيته وبين فلان خصومة، وأنا أحب أن تتفقني له إذا جاءتك، فقال: نعم، ولم يفعل، وابتلى فأعطيتها خاتمه، ودخل المخرج،

(٢٢٨) قلت: فاجلس الذي ألقى على كرسيه، هل كان جسما يظهر ويرى؟

قال: لا، إنما كان الذي يظهر إليهم منه، ما يسمعون من كلامه، وكان مستراً عنهم، فكانوا يظلون أنفساً سليمان، وأنه إنما احتجب عنهم لسب أمره الله به، أو فعل فعله من نفسه، ولو ظهر لهم لبان أمره عندهم، ولكن تكون منهم بالتمويه عليهم، والمكر بهم.

(٢٢٩) قلت: فهل نال من الحُرْمَ مثلاً، أو وصل إليهم بسبب من الأسباب^(١)؟

قال: معاذ الله أن يكون نال شيئاً من ذلك، أو فعل غير الذي شرحه لك من كلامه فقط^(٢).

فخرج الشيطان في صورته فقال: هات الخاتم، فأعطيته فجاءه حتى جلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان عليه السلام بعد، فسألها أن تعطيه خاتمه، فقالت: ألم تأخذني قبل؟ قال: لا. قال: وخرج مكانه تائها، وملك الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً، فأنكر الناس حكماء، فاجتمع قراء بنى إسرائيل وعلمائهم، فجالوا حتى دخلوا على نسائه فقالوا: إننا قد أنكرنا هنا، وأقبلوا بيمشرون حتى أتوا، فأحدقوا به، ثم نشروا فقراؤها الترارة، فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه، ثم طار حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر، فابتلاه حوت من حيثان البحر.

وأقبل سليمان في حالته التي كان فيها حتى انتهى إلى صيادي البحر وهو جائع، فاستطعهم من صيدهم، فأعطياه سكينة، فقام إلى شط البحر، فتشتت بطربيها، فوجد خاتمه في بطنه أحدهما، فأخذته للبيس، فرد الله عليه بياده وملكه. فأرسل إلى الشيطان، نجي^{*} به فأمر به، فجعل في صندوق من حديد، ثم أطبق عليه، وأقفل عليه بقفل، وختم عليه بخاتمه، ثم أمر به فألقى في البحر. فهو فيه حتى تقوم الساعة، وكان اسمه حبقيق. الدر المثمر ٧/١٨٢ - ١٨٦.

(١) سقط السؤال من (ب).

(٢) في (ب): ومعاذ الله أن تقول: بال من الحُرْمَ مثلاً، أو بلغ شيئاً من ذلك أو فعله، غير الذي شرحنا من كلامه.

٢٣٠) وسألته عن قول أیوب صلوات الله عليه: ﴿إِذْ نَادَنِي رَبِّي أَنِّي مَسَّنِيَ
الشَّيْطَانُ بِنُصُبٍ وَعَذَابٍ﴾ [من: ٩١] (١)

قال: معنى قوله: ﴿مَسَّنِي﴾ فهو: ما كان من كلامه ووسوسته له، وذلك أن أیوب صلوات الله عليه كان قد جعل ضيافة أخيافه إلى مرأته، فأناه إيليس اللعين فقال: يا أیوب إن مرأتك (٢) قد فضحتك اليوم في أخيافك، فأناها فقال: ما الذي حملك على أن تفضحيني في أخيافي، أقسم لأضرنك مائة ضربة بالعصا، فلما هم بالذى أقسم به من ضربها، أناه الملعون إيليس فقال: يا أیوب سبحان الله أجمل لك أن تضرب مرأة ضعيفة لم تجرم جرما، ولم تأت قبيحا، ولم تفعل أمرا تستحق منك (٣) به ضربا؟! وليس لها قوة على ضربة واحدة، فكيف مائة ضربة؟! ولا تملكها ولا تأثم (٤) بربك في أمرها؟

فلما تركها وكف عنها، أناه من موضع آخر، فقال: يا أیوب سبحان الله كيف يجعل لك أن تقدع عنها، وقد حلقت لتضربها، ولا ترجع عن يمينك، ولا تأثم بالله ربك، فلما رجع إليها ليضربها أناه بالوسوسة على مثل الذي أناه به أولا، فلم يزل يفعل ذلك حتى دخله الغم، وعظم عليه الأمر، فانقلب على ظهره وهو يفكرون وينظر، وخالفته من الوسوسة ما غلبه على أمره، فلم يزل كذلك حتى تفرج ظهره، ولزمه المرض العظيم، وشد به الأمر، وتمادت به العلة، وذهبت (٥) ماشيته، وافتراق ماله، ومات أولاده، ومرضت المرأة من الغم والحزن، فلما رأى ذلك من كان معه

(١) في (أ): يا أیوب مرتك.

(٢) سقط من (أ): منك.

(٣) في (ب): لا تأثم.

(٤) في (ب): وذهب.

في المترزل، آخر جوهر صل الله عليه إلى ناحية منهم على خط الطريق، وليس يقدر أن يرفع يدا ولا رجلا، واشتبه بالباء، وهو مع ذلك صابر محتب، فلما كان يوم من الأيام مضى به نفر، فلما رأوه ونظروا إلى ما هو فيه من عظيم البلاء، وشدة التشن، قالوا: والله لو كان هذا ولينا له لأجباه ولكتشف ضره، ولما أصبه شيء من هذا !! فلما سمع ذلك من قوله، **﴿نَادَتْ رَبَّهُ أَتَيْتِيَ الشَّيْطَانَ بِنُصْبِ وَعَذَابٍ﴾** [سورة الصاف: ٤١].

فجاز أن يقول: مبني الشيطان، لما أن ذلك من وسوسته وكيده وسيبه، فاستجاب الله له فقال: **﴿أَزْ كُفْشَ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ بَيْتٌ﴾** [سورة الصاف: ٤٢]، ولم يقدر أن يرفع يدا ولا رجلا، فضرب بعقبه فابتلاه عين فثارت وارتفعت حتى كانت أكبر من جلسته، فجعلت تسكب عليه وهو يقتتل بهاها^(١)، وهي تقلع عنه كل ميت، وتتنقى عنه ما كان به من الأقدار، وتقيط عنه الأذى، يجعل يشرب منها، وخرج ما في جوفه من العلة، حتى تنقى بدنها، ورجع إلى أفضل ما كان عليه أولاً، ورد الله عليه أهله وماله، وأمره أن يأخذ ضغثاً فيضرب به المرأة كفاراة اليدين التي حلف، فقال بعض الروايات: إنه أخذ من هذا الذي يكون فيه التمر، فجمع منه عاتنة لاغصن فضررها به ضربة، وقال بعضهم: إنه ضررها ضربتين، واختلف في ذلك، غير أن الصحيح من ذلك أنه قد جمع ضغثاً فضررها به^(٢).

(١) في (٤١): بها.

(٢) أخرج أبُدُّ في الزهد، وأبُنُ أبي حاتم، وأبُنُ عساكر، عن أبِنِ عباس رضي الله عنهما، أن الشيطان عرج إلى السماوات، قال: يا رب سلطني على أيوب عليه السلام، قال الله: قد سلطتك على ماله وولده، ولم أسلطك على جده، فنزل فجمع جنوده فقال لهم: قد سلطت على أيوب عليه السلام، فلرثوني سلطانكم، فصاروا نيرانا، ثم صاروا ماء، فبيناهم بالشَّر إذا هم بالغرَب، وبينناهم بالغرَب إذا هم

بالمشرق، فأرسل طائفة منهم إلى زرعه، وطائفة إلى أهلهم وطائفة إلى بقره، وطائفة إلى خنة، وقال إنه لا يتصمم منكم إلا بالمعروف. فأتوه بالمسايب بعضها على بعض. فجاء صاحب الزرع فقال: يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل على زرعك عدواً، فذهب به. وجاء صاحب الإبل فقال: يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل على بقرك عدواً، فذهب به، وتفرد هو بيته جعهم في بيت أكبرهم.

فيبيتاهم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح، فأخذت باركان البيت، فألقته عليهم، فجاء الشيطان إلى أيوب بصورة غلام فقال: يا أيوب ألم تر إلى ربك جمع بيتك في بيت أكبرهم؟! فيبيتاهم يأكلون ويسربون إذ هبت ريح، فأخذت باركان البيت، فألقته عليهم، فلو رأيتمهم حين اختلطت دمائهم ولحومهم بطعامهم وشرابهم. فقال له أيوب: أنت الشيطان، ثم قال له: أنا اليوم كيوم ولدتي أمي، فقام فحلق رأسه، وقام يصل، فرن إيلس رنة سمع بها أقل النساء، وأهل الأرض ثم خرج للسياه فقال: أي رب أنه قد اعتصم، فلسطئني عليه، فإني لا استطيعه إلا بسلطاتك قال: قد سلطتك على جسمه، ولم أسلطك على قلبه.

فنزل فنفع ثغت قدمه نفخة قروح ما بين قدميه إلى قرنه، فصار قرحة واحدة، والتي على الرماد حتى بدأ حجاب قلبه، فكانت امرأته تسعي إليه حتى قالت له: أما ترى يا أيوب نزل بي وافه من الجهد والفاقة ما أَنْ بَعْثَ قَرْوَنِي بِرَغْفَرْ غَاطِمَكْ، فادع الله أن يشفيك ويرجعك، قال: ويعك...! كنا في النعيم سبعين عاماً، فأصبرني حتى تكون في الضر سبعين عاماً، فكان في البلاء سبع سنين، ودعا فجاء جبريل عليه السلام يوماً، فأخذ بيده، ثم قال: قم. فقام فنحاه عن مكانه وقال: **﴿إِذْ كُفَّنَ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾** فركض برجله، فنبعت عينه فقال: اغسل. فاغسل منها، ثم جاء أيضاً فقال: **﴿إِذْ كُفَّنَ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾** واللهم تعال حلة من الجنة، فتحسني أيوب، فجلس في ناحية، و جاءت امرأته، فلم تعرفه فقالت: يا عبد الله أين المبتلي الذي كان هائماً لعل الكلاب ذهبت به، والذئاب؟ وجعلت تكلمه ساعة فقال: ويعك...! أنا أيوب قد رد الله على جنبي، ورد الله عليه ماله وولده عيناً **﴿وَلَنَّهُمْ كَفِيرُهُمْ﴾** وأمطر عليهم جراداً من ذهب، فجعل يأخذ الجراد بيده، ثم يجعله في ثوبه، ويشتر كساء، فيجعل فيه، فأوحى الله إليه: يا أيوب أما ثبعت؟ قال: يا رب من ذا الذي يشبع من فضلك ورحمتك.

وأخرج أحد في الزهد، وعبد بن حميد، وأبن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله عنها قال: إن إيليس قعد على الطريق، فاغتسل تابوتا يداوي الناس فقالت امرأة أبوب: يا عبد الله إن هاهنا ميتى من أمره كذا وكذا .. نهل لك أن تداويه؟ قال: نعم. بشرط إن أنا شفته أن يقول: أنت شفتي لا أريد منه أجرًا غير هز فأت أبوب عليه السلام فذكرت ذلك له فقال: وجعلك .. ذاك الشيطان $\text{ش}\ddot{\text{ا}}\text{ن}$ على إن شفاني الله تعالى أن أجليك مائة جلدة، فلما شفاه الله تعالى أمره أن يأخذ خفتا فأخذ عذقا فيه مائة شرارخ، فضرب بها ضربة واحدة.

وأخرج ابن أبي حاتم قال: الشيطان الذي مس أبوب يقال له: مسوط. فقالت امرأة أبوب: أدع الله يشفيك، فجعل لا يدعا حتى مر به نفر منبني إسرائيل فقال بعضهم لبعض: ما أصبه ما أصبه إلا بذنب عظيم أصبه، فعند ذلك قال: **(أَنِّي سَعَيْتُ أَطْهَرَ رَأْنَتْ أَرْجُونَكَ)** $\text{الآية}/٨٢$.

وأخرج ابن المبارك، عن ابن جرير رضي الله عنه في قوله: **(أَرْكَضْنَا بِرِحْلَتِكَ هَذِهِ)** الماء **«مغتشل»** **بَارِدٌ وَثَرِبٌ** $\text{الآية}/٨٣$. قال: ركب رجله اليمني ثبعت عين، وضرب بيده اليمني خلف ظهره ثبعت عين، فشرب من إحداهما، واغسل من الأخرى.

وأخرج عبد بن حميد، وأبن جرير عن ثقادة رضي الله عنه قال: ضرب برجله أرضا يقال لها: الحمام، فإذا عينان يبعنان، فشرب من إحداهما واغسل من الأخرى.

وأخرج عبد بن حميد، وبيان جرير، عن الحسن رضي الله عنه أن النبي الله أبوب عليه السلام لما اشتد به البلاء إذا دعا وإنما عرض بالدعاء، فألوح الله تعالى إليه أن **(أَرْكَضْنَا بِرِحْلَكَ)** ثبعت عين، فاغسل منها ذهبا ما به، ثم مثني أربعين ذراعا، ثم ضرب برجله ثبعت عين فشرب منها.

وأخرج عبد بن حميد، من معاوية بن فرة رضي الله عنه قال: إن النبي الله أبوب عليه السلام لما أصابه الذي أصابه قال إيليس: يا رب ما يالي أبوب أن تعطيه أهله ومثلكم معهم ومختلف له ماله وسلطانه سلطني على جسده، قال: اذهب فقد سلطتك على جسده، وإليك يا خبيث ونفسه، قال: فتفتح فيه نفحة سقط لحمة، فلما أعياه صرخ صرخة اجتمعت إليه جنوده، قالوا: يا سيدنا ما أغضبك؟ فقال: ألا أغضب أن أخرجت آدم من الجنة وإن ولده هنا الضعيف قد غلبني فقالوا: يا سيدنا ما فعلت امرأته؟ فقال: حية، فقال: أما هي فقد كثبك أمراها، فقال له: فإن أطلقتها فقد أثبتت ولا فاعطه، فجاء إليها فاستبرأها فأت أبوب فقالت له: يا أبوب إلى متى هذا البلاء؟ كلمة واحدة ثم استغفر ربك فيغفر لك، فقال لها: فعلتها أنت أيضًا. ثم قال لها: أما والله لئن الله تعالى عاقاني لأجلذلك مائة

(٢٣١) قلت فابليس كيف كان إتيانه إلى أبوب صل الله عليه؟

قال: لم يره عيانا، وإنما سمع كلامه ولم يد له شخصه، وقد قال بعض الجهلة: إنه تصور له في صورة غير صورته، وليس ذلك كما قالوا، وكيف يقدر خلوق أن يغير خلقه، ويحمل نفسه صورا مختلفة؟! وليس يقدر على ذلك إلا الله رب العالمين، الذي خلق الصور والأجسام، ونقلها من حال إلى حال، فسبحان الله رب العرش عما يصفون، ولا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

(٢٣٢) وسألته عن قول الله سبحانه: «وَهَلْ أَنْتَكَ تَبَوَّأُ الْخَصِيمِ... إِلَى قَوْلِهِ: وَزَرَّ رَاصِكِعًا وَأَنَابَ» (١) [ص: ٢٤-٢١].

فقال: هذا خبر من الله سبحانه عنها كان به بيده نبيه داود صل الله عليه، على أمر بيته

جلدة، فقال: «أَنِّي سَمِعَ الْأَبْيَكَلُونَ يُصْرِي وَتَنَابُ» (٢)، فأناه جبريل عليه السلام فقال: «أَنْ كُفْرُ بِرْ جَلَّكَ هَذَا مُفْسَلٌ بَارِدٌ وَمُرَبَّ» (٣) فرجع إليه حسنه وشبيه، ثم جلس على تل من التراب فجاءته امرأة بطعامه فلم تر له أثرا، فقالت لأبوب عليه السلام وهو على التل: يا عبد الله هل رأيت بستل كان هاماً؟ فقال لها: إن رأيتك تعرفينه؟ فقالت له: لملكت أنت هو؟ قال: نعم، فألوحي الله إليه إن «وَمَنْ يَرْوَى وَيَقْنَطْنَا ثَاقِبَ يَوْمٍ وَلَا يَحْتَشَ» قال: والضفت أن يأخذ الخزنة من السياط فيضرب بها الضربة الواحدة. الدر المثور ٧ / ١٩٢ - ١٩٤.

(١) كمال الآيات: «...إِذَا تَسَوَّرُوا أَلْبَحْرَابَ إِذَا دَخَلُوا عَلَى ذَوْدَه فَقَرَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخْتَ خَصْتَهَا بَغْنَى بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فَاتَّحَكَ بَيْنَتَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشَطِّطْ وَأَهْدَنَا إِنْ سَوَاءَ الْأَصْرَاطِ إِنْ هَذَا أَلْحَى لَهُ تَسْعَ وَيَسْعُونَ شَغْرَهُ وَلَنْ تَعْجَلْهُ وَحِدَةً تَقَالْ أَحْفَلِيهَا وَعَزَّزَهُ بِالْحِطَابِ لِيَقْرَأَ فَيَأْتِي لَهُ تَلْكَمُكَ بِسُؤَالَ تَعْجِيَتْكَ إِنْ تَعْاجِمَهُ وَإِنْ كَبِرَا مِنْ الْخَلْقَاتِ لَيَسْبِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ أَسْنَوا وَعَمِلُوا الْأَصْنِلِحَتْ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَلَّنْ ذَوْدَه أَسْنَافَهُ فَأَسْتَفْرَرْتَهُ...».

التي كان تمنى، من نكاح امرأة أوريا، وذلك أنه لما أن تبع الطير أشرف به على رأس جدار، فأشرف داود ينظر أين توجه الطائر فوقيت عينه على مرأة أوريا وهي حاسرة، فرأى من جمالها ما رغبَ فيها، فقال: لوددت أن هذه في نسائي، ولم يكن منه غير هذا التمني، وكلما يروى عليه صل الله عليه من سوى ذلك، فهو باطل كذب، فلما أن تمناه نبهه الله وعاتبه في السر، وقد أعطاءه أكثر من حاجته، فبعث الله إليه ملكين فتمثلا في صورة آدميين، فتسورا عليه المحراب^(١) وهو يصل، فدخلوا عليه فزع منها، وظن أنها داهية قد دهته، وعدو قد هجم عليه في محرابه، في وقت خلوته، فقلال له: «لَا تَخْفَ خَصْنَانِ بَعْنَى بَقْضَنَا عَلَى بَقْضِكُمْ بَيْتَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الْصِرَاطَيْنِ»، معنى^(٢) «لَا تُشْطِطْ»، يقول: لا تُغلِّ حكمك مع أحدهنا، فتشطط على الآخر، ومعنى «تُشْطِطْ» فهو: تشدد على أحدهنا في غير حق، «سَوَاءِ الْصِرَاطَيْنِ» فهو: معتدله ومستقيم ووسطه وقيمه، و«الصِرَاطُ» فهو: طريق الحق هاهنا وأوضحة، وكان لداود صل الله عليه تسع وتسعون من كما من الحرائر والإماء، وكان لأوريا هذا المرأة وحدها، فتمثلا أنفسها لداود بدواود وبأوريا، فقال أحدهما: «إِنْ هَذَا أَلْيَ لَهُ تِسْعَ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلَى نَعْجَةً وَحِدَةً فَقَالَ أَسْكِنْنِيهَا وَعَزِّنِي فِي الْخِطَابِ»، ومعنى «أَسْكِنْنِيهَا» فهو: أتبعها وزدنها إلى نعاجي، «وَعَزِّنِي فِي الْخِطَابِ»، يقول: شطني في الطلب وألح في تمنيها وطلبيها، وذلك أنها لم تكن تسقط من نفس داود من يوم رآها، يتذكرها ويتنبأ بها، فقال داود صل الله عليه: «قَالَ لَقَدْ

(١) في (١): عليه من المحراب.

(٢) في (١): يقول يريد.

ظلمك بسُؤالِ نَعْجَلَكَ إِلَى نِعَاجِهِ فَإِنْ كَثِيرًا مِنَ الْخُلُطَاءِ لَيَتَّسِعُ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضِ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنٌ دَاؤُرُدُ أَنَّمَا فَتَّشَ
فَأَسْتَغْفِرُ رَبِّهِ وَخَرَّ رَاسِكِمَا وَأَنَابَ^(١)، فلما قال هذا لها تغشا من بين عينيه،
فإذا به لا يصر لها ولا يراها، فعلم عند ذلك الأمر كيف هو وأنهما ملكان، وأن الله
بعثنها إليه ليتهما عن غفلته، ويقطعها عنه بذلك ما في قلبه، من كثرة تذكره مرأة
صاحبها، فايقنت أنها فتنة من الله، والفتنة هاهنا فهي: المحنـة، ومعنى «ظن داؤر»
 فهو: أيقن داود بذلك من الله، **فَأَسْتَغْفِرُ رَبِّهِ وَخَرَّ رَاسِكِمَا وَأَنَابَ** من ذلك
المعنى والذكر هذه المرأة، فلم يذكرها بعد ذلك اليوم حتى زوجه الله إياها، حين
أراد تبارك وتعالى من بعد أن اختار لأوريا الشهادة، فاستشهد وصارت إليه، فمن
بعد ذلك زوج الله داود مرأة أوريا، وبلغه أمله، وأعطيه في ذلك أمنيته، فجاءه ذلك
وليس في قلبه لها ذكر، ولا إرادة ولا غنى، ولم يكن لداود صل الله عليه في أوريا ولا
في قتله^(٢) شيء، مما يقول المبطلون، من تقديمـه في أول الحرب، ولا ما يذكرون من
طلبه^(٣)، وتخيلـه في تلفـه، بوجهـ من الرجوـه، ولا معنىـ من المعانـي، كذبـ العادـلـون
بـاللهـ! وضلـ القـاتـلـونـ بالـباطـلـ فيـ رسـولـ اللهـ عـلـيـ السـلامـ! فـهـذـاـ تـفـسـيرـ الآـيـةـ وـتـحـريـجـ
معـانـيـهاـ^(٤).

(١) في (أ): قلبـهـ، مصـحفـةـ.

(٢) في (ب): طـلـبـهـ.

(٣) أخرـجـ ابنـ أبيـ شـيـةـ فـيـ المـصـنـفـ، وـابـنـ آـبـيـ حـاتـمـ، عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ. أـنـ دـاـوـدـ عـلـيـ السـلامـ
حـدـثـ نـفـسـهـ إـنـ اـبـيـ أـنـ يـعـصـمـ، فـقـيلـ لـهـ: إـنـكـ سـتـبـلـ وـسـتـلـمـ الـيـومـ الـذـيـ تـبـلـ فـيـهـ، فـخـذـ حـذـرـكـ،
فـقـيلـ لـهـ: هـذـاـ الـيـومـ الـذـيـ تـبـلـ فـيـهـ، فـأـخـذـ الزـبـورـ، وـدـخـلـ الـمـرـابـ، وـأـغـلـقـ بـابـ الـمـرـابـ، وـأـدـخلـ
الـزـبـورـ فـيـ حـجـرـ، وـأـقـدـ مـنـصـفـاـ عـلـىـ الـبـابـ، وـقـالـ: لـأـتـاذـنـ لـأـحـدـ عـلـىـ الـيـومـ.

فيها هو يقرأ الزيور إذ جاءه طائر مذهب تأحسن ما يكون للطير، فيه من كل لون، فجعل يدرج بين يديه، فدنا نسم، فلمكن أن يأخذنه، فتناوله يده ليأخذنه، فطار فوقه على كوة المحراب، فدنا منه ليأخذنه، فطار فأشرف عليه لينظر أين وقع، فإذا هو بأمرأة عند بركتها تغسل من الحيض، فلما رأت ظله حرك رأسها، ففطت جسدها أجمع بشعرها، وكان زوجها غازيا في سبيل الله، فكتب داود عليه السلام للرأس الغزا، انظر فاجمله في حالة التائب، إما أن يفتح عليهم، وإما أن يقتلوه، فقدمه في حالة التائب فقتل.

فليانقضت عدتها خطبها داود عليه السلام، فاشترطت عليه إن ولدت غلاماً أن يكون الخليفة من بعده، وأشهدت عليه خمساً منبني إسرائيل، وكتب عليه بذلك كتاباً، فأشرت بنته أنه كتب حتى ولدت سليمان عليه الصلاة والسلام وش، فتصور عليه الملائكة المحراب، فكان شأنها ما قصه الله تعالى في كتابه، وخر داود عليه السلام ساجداً فتقر الله له، وتاب عليه.

وأخرج الحكيم الترمذى في توارى الأصول، وابن جرير، وابن أبي حاتم بشد ضعيف عن أنس رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم يقول: «إن داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة قطع على بنى إسرائيل، وأوصى صاحب الجيش فقال: إذا حضر العدو تضرب فلاناً بين يدي التائب، وكان التائب في ذلك الزمان يستنصر به، من قدم بين يدي التائب لم يرجع حتى يقتل، أو ينهزم منه الجيش». فقتل وتزوج المرأة، وزُلَّل المكان على داود عليه السلام، فسجد فشكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، فأكلت الأرض جيشه وهو يقول في سجوده: رب زل داود زلة أبْدَدَ ما بين المشرق والمغارب. رب إن لم ترحم ضعف داود، وتغفر ذنبه

جعلت ذنبه حديثاً في الخلق من بعده. الدر المثور ٧ / ١٥٦ - ١٥٥.

وأخرج ابن جرير، والحاكم، عن السدي قال: إن داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة أيام، يوماً يغهي فيه بين الناس، ويوماً يخلو فيه لعبادة ربها، ويوماً يخلو فيه بنسائه، وكان له تسعة وتسعون امرأة، وكان نبا يقرأ من الكتب قال: يا رب أرى الخير قد ذهب به آبائي: الذين كانوا قبلى، فأعطيني مثل ما أعطيتهم، وافعل بي مثل ما فعلت بهم، فأوحى الله إليه «إن آبائك قد ابتلوا بيلام ثم تبتل به». ابتل إبراهيم بذبح ولده، وابتل إسحاق بذهاب مصر، وابتل يعقوب بحزنه على يوسف، وإنك لم تبتل بشيء من ذلك. قال: رب ابتلني بما ابتلتهم به، وأعطي مثل ما أعطيتهم، فأوحى الله إليك: إنك مبتلي فاحتدرس.

فمكث بعد ذلك ما شاء الله تعالى أن يمكث، إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حامدة حتى وقع عند رجله، وهو قائم يصل، فمذده لياخذنه فتنحي، فتبعده فتباعد حتى وقع في كوة، فذهب لياخذنه، فطار من الكوة، فنظر أين يقع، فبعث في آثره، فابصر امرأة تختل على سطح لها، فرأى امرأة من أهل الناس خلقا، فحانت منها اللعنة فأبصره، فاللقت بشرها فاسترته به، فزاده ذلك فيها رغبة، فسأل عنها، فأخبر أن لها زوجا غالبا بسلحة كلها وكذا .. فبعث إلى صاحب السلاحه يأمره. أن يبعث إلى عذر كلها وكذا .. فبعثه ففتح له أيضًا، فكتب إلى داود عليه السلام بذلك، فكتب إليه أن أبعته إلى عذر كلها وكذا .. فبعثه فقتل في المرة الثالثة، وتزوج امرأته.

فلما دخلت عليه لم يلبث إلا يسرا حتى بعث الله له ملكين في صورة إنسين، فطلبوا أن يدخلوا عليه، فتسوروا عليه الحراب، فما شعر وهو يصل إذ ما بين يديه جالسين، فتفزع منها فقلقا: «لا تحف» إنما نحن «خصستان بعئي بعضاً على بعض شاخكم بيئتنا بالحق ولا تُعطيط». يقول: لا تحف «وأندنتنا إلى سرآء وأصربط» إلى عدل القضاة، فقال: تصاعلي قصتكما، فقال أحدهما: «إن هذان أخي لم يتسع ويتسعون تتعجب ولن تتعجب وسيدة». قال الآخر: وإن أريد أن آخذها فاكمل بها تعاجي مائة، قال: وهو كار، قال: إذا لا ندعك وذلك، قال: يا أخي أنت على ذلك ب قادر، قال: فإن ذهبت تروم ذلك ضربنا منك هذا وهذا. يعني طرف الأنف والجبهة.

قال: يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا. حيث لك تصع وتسعون امراة، ولم يكن لأوريا إلا امراة واحدة، فلم تزل تعرض للقتل حتى قتلها. وتزوجت امرأته، فنظر فلم ير شيئاً، فعرف ما قد وقع فيه، وما قد ابتل به فخر ساجداً يبكي، فمكث يبكي أربعين يوماً، لا يرفع رأسه إلا حاجة، ثم يقع ساجداً يبكي، ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه، فأوحى الله إليه بعد أربعين يوماً «داود ارفع رأسك قد غفر لك»، قال: يا رب كيف أعلم أنك قد غفرت لي، وأنت حكم عدل لا تحيط في القضاء؟ إذا جاء يوم القيمة أخذ رأسه يبيه أو بشهاده، تشبح أوداجه دما في يقول: يا رب سل هذا فيم قتلي، فأوحى الله إليه: إذا كان ذلك دعوت أوريا، فاستوهبك منه، فيبهك لي، فائيه بذلك الجنة» قال: رب الآن علمت أنك غفرت لي، فما ساتطاع أن يملأ عينيه من السماء حياء من ربه حتى قبس صل الله عليه وسلم. الدر المثور ٧/١٥٩ - ١٦١.

(٢٢٣) وسأله عن قول الله سبحانه: «وَادْكُرْ عِنْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَئِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةِ دِحْكَرَى الدَّارِ فَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمَنْ أَمْضَفْنَاهُنَّ الْأَخْيَارِ» (من: ٤٧-٤٨)

فقال: معنى قوله: «وَادْكُرْ عِنْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ» فهو: اذكر فعلهم وصبرهم فيما فاقتده به، ومعنى «أُولَئِي الْأَيْدِي»، والأيدي فهو: الحسنان المقدمات، التي ابتدأوها وها إلى أنفسهم من طاعة ربهم، والعمل بعرضة خالقهم، فكانت أفعالهم الحسنة من طاعة الله والإخلاص له، أياديه قدموا لها لأنفسهم إلى الله، وعلى ذلك يخرج معنى قول الله: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَانِ» (الاساء: ١٦) يزيد: أفعاله الحسنة، وأياديه إلى خلقه الجميلة.

ومعنى «الْأَبْصَرِ» فهو: الاستبصر في أمر الله، والمعرفة والعلم به، وعلى ذلك يخرج معنى قول الله عز وجل في نفسه: «سَيِّئًا بَصِيرًا» (الاساء: ٥٨) (الاساء: ١٣٤) يزيد: عليها خيرا، «إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةِ دِحْكَرَى الدَّارِ» يزيد: إننا اختصناهم وخاصة، وجعلناها لهم وفيهم، «دِحْكَرَى الدَّارِ» فهو: بقاء ذكرهم في دار الدنيا، بما ذكرهم به في كتابه، فبقي ذكرهم باق في ذرتهما، وغير ذرتهما إلى يوم القيمة، وذلك سؤال إبراهيم صلوات الله عليه ^(١) لربه، حين قال: «وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقِي فِي الْآخِرَةِ» (الشعراء: ٨٤) يزيد: أجعل لي ذكر الخير ^(٢) في الآخرين، يقول: من بعدي من أهل هذه الدار إلى يوم الدين، فألجاجبه الله وأخبر بما جعل له من الذكر الباقي في هذه الدار، ثم أخبر أنه عنده في الدار الآخرة الباقي، أعظم منهم

(١) في (ب): صل الله عليه.

(٢) في (ب): ذكر أخيسي.

ذكرا في الدار الفانية، فقال: **﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا﴾** يريد: في آخرتنا ودار ثوابنا، **﴿لَمَنْ أَنْصَطَفْتُنَّ الْأَخْيَارِ﴾**، ثم قال: **﴿وَلَا كُنْتُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلَ وَسَكَلَ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾** [ص: ٤٨] يقول: اذكرهم بأنهم من جعلنا لهم الذكر في دار الدنيا وفي الآخرة، مع إبراهيم وإسحاق وبعثوب، لا ترى كيف قال: **﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾** يقول: ذكرنا له في هذه السورة ذكر باق لهم، كما سأله إبراهيم ربه إلى يوم الدين، **﴿وَإِنَّ لِلْمُتَقْبِلِينَ لَحُسْنَ مَأْبِ﴾** [ص: ٤٩] يقول لحسن مأوى ومرجع عند حشرهم، ولإيامهم إلى ربهم.

(٢٣٤) وسألته عن قول الله سبحانه: **﴿فَلَمْ هُوَ بِأُولَئِكُمْ عَظِيمٌ﴾** ... إلى قوله: **أَنَا نَذِيرٌ مُّثِينٌ﴾** [ص: ٧٠-٧١] ^٩

قال: يقول سبحانه إنها نبأهم ^(١) من هذه الأخبار، ومن أخبار الملائكة عليهم السلام، **﴿تَبَرُّ أَعْظَمِ﴾** يقول: علم غيب عظيم، **﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُغَرَّضُونَ﴾** ^(٢) يقول: أنت عن تفهمه غافلون، **﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمُلَأِ الْأَعْلَى إِذَا يَخْتَصِمُونَ﴾** ^(٣) والملا الأعلى فهم الملائكة، ومعنى **﴿يَخْتَصِمُونَ﴾** فهو يتحاورون ^(٤) ويحيطون ويخابون، وذلك حين قال الله لهم: **﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيقَةً﴾**، يريد: عز وجل آدم عليه السلام، فقالوا: **﴿فَالَّذِي أَنْجَلْتُ فِيهَا مِنْ يَقْتَدِيَ فِيهَا وَسَفِلُ الْدِمَاءَ وَخَنْثُ نُسَيْحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾** - د - قال - سبحانه -

(١) كمال الآيات: **﴿... أَنْتُمْ عَنْهُ مُغَرَّضُونَ﴾** ^(٢) ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصرون **﴿... إِنْ يَوْمَ حَيَ إِلَيَّ الْأَنْسَاءُ...﴾**.

(٢) في (١): أيام به من ...

(٣) في (ب): إذ يتحاورون.

إِنَّمَا أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ (البقرة: ٢٠)، يقول: إني أعلم من بركته، وبركة ما يخرج منه من المطاعين، ما لا تعرفونهم ولا تفهمونهم منهم، مَنْ لَوْلَاهُ^(١) مَا خَلَقَتْهُ، وَلَا خَلَقَتِ الدُّنْيَا، عَمِدَ صَلَ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَمَ، السَّرَاجُ النَّبِيرُ، الْبَشِيرُ النَّذِيرُ، أَلَا تَرَى كَيْفَ قَالَ: «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقَ بَشَرًا مِنْ طِينٍ^(٢) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَفَتَحْتُ فِيهِ مِنْ رُؤُسِيْ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» ﴿٧٢-٧٣﴾ (ص: ٧٢-٧٣)، وَمَعْنَى «فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» فَهُوَ: قَعُوا مِنْ أَجْلِ مَا أَظْهَرْتُ فِيهِ مِنْ عَظِيمٍ صَنْعِيْ سَاجِدِينَ، فَلِمَّا أَنْ كَانَ السَّجُودُ مِنْ سَبْبِ آدَمَ، جَازَ أَنْ يَقُولُ: قَعُوا لَهُ، وَإِنْ كَانَ^(٣) الْوَقْعُ وَالسَّجُودُ لَهُ مِنْ دُونِهِ، وَلَكِنْ هَذَا عَلَى مِجازِ الْكَلَامِ، كَمَا قَالَ: «وَسَأَلَ الْقَرِبَةَ أَلَيْهَا^(٤) فِيهَا» (يوسف: ٨٢)، وَالْقَرِبَةُ لَا تَسْأَلُ وَإِنَّمَا يَسْأَلُ أَهْلَهَا، فَلِمَّا كَانَتِ الْقَرِبَةُ مِنْ سَبْبِ أَهْلَهَا، قَالَ: «وَسَأَلَ الْقَرِبَةَ».



(١) في (ب): لَوْلَاهُ.

(٢) سقط من (أ): كَانَ.



تفسير سورة الزمر



ومن سورة الزمر

٢٣٥) وسأله عن قول الله سبحانه: «خَلَقْتُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمَّا جَعَلْتُ مِنْهَا زَوْجَهَا» (الزمر: ٦)؟

قال: النفس الواحدة: آدم صل الله عليه، وخلقها منها زوجها فهو: خلقه من آدم حواء، وقد قيل: إن حواء خلقت من بعض آدم، فهذا معنى قوله: «خَلَقْتُ مِنْهَا زَوْجَهَا» (الإهاد: ١)، وقد يكون خلقه لها منه^(١) قبل نفخه فيه الروح، إذ هو صورة من طين ملقة^(٢).

٢٣٦) وسأله عن قول الله سبحانه: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّشَكِّرًا... إِلَى قَوْلِهِ: ذُوقُوا مَا كُشِّمْتُمْ تَكْسِبُونَ» (٣) (الزمر: ٢٢-٢٣).

قال: كذلك الله سبحانه نزل أحسن الحديث، ومعنى أحسنه فهو: أحكمه، والحديث فهو: الخبر من توراة أو إنجيل أو زبور أو قرآن^(٤)، وأخبر أنه أحكم الكتب وأقومها، وأفضلها لديه وعنته، وهو كتاب محمد صل الله عليه وآله وسلم.

(١) سقط من (ب): منه.

(٢) في (ب): إذ صوره من طين.

(٣) كمال الآيات: «... مُّشَكِّرٌ مِّنْ جُنُودِ الْأَلَّادِينَ يَخْتَوِنُ رَهْبَمْ لَمْ تَلِيْنَ جَلْوَمْعَمْ وَذَلِلْوَهُمْ إِلَى دِكْرِ اللَّهِ دَلِكْ هَذِي اللَّهِ يَهْدِي يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُظْلِلِ اللَّهُ فَسَلَّمَ لَهُ مِنْ هَادِ... أَنْمَنْ يَتْلُى بِرَحْمَهِمْ سُورَةُ الْعَذَابِ مِنْ قَمَ الْيَمِنَةِ وَلِلْيَلِ لِلْكَلَابِيْنِ...».

(٤) في (أ): فرقان.

ومعنى قوله: **﴿مُتَشَبِّهًا﴾** فهو: مثابه التزيل، حكم النأويل، **﴿مُئَانِي﴾** فهو: مكرر الإعذار والإندار، والأمر والنهي، لإثبات الحاجة، وقامت النعمة، **﴿تَقْسِيرُهُمْ﴾** بيريد: تقف منه هيبة وإجلالاً^(١)، وتصديقاً وتعزيزاً عظيمها، **﴿جُلُودُ الْأَدْدِينَ﴾** آمنوا واتقروا ربهم، وخسروا وعيده، وطلبوها وعده، **﴿فُمَّ تَلِينُ﴾** من بعد الفزع والهيبة، ومعنى **﴿تَلِينُ﴾** فهو: تطمئن قلوبهم وتخفض، ثقة بوعده الله.

ثم أخبر سبحانه بما يُؤتى من كان كذلك من المدى، جزاء على ما اختار من التقوى، ومعنى قوله: **﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ﴾** فهو: من يخذلك الله، **﴿فَنَّا لَهُ مِنْ - مرشد ولا - هَادِ﴾**^(٢) مسد **﴿أَفَمَن يَتَّقِيَ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾** يقول: من عمل في الدنيا عملاً يستوجب به العذاب يوم القيمة، ويصل بوجهه له، ثم أضرر هامنا^(٣) شيئاً، وهو معنى مثل فهو: من الهالكين، فهو: من الخاسرين، أو مثل ذلك، ومعنى **﴿قَبِيلٌ لِّلظَّالِمِينَ﴾** فهو: قول الملائكة لهم خزنة^(٤) جهنم وغيرها: **﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْأَثَارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَدِّرُونَ﴾**^(٥) [السجدة: ٢٠] في الدنيا، وتحمدون البعض، ولا توقدون بالحساب والعقاب، الآن فذوقوا شر^(٦) العذاب.

(٢٣٧) وسألته عن قول الله سبحانه: **﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرُكَاءُ مُشْكِرُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا إِرْجُلٌ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بِلَهُ أَسْتَهِرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [الزمر: ٢٩]

(١) في (ب): وجلا.

(٢) في (أ): هنا.

(٣) سقط من (أ): خزنة.

(٤) في (ب): سره.

قال: هذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى للذين يعبدون مع الله غيره، ويُشركون في أنفسهم من لم يخلقهم، فمنهم من كان يزعم أنه يتقرب بذلك إلى الله، ومنهم من كان يفعل [ذلك] جهلاً، فضرب الله هذا المثل لهم، يعلمهم فيه أن من أخلص العبادة له، ولم يجعل نفسه شريكاً له، خلاف من يجعل مع الله [في] نفسه شريكاً، وأن المخلص له المفرد لعبادته^(١)، الذي لم يجعل له في نفسه شريكاً يبعده عنه، أفضل وأعظم من جعل نفسه لاثنين، ثم أخبر سبحانه أن ملوكاً لرجل سلام له، أفضل عنده من^(٢) يشرك ملوكاً بين اثنين، فهذا ما أراد الله سبحانه بهذا المثل تبارك وتعالى، أراد بذلك ينبههم على إفراد العبادة له، وترك ما يعبدون من دونه ومعه^(٣).

٢٣٨) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿أَلَّا يَتَوَفَّ الْأَنْفُسُ حِينَ مَوْتِهَا ... إِلَى قَوْلِهِ﴾ [٤٢: ٦٢] (قرآن)^(٤)

قال: هذا إخبار من الله سبحانه بقدرته على قبض أرواح العالمين، في كلتا الحالتين، حالة الموت وحالة النائم، فأخبر سبحانه أنه يتوفى نفس الميت عند انقضاء أجله وفاته عمره، ويتوافق نفس النائم عند نومه، ومعنى توفي لنفس النائم فهو: بيا ركب سبحانه وجعل وقدر، من خروج روح الإنسان عند نومه، حتى يبقى بدنه ميتا لا روح فيه، فأخبر عز وجل أن الروحين خارجان في هذين الوقتين، وأنه يحيي روح البدن الذي قضى عليه الموت عن الرجوع إلى بدنه، ويرسل روح النائم

(١) في (أ): لعبادة، وما أثبتت اجهاد.

(٢) في (أ): من، وما أثبتت اجهاد.

(٣) سقط هنا السؤال وجوابه من: (ب).

(٤) كمال الآية: ﴿... وَإِلَيْيَ تَمْرَدُ مَنْ تَبَاهَ أَنْتَيْكَ إِلَيْهَا تَنْتَهِيَ الْمُرْتَدُونَ إِلَيْكَ الْأَخْرَى
إِلَيْكَ لَعْنَلِ مُشَكِّنُ إِنَّكَ ذَلِكَ الْأَيْمَنِ...﴾.

الذى لم يقض عليه الموت، فيرجع **﴿إِلَى أَجْلٍ مُسْتَمِّ﴾**، يقول: إلى وقت معلوم، كما كان للأخر، فإذا جاء الوقت لم يرجع الروح بعد خروجه من البدن.

ثم أخبر أن في ذلك لآيات للمتفكرين، ودلائل على الله للمستبصرين، وأي دلالة أو آية، أدل على الله سبحانه؟^(١) من روحيين يغزان من بدنين، فيماك أحدهما فيذهب روحه عن بدن، ويصير إلى موته، ويرجع الروح الآخر إلى مكانه، إلى يوم مفهو: م، وقدر عند الله معلوم، (وهذا ما لا يجهل دلائله من فعل الله، إلا أعمى جائز عن الله، أو مشرك جاحد لآيات الله).^(٢)

٢٣٩) وسألته عن قول الله سبحانه: **﴿وَقَالُواْ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ...﴾** [الزمر: ٧٤] إلى آخر السورة.^(٣)

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه عن قول المؤمنين^(٤). في يوم الدين، وعند مصيرهم إلى كرامة رب العالمين، فأخبر أنهم يقولون عند ذلك: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾**، يقولون^(٥): الذي أنجز لنا ما وعدنا من ثوابه، وأكمل لنا ما وعدنا من كرامته، **﴿وَأَوْزَنَنَا الْأَرْضَ﴾** يزيد: أرض الآخرة وأرض الجنة، **﴿تَنْبَئُنَا الْجَنَّةَ حَيْثُ شَاءَ﴾** يقول: حيث نحب ونريد، **﴿فَتَنْعِمُ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾**^(٦) يقولون: الجنة أفضل جزاء العاملين، في الطاعة لرب العالمين، معنى **﴿حَاقَتْ مِنْ**

(١) سقط من (أ): سبحانه.

(٢) سقط من (ب): ما بين الفوسن.

(٣) كمال الآية: **﴿...وَأَوْزَنَنَا الْأَرْضَ تَنْبَئُنَا الْجَنَّةَ حَيْثُ شَاءَ فَتَنْعِمُ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾**.

(٤) سقط من (ب): عن قول المؤمنين.

(٥) في (ب): يقول.

حَوْلَ الْعَرْشِ» [الزمر: ٧٥] فهو: معدون بكل أهل الخسر في ذلك اليوم، و**«الْعَرْشِ**» فهو: الملك، وحفوthem بالملك فهو: قيامهم فيه وبه في ذلك اليوم، **«وَقُضِيَّ بَيْنَهُمْ**» [الزمر: ٧٦] يقول ^(٣): بين الخلق بالحق، الذي لا ظلم ^(٤) فيه، والحق: العدل الذي لا جور فيه، والقاتل: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**»، فهو الملائكة المسبعون، المؤمنون ^(٥) الناجون، المخصوصون بالكرامة الشابون.

٢٤٠) وسألت عن قول الله سبحانه: **«اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
وَكَبِيلٌ**» [الزمر: ١٢]؟

معنى ذلك: أن الله تبارك وتعالى خالق كل شيء من فعله، لا من أفعال غيره، فأفعاله بائنة من أفعال خلقه، وأفعال خلقه بائنة من فعله، وأفعال الله في خلقه، بائنة متلاحدة، يلحق آخرها أولها، ويشتبه أولها لأنخرها، وأفعال الخلق فغير متلاحدة، بل هي أعراض متباعدة متفاوتة، لا يلحق آخرها أولها، ولا يدخل في ثانية منها، إلا بعد انتقام الأول، فهذا الفرق بين أفعاله وأفعال خلقه، والله كما قال سبحانه: **«خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ»**، موجود متلاحد، بريء من خلق ما لا يتلاحد، فما كان متلاحدا فهو: فعل الله، والله خالقه، وما كان غير متلاحد لا يلحق أوله آخره، فذلك فعل غيره لا فعله، تبارك وتعالى عن فعل أفعال المخلوقين ١ وكيف يخلق أفعالهم أو يفعلها؟! وفيها الغشم والظلم والجور، والله بريء عن فعل ذلك،

(١) سقط من (أ): **«مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ»**.

(٢) سقط من (ب): يقول.

(٣) في (ب): لا يظلم.

(٤) في (أ): والمؤمنون.

مقدس عن أن يكون كذلك، فلو جاز أن يكون خلق ما يفعلون، كان فاعلاً لكل ظلم فعلوه، أو جور أحدهم، أو عظيمة جاءوا بها، ولكن هو الفاعل له دونهم، إذ كان المرجد له لا هم، فافهم (- هديت - ما ذكرنا، وقس كل ما أثارك من هذا كما شرحنا)^(١). **﴿عَلَىٰ سَكُلٍ شَرِّيٍّ وَسَكِيلٍ﴾**، والوكيل هو: المحاسب الرقيب، الخفيظ لأفعال من هو عليه وكيل.

٢٤١ وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُتَمَّتْ فِي مَنَامِهَا﴾** [الزمر: ٤٢]^(٢)

هذا إخبار من الله سبحانه بأنه القابض للأرواح المخرج لها، وأنه لا يقبضها ويتوفاها غيره عند وقت وفاتها، وبلغ مدی موتها، و قوله: **﴿وَالَّتِي لَمْ تَمَّتْ فِي مَنَامِهَا﴾** فهو: ما يورد عليها من النوم المزيل للروح من البدن، لأن النائم عند نومه

(١) في (أ): كما شرحناه. وسقط من (ب): ما بين القوسين.

(٢) في (ب): قوله عز وجل: **﴿أَفَلَمْ يَتَوَقَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا... إِلَى قَوْلِهِ إِلَقُوبُ يَنْكَرُوكَ﴾**. قال عيسى بن الحسين رضي الله عنه: هذا إخبار من الله سبحانه لقدره على قبض أرواح العالمين في كلتا الحالتين، حالة الموت وحالة النائم، فأخبر سبحانه أنه يتفرق نفس الميت عند انقضائه أجله وأمره، ويترافق نفس النائم عند نومه، ومعنى توفي لنفس النائم، فهو: بيا ركب سبحانه وجعل وقدر من خروج روح الإنسان عند نومه حتى يبقى بدنها ميتا لا روح فيه، فأخبر عز وجل أن الروحين خارجان في ذين الوقتين، وأنه يعيش روح البدن الذي قضى عليه الموت عن الرجوع إلى بدنها، ويرسل روح النائم الذي لم يقض عليه الموت فيرجع إلى أجل مسمى، يقول: إلى وقت معلوم كما كان الآخر. فإذا جاء الوقت لم يرجع الروح بعد خروجه من البدن، ثم أخبر أن في ذلك لأيات للمنتفكرين، ولدلائل على الله للمتصرين، وأي دلالة أو آية أدل على الله سبحانه من روحيين يخرجان من بدنين، فيمسك أحدهما فيذهب روحه عن بدنها، ويصير إلى موته، ويرجع الروح الآخر إلى مكانه إلى يوم مفهوم: م، وقدر عند الله معلوم.

یخرج روحه من بدنہ، وتبقی نفیہ فی جسده، فأخیر أنه يتوفى الروح عند الوفاة
وعند النام، وهو الجوال في البدن، فلما أن كان كل ذلك من الله وبه، جاز أن يقول
بتوافقهما بخروجهما، في وقتها مذين عند الموت وعند النوم.

(٤٤٢) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿فَوَيْلٌ لِّلْفَاسِيَّةِ قُلُوبُهُمْ لَنَّنِ ذِكْرَ اللَّهِ﴾**
[الزمر: ٢٢]؟

فالقافية هي: المتنعة من قبول حق الله، الكارهة لما أنزل الله.

ومعنى قوله: **﴿مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾** فهو: عن ذكر الله، غير أن من قامت في مقام عن،
لأنها من حروف الصفات، وحروف الصفات مختلف بعضها ببعضًا ويقوم بعضها
مقام بعضه، في ذلك ما يقول الله سبحانه، فيها يمحكي عن فرعون اللعين:
﴿لَا أَصِلَّبُكُمْ فِي جَدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وإنما أراد: على جذوع النخل، والصلب
لا يكون في الشيء، وإنما يكون عليه، وفي ذلك ما يقول الشاعر:

شربن بباء البحر ثم ترتفعت لدى لحج خضر لم يتجه
فقال لدى، وإنما أراد: على.

(٤٤٣) وسألت عن قول الله سبحانه: **﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْرُؤَتٌ بِّيمِينِهِ﴾** [الزمر: ٦٥]
وهذا - رحمك الله - مثل ضربه الله لهم، مما تعرفه العرب وقتل به. وذلك أن
العرب تقول مالك الشيء: هو في يده، وهو في بيته، وهي تربك بذلك تأكيد الملك
له، لأن كل ما كان في يد الملك فهو أقدر ما يكون عليه. واليد في كلام العرب هي:
الملك.

(١) اليت لا يذوب المثلث من قصيدة بصف بها السحاب، انظر ديوانه.

الا تسمع كيف يقول العرب: بلاد كذا وكذا في يد فلان، قرية كذا وكذا في يد فلان.

وتقول العرب: بنو فلان في يد فلان، يريدون: في طاعته وملكه، لا بين أصابعه ولا في كفه، فأرادوا بذلك الملك، ونفذوا الأمر فيهم، لا القبض بالأصابع والضم لها عليهم.

فأخبر الله تبارك وتعالى أن مقدرته على ما ذكر من السماوات المطويات، فوق مقدرتهم على ما هو في ملكهم.

فأما قوله: «مَطْوَيْتُ بِمَيْنَدِ»، فأخبار منه لهم أن السماوات مطويات في ملکه، متصرفات في أمره، جموعات في حكمه، كما يجمع الشيء المطوى جامعه، ويحوزه ويضم عليه طاربه.

فَمَتَّلَّ لهم أمر نفاذ حكمه في السماوات وقدرته عليهم، بما يعرفون من مقدرتهم على ما يطرونه وينشرون، من كتب أو صحف، أو غير ذلك من المطويات الملوكات.

فهذا ما عنه سألت من قول الله سبحانه في السموات إنهن مطويات.





فهرس

الجزء الأول



الفهرس

	مقدمة	
٧.....		المؤلف
٨.....		أبوه:
٩.....		أمها:
١٠.....		ولادته:
١١.....		صفتها:
١٢.....		أولاده:
١٣.....		مثاليتها:
١٤.....		تلذذته:
١٥.....	الإمام المادي في التبريات	
١٦.....		علمه:
١٧.....		مؤلفاته:
١٨.....		جهاده:
١٩.....		رجوعه من اليمن إلى الحجاز:
٢٠.....		جهاده للفرامطة:
٢١.....		حرصه على الأمة:
٢٢.....		دولته:
٢٣.....		ظاهر حكم دولة الإمام المادي:
٢٤.....		عدله:
٢٥.....		ورعه ورذته:
٢٦.....		عبادته:

٤٨	خُلُقُه:
٥٢	شعره:
٩٦	الكتاب:
٩٦	إيات نسبة الكتاب:
٩٩	أهمية كتاب الإمام المادي:
١٠١	نظريته للقرآن
١٠١	نظريته للسنة
١٠٥	نظريته لأهل البيت
١٠٧	نظريته للصحابية
١٠٧	نظريته للحججة
١٠٨	التحقيق:
١٠٨	مراحل الإعداد
١٠٨	منهج التحقيق
١١٠	التعليقات
١١٠	المخطوطات المختلة
١١٨	كلمةأخيرة
١٢١	مقدمة المؤلف
١٢٢	سورة الفاتحة
١٣٩	ومن سورة البقرة
١٦٢	ومن سورة آل عمران
١٧٣	ومن سورة النساء
١٨٢	ومن سورة المائدة
١٩١	ومن سورة الأنعام
٢٠١	ومن سورة الأعراف

٢١٥	ومن سورة الأنفال
٢٢٢	ومن سورة التوبة
٢٢٩	ومن سورة يومن
٢٣٧	ومن سورة هود
٢٤٢	ومن سورة يوسف
٢٥٢	ومن سورة الرعد
٢٥٧	ومن سورة إبراهيم
٢٦٢	ومن سورة الحجر
٢٦٩	ومن سورة النحل
٢٧٩	ومن سورة الإسراء
٢٩٩	ومن سورة الكهف
٣٠٧	ومن سورة مريم
٣١٢	ومن سورة طه
٣١٧	ومن سورة الأنبياء
٣٢١	ومن سورة الحج
٣٢٧	ومن سورة المؤمنون
٣٤١	ومن سورة النور
٣٥٢	ومن سورة الفرقان
٣٥٧	ومن سورة النمل
٣٦١	ومن سورة القصص

٣٦٥.....	ومن سورة المنكوبات
٣٦٩.....	ومن سورة الروم
٣٧٢.....	ومن سورة لقمان
٣٧٩.....	ومن سورة السجدة
٣٨٥.....	ومن سورة الأحزاب
٣٩٠.....	ومن سورة سبا
٤٠٥.....	ومن سورة هاطر
٤١١.....	ومن سورة يس
٤١٧.....	ومن سورة الصافات
٤٢٥.....	ومن سورة ص
٤٤٥.....	ومن سورة الزمر

